

ديوان الرصافي

معروف الرصافي

ديوان الرصافى

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الخامسة
بها قصائد لم تنشر من قبل

تقديم
دكتور عبد الحكيم راضى



الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلسلة
آفاق عربية
تعنى بنشر إبداعات الأشقاء العرب
(شهرية) نوفمبر - ديسمبر / 2004
(84 - 85)

ديوان الرصافي

تصميم الغلاف : محمد بغدادى
الطبعة الخامسة : ٢٠٠٤
رقم الإيداع : ١٩٦٣٣/ ٢٠٠٤

المراسلات باسم مدير التحرير :
على العنوان التالى :
١٦ (أ) ش أمين سامى - قصر العينى -
القاهرة - رقم بريدى : ١١٥٦١

الطباعه والتنفيذ
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت . ٣٩٠٤٠٩٦



الشاعر معروف الرصافى فى أُخريات حياته

١٨٧٥ — ١٩٤٥

أمثل الشاعر «المعروف» يبقى رهين البيت فى عيش كفاف

فقسم واندب مآثره وارخ بعدُمَ مات معروف الرصافى

١٣٦٥ ه ١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ١٢:

عبد الكريم العلاف

مقدمة الطبعة الخامسة

بقلم الدكتور: عبد الحكيم راضى

عزيزى القارئ.. إذا كانت العادة قد جرت عند التعرض للماضين بالحديث بأن نقول : إننا نتحدث عنهم، أو نكتب عنهم، ذلك هو الأعم السائد، لكننى وقد انتدبت – مرحبًا– لأن أقدم لك ديوان الرصافى (١٨٧٥ – ١٩٤٥) شاعر العراق الكبير، وجدتنى منساقاً إلى رغبة غير عادية، رغبة فى أن أستمع إليه، وأطلب منك أن تسمعه معى قبل أن أتحدث عنه. وتسألنى لماذا؟ وأقول لك : لا تحاولْ، لا بد من الاستماع إليه أولاً، على الأقل إلى هذه القطعة من قصيدته (الحق والقوة) :

إلى الله نشكو الأمر من مدنيّة
تعارض فى أوصافها الكذبُ والصدقُ
وكم قد سمعنا ساسة الغرب تدّعى
بأشياء من بُطلانها ضحك الحقُّ
فهم منعوا رقَّ الأسير وإنما
أجازوا لهم أن يشمل الأممَ الرقُّ

ألم تر في القُطر العـــراقى أمـــةً

من الأسـر مـشـدوداً بـأعناقـهـا ريقُ

قـد اخـتطَّ فـيـه السـيفُ للقـوم خطةً

من العنف لم يمرر بسـاحـتـهـا رفقُ

وأوجـرهم سـُمـا من الذل ناقـعـاً

بكأس من العـدوان ليس لهـا مَـذْقُ

لعلك – قارئى العزيز – عرفت الآن لماذا استـدرجتُك إلى سماع الرصافى قبل الحديث عنه، ولعلك تتذكر ما سبق أن قلته وأنا أقدم كتاب (أوراق بغداد) ضمن سلسلة (الذخائر).. لقد قلت هناك : **إن التاريخ يعيد نفسه**، والحقيقة أننى فى هذه العبارة كنت منساقاً وراء شيوعها، مع أنها – رغم صدق المراد بها – غير دقيقة من الناحية المنطقية، فالتاريخ مفهوم ميتافيزيقى ليس له وجود ملموس، وبالتالى فإن المقصود بإعادة التاريخ نفسه : أن الناس يعيدون أحداث الماضى، أو يفعلون مثلها: هذا هو المعنى العلمى للعبارة المجازية : التاريخ يعيد نفسه، أما الحقيقة فإن التاريخ لا يفعل، ولكن، وفى حالتنا هذه على وجه التحديد، فإن الإنجليز هم الذين أعادوا التاريخ، بمعنى أنهم أعادوا – مع الأمريكيين – احتلال العراق.

تذكر أن الرصافى الذى توفى سنة ١٩٤٥ قد عاش أنضج سنوات عمره فى فترة الصراع مع الإنجليز الذين احتلوا العراق فى المرة الأولى سنة ١٩١٧ وذاق منهم - إلى جانب مرارة الاحتلال - مرارة الكذب والخداع والمماطلة، وعرف عنهم كيف يكيلون بميكالين، وكيف تتعدّد مدلولات الكلمات لديهم، وكيف يقولون غير ما يفعلون، ويفعلون غير ما يقولون.

دعنى - عزيزى القارئ- ومعذرةً إن كنت أتعجل الحديث، لأقول لك إنه إذا كان من المألوف أن نقول إن أشعار بعض الشعراء وكتابات بعض الكتاب قد تكون شهوداً علىْ عصورها، **فإن شعر الرصافى ليس مجرد شاهد على عصره المفعم بالصراع والأحداث المثيرة في العراق والوطن العربى كله، ولكنه - فضلا عن ذلك وأكثر أهمية - دليل صادق على وعى صاحبه بأساليب الاستعمار.. والعمل على فضحها، وكذلك العمل على فضح عملاء المستعمر من الحكام الذين يمارسون لعبة الضحك على شعوبهم.. ثم هو محاولة لاستنهاض قومه وبعث الحماسة فيهم ليستدركوا ما فاتهم،** هذا إلى أنه مدافع صُلب عن دينه وعن وطنه، يتصدى للأكاذيب التى تشاع عن الإسلام وموقفه من المرأة ومن العلم والأخذ بأساليب التقدم.

اسمعه وهو يخاطب الإنجليز موضحاً مساوئ الانتداب الذى هو الاحتلال بعينه :

يا أهل لندن مـا أرضت سيـاستُكم
أهلَ العـراقين لا بدوًا ولا حـضـرا
إن انتـدابكم فى قلب مـوطننا
جُـرح نداويه لكن لم يزل غـبـرا
لم يكفـه أنه للحكم مـغـتـصبٌ
حـتى غـدا يقـتُل الآراء والفكرا
إذا رأى نهـضـةً للمـجـد أقـعـدها
وإن رأى فـتـنةً مـشـبـوبةً نفـرا
فكم ضـغـائن بين القـوم أوجـدها
وكم بذور من التـفـريق قـد بذرا
أما مـواعيدكم فـهى التى انكشفت
عن مَيْنِ مَنْ مانَ أو عن غدْر مَنْ غدرا

تلك هى كوارث الاحتلال : قتل الآراء الحرة والأفكار الصائبة المبتكرة، والحيلولة دون قيام النهضة، والإيقاع بين أبناء الأمة للتفريق بينهم، وأخيراً خلف الوعد والمْين والغدر.

والتطبيق العلمى لهذه السياسة أن تُطلق الكلمات بغير معانيها وتشيَّد هياكل شكلية لحياة نيابية وسياسية حرة دون تحقق فعلى لهذه الشعارات. ذلك ما صوره فى قصيدة (حكومة الانتداب) :

علمٌ ودستورٌ ومجلسُ أمةٍ
كلٌّ عن المعنى الصحيح محرَّف
أسماءُ ليس لنا سوى ألفاظها
أما معانيها فليست تُعرفُ
من يقرأ الدستور يعلمْ أنه
وفقاً لصَكّ الانتداب مُصنَّف
من يأت مجلسنا يصدقْ أنه
لمراد غير الناخبين مؤلف
أفهكذا تبقى الحكومة عندنا
كَلِماً تُموَّه للورى وتُزخرَف

وفى هذا السياق يجيء قوله أيضًا فى قصيدة (شكوى إلى الدستور) :

ألم تر أنا طول عهدك لم نقم
نسابق أهل المجد فى حَلْبة السّبْق

ولم نستفد إلاّ سقوط وزارة
وتأليف أخرى مثلِ تلك بلا فرق
وماذا عسى يجدى سقوُط وزارة
إذا لم تقم أخرى على العدل والصدق

على أن أفظع فظائع المحتل الغاصب محاولته طمس ذاكرة الأمة وكسر إرادتها وأن يغلبها على أمرها فلا تتصرف إلا بوحى من إرادته، ولا تقبل ولا ترفض ولا تختار إلا نزولاً على أمره.. فإذا بها، أو هكذا يريد لها - أن تتحول إلى دُمية فى يده يحرّكها كيف يشاء.. استمع إليه من قصيدة عنوانها : (الحرية فى سياسة المستعمرين) :

يا قوم لا تتكلموا   إنّ الكلام محرم
مَنْ يرجو أن يعيـ   ـش اليوم وُهو مكرَّمُ
فليمُسِ لا بصر ولا   سمعٌ لديه ولا فم
ناموا ولا تستيقظوا   ما فاز إلاّ النُّوَّمُ
وتأخروا عن كل ما   يقضى بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانبًا   فالخير ألاّ تفهموا
وإذا أُهنتم فاشكروا   وإذا لُطمتم فابسموا

والقصيدة قطعة رائعة من التهكم بالمحتل والسخرية من محاولاته طمس الحقائق وتزييف الأمور على نحو كامل.

ولكن ما هكذا تُعامل الشعوب العظيمة، حتى ولو كانت واقعة تحت الاحتلال، أن تُهان فى حاضرها ويشوّه ماضيها ويُساء إلى عقيدتها... عقيدة الإسلام التى تتابعت، وتتتابع عليها الاتهامات بما هى براءٌ منه، وذلك ما عمل الرصافىُّ جَهْدَهُ على كشفه وتصحيحه .

فالإسلام برىء ممن يتحدث باسمه عن جهل، وبرىء ممن يرتكب المخزيات باسم الإسلام؛ يقول الرصافى :

فليس بدين كلّ ما يفعلونه
ولكنه جهل وسوء تفهم
لئن ملأوا الأرض الفضاء جرائما
فهم أجرموا والدين ليس بمجرم
ولكنهم فى جُنْح ليل من العمى
تمشّوْا بمَطْمُوس العلائم مبهم
وقد سلكوا تَيْهاء من أمر دينهم
فكم مُنْجِدٍ فى المخزيات ومُتْهِمِ

وليس صحيحاً ما يروّجون له من أن الإسلام يحول دون التقدم ويصد عن العلم، يقول :

يقولون فى الإسلام - ظلمًا - بأنه
يصدُّ ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقًا فكيف تقدمت
أوائلُه فى عهدها المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليومَ جهلُه
فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلمُ فى الإسلام إلاّ فريضة
وهل أمة سادت بغير التعلّم

كما أنه ليس صحيحاً أن الإسلام يمنع حق المرأة فى التعلم، أو يفضل عليها الرجل، يقول :

وقالوا شرْعةُ الإسلام تقضى
بتفضيل (الذين) على (اللواتى)
وقالوا : إن معنى العلم شىءٌ
تضيق به صدور الغانيات
وقالوا : الجاهلات أعفُّ نفسًا
عن الفحشا من المتعلِّمات

لقـد كـذبوا على الإســلام كِـذْبًا

تـزول الشـمُّ مـنـه مـــــــزلـزلات

أليس العلم فـي الإســلام فـرضــاً

عــلــى أبـنــائــه وعــلــى الـبـنــات؟

ويؤكد الرصافى أن الإسلام فى مجمله دين يُسر ووضوح لا عسر وإبهام :

تا الله ما كان فى الإسلام من حَرَج

على الأنام ولا فى نهــجــه غَـــمم

بل كله جــاء تيـســيـرا وتبـصـرةً

للعـــاملين وأحكامـــاً بهـــا حِكمُ

ونراه يجادل القائلين - استناداً إلى الإسلام - بحجاب المرأة ويسميهم (الحجابيين) ويحيىٍّ مؤلفة كتاب (السفور والحجاب)، متحدثًا باسم (السفوريين) مؤكدًا على أن الإسلام ليس ضد السفور، يقول :

قل للحــجــابيين كـــيف ترونكم

من بعـــد سِـفــر للســفــور مـــبين

نحن الســـفـــوريـين أعلـم بالذى

شـــرع النبىُّ مـــحـــمـــدٌ من دين

أيكون مـا شـرع النبىُّ مـحـمـدٌ

شـيـئًـا يخـالف شـرعـةَ التـمـدين؟

هكذا ينهض الرصـافى ليصـد عن الإسـلام تلك التـهم التى ليست وليدة أيامنا هذه، تهـمـة مـعـاداة العلم ومـعـاداة التـقـدم والإجحاف بالمرأة وتحميل الإسلام تَبِعةَ ما ليس منه مما ينسبه إليه بعض أدعيائه، وهو ما يعمل الجهل على انتشاره وترسيخ نسبته – خطأ – إلى الإسلام..

هنا ينفسح المجال أمام الرصـافى لطرح طريقـة العـلاج.. علاج الأمـة العربية والإسلامية من حالة الضعف والهوان التى تتلبسـها، **وإذا كان الجهل والضعف هما أُسُّ الداء، فإن العلم والقوة هما صميم الدواء**، ذلك أن الجـهل قـرين الموت والعدم، هكذا يقول :

إذا مـــا عق مـــوطنَهم أناسٌ

ولـم يـبـنـوا بـه لـلـعـلـم دورا

فــإن ثيــابهم أكــفــانُ مـوتى

وليس بيــوتُهم إلاّ قـــبـــورا

وحق لمثلهم فى الـعــيش ضنكٌ

وأن يدْعــوا بدنيــاهم ثُبُــورا

ثم يقول :

ألا يا ابن العـــــراق إليك أشكو

وفـــــيك أمـــــارس الدهر المكورا

تنفض من غـــبـــار الدهر واهرَعْ

إلى تلك المدارس مـســتـجـيــرا

فـــهن أمـــان من خـــشى الليـــالى

وهنّ ضـــمـــــان من طلب الظهـــورا

أما التسلح بالقوة فأمر ضرورى فى عالم لا يعترف إلاّ بالأقوياء :

لعـــمـــرك مـــا هـذى الدُّنَيّـــا بملبس

لِمَنْ حيكَ من عـجـز نسيج شـعـاره

ولكن لمـن أمـــــسى بأَيْدٍ وقـــــوة

يجـــــرّ على الأيام فـــــضلَ إزاره

كذاك ضعيف القوم إن كان جارُهُ

قـــويًا يكن شِلوًا أكــيـــلاً لجـــاره

وما الليث – لولا بأسُه فى عَرينه –

بأشــرفَ من ضبَ الفـلا فى وِجـاره

أما المقدمة التي لا بدّ منها لتحقق كلا الشرطين – العلم والقوة – فهي النظر إلى المستقبل وترك التفاخر بالماضي، والنظر إلى الأمور بمنظار العصر ومتغيراته، يقول :

أرى مستقبل الأيام أولى
بمطمح من يحاول أن يسودا
فما بلغ المقاصدَ غيرُ ساع
يردّد في غد نظرا جديدا
فوجّهْ وجه عزمك نحو آتٍ
ولا تلفت إلى الماضين جيدا
وهل إن كان حاضرُنا شقيًا
نسود بكوْن ماضينا سعيدا؟

ثم يقول :

فدعني والفخارَ بمجد قومٍ
مضى الزمن القديم بهم حميدا
وقد عهدوا لنا بتراث ملكٍ
أضعنا في رعايته العهودا
وعاشوا سادة في كل أرضٍ
وعشنا في مواطننا عبيدا

إذا مـــا الجـــهل خَـــيَّمَ فى بلادٍ

رأيت أســـودها مُـــســـخت قـــرودا

والربط فى البيت الأخير واضح بين الجهل والضعف، كما أن من الطبيعى أن تكون الرابطة قوية بين العلم والقوة. لكن اللافت فى دعوة الرصافى إلى الأخذ بأساليب العلم والقوة أنه لا يتردد فى نقد أمته العربية وربما لمزِها واتهامها بالجمود.. وهذه الكلمة الأخيرة - الجمود - تتكرر عنده كثيراً فى معرض حثه لهم على الانفكاك من ربقة الماضى فى حدة مقرونة بالإشفاق أحياناً، كما فى قصيدته:

لهفى على العرب أمست من جمودهم

حتى الجمادات تشكو وهى فى ضجر

أو فى حدة خالصة أحيانا كما فى قصيدة (فى المدرسة الحربية) :

أيهـا القـوم مـا لكم في جـمـودٍ

أو مـــا يســـتـــفـــزكم تفنيـــدى؟

وقد تجىء فى معرض الانتقاد، كما فى قوله منتقداً من يتحدثون عن جهل باسم الدين :

تا لله ما كان فى الإسلام من حرج

على الأنام ولا فى نهجه غَممُ

لكنما القوم ظلّوا جامدين على

ما منه قد وهموه بئس ما زعموا

وقد تجىء فى معرض المدح، كما فى قوله لصاحبة مجلة (الحياة الجديدة) :

الشرق فيه قيود وقد فككت قيوده

وفيه داءُ جمود وقد شفيت جموده

وكما فى قوله فى قصيدة (يقظة الشرق) :

وفارسُ حلت عقدةً من جمودها

وحنت بمسعاها إلى سالف العهد

الجمود على القديم إذن هو الآفة، والفكاك منه مقدمة للحلّ، والدعوة إلى هذا الفكاك هى مهمة المستنيرين من أبناء الأمة، خاصة بعد أن حددوا خصمها وهو المحتل، وعرفوا داءها وهو الجهل والضعف، وعرفوا العلاج وهو الأخذ بسبيل العلم والقوة، ممهدين لذلك بالتخلص من روح التعبد للقديم.

كان الرصافى واحداً من أبرز أولئك المستنيرين، وكانت دعوته إلى التحرر موجهة إلى أمته العربية والإسلامية، بل إلى

الشرق عامة... لكن العراق كانت له مكانته الخاصة فى نفسه، فلم يتوقف على لسانه الحديثُ عن العراق، كما لم يتوقف الحديثُ عن أمته الكبيرة، حتى فى القصائد التى تهيمن فيها بعض الأغراض الاجتماعية أو الذاتية، لا يلبث حديث الوطن والأمة أن يطفو على السطح.

وعلى سبيل المثال قصيدة (اليتيم في العيد)، حيث يحكى تأثره بمنظر اليتيم وأمه الثكلى اللذين كشفت مناسبة العيد عن بؤسهما، خاصة بعد سجن شقيق الأم – أي خال اليتيم – ظلماً، إذ لا يلبث أن يتخذ من هذا الظلم مناسبة للدعوة إلى النهوض والتحرر ورفض الظلم، يقول متحدثًا عن رفاقه :

فأطلعتهم طلع اليتيم فأقّفوا

وخبرتهم حال السجين فرجّعوا

فقلت دعوا التأفيف فالعار لاصق

بكم واتركوا الترجيع فالأمر أفظع

ثم تطفو دعوة الوطن :

ألسنا الألى كانت قديمًا بلادُنا

بأرجائها نورُ العدالة يسطع

فما بالنا نستقبل الضَّيْمَ بالرِّضا

ونعنُو لحُكْمِ الجائرين ونخضع؟

ولا يقتصر الأمر على المناسبات الحزينة، ففى قصيدة (ليلة فى ملهى) يصف راقصة رائعة الجمال سلبت عقول الحاضرين، لكن ذلك الجمال واللهو لم يُنسه العراق.. بل ما يلبث أن ينتقل من السعادة واللهو، إلى الكآبة والجدّ فيما يشبه أسلوبَ (التخلّص) فى القصيدة القديمة يقول :

تلك والله ليلةٌ لست أدرى

فى بلادى قضيتها أم غريبا

كدت أنسى بها العراق وإن أبقـ

ـى نُدوبا بمهجتى فندوبا

يا سواد العرق بيّضك الدهـ

ـر فأشبهت مقلتى يعقوبا

أين أنهارك التى تملأ الأر

ض غلالاً بسَيْحها وحبوبا

لهف نفسى على نضارة بغدا

دَ استحالت كُدْرَةً وشحوبا

أين بغـــداد وهـى تزهـو علومـــاً

وزروعـــــا وأريعـــــــاً وبروبا

أقفرت أرضـها وحـاق بهـا الجـهـ

لُ فـــجـــاشت دواهـيـــاً وخطوبا

فلا اليتيم في العيد ولا قضاء الليل في ملهى ينسيه محنة وطنه وأمته التي ركنت إلى زائف الوهم ووردىّ الأماني حقبة من الدهر صَحَتْ بعدها على الاحتلال والمعاناة وفقدان الثقة بالذات، فكان دور الرصافى كواحد من شعراء العصر المتحمسين للدفاع عن وطنهم وأمتهم أن يكشف زيف ألاعيب الاستعمار ودعاواه، ثم أن يفند هجوم المناهضين للإسلام، الذين رموه بالجمود وعدم تقدير العلم والعزوف عن التقدم والحطّ من شأن المرأة..

كان رد الرصافى على هذه الدعاوى وتفنيدها طبيعياً وواجبًا لأنها غير صحيحة، كما كان انتقاده لبنى أمته ووطنه صادقاً ومنطقياً، وهو بمثابة تصحيح الإنسان مسارَه بنفسه، ولا تختلف حال الأمة في هذا السياق عن حال الفرد كلاهما يراجع نفسه ويصحح خط سيره، ويصف العلاج من واقع خبرته هو، ولا بأس في هذا الصدد بتجارب الماضي، ماضينا وليس ماضي أحد آخر.

إن صنيع الرصافى ومعاصريه فى العراق وبقية أقاليم الأمة العربية والإسلامية فى هذا الصدد - أعنى نقد الذات والعمل على التصحيح واقتراح الحلول، ينبئ عن حالة من (السلامة الوطنية) - قياساً على مصطلح (الصحة النفسية) فى علم النفس - هذه السلامة الوطنية تعنى أنه برغم الكبوات والكوارث فإن غريزة المواطنة والتشبث بالأرض والتاريخ لا تزال من السلامة والقوة بحيث استشعرت الخلل، وقامت على تشخيصه ثم اقتراح علاجه.. يتردد هذا فى أفق الثقافة العربية والإسلامية منذ فجرهما، دون حاجة إلى تشخيص خارجى عاجز عن إدراك الفوارق والمتغيرات، ناهيك عن إدعاء القدرة على وصف العلاج. عبر مسالك وأساليب من النوع الذى وصفه الرصافى، أعنى النوع الذى أنتجه جهاز الاحتلال : تزييف الحقائق، والكذب والخداع، تسمية الأمور بغير أسمائها.. إلخ، وآهٍ من هذه الوسيلة الأخيرة هذه التى برع فى استخدامها وتطويرها فلاسفة الاحتلال الجدد، حيث تُسمى الهيمنة باسم العولمة، وحيث يسمى الدفاع عن النفس والوطن باسم الإرهاب، ويُسمى هدمُ المنازل وتجريف الأرض والقتل الجماعى فى أرض الغير.. يُسمى دفاعا عن النفس.

وبعد..

لقد دخلت إلى شعر الرصافي، لا بغرض الدرس الفنى المستقصى الذى يسعى إلى تصنيفه فنّيًا فى سياق شعراء جيله من رواد النهضة، وإنما بعين الباحث عن مشروع الرصافي مفكراً وثائراً فى سبيل التحرر والتقدم، وقد شدّنى ما يمكن عدُّه عناصر أولية لهذا المشروع، **هذه العناصر هى : تشخيص محنة الأمة وأوضح مظاهرها الاحتلال، فكان طبيعياً أن يصور مسلكه ويفضح أساليبه، أما العنصر الثانى فهو الدفاع عن هذه الأمة** – مكانتها، ماضيها المجيد، ديانتها التى لم تعرف التعصب أو الجمود أو الحيلولة دون العلم والتقدم، كما لم تعرف ما يُلصق بها من إجحاف بالمرأة.. **أما العنصر الثالث فهو رسم الطريق إلى التحرر والنهضة،** أما التحرر فعن طريق القوة، وأما النهضة فوسيلتها الاندفاع فى طريق العلم وترك التعلق بالماضى والتوجه فى عزم نحو المستقبل المنشود.

وبعد، ألستَ معى – عزيزى القارئ – فى أننا ما زلنا بحاجة إلى (وصَفْة) الرَّصافى لكى نخرج من محِنتنا؟ أو – بعبارة أدق – لكى نبرأ من مرضنا، مرض الضعف والتخاذل، خاصة أن مصدر الداء، أو علته الأولى، لا يزال كما هو، وإن طرأ عليه

شىء من (التطور)، إذ كان اسمه فى وقت الرصافى الاحتلال الإنجليزى، أما اليوم - وبعد التطوير - فقد أصبح اسمه الاجتياح الانجلو أمريكى؟!

أكتوبر ٢٠٠٤

مقـــدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافى

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شـاعر العراق الأكبر، الأستاذ « معروف الرصافى البغدادى » سنة ١٩١٠ م ، نشرتهـا « المكتبة الأهلية ببيروت » فى جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عنى بترتيبه وتبو يبـه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محيى الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلايينى » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لـكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشـــعار الطبعة الأولى فى أربعة أبواب ، هى : الـكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفى سنة ١٩٣٢ ، أى بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافى » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » فى مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهى تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيما للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر بابا ، هى : الـكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحر يقيـات ، والمراثى ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحربيات ، والمقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية ونقدية لشعر الرصافى ، كتبها الأسـتاذ الـكبير « الشيخ عبد القادر المغربى » عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى فى الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان فى حياة الشاعر ، ولكنا لا ندرى مقدار مشاركته فى الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

و بعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافى» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة فى سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارىء ، جزءان فى مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربى لقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديقى الأستاذ سعيد جودة السحار،صاحب مطبعة «دار الكتاب العربى» أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت رغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التى يسرنا أن نهديها إلى قراء العربية .

***

تمتاز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولاها : غزارة مادة الشعر الذى تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التى لم تنشر قبل فى كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر فى الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأتحف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة فى موضع واحد من شعر «الرصافى» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافى ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحتها إمضاؤه «الرصافى» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التى عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية،فهى وثائق شاهدة بالمعتمد من نصوص أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدى التحريف والمسخ والتشويه . ذلك إلى أن فيها مجالا لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه للقصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سنوحها بعقله ، ثم تصرفه فى المعانى بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هـذه القصائد التى بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التى كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحيانا ؛ ولـكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافى» تحتها ، فلم يبق شك فى نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات فى أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التى لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت فى مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا فى فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التى لم تشرح فى الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع فى هذا الشرح ، بل قاربنا بينه و بين الشرح الذى وجدناه فى الطبعتين السابقتين : نشرح اللفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ، فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعبـارة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفى شعر «الرصافى» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام الشداة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذيوع المعاجم فى عصرنا ، لا يجعل للقارىء عذرا فى ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارىء لا يتقدم فى دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه فى البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعانى ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التى يمده بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشبع نهمته ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هـــذه الطبعة ضبط الشكل للبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضرورى لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لمـا يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا فى الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكا وسطا بين الإفراط والتفريط .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثانى للقوافى ، لتسهيل المراجعة والبحث فى الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافى » فى هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان فى الشعر ؛ وقد ظهر فى شعره الكونى والفلسفى نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفى عن دقة وقوة فى تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير ممن زاولوا الوصف فى الشعر العربى . أما شعره الاجتماعى والسياسى ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التى تدل على أنه كان سياسيا ووطنيا ، بل كان إنسانا من الطراز الأول فى جيله ، يتمنى الخير لبلاده ولقومه ، بل للعرب جميعا ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عند ما يرى البؤس والضعف فى شتى مظاهره .

على أن للرصافى مزايا أخرى فى أسلوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخم الجزل ، واللفظ الموثق العــذب ، ينساب رنينه فى روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها فى أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومَعدِنها ونِجارها .

ما أجدر شباب العربيـــة باستيعاب ديوان « الرصافى » قراءة ، والتوفر عليه

بحثاً ودراسة ، فقد أتيحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافى » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن فى خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد دارا ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلا من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن فى كل باب من أبواب ديوانه لمجالا لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية ؟

مصطفى السقا

القاهرة فى { ٦ من ذى القعدة سنة ١٣٦٨
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩ }

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهدِيَ إليَّ الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافي سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته في تقريظه :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر الماضي عذراً في وقوف شعرهم عند الحد الذي رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسبابا لهذا الوقوف ، فلا ينبغي أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لزحزحة الشعر العربي عن موقفه القديم ، والسير به في الطرق الجديدة التي سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقالها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركاكة ، وأثقال الصنعة ، التي بهظتها قرونا طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما يبتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان في الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التي تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثالهم،والنسج في الشعر العصري على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربي فيمختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية في نفوس أهلها ، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثَم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدم كيس الغني ، وحسن الثغر ؛ وأن الشعراء في الشعب بمنزلة الحداة في الرَّكب : فهم يوجهون إلى الرقي تيار عزيمته، ويذكون في حب الإصلاح الاجتماعي نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم في بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبذّ النابغين ، ويتلقى راية الشعر الاجتماعى باليمين ، أريد به السيد معروفاً الرصافى ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم لما أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظى بالمعنى فطابقـه خلوا من الحشو مملوءا من الدُّرر

إنى لأنتزع المعنى الصحيح على عُرْىٍ فأكسوه لفظاقدّ من دُرَرِ

هذا ما يقال فى الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهى من أشرف الأغراض وأنبلها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التى نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الكائنات وأسرار الخليقة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحا فى القول مَنحي المصلحين ، المتفطنين لموضع الداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم فى نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم فى بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول فى وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجـود الشعر ما يكسوه قائلهُ بوشىِ ذا العصر لا الخالى من العصر

على أنه إذا شاركه فى هـذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه فى وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفى إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحدٌ من الشعراء المعروفين » . اهـ

* * *

هذا ماقلته فى وصف شاعرنا الرصافى وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيى أمس ، وإذا كان هناك شىء أقوله من جديد ، فهو أن ملـكة الشعر فى الرصافى أراها قد بلغت حـدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طيعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه الياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافى تجتاب البلادَ سراعا

ويشبه أن يكون شاعرنا ملَّ الحياة الشعرية وتكاليفها المنصبة ، وسئم ممارسة النظم ، وأن يأبه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف بها لبت بما يراد منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافى ؛ فإنه دأب الأفذاذ من عباقرة أهل الفن والأدب ، والمقدَّمين فى صناعتى النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن فى ممارسة فنهم أو أدبهم ، سئموا التكلُّف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولا ، أو نظموا شعراً ، أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عناء معه ، وسهلا لا وعورة فيه ، وجلياً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أناطول فرانس ، أنه قال : « إننى فى أول نشأتى كنتُ أنضح عرقا حتى أبلغ الأسلوب العالى الفخم ، وأما الآن فإنى أفرُّ منه فرارا » .

وهذا القول يذكرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح فى نفرته من التكلف للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأناطول فرانس ، ولم يعد يعبأ من تزايين النثر إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافى » فإنه لم يعد يعبأ من تزايين الشعر إلا بالبيان أيضاً . فمن ثمَّ وجب أن يُلقب بأمير البيان فى الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير البيان فى النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبية « الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدى أممهم ، فإذا بَعدوا عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم » . وأراد بقوله : « بعدوا عنها » أن يكلموها بأسلوب غامض ، متقل بأوقار الصنعة ، و بعيد الاستعارات والكنايات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتابة تتناولها جميع أفهام القرّاء ، وكانَ يعد ذلك عجزاً ، و يقول: إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ، أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذى حبب الرُّصافى وشعره إلى النشء العربى الجديد ، أنه يمشى بمصباح بيانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، و يعبر بما يقول عما يحسون و يشعرون .

ونحن فى حالتنا الحاضرة المملوءة حيرة واضطرابا ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فى حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة فى نفوس الجمهور ، ويتركون فيها من الاقتناع أثراً بيناً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء فى بيانهم ، و بليغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقذوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الحمية فى نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديما : أدباً فياضاً بالصنعة ، برّاقاً بتزايين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، و إنما الأدب أصبح عاملا من عوامل تكوين الأمم ، و إبلاغها رشدها ، و إنالتها استقلالها .

والطريق الموصل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هى أتم وأكمل فى هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهى « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ «مكرم عبيد» فى خطابه فى القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تفى بالغرض ، ولا تنقذ الأمة من ربقة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة فى اللفظ والأسلوب ، و بين الوضوح فى المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المثل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً فى كل جانب من شعر الرصافى ؛ ولا يحتاج القارىء إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان فى شعر الرصافى ، من الوجهة القومية . أما مزيته من الوجهة التعليمية ، فهى أيضاً من أكبر المزايا التى تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا فى صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافى صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولته ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشف درر الحصباء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تعتم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتتبوأ المكان الأرفع من سلائقهم . وأن حذاق الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يُرَوُّون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كدّ أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوّه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرُّصافى فى مَزيتى السهولة ونغمة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة منتقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنايات غامضة ؛ ولو عمدْت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنتك ، وانقادت طائعة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظما منثوراً ، أو نثراً موزونا ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظما يروقُ انسجامهُ ... فيحسبه المصغى لإنشاده نثرا

ومثله قوله :

فإنى ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ ... لمستمع إلا لتغرُب فى السمعِ

ولست أبالى بعد إفهام سامعى ... أكان بخفضِ اللفظ ماقلت أم رافعِ

خذ مثالا على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدائى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها» ، وغيرها . وكما أشبه الرصافىُّ البحترىَّ فى هذا ، فكانا شاعِرَىْ ألفاظ ، وناشرىْ ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبى ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى لدقيقة ، ويعبر عنها بألفاظ جزلة ، وأسلوب فخم ، ويضمن شعره الأمثال والحِكم ،

والتلاميح إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلوّ في الوصف ، حتى ليخيل إليك أنه المتنبي ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحيانا في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمرُكَ إن الحرَّ لا يتقيَّدُ   ألاَ فليقل ما شاء فيَّ المفنِّدُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لي   به غير تبيان الحقيقة مَقصدُ
نشدت بشعري مَطلبا عزّ نيلُهُ   وإن هان عند الشعر ما كنتُ أنشدَ
فللنجم بعدٌ دون ما أنا ناشد   وللدرّ قدْر دون ما أنا منشد
وكم جنبتني عزة النفس مَنهلاً   يطيب به لكن مع الذّل مَوْردُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة   أنوح بها حينا وحينا أغرّدُ
ولي بين شدقيّ الهريتين صارمٌ   يُسل على الأيام طوراً ويُغمد
ولا عجبٌ أن عابني الشاعر الذي   يقول سخيف الشعر وهو مقلد
فإنَّ ابن بُرد وهو أكبر شاعر   تنقصه في الشعر حمادُ عَجردُ
تعوّدتُ تصريحي بكل حقيقة   والمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة» و « تصريحي بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر متنبيء القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافي في أغراض الشعر المختلفة : كالمدح ، والفخر ، والغزل ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ؛ لكنه في نظمه فيها كان يجري على مثال سابق ، وبرنامج مقرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذي له في أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يجوّد أو لم يكثر منها المعاصرون ؛ وهذا كشعره الذي ضمنه إشارات إلى ما تقرر في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فقصائده «تجاه اللانهاية» ، و « من أين من أين» ، و «نحن على منطاد » ، و «الأرض» ، و « ألكني يا ضياء » ، و «معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التي وصفت بها الكائنات وصفا منطبقا على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ فيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجاذبية . والأثير ، والكهربية ، وأشعة رَنتجن ، وآراء «دارون» في النشوء ، ومذهب « ديكارت » في التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادىء الاشتراكيين ؛ في أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعى والتكسب فى الدنيا وعاشوا على الرعية عاله
يأكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكى أعين السعى من نعيم البطاله
ليس هذا فى مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال فى الإصلاح الإسلامى ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجمود فى الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظيمين .

والشواهد على شعره الاجتماعى لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن وأدوا البنات فقد قبرنا جميعَ نسائنا قبلَ الممات
وقوله : ولم يَصلح فسادُ الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل فى بطالة كأنا يهود ، كل أيامنا سبت

وقوله فى الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم على الذل شبوا فى حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحملُ جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيلُ القارىء على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . فى كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبدع ، وقد وفق أحسن توفيق فى جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته فى التعبيرين : التعبير اللغوى الفصيح ، والتعبير العلمى الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، و يستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلمسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عِيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده فى وصف «غروب الشمس» ، و «راقصة الملهى» ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الآستانة » . أما قصيدته فى الأتومو بيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدُلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه فى استعمال فصحها وشواردها ، مما يذكرنا بأبى العلاء المعرىّ وحذقه فى ذلك ، على أن لقصيدة « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحية أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها فى تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أجيد استعمالها إجادة الأستاذ الرصافىّ لها .

ولم نذكر فى مزايا الرّصافى متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتهار أمره ، وأشد ما تتجلى براعته حينما تبنى القوافى على نوادر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة» و الفراديسا ، والطواو يسا » ، و «المدملك ، والمترهوك» ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وتهو يزا » .

وقد استباح لنفسه أن يرى من الآراء ، و يصف فى شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا فى ديوانه شىء ؛ أو نشر النزر القليل منه ؛ وكان هو يتمنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه فى نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلاوهن فى النفس ؛ومخادعة للجمهور، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه فى قصيدته التى عنوانها « حرية الفكر » :

وجَرَّدت شعرى من ثياب ريائه فلم أكسه إلاَّ معانيه الغرَّا
أضمنه معنى الحقيقة عاريا فيحسبه جهالها مَنطقا هجرا
ويحمله الغاوى على غير وجهه فيوسعنى شتما ؛ وينظرنى شَزرا

رُوَيدكَ ؛ إن الكفر ما أنت قائل ... وإن صريح العرف ما خلته نكرا
هل الكفرُ إلاّ أن ترى الحق ظاهراً ... فتضربَ للأنظار من دونه سِترا
إذا كان في عربي الجسوم قباحةٌ ... فأحسن شيء في الحقيقة أن تَعرَى

غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولا جريئا لا نوافقه عليه ؛ وكنا نتمنى لو جرَّد ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر « أبي نواس » و «المعرى» و « الخيام » ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإني كذلك وجدت في شعر الرُّصافي ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه البارىء :

وغايةُ جهدى أنني قد علمتهُ ... حكيما تعالى عن ركوب المظالِمِ

وقوله : لعمرك ما هذى الحياة وما الذى ... يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
على أننا نمضى إلى أمر رَبنا ... كما أننا آتون من ذلك الأمر

وقوله: إقرأ كتاب الكون تلق بمتنهِ ... آياتِ ربك فصلتْ تفصيلا
سبحان من جعل العوالم أنجما ... يَسبحنْ عَرْضاً فى الأثير وطولا !

وقوله: رمانى القوم بالإلحاد جهلا ... وقالوا عندَه شكٌّ مريبُ
فمنْ ذا منكمُ قد شقَّ قلبى ... وهل كشفتْ لكم فيَّ الغيوبُ
فعند الله لى معكم وقوف ... إذا بلغتْ حناجرَها القلوبُ
يقيني شرَّ فِريتكم يقيني ... بأنَ اللهَ مطلعٌ رقيب

وفى قصيدة « حرية الفكر » و «سياسة لا حماسة » و « تنبيه النيام » و « إلى الأمة العربية» وغيرها نبرات حادة . ونعرات صاخبة . أثار فيها حفائظ شبان الوطن، وشدَّد من عزائمهم فى سبيل الذود عن حرية أوطانهم . وألا ينخدعوا بأحابيل السياسة التى تلقى أمامهم . ولا ببذور المواعيد التى تنثر حواليهم . وفى قصيدة «ما هكذا» و فى « ليلة نابغية » نقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساءوا إلى وطنهم . وقد قال فى قصيدته التى جعل عنوانها «تنبيه النيام» :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولةٍ ... يسوسهمُ بالموبقات عميدها

وأعجب من ذا أنهم يرَهبونها   وأموالها منهم ومنهم جنودها

ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكريّ .

وللرصافيّ عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء . والتوارد والأخذ فيها ظاهر ، حتى كأنه اقتباس لا أخذ ؛ من ذلك قوله :

فمتاع الحياة أصغر من أن   يستفزَّ القلوب بالأحقاد

وهذا من قول المتنبي :

ومرادُ النفوس أصغر من أن   تتعادَى فيه وأن تتفانى

ومثله قوله .

وهل أنا إلا من أولئكِ إن مَشوا   مَشيت وإن يقعد أولئك أقعدِ

وهو من قول دريد بن الصمة .

وهل أنا إلا من غَزِية إن غوت   غويت وإن تَرشد غزية أرشدِ

ويشبه أن يكون شاعرنا « الرصافى » أحب أن يقتبس بيتى المتنبىء ودريد ، ويدخلهما فى شعره ،فاقتبسهما على هذا الوجه ، وهو ضرب من الاقتباس طريف .

ومن لطيف قول «معروف» ما خاطب به « صلاح الدين الأيوبى» يستنهضه من قبره ، ليرى ما فعله الجنرال اللنبى فى بيت المقدس :

حنانيك يا قبر ابن أيوب فانصدع   لينهض ثاوٍ فى مطاويك مفضالُ

إليك صلاحَ الدين نشكو مصيبةً   أصيب بها قلبُ العلى فهوُ مغتال

ويشبه هذا ما قال أديب الترك « نامق كال » فى بيتيه اللذين خاطب بهما قبر السلطان عثمان فى « بروسه » ، ثم نفى من أجلهما ، وهما :

أويان أرتق أويان أى حضرت عثمان ذى همت

أو ياندر كورنه حاله كيردى تأسيس اتديكك دولت

يتش إمدادينه بى كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أولدى لواى نصرتِ ملت

ومهما تجنب الرُّصافي الصنعة البديعية ومحسناتهــا في شعره ، فقد وقع له منها الـكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعا من دون استكراه .

من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في ملمةٍ   تبسمتِ الدنيــا تبسمَ ناصرِ

وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوما عتاده   فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها

وقوله في فتك الأيام بالناس :

ولو لم تنوِ حربا ما تبدَّى   بهــا شكل الأهلة خِنجريا

وقوله : أيهــا المولمون في مصر مَهلاً   إنَّ إيلامكم لنــــا إيلام

وقوله : يقيني شر فِريتــكم يقيني   بأن اللهَ مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحض على التبرع للمصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبسا :

ياقومُ هذي سبيل العرف واضحةٌ   فليمضِ فيها بكم وخدٌ و إرقال

ومن تلك الحال فيها لا تساعدهُ   «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوما ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذي يرسل اللفــــظ جزافا لـكي يصيب جِناسهْ

أنا لا أبتغي من اللفظ إلا   ما جرى في ســهولة وسَلاسهْ

إنمــا غايتي من الشعر مَعنًى   واضحٌ يأمن اللبيبَ التباســهْ

وله في خلال أبياته نكت منثورة ، وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أمَا واللهِ لو كنا قروداً   لما رضيتْ بحالتنــــا القرود

وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النسا   أفنحن ننقص عن رجال الصين

وقوله : كم نَشربُ الظن فلا نرتوي   ونأكل الحــدْس فلا نشبع

وقوله يخاطب الـكائنات العلوية :

وقالوا الأرض بنتكِ غيرَ مَينٍ   فهــل أبناء بنتك يَصدُقونا

وقوله : وكم مدعٍ فضــل التمدن ما له   من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسى كل عبدٍ مذَلل   فقد كرهت حتى الطريق المبدا

وقوله فى أن شربه للتبغ ضارٌ كشرب الآخرين للخمر :

إنى لأمتص جراً لفّ فى ورَق   إذ يشربون لهيبا مِلء كاساتِ
وقوله : أمرٌ فتنظر الأبصــارُ شَزْرا   إلىَّ كأنمــــا قد مَرَّ ذيب
وقوله : وأتركُ ماقد تشتهى النفس نيله   لما تشتهيه قلةٌ فى دراهمى

وقوله فى الذين ارتقوا فى الحضارة ، وتركونا فى الحضيض :

وعَلوْا بحيثُ إذا شَخصنا نحوهم   من تحتهم ضحكوا علينا مِن عَلِ

وقوله فى رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنـــا طرُق البوار تحيفا   وتسومنا سوء العذاب الأهولِ
هذا ونحن مجدَّلون تجاهها   كالفأر مرتعــدا تجاه الخيطل
وقوله : دَع الأناسىَّ وانسبنى لغــيرهم   إن شئت للشاءِ أو إن شئت للبقرِ
فإن فى البشر الراقى بخلقته   من قد أنفت به أنىّ من البشر

وقوله فى وصف أهل هذا الزمان :

لا يغضبون لأمــــر عم باطله   كأنهم غير مخلوقين من عَصبِ
وليس تندَى من النكراء أوجههم   كأنما القوم منجورون من خَشبِ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذُلٍّ ومسكنة   تلقىَ الذبابَ على آنافهم يَنَمْ

وقوله فى خوف اليونانيين من مصطفى كمال :

إذا ذكروا سماك ولو مَناما   تحامَوْا ذِكره بسوى التهجىّ
وسماك : أى اسمك :

أما استخراجه للمعانى الدقيقة ، وللمعانى المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافر ، وخرج من ميدانها بجدٍّ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأىُّ حسن لشعر غير مبتكر ؟

وبقوله يصف شاعريته :

على أن لى طبعاً لبيقاً بوشيه نَزوعا إلى أبكاره دون عونه

ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بجملتها من قبيل الإبداع والابتكار ، لما تضمنته من جمال الأسلوب ، وحسن التنسيق ، والتفنن فى إيراد الأغراض .

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها فى وصفه الحياة الكونية ، وكرورها عودا على بدء : انتهاء ثم ابتداء ، اندثار ثم بناء ، وفى وصفه العوالم العلوية ، وهدوء الليل ، وراحة الموت ، والغرور والكبر ، والبؤس والشقاء ؛ واقرأ إذا شئت « المطلقة » و «أم اليتيم» ، و «اليتيم فى العيد » وغيرها ، تجد أمثلة لما ذكرنا . ويشبه أن يكون من معانيه المبتكرة ، قوله فى أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروحٌ أثخنتنا والموت مثل الضماد

وقوله : تنظمنا الأيام شعراً وإنما تَردُّ المنايا ما نظمن إلى نثر

وقوله : إن يكنْ أغمد الردَى منه فى القبر حساماً فذكره مسلول

وقوله : واللبيب الذى تعلم إتيا نَ المعالى من خسة الأوغاد

وقوله : خدودٌ جرى ماء الشبيبة فوقها ففيه عقول الناظرين من الغرَقَ

وقوله : قد يحسب الإنسان آمالَه والموت مصغ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسى : « والموت خزيان ينظر » .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابعا لكن علينا خِفى المنبعُ

وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب محروم الأول والآخر».

وقوله : لعمرُكَ إن الدهر تغلى خطوبهُ وإن عويل الصارخين نَشيش

وقوله : كم كذَب الدهر فى فعائله وسؤدد الجاهلين من كذبه

وقوله فى مخادعة الدهر :

كأنَّ ليالى الدهر غضبى على الورَى فتنظرُ شَزْراً بالنجوم الشوارق

ولو لم يجشأ كل يوم موار با لما كان فجر كاذب قبل صادق

وقوله : وهو من مُلحه :

يا قومُ قد هـــرم الزما نُ من التمـــادى فى انقلابه
فلذاك عنـــد الماجرا تِ يسيل شىء من لعابه

وقوله : وحبٌ الذى عاداك إن رمتَ قتله فإنى رأيت الحبَّ أقتل للعدَا

وقوله فى الفنون الجميلة و إسعادها الحياة :

إن الذى جعل الحياة رواعداً جعل « الفنون » من الحياةِ بروقا

وقوله فى إسعاد العلم للبشر :

ألغزَ الدهرُ فى الحقائق لـكن أفهم العلمُ أهــله ألغازه

وقوله فى رثاء شيخه الألوسى :

أما العراق فأمسى الرفدان به سطرين للدمع فى خديه قد سالا

وقوله فى أنين « أمّ اليتيم » :

أرى لحمةَ الظلماء عند أنينها فأعجبُ منها كيف لم تتضرّم

وقوله فى وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذُ والـكوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرودِ

وقوله : أرى أنف الحوادث مشمخرّا غدا يتشممُ الحدثَ الجُرافا
ويوشك أن يُمزّق مَنخريه عُطاسٌ يملأ الدنيــا رُعافا

وقوله : وإن فتى الدهر من يدّعى فتـــأتى أعاديه بالشاهد

وقوله : وإنى لأبصر فى بيروت قائبةً للشرّ موشكةً أن تخرج القوبا

وقوله يصف تراكم الـكروب عليه :

يقلّ كروباً بعضها فوق بعضها إذا ما رَمَى كربا رأى تحته كربا

وليس هذا فى الحسن بأدنى من قول أبى الطيب :

« فصرتُ إذا أصابتنى سِهامٌ تكسرتِ النصال على النصالِ »

وقال فى وصف الظلام وشدته :

تمطى على الآكام منه بغيهب ... تكاثف حتى خلته قد تحجرا
وكاد دجاه يمكن الكف لمسه ... فلو سار سار فى دجاه تعثرا

وقوله فى من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :

رجل قد تنكب الحق قوساً ... ومن الباطل ظل يرمى سهاما

وقوله فى المتعلم الذى لا يختص به ، بل يشارك فى كل علم :

هبه أبدى من العلوم نجوماً ... فى ليال من المشاكل دهم
أو ليس البدر التمام وإن كا ... ن وحيداً يربو على ألف نجم

وقوله فى امرأة مجلببة بالسواد حزنا :

«فكانت لها سود الجلابيب حلية ... ولا عجب أن الدجى من حلى البدر
كأن تلاميح الأسى فى جبينها ... بقايا ظلام الليل فى غرة الفجر

وللرصافى طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية لاخيالية ، كقصيدة « الفقر والسقام » ، و «المطلقة» ، و «اليتيم فى العيد» ، وغيرها .

وأدباؤنا المولعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » فى النثر ، وهذا الرصافى قد سبق ، فأحدثها فى الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافى » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم «الشعر القصصى» ، كإيلياذة هوميروس ، وشاهنامة الفردوسى ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يتفنن فيها بسرد أساطير الأمة فى فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجا كل ذلك بأخبار آلهتها . ويقال بالاختصار : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصى » مضروبا على غرار إيلياذة «هوميروس» المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس فى شعر الرصافى ولا فى شعر غيره من شعرائنا الأقدمين والمحدثين ، إيلياذة ، أو «ملحمة» من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير « أحمد شوقى بك » عمل على سدّ ثُلمة فى أدبنا القومىّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فجدير بشاعر العراق الكبير «معروف الرّصافىّ» أن يسد ثلمةً أخرى ، فيضع مَلحمةً عربية فى عشرة آلاف بيت أو أكثر : يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كاللاّت والعزّى ، ومَناةَ الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافى فى الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم فى الإسلام .

وإن للرصافىّ من قصة « عنترة » ، و « بنى هلال » ، وفتوح الشام المنسوبة للواقدىّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعده على عمله : إذ أن فيها أخيلة واسعة ، ومفاجآت مدهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلالة «فيصل الأول» ملك العراق ، أن يجعل الرصافىّ يتفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد جلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافىّ على الإجادة فى إلياذة العرب الجديدة ، ما أوتى من سهولة شعر ، وانقياد طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة فى نظم القصص ، وسلامة ذوق فى اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب «الموسيقية» .

وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغى أن تكونا أول ما يُشترط فى «الملحمة» ، لأنها يتغنى بها ، ويَنشدها للاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم .

ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل فى إنعاش ما خَمل من ذكر العرب ، وخمد من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة «أبو دلامة والمستقبل» ربما كانت نموذجا حسنا لإجادة شاعرنا «معروف» فى ما نبتغيه منه ، ومن نظم إلياذة عربية . فليراجعها القارىء ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافىّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . « وغى العيش » ، والوغى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغًى ، يكثر فيها الصخب

والجلبة . وقوله «خنا الطبع» وأصل الخنا : الفحش فى القول ، وخنا الدهر : نوائبه ، وذلك مذ قال :

وكم رام إسكاتى أناس أبى لهم   خنا الطبع إلا أن يروا لى حسدا

وقوله : (هزة سرورية) وقوله (يقظة نهوضية) نسبة إلى النهوض ، مذ قال :

أرى بعد نوم طال فى الشرق يقظة   نهوضية فيها طموح إلى المجد

وله غير ذلك من التعابير المحدثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ، ومسحة من ابتذال ، بسبب ترددها على الأفواه ، ودورانها فى لغة التخاطب ، وإن كانت فى أصلها فصيحة لفظا ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نظل لأغراضنا   نعارض من دون أدنى سبب

وقوله فى أبيات أخرى «يستوجبون احتراما» و « استوجب العطف » «نالخين فى الشبابة «عيش بسيط» «جهولا يتعنفص» «ولو من أجلها ضربت عنقى ».

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة   فى الغرب لم نزرت وقلت عندنا ؟

وقوله : أنا أبكى عليه من جهة العلـ   ـم وأغضى عن خوضه فى السياسة

قد أبت هذه السياسة إلا   أن تكون الغشاشة الدساسة

ما تعاطى غير الخداع « غلادستون »   فيها كلا ولا « دلكاسه »

لو أردنا إفاضة فى هجاها   لكتبنا لكم به كراسه

وقوله : قد بكته مدارس عامرات   هو فيها المدرس المسئول

نما قد ذكرت بعض مزايا   ه وإلا فشرحهن يطول

وقوله : إذا ما ذممنا الدهر يوما وأهله   فإنك من تلك المذمات مستثنى

ويوشك أن تكون قصيدة «يا محب الشرق» التى خاطب بها المستر (كراين) كلها من هذا القبيل ، فى النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخذة فى شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كددت ذهنى لأجمع منها شيئا ، فلم يقع لى إلا القليل .

فالغامض من أبيات شعره قد يكون بقدر الواضح فى شعر كثير من شعرائنا المشهورين .

وقد يكون الغموض فى شعره ناشئا من كلة استعملها فى غير المألوف من معناها مثل قوله :

وقد يفترى المالُ الفضائل للورى   وليس لهم مما افتراه نصيب

أى أن المال يحدث لبعض الناس فضائل ومناقب ، مع أنهم عُـراة منها ، فأراد بيفترى : يحدث و يوجد . والمشهور فيه استعماله بمعنى الاختلاق والكذب فى القول.

ومثل ذلك أيضا قوله « فتاةٌ راع نَضرتَها الشحوبُ » أراد براع . شوّه ، والمشهور المتبادر من معنى (راع) غير هذا .

ومثله قوله .

جلتِ الطبيعة فى رُباه بدائعا   تكسو الكهولَ غَضاضة الشبان

أراد بالغضاضة . النضارة والطراوة ، يقال . نبات غضّ ، ولكن أكثر ما تستعمل كلة « الغضاضة » فى معنى الذلة والمنقصة ، لحقته غضاضة ، وهذا الأمر عليه فيه غَضاضة .

ومثله قوله .

أيها الأرضُ سِرتْ سيركِ مَثنى   ذا نتاجين فى زمانٍ أحادِ

إنما يكثر فى استعمال « مَثني ، وأحاد » وأخواتها ، أن يقال . جاءوا مثنى ، وأحاد أى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، و يظهر أن كلة «أحاد» غير موفقة فى شعر كبار شعرائنا ، أليس المتنبىء يقول .

« أحادٌ أم سداسٌ فى أحادِ   لييلتنا المنوطةُ بالتنادِ »

ومن مواضع المراجعة فى شعر الرصافىّ قوله على لسان (فاطمة) لمن يجنزّ أخاها الفقير ، فى قصيدة (الفقر والسقام) .

أيها الواقفون لا تُهملوهُ دونكم أدمعى بهـــا غَسلوهُ
ثمَّ بالثوب ضافياً كفنوه وادفنوه لـكن بقلبى ادفنوهُ
لا توارُوا جبينه بالتراب

فقوله «ثم بالثوب» أليس صوابه «بالشعر» ، ونعنى به شعرها .
وقوله فى قصيدة «تنبيه النيام» :

إذا جاهل منكم مشى نحو سُبةٍ مشى غيركم من غير قصد يُريدها
كأنكم المعزى تهاوينَ عند ماً نَزَا فنزتْ فوق الجبال عَتودها

أليست «الجبال» سبق قلم ، وصوابه « الدَّحال » جمع « دَحل » وهو كما قال الأصمعىّ . « هوَّة تكون فى الأرض ، وفى أسافل الأودية فيها ضيق ثم يتسع » . فالعتود . أى الجدى إذا في الدَّحل تهاوتْ وراءه المعزى ، فهلكت . ويضرب الفرنسيون المثل بخروف «بانورج Panurge » ، وهو بطل إحدى روايات الكاتب الفرنسى «رابله» (Rabelais) ، فإن « بانورج » هذا كان فى سفينة مع راعى غنم ، فلم يبعه خروفا إلا بثمن عظيم ، فاشتراه بعد مساومة عنيفة ، وأراد الانتقام منه ، فقذف خروفه الذى اشتراه من الراعى في البحر ، فتهاوت وراءه خرفان الراعى المسكين ، فهلكت كلها .

وهذه الكلمات وأمثالها فى ديوان الرصافىّ من تحريف الطبع في غالب الظن ، كمثل قوله « نقاب الحسن » وهو يصف المطلقة الحزينة :

وقد خلب العقول لها جبينٌ تلوح على أسرته النكوب
ألا إن الجمال إذا علاه « نقاب الحسن » منظره عجيب

فإنها محرفة عن « نقاب الحزن » كما هى كذلك فى الطبعة الأولى من الديوان .
ومع أن الرصافى لا يتحرج من استعمال الكلمات المولدة والمعربة ، فإنك تراها قليلة جداً فى شعره ، من ذلك كلمة «احتار ، يحتار» فإنه استعملها ، وهى غير قاموسية ى لم تذكر فى القواميس .

ومثلها كلمة « الفنان » بمعنى البارع فى أحد الفنون ، كالنحت والتصوير والتمثيل ؛ وهى فى اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذى يعدو فنونا ، أى ضروبا من العدو . واستعملها إخواننا المصريون فى معنى البارع فى الفن . وإن من يتسامح فى استعمال أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمونه بإفساد اللغة . وإحياء القبيح . وإماتة الفصيح .

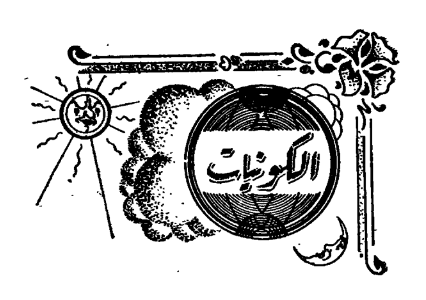
ولا يصح أن يُتّهم الرُّصافىّ بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل فى شعره قليل جداً كما ذكرنا . بينا الفصيح أو الغريب كثير .

من ذلك كلمات (مُسكوئد) أى (أرْعش) من الكبر . (الخشام) الأنف (آزمتا الذئب) . ناباه (تمزَع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذى لا يُطاق . (شحا بفمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع . (محلبة الشرب) . ماء فيه حَمأةَ . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذى تجد منه فى القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئا منه أصلا . وفى استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشرٌ للغة . وإحياء لغريبها . وهو طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .

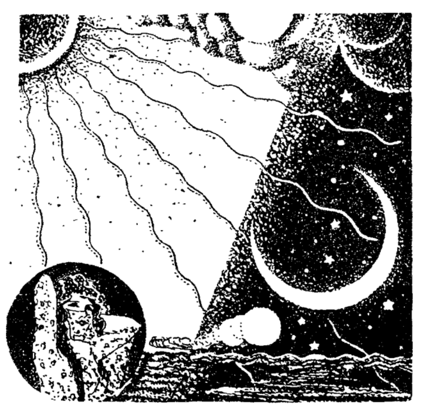
* * *

هذه كلمة فى الرَصافىّ وشعره . أسوقها بين يَدَىْ ديوانه . وأنا خَجل من تفاهتها . وقلة فائدتها .

المغربى


الكونيات

فى مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجيب . . .

جمالُكَ يا وجه الفضاء عجيبُ وصدرك يأبى الانتهاءَ رحيبُ
وعينك فى أمّ النجوم كبيرة تضىء على أنّ الضياء لهيب[(1)]
وما زلتَ تُغضيها فنُخطىء قصدَنا وتفتحها برّاقةً فنُصيب[(2)]
فيحمرّ منها فى الغَدِيّة مَطلَع ويصفر منها فى العشيّ مَغيب
ويخلفها البدر المنير حفيدُها وعنها إذا جَنّ الظلام ينوب[(3)]

---

(١) لما أثبت للفضاء وجها وصدرا فى البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التى فى الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والباصرة . أم النجوم : المجرة ، و «على» فى البيت للمصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أى طبق جفنيها . والضمير من تغضيها عائد إلى العين التى هى بمعنى الشمس فى البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيدا للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليلٍ كأنَّ البدر فيه مليحة　　أُغازلها والنيِّراتُ رقيب
سريتُ به والبحرُ رَهوٌ بجانبي　　ورُدنُ النسيم الغضُّ رطيب(١)
فشاهدت فيه الحسن أزهرَ مشرقاً　　له في العُلى وجهٌ أغرّ مَهيب
ورحت وأهل الحيّ في قبضة الكَرَى　　وفي الليل صمتٌ بالسكون مَشوب(٢)
فكنت كأني أسمع الصمت ساريًا　　له بين أحشاء الفضاء دبيب(٣)
ولو أنَّ صمت الليل لم يك مُطربًا　　لَمَا هزَّ أعطافَ النسيم هبوب

* * *

ألا إنَّ وجه البحر بالنُّور ضاحكٌ　　طليق وثغر الماء فيه شَنيب(٤)
ترقرق منسابًا به الماء والسَّنى　　فلم أدرِ أيّ اللّامعين يَسيب(٥)
وللبدر نورٌ يمنح البحرَ رونقا　　فيبدو كأن الماء فيه ضريب(٦)
إذا جَمَّش البحرَ النسيمُ تهلَّلت　　أساريرُ فيها للضياء وثوب(٧)
وقفتُ وَلألاء السَّنى يستخفّني　　فتطرب نفسي والكريم طروب

* * *

أُردد بين البدر والبحر ناظري　　فيصعد طرفي مرة ويصوب

---

(١) سريت به : أى فيه . رهو : أى ساكن .
(٢) معنى أنهم فى قبضة الكرى : هو أن النوم مستول عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوبا ، أى مخلوطا بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .
(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاخ فى الليل فلم يسمع صوتا ولا حركة ، أدرك أن فى الليل صمتا ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فبهذا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .
(٤) يقال : ثغر شنيب ، أى فيه شنب ، وهو ماء ورقة فى الأسنان .
(٥) ترقرق : أى جرى جريا سهلا ، ومنسابا أى متدافعا فى جريه ، والسنى : النور . ويسيب : يجرى ذاهبا كل مذهب .
(٦) يمنح : يعطى . ورونقا أى حسنا وإشراقا . والضريب : الجليد والصقيع .
(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جمش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلألأت. والأسارير : الخطوط التى تكون فى جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى الأسارير ، وقال إنها تتلألأ بسبب ملاعبة النسيم البحر . فتلوح أشعة النور متوائبة بين تلك الأسارير .

تأمّلت فى حسن العوالم مَوْهنًا فجاش بصدرى الشعرُ وهو نسيبُ (١)
كأنّى وعُلْوِىَّ العوالم عاشق أطلّ من الأعلى عليه حبيب
فقام له مُستشرِفًا ويمينه تشد ضلوعًا تحتهنّ وَجيب (٢)
ولمّا رأيت الكون فى الأصل واحدًا عجبتُ لِأَنَّ الخلق فيه ضروب
ألا إنَّ بطنًا واحدًا أنتج الورى كثيرين فى أخلاقهم لرغيبُ (٣)
وَإِنَّ فضاءً شاسعًا قد تضاربت بأبعاده أيدى القُوَى لرَهيبُ
وَإِنَّ اختلاف الآدميِّين سِيرَةً وهم قد تساووا صُورةً لعجيب
وأعجب ما فى الكائنات ابن آدم فما غيره فى الكائنات مُرِيب
يذمّ فعلَ السوء وهو حليفه ويحمد قول الصدق وهو كذوب

* * *

رأيتُ الورى كُلًّا يراقب غيرَه فكلٌّ عليه من سواه رقيب
ومن أجْل هذا قد ترى كلَّ فاعلٍ إلى الناس فى كلِّ الفعال يُنيب (٤)
فكم حَمَلٍ فى مجمع القوم يُتَّقَى به ثعلب عند الخلاء وذيب (٥)
ولو باح كلٌّ بالذى هو كاتمٌ لَمَا كان فى هذا الأنام أديب
وليس يجدُّ المرء إلّا تكلُّفًا وذاك لأن الطبعَ فيه لَعوب
ويجتنب المرء العيوب لأنّها لدى عائبيه لا لديه عيوب
رِياءٌ قديم فى الورى شَقِيت به قبائل منهم جمّة وشعوب

(١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو فى البيت منصوب على الظرفية . وجاش : بمعنى هاج . والنسيب : هو الشعر الرقيق فى النساء .

(٢) مستشرفا : أى منتصبا رافعا بصره باسطا كفه فوق حاجبه كالمستظل ، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شىء مرتفع أو بعيد . والوجيب : خفقان القلب واضطرابه .

(٣) رغيب : أى واسع ، يقال هو رغيب البطن ، أى واسع الجوف .

(٤) ينيب . يرجع أى لما كان كل من الناس رقيبا على غيره مترصدا لسواه ، صار كلٌّ واحد منهم ينيب فى أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه بذلك سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتمويه ، كما فسر ذلك فى البيت الذى يليه .

(٥) الباء فى قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثالها فى ثونك : لقيت بزيد أسدا .

وربّةَ أخلاقٍ يراها خبيثــةً أناسٌ وعنـد الآخرين تطيب
وحِلم الفتى عنـــد الضعيف فضيلة ولكنّه عنـد القويّ مَعيب

* * *

وقد يَفترى المــالُ الفضائل للورى وليس لهم ممّا افتراه نصيب[1]
وللفقر بين الناس وجهٌ تبيّنتْ به حسنات المرء وهى ذنوب
لقد أحجمَ المثرى فسمَّوه حازمًا وأحجم ذو فقرٍ فقيل هيوب
وإن يتواضع معدم فهو صاغر وإن يتواضع ذو الغنى فنجيب
وذو العُدم ثرثارٌ بكثر كلامه وذو الوُجد مِنطيق به ولبيب
وللناس عادات كثير تقودهم فكل امرىء منهم لهنَّ جنيب
وهنَّ إذا ما يأكلون أكيلُهم وهنَّ إذا ما يشربون شَريب
أبوا أن يحيدوا ضَـلّة عن طريقها وإن مسّهم من أجلهنّ لُغوب
هى الداء أعيــا الأوّلين فهل له على عُقمه فى الآخرين طبيب ؟

(١) يفترى المالى الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبا محضا تفتريه أموالهم . ومعنى قوله « وليس له مما افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم نصيب من الفضائل .

العالم شعر*



وما المرء إلا بيت شعر . . .

قرأتُ وما غير الطبيعة من سِفرِ ... صحائفَ تحوى كل فن من الشعرِ[١]
أرى غُرَرَ الأشعار تبدو نضيدةً ... على صفحات الكون سطراً على سطر[٢]
وما حادثات الدهر إلا قصائد ... يفوه بها للسامعين فم الدهر
وما المرء إلا بيت شعر عروضه ... مصائب لكن ضربه حُفرة القبر[٣]
تنظمنا الأيام شعراً وإنما ... تردُّ المنايا ما نَظَمن إلى النثر[٤]

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .
(٣) العروض فى علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير من الشطر الثانى . ومعنى البيت أن الإنسان أوله للمصائب وآخره للموت .
(٤) النثر : التفريق .

فمنّا طويل مُسهَبٌ بحر عمره ... ومنا قصير البحر مختصَر العمر(١)
وهـذا مديح صِيغ من أطيب الثنا ... وذاك هجاء صِيغ من مَنطق هُجر(٢)

* * *

وربَّ نيام فى المقابر زرتهم ... بمنهلٍ دمع لا ينَهنَهُ بالزجرِ(٣)
وقفت على الأجداث وِقفة عاشق ... على الدار يدعو دراس الطلل القفر(٤)
فما سال فيض الدمع حتى قرنته ... إلى زفرات قد تصاعدن من صدرى
أسكان بطن الأرض هلّا ذكرتم ... عهودا مضت منكم وأنتم على الظهر
رضيتم بأكفان البِلى حُللا لكم ... وكنتم أولى الديباج والحُلَل الحمر
وقد كنتم تؤذِى الحشايا جنوبَكمْ ... فكيف رقدتم والجنوب على العفَرْ(٥)
إلا يا قبورا زرتها غير عارف ... بها ساكنَ الصحراء من ساكن القصر(٦)
لقد حار فكرى فى ذويكِ وإنه ... ليحتار فى مثوى ذويك أولو الفكر(٧)
فقلت والأجداث كَفَّى مشيرة ... ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر(٨)

* * *

وليلٍ غـــدا فىِّ الجناحين بتُّهُ ... أسامر فى ظلمائه من واقع النسر(٩)
وأقلع من سفن الخيـال مَراسيًا ... فتجرى من الظلماء لُجَجٍ خُضْرِ(١٠)

---

(١) مسهب : طويل. (٢) الهجر : القبيح من الكلام.
(٣) انهل الدمع : سال. لاينهنه : لايكف.
(٤) الأجداث : القبور. درس المكان : انمحى. والطلل : مابقى من آثار الديار.
(٥) الحشايا : جمع حشية وهى الفراش المحشو. العفر : التراب.
(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشىء فيها.
(٧) المثوى : المقام. (٨) أفجع : أوجع.
(٩) غدا فى الجناحين : أسودهما. نسبة إلى الغداف وهو الغراب. النسر : اسم لنجمين، يقال له النسر الواقع، والآخر يقال له النسر الطائر. وفى البيت تورية لاتخفى.
(١٠) لجج : جمع لجة؛ وهى فى الأصل معظم الماء. خضر : سود، يقال أخضر بمعنى أسود، والخضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر.

أرى القبـــة الزرقاء فوقى كأنها ... رُواق من الديباج رُصّع بالدر (١)
ولولا خروق فى الدجى من نجومه ... قبضت على الظلماء بالأنمل العشر (٢)
خليلىَّ ما أبهى وأبهج فى الرُّؤى ... نجوما بأجواز الدجى لم تزل تسرى (٣)
إذا ما نجوم الغرب ليلا تغوَّرت ... بدت أنجم فى الشرق أخرى على الإثر (٤)
تجوَّلت من حسن الكواكب فى الدجى ... وقبح ظلام الليل فى العُرف والنُّكر (٥)
إلى أن رأيت الليل ولَّت جنوده ... على الدُّهم يقفو إثرها الصبح بالشُّقْر (٦)
فيالك من ليل قرأت بوجهه ... نظيم البها فى نثر أنجمه الزهر
فقلت وطرفى شاخصٌ لنجومه ... ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

* * *

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى ... وقد قدَّ درعَ الليل صَمصامةُ الفجر (٧)
فأطربنى والديك مُشجٍ صياحه ... ترنمُ عصفور يزقزق فى وكر (٨)
ومما ازدهى نفسى وزاد ارتياحها ... هبوبُ نسيم سَجْسَج طيب النشر (٩)
فقمت وقام الناس كلٌّ لشأنه ... كأنا حجيج البيت فى ساعة النفْر (١٠)
وقد طلعت شمس النهار كأنها ... مليك من الأضواء فى عسكر مَجْر (١١)

(١) القبة الزرقاء : السماء . الرواق : سقف فى مقدم البيت . أو هو الخيمة .

(٢) الدجى : الليل . وأراد بالأنمل الأصابع ؛ وهى فى الأصل رءوسها .

(٣) الرؤى : المنظر . أجواز الدجى أوساط الليل .   (٤) تغورت : غابت .

(٥) تجولت : كذا بالجيم ؛ كما فى الأصل؛ ولم أجد هذه الصيغة فى مادة (جال) . ولو روى بالحاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .

(٦) الدهم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر . والشقرة فى الخيـل : حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر : أشعة الشمس مجازا .

(٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرع الليل ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة .   (٨) مشج : مطربه .

(٩) ازدهى نفسى : استفزها . ريح سجسج : لينة الهواء، معتدلة النشر : الرائحة .

(١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت البيت الحرام فى مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج إذا اندفعوا من منى إلى مكة .   (١١) المجر : الجيش العظيم .

بدت من وراء الأُفق ترفُل للعلى | رويدًا رويدًا في غلائلها الحمر[1]
غدت ترسل الأنوار حتى كأنها | تُسِيل على وجه الثرى ذائب التبر[2]
إلى أن جلت في نورها رونقَ الضحى | صقيلا وفي بحر الفضاء غدت تجرى[3]
وأهدت حياة في الشعاع جديدة | إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
فقلت مشيرًا نحوها بحفـــــاوةٍ | ألا إن هذا الشعر من أبدع الشعر[4]

* * *

وبيضة خِدْر إن دعت نازح الهوى | أجاب ألا لبيكِ يا بيضة الخِدْر[5]
من اللاء يملكن القلوب بكلمة | ويحيين مَيْت الوجد بالنظر الشَّزْر[6]
تهادت تريني البدر محدقةً بها | أوانسُ إحداقَ الكواكب بالبدر[7]
فللهِ ما قد هِجْنَ لى من صبابة | ألفتُ بها طيَّ الضلوع على الجمر[8]
تصافح إحداهن في المشي تِرْبها | فنحرٌ إلى نحرٍ وخَصْرٌ إلى خَصْر[9]
مررن وقد أقصرت خطوى تأدُّبًا | وأجمعت أمرى في محافظة الصبر
فطأطأن للتسليم منهنَّ أرؤُسًا | عليها أكاليل ضُفِرْنَ من الشعر
فألقيت كفي فوق صدرى مُسَلِّمًا | وأطرقت نحو الأرض منحنيَ الظهر
وأرسلت قلبي خلفهن مُشَيِّعًا | فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
وقلت وكفي نحوهن مشيرة | ألا إن هذا الشعر من أجمل الشعر

(١) ترفل : تجر ذيلها وتتبختر . غلائلها : أراد بها ثيابهـا ، مفردها غلالة ، وهى شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .
(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .
(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلا : مجلوا .
(٤) الحفاوة : التلطف والمبالغة بالاكرام .
(٥) أراد ببيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة فى خدرها. نازح الهوى : نائية وذاهبة
(٦) اللاء : اللائى . الوجد : الحب . النظر الشزر : هو نظر فيه إعراض ، أو نظر الغضبان بمؤخر العين ، أوالنظر عن يمين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت.
(٧) أحدق بالشىء : أحاط به . (٨) هجن : هيجن . الطى : مصدر طوى.
(٩) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنها ، وأكثر ما يستعمل فى المؤنث. النحر : موضع القلادة من العنق.

ومائدةٍ نسجُ الدِّمقس غطاؤها ... بمجلس شبانٍ هُم أنجمُ العصرِ (١)
رَقِي من أعاليها الفنغراف منبرا ... محاطًا بأصحاب غطارفة غُرِّ (٢)
وفى وسَط النادى سراج منوَّر ... فتحسبه بدرًا وهم هالة البدر (٣)
فراح بإذن العلم يُنْطِق مِقولا ... عرفنا بهِأن البيان من السحر
فطوْرًا خطيبًا يحزن القلب وعظه ... وطوْرًا يَسُرُّ السمع بالعزف والزمر (٤)
يفوه فصيحًا باللُّغا وهو أبْكَم ... ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وَقْرِ (٥)
أمين أبى التدليس فى القول حاكيًا ... فتسمعه يروى الحديث كما يجرى (٦)
تراه إذا لقنته القول حافظًا ... تمر الليالى وهو منه على ذُكرِ (٧)
فيالك من صنع به كل عاقل ... أقر لأديسونَ بالفضل والفخر (٨)
فقلت وقد تمت شقاشق هدره ... ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعر (٩)

* * *

وَأصيدَ مأثورِ المكارم فى الورَى ... يريك إذا يلقاك وجه فتى حُرِ (١٠)
يروح ويغدو فى طيالسة الغنى ... ويقضى حقوق المجد من ماله الوَفْرِ (١١)
تخـوَّنه ريب الزمان فَاولعَتْ ... بإخلاقها ديباجتيهِ يدُ الفقر (١٢)

---

(١) الدمقس : الديباج والحرير الأبيض . (٢) الغطارفة : السادة .
(٣) الهالة : دارة القمر ، كالطفاوة لدارة الشمس .
(٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وهى آلات الطرب .
(٥) اللغا : اللغات ، وهى جمع لغة . الوقر : الصمم ، وهو ذهاب السمع .
(٦) التدليس فى الحديث : هو أن لايذكر المحدث فى حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو أعلى ممن حدثه ، ليوهم أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .
(٧) الذكر ، بضم الذال : التذكر . (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفنغراف »
(٩) تمت شقاشق هدره : سكت . والشقشقة فى الأصل : لهاة البعير ، وقيل شىء كالرئة يخرجه من فيه إذا هاج ، ويقال للفصيح : هدرت شقشقته .
(١٠) الأصيد : الرجل الذى لايلتفت من زهوه وخيلائه .
(١١) طيالسة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوفر : الكثير .
(١٢) أولع به بالبناء للمجهول : علق به شديداً . الإخلاق : مصدر أخلق الثوب : أبلاه . ديباجتيه : خديه . ومعنى البيت : خانه الزمان ، وعلقت به يد الفقر ، فوضعت من شرفه ، وذلت خديه بعد أن كانتا مصعرتين .

فأصبح فى طُرْق التصعلك حائرًا | يجول من الإملاق فى سَمَلٍ طِمْرِ (١)
كأن لم يَرُحْ فى موكب العز راكبًا | عِتاق المَذاكى مالك النهى والأمرِ (٢)
ولم تزدحم صِيدُ الرجال ببابه | ولم يَغْمُرِ العافين بالنائل الغَمْرِ (٣)
فظل كئيب النفس ينظر للغنى | بعين مُقِلٍّ كان فى عِيشة المُثْرِى (٤)
إلى أن قضى فى علة العُدم نَحْبَه | فجهَّزَهُ من مالهم طالبو الأجر (٥)
فرُحتُ ولم يُحْفَل بتشييع نعشه | أشيعه فى حامليه إلى القبر
وقلت وأيدى الناس تحثو ترابه | ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر (٦)

* * *

ونائحةٍ تبكى الغداة وحيدَها | بشجو وقد نالته ظلماً يد القهرِ (٧)
عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم | عليه قضى بُطْلًا بها وهو لا يدرى (٨)
فويل له من حاكم صُبَّ قلبه | من الجوْر مطبوعًا على قالب الغدر
من الروم أما وجهه فمشوَّه | وَقاح وأما قلبه فمن الصخر (٩)
أضرّ بعفٍّ الذيل حتى أمضَّه | ولم يلتفت منه إلى واضح العذر (١٠)
تخطَّفه فى مِخلب الجور غِيلةً | فزجَّ به من مظلم السجن فى القعر
تنوء به الأقياد إن رام نهضة | فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى (١١)

(١) التصعلك : الافتقار . الاملاق : الفقر . سمل طمر : ثوب بال .
(٢) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها .
(٣) صيد : جمع أصيد وقد تقدم معناه . يغمر: يبالغ فى الاحسان . العافين : الفقراء . النائل الغمر : العطاء الكثير
(٤) المقل : ضيق ذات اليد . والمثرى : الغنى ، (٥) العدم : الفقر.
(٦) تحثو ترابه : تصبه. (٧) الشجو : الحزن .
(٨) عزاه : نسبه. (٩) وقاح بفتح الواو : ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث،
(١٠) عف : عفيف .
(١١) المخلب : هو فى الأصل ظفر كل سبع من الماشى والطائر . غيلة ، يقال قتله غيلة : أى خدعة فذهب به إلى موضع فقتله . زج به : طرحه .
(١٢) تنوء به : تثقله . الأقياد : جمع قيد .

تناديه والسجانُ يكثر زجرها ... عجوز له من خلف عالية الجُدْر (١)
بُنَيَّ أظنّ السجنَ مسّك ضُرُّه ... بُنَيَّ بنفسى حلَّ ما أصابك من ضُر
بُنَيَّ استعن بالصبر ما أتت جانيًا ... وهل يخذل الله البرىء من الوزر (٢)
فجثت أعاطيها العزاء وأدمعى ... كأدمعها تنهلّ منى على النحر
وقلت وقد جاشت غوارب عَبرتى ... ألا إن هذا الشعر من أقتل الشعر (٣)

تجاه اللانهاية

أبعَدَ الدهر فى الفضاء مَكَرَّهْ ... عالقًا فى مكرِّه بالمجرَّهْ
إن أم النجوم بنت زمانٍ ... لم تزل حادثاته منتثرهْ
فى فضاء لو سافر البرق فيه ... ألف قرن لمَا أتى مُستقَرَّهْ
ولو الشمس ضوعِفت ألف ضِعف ... لم تكن فى أثيره غير ذَرَّهْ
ولو الفكر غاص فيه مُغِذًّا ... لم يكن بالغًا يدَ الدهر قعرَهْ
سعة تحسب المجرّة فيها ... حَلقَةً أُلقيت بصحراء قَفْرَهْ
يقف الفكر دونها مُكوئِدًّا ... مقشعرًا وتأخذ العقل حَيْرَهْ
لو أضفنا إلى الفضاء فضاء ... مثله لم تزد ولا قيدَ شعره
إن تكن هذه المجرّة نهرًا ... مستفيضًا فشمسنا منه قطره
أو تكن أرضنا من الشمس جزءًا ... فهى سِقْطٌ من جمرة مستحره
إن تسائل عنا فنحن هباء ... ذُرَّ من صنعة القوَى بعذرّه
صادفتنا أشعة من حياة ... فظهرنا وهل لأول مرّه
كل من جاوز الأشعة منا ... فهو هاوٍ فى ظلمة مكفهره
فعلام الحقود يضمر حقدًا ... وعلام الجهول يظهر كبره

---

(١) الجدر : جمع جدار . (٢) الوزر : الذنب .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعالى موجه . العبرة : الدمعة .

من أين وإلى أين ؟

من أين من أين يا ابتدائي ... ثم إلى أين يا انتهائي ؟
أمن فنــاء إلى وجود ... ومن وجود إلى فنــاء؟
أم من وجود له اختفاء ... إلى وجود بلا اختفاء؟
خرجت من ظلمة لأخرى ... فــا أمامي وما ورائي؟
ما زلت من حيرة بأمري ... معانق اليـأس والرجاء
إن طريق النجــاة وعر ... يكبو به الطِّرْف ذو النَّجاء[(١)]
يا قوم هل في الزمان نَطْس ... يَهدِي إلى ناجع الدواء[(٢)]
لأيِّ أمر ذهِ الليــالي ... تأتي وتمضي على الوِلاء؟[(٣)]
فتطلعُ الشمس في صباح ... وتغرب الشمس في مساء
أرى ضياء يروق عيني ... ولست أدري كنه الضياء[(٤)]
وما اهتزاز الأثير إلا ... عُلالة نزرة الجــلاء[(٥)]
نحن على رغم ما علمنا ... نعيش في غيهب العماء[(٦)]
نشرب ماء الظنون عبًّا ... فلم نعد منـه بارتواء[(٧)]
تأتي علينا مشــاهدات ... نروح منهنَّ في مِراء[(٨)]

---

(١) الطرف : الكريم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .
(٢) النطس : الطبيب الحاذق .
(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متتابعة دون فاصل .
(٤) كنهه : حقيقته. والشطر الثاني من البيت فيه استعمال فاعلن على وزن مفعولن وقد درج على ذلك بعض الشعراء في مخلع البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفي هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .
(٥) الأثير في اصطلاح العلم : شيء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلالة : هي ما يتعلل به ويتلهى . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلهون بهذا التفسير . لأنهم لم يدركوا الحقيقة .
(٦) الغيهب : الظلمة .
(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس . (٨) المراء : الخلاف والجدل .

وكم نرى فعــل فاعلات — من القوى وهى فى الخفاء(١)
يا ويلة الحس إنه عن — حقيقة الأمر فى غطاء
فإن أجزاء كل جسم — مبتعــدات بلا التقــاء
وفى دُقاق الجمــاد عَرك — يتّهم الحس بالخَطاء(٢)

* * *

يا قوة الجــذب أطلقينى — من ثِقلة أوجبت عنائى
لولاك لولاك يا شكالى — لطرت كالنور فى الفضاء(٣)
أنتِ عمــاد السماء لــكن — خفيت عن عين كل راء
ربطتِ كل النجوم فيها — بعضًا ببعض ربط اعتناء
فدُرنَ فى الجوّ جاريات — كأنهــا السفن فوق ماء
نحن بنى الأرض قد علمنا — بأننــا من بنى السماء
لو كنت فى المشترى لبانت — أرضى سماء بلا امتراء(٤)
فليس فوق وليس تحت — ولا اعتلاء لذى اعتلاء
وإنمــا نحن فوق نجم — نحيــا محاطين بالهواء
فليت شعرى أىُّ ارتقاء — للروح يبقى أىَّ ارتقــاء
وأنت يا كهرَباء سرٌّ — بدا وما زال فى غِشاء(٥)
عجائب الــكون وهى شتَّى — فيك انطوت أيّمَا انطواء(٦)
أضأت إن شئت كل داج — لنــا وأدنيت كل ناء(٧)
فأنت للــكائنــات روح — إن كانت الروح للبقــاء

---

(١) القوى : جمع قوة ، وأراد بها القوى الطبيعية .
(٢) أراد بدقاق الجماد : ذراته ، وذرات كل شىء ، على ماحققه العلم ، فى حراك مستمر مع أن الحس فى الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطاء .
(٣) الشكال : الوثاق يقيد به .
(٤) المشترى : أحد النجوم السيارة .
(٥) غشاء : غطاء .
(٦) شتى : متفرقة .
(٧) داج : مظلم . أدنيت : قربت . ناء : بعيد .

وكم تقاضاكِ فيلسوف حقيقةً صعبة الأداء (١)
فقال والقول منه ظن ما الكون إلا بالكهرَباء

* * *

وليلةٍ بتُّها أنادى نجومَها أبعد النداء
آخذ منهنّ بالتدانى فكرًا ويأخذنَ بالتنائى
فأنثنى باكياً بشعرى ويطرب الليل من بكائى
وربما كرّ بعد وهْن فكرى فألفِى بعض الشفاء (٢)
فأرجع القهقرى أغنّى وما سوى الشعر من غناء
أقول والنَّسر فوق رأسى وطالع النجم فى إزائى (٣)
يأيها الأنجم الزواهى لله ما فيكِ من بهاء
أما كفاك السنى جمالًا حتى تجللت بالسناء (٤)
يا أنجم النعش فاصدقينى أمات ذو النعش بانطفاء (٥)
إنى إذا كنت فى حداد إليك أهدى حسن العزاء
وأنتَ يا نسر من كلال وقعت أم طِلْبة الغذاء (٦)
أخوك هل طائر لوكر أم قاصد منتهى الفضاء (٧)
كأن أم النجوم سيف سُلَّ على الليل ذو مَضاء (٨)
رُصِّع متناه بالدرارى فراق فى الحسن والرُّواء (٩)
كأن نجم السُّها أديب فى أرض بغداد ذو ثَواء (١٠)

---

(١) تقاضاك : طلبك . (٢) الوهن : الضعف .
(٣) النسر : اسم كوكب . النجم : الثريا . إزائى : مقابلى .
(٤) السى : الضوء . السناء : الرفعة .
(٥) أنجم النعش : هى الأنجم التى تسمى بنات نعش : ذو النعش: هو الميت .
(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .
(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .
(٨) دو مضاء : حاد قاطع . (٩) متناه : جانباه . الرواء : حسن المنظر .
(١٠) السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . الثواء : الاقامة .

كأن خط الشهاب مُدلٍ ... لأسفل البئر بالرِّشاء[١]
كأنما أنجم الثريا ... فى شكلها الباهر الضياء
قُفّازُ كف به فصوص ... من حجر الماس ذى الصفاء[٢]

* * *

برئت للموت من حياة ... ما نُكِّبت مَهيعَ الشقاء[٣]
لم يكفها أنها احتياج ... حتى غدت حَومة البلاء
يأيها المترف المهنَّأ ... يمرح فى ثوب كبرياء[٤]
مهلاً أخا الكبر بعض كبر ... ألست تَقْنَى بعض الحياء
أنت ابن فقر إلى أمور ... بهنَّ تُدعى يا بن الثراء[٥]

---

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله فى البئر . الرشاء : الحبل .

(٢) القفاز : لباس اليد ، وهما قفازان . الفصوص : جمع ، فص بفتح الفاء وضمها وكسرها ، وهو مايركب فى الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .

(٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نحاه وأبعده عنها . المهيع : الطريق .

(٤) المترف : المنعم . (٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على مُنْطادِ   جائل فى شواسع الأبعادِ (١)
طائر فى الفضاء عرضًا وطولًا   بجَناحٍ من القوى غير باد (٢)
أيها الأرض سرت سيرك مَثْنَى   ذا نتاجين فى زمان أحاد (٣)
فتقلّبت فى نهار وليـــل   ذا مُضِلٌّ وذاك للناس هاد

---

(١) المنطاد : هو مايطار به فى الفضاء ، وهو مايسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعيدة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .

(٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها فى الزمان الواحد دورتين ، تنتجان نتاجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تتمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تتمها فى سنة كاملة .

في بلادٍ يكون سيرك تأويـــبًا من أنه سُرًى في بلاد[١]
فيك دفعٌ وفيك ياأرض جذب ... لك ذا سائق وذا لكِ حادي ؟[٢]
فلك دائر على الشمس طورًا ... في اقتراب وتارةً في ابتعاد
ليت شعري وماحصلت من الآ ... راء إلا على خلاف السداد
لبقاء تُقلّنا الأرض في تســــيارها أم تقلنــا لنفــاد ؟[٣]
نحن في عالمٍ تَقَصَّف فيه ... عارض النائبـــات بالإرعاد[٤]
شأننا العجز فيه توجد أنَّى ... قذفتنا يد الخطوب الشداد
ضاع جَذر الحياة عنا فخِلنا ... أنها كالأصمِّ في الأعداد[٥]
شغلتنا الدنيا بلهوٍ ولعِب ... فغفلنا والموت بالمِرصاد
ضلَّ من رام راحةً في حياة ... نحن منها في معرك وجلاد[٦]
إنما هـــذه الحياة جروحٌ ... أثخنتنا والموت مثل الضِّماد[٧]
كلُّ أسر يهون إن أطلقت أر ... واحنا المُوثَقاتُ بالأجساد
لا تلمني إذا جَزِعت فإني ... ما ملكت الخيار في إيجادي
طال عتبي على عِدات الليالي ... مثلما طال مَطْلها بمرادي[٨]
كدَّرت عيشيَ الحوادث حتى ... لا أرى الصفو غير وقت الرقاد[٩]

---

(١) التأويب : السير جميع النهـار . السرى : السير في الليل . يقول : أيها الأرض إن سيرك النهارى في بلاد هو في الوقت نفسه سير ليلي في بلاد أخرى ، وذلك لأن الـكرة يـكون نصفها مضيئا وهو مايقابل نور الشمس ، النصف الآخر يـكون مظلما وهو مالا يقابلها . وبمقدار ماتنير الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادي : من حدا الناقة إذا غنى لها لتجود في السير . (٣) تقلنا : تحملنا.

(٤) العارض في الأصل : السحاب الذي يعترض في الأفق . النائبات : المصائب.

(٥) خلنا : ظننا . الأصم في اصطلاح الحسابيين : هو العـدد الذي لايؤخذ جذره ، بمعنى أنه لا يـكون حاصلا من ضربه بنفسه كالخمسة والثلاثة والأحد عشر وغيرها . معنى البيت : أنناجهلنا أصل الحياة ، فظنناها لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذي لاجذرله .

(٦) الجلاد : مصدر جالدوا ، بمعنى تضاربوا بالسيوف .

(٧) أثخنتنا : أوهنتنا وأضعفتنا ، الضماد : العصابة التي يربط بها موضع الجروح.

(٨) عدات : جمع عدة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاح ما دلَّ فى الأمور على الأشـــــكال إلَّا تفحُّص الأضداد

فاعتبر بالسفيه تُمسّ حليماً　　وتعرّف بالغىّ طرْق الرشاد

واللبيب الذى تعلم إتيا　　نَ المعالى فى خِسة الأوغاد(١)

أيها الغِرّ لا تغرّنْك دنيا　　كَ بكون مصيره لفساد

خفَّ من غاص فى الغرور كما فى　　لجَّة المــاء خفَّ ثِقل الجماد(٢)

يا خليلىَّ والخليل المُواسى　　منكما من يقوم فى إسعادى(٣)

خاب قوم أتوا وغَى العيش عُزلًا　　من سلاحى تعاون واتحاد(٤)

قد جفتنا الدنيا فهلَّا اعتصمنا　　من جفاء الدنيا بحبل وِداد

لو عقلنا لَمَـا اختشى قطّ محسو　　دون وقع الأذاة من حُسادِ

فمتاع الحياة أحقر من أن　　يستفزّ القلوب بالأحقاد

أنا والله لا أريد بأن أو　　قِعَ شرًّا ولو على من يعادى

إنَّ لى إن سمعت أنَّةَ محزو　　نٍ أنينًا مُرَجَّعًا فى فؤادى

إن نفسى عن همها ذات شغلٍ　　بهموم العبــاد كلِّ العباد

لا أحب النسيم إلا إذا هبَّ　　عــلى كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر الـ　　علم والجدِّ فى العُلى والجهاد

عصر حكم البخار والـكهرَبائيَّـ　　ة و« الماكنات » والمُنطاد

بُنيت فيه للعــلوم المبــانى　　وأُقيمت للبحث فيها النوادى

فاض فيض العلوم بالرغم ممن　　ضربوا دونهنّ بالأسداد(٥)

إن للعلم فى الممالك سيرًا　　مثل سير الضياء فى الأبعاد

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو اللئيم . (٢) خف : من خفة العقل .
(٣) المواسى : المعين .
(٤) وغى العيش : شدته ، والوغى فى الأصل : أصوات المحاربين فى الحرب . عزلا : جمع أعزل، وهو الذى لا سلاح معه . (٥) الأسداد : جمع سد .

أطلع الغربُ شمسه فحبا الشر　　قَ اقتباسًا من نورها الوقاد
إن للعلم دولةً خضعت دو　　نَ علاها عوالم الأضداد
ما استفاد الفتى وإن ملك الأر　　ضَ بأعلى من علمه المستفاد
لا تُسابق فى حَلبة العزّ ذا العلـــم فما للهجين شأوُ الجواد[1]
إن أموات أمة العلم أحيا　　ء حياة الأرواح والأجساد
وكأيِّنْ فى الناس من ذى خمول　　صار بالعلم كعبة القصاد

* * *

ربّ يوم وردتُ دجلةَ فيه　　موردًا خاليــًا عن الورّاد
حيث ينصبّ فى سكوتٍ عميق　　ماؤها لاثمًا ضفاف الوادى
وهبوبُ النسيم يكتب فى الما　　ء سطورًا مُهتزّةً فى أطّراد
يَمَّحِى بعضها ويظهر بعضٌ　　فهى تنساب بين خافٍ وباد[2]
وتَئِنّ المياه لى بخريرٍ　　كأنين السقيم للعوّاد[3]
قمت فى وجهها أُردِّد طرفى　　ساكتًا والضمير منّى ينادى
واقفًا تحت سَرْحةٍ ناح فيها　　طائر فوق غصنها الميّاد[4]
منشدًا فى النواح شعرًا غريزيّـــا حزينًا كأنه إنشادى
جاوبته أفنانهـــا بأنين　　من حفيف الأوراق والأعواد[5]
أيها الطائر المرجِّع فوق الـــغُصْن هل أنت نائح أم شاد
بين ماء جارٍ ولحنٍ شجيٍّ　　منك يا طائرُ استطار فؤادى
يا مياهًا جرت بدجلةَ تجتا　　ز مرورًا بجانبىْ بغــداد
إن نفسى إلى الحقيقة عَطْشَى　　أفتشفين غُــلة من صاد[6]

(١) الهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .
(٢) تنساب : تسرع .　　(٣) العواد : الزوار .
(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . المياد : المتمايل .
(٥) أفنانها : أغصانها. الحفيف : صوت أوراق الشجر.
(٦) الغلة : العطش ، الصادى : العطشان .

كنتِ تجرين والرُّصافة والكر خ خَلاء من رائحٍ أو غاد
أيها الماء أين تجرى ضَياعًا وحواليك قاحلات البوادى ؟[١]
فمتى تفطن النفوس فيحيا بك سقيًا موات هذى البلاد
لو زرعنا بك البقاع حبوبًا لحصدنا النُّضار يوم الحصاد[٢]
أفيدرى خليج فارسَ ماذا فمـــــه منك بالع بازدراد
أنت والله عسجد ولُجين لو أتينا الأمور باستعداد[٣]
فاجرِ يا ماء إن جريت رويدًا بأناةٍ ومُهْـــلةٍ واتّـآد[٤]
علّنا نستفيق من رقدة الفقــــر فنَغْنَى بفيضك المزداد
سلكتك السما ينابيعَ فى الأر ض أمدَّتك أيمّـا إمداد
فتفجَّرتَ فى السفوح عيونًا نبعت من مخازن الأطواد[٥]
وإذا ما انتهَيت فى جرَيانٍ عُدت للبدء فى مُتون الغوادى[٦]
هكذا دار دائر الكون من حيـ ث انتهى عاد راجعًا للمبادى

كلمة معتبر

أقوى مَصيفُ القوم والمربعُ فالدار قفر بعدهم بلقعُ[٧]
سارت بنا الأرض إلى غاية لنا وللأرض هى المرجع
ونحن كالماء جرى نابعًا لـكن علينا خفى المنبع

(١) أرض قاحلة : لانبات فيها .
(٢) النضار : الذهب . (٣) العسجد : الذهب . اللجين : الفضة.
(٤) الأناة والمهلة والاتـآد : ألفاظ مترادفة بمعنى التأنى .
(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .
(٦) المتون : جمع متن ، وهوجانب الشىء . الغوادى : السحاب الذى يكون فيه المطر . يقول، إن الماء بعد ما ينتهى جريانه يرجع كما كان فى بادىء الأمر سحابا بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطرا ، وهكذا قال أبو العلاء :

فياجسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب
تعود طهوراً إذا ما رجعت إلى الأصـــل كالمطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفا ، والمربع : مكانها ربيعا . البلقع : الأرض الخالية من السكان.

والعلم قـد أنـكر مِنهاجنا ولم يبن أين هـو المهيع
خرقت ياعلمُ رداءً لنا كنا ارتديناه فهل ترْقع
فجعتنا يا علمُ فى أمرنا أمعتِبٌ أنت إذا تجزع[(١)]
لقد طغت حيلة أهل النهى هل فيك يا علم لها مَرْدَع[(٢)]
كم نشرب الظنّ فلا نرتوى ونأكل الحَدْس فلا نشبع[(٣)]
والناس ويل الناس من غفلة ترتع والموت بهم يرتع
والـكون قد لاح بمرآته للعيش وجه شاحب أسفع[(٤)]
وإن فى البدر لخطبًا به فى البدر لاحت بقع أربع[(٥)]
فالعين ما يورث حزنًا ترى والأُذن ما يزعجها تسمع
والأرض فى منقلب بالورى والشمس من مشرقها تطلع
حتى إذا ما بلغت شوطها لاحت نجوم فى الدجى تلمع[(٦)]
وهكذا الظلمة تتلو الضيا والضـوء للظلمة يستتبع[(٧)]
ونحن فى ذاك وفى هذه بالنوم واليقظـة نستمتع[(٨)]
ما بين مسعود يميت الدُّجَى نومًا ومنكـود فلا يهجع[(٩)]
ومسرع يسبقه مبطىء ومبطىء يسـبقه مسرع
وشامت يضحك من حادث حلَّ بباكٍ قلبه موجَع
لو كان للقسوة عين وقد رأته كانت عينها تدمع
والـكل فى شَغْبٍ لهم دائم لم يقلعوا عنه ولن يقلعوا[(١٠)]
والماء يمشى وَشَلًا تارةً وحوضـه آوِنةً مُتْرَع[(١١)]

---

(١) معتب : مرض ، مشتق من أعتبه بمعنى أعطاه العتبى ، أى الرضا . تجزع : لم تصبر.
(٢) النهى : العقل . (٣) الحدس : التخمين والرجم بالغيب.
(٤) شاحب : يقال شحب لونه وشحب : بمعنى تغير من جوع أو سفر أو مرض. وجه أسفع : شاحب متغير من المشاق .
(٥) الخطب : الأمر .
(٦) الشوط : الغاية والنهاية .
(٧) تتلو : تتبع .
(٨) نستمتع : ننتفع زمانا طويلا .
(٩) الدجى : الليل . يهجع : ينام .
(١٠) الشغب : الهياج وإثارة الشرور.
(١١) الوشل : الماء القليل . مترع : ملآن .

والريح تجرى وهى رَيْدَانة حينًا وحينًا عاصف زَعْزع[١]
وبعضهم تُمرِع وِديانه وبعضهم واديه لا يُمْرِع[٢]

* * *

قد يحسب الإنسان آماله والموت مصغ نحوه يسمع
حتى إذا أكمل خُشْبانها وافاه ما ليس له مدفع
فخرّ للجنب صريعًا به وأيّ جنب ما له مصرع
وظل فوق الأرض فى حالة يزورّ عنها الحسب الأرفع[٣]
لا تعمل الأقلام فى كفه وكان من قبل بهـا يصدع[٤]
ولم تعـــد تقطع أسيافه من بعد ما كان بها يقطع
فاستلّ مثل السيف من مُطْرف طرائق الوشى به تلمع[٥]
ولُفّ فى ثوب له واحدٍ ليس له رقم ولا مِيدع[٦]
واها له ثوب البِلَى إنه يبلى مع الجسم ولا ينزع
ودُسّ حيث الأرض أمست له ملحودة ضاق بهـا المضجع[٧]
حيث البِلَى يرميه حتى إذا لم يبق فى قوس البِلَى منزع[٨]
خالط ترب الأرض جثمانُه مطحونة منه بها الأضلع[٩]
لله درّ الموت من خطّة فيها استوى ذو العىّ والمِصْقع[١٠]

---

(١) ريدانة : لينة الهبوب . عاصف ، زعزع : سديدة الهبوب .
(٢) تمرع : تخصب .
(٣) يزور : يميل وينحرف . (٤) يصدع : يشق .
(٥) المطرف : نوع من الثياب . طرائق الوشى : خطوط التنميق والنقش .
(٦) الرقم : الوشى . الميدع الصوان الذى يصـان به الثوب ، أى ليس وشى ولا صوان يصان به ، لأن الكفن يلبس ولا ينزع كما قال فى البيت الثانى.
(٧) دس فى التراب : أودع فيه. ملحودة : اتخذلها لحدا .
(٨) يقال : لم يبق فى القوس منزع : أى بلغ الأمر الغاية.
(٩) الجثمان : الجسم .
(١٠) ذو العى : ذو الحصر ، وهو الذى لا يحسن الـكلام . المصقع : الفصيح .

يخون فيها القولُ مِنطيقه ... كما تخون البطلَ الأدرع[١]
ما أقدرَ الموتَ فمِن هوله ... لم ينج لا كسرى ولا تبَّع[٢]
يا رافع البنيان كم للردى ... من سُلَّمٍ يدرك ما ترفع
ويا طبيب القوم لا تؤذهم ... إن دواء الموت لا ينجَع[٣]
لا بدَّ للمغرور من مَنْـدَم ... بالعض تدمَى عنده الأصبع
وما عسى تغني وقد حشرجتْ ... ندامةٌ ليست إذَنْ تنفع[٤]
يا برقع الخلقة واهًا لما ... فيك وآهًا منك يا بُرْقع
قد زاغت الأبصار فيما ترى ... إذ فات عنها سرك المودَع
وليس فى الإمكان عند النهى ... أبدع مما خلق المبدِع

ألكنى يا ضياء

أَجَدَّكِ يا كواكب لا تُرينا ... بيانًا منك يُخبِرُنا اليقينا[٥]
كأنَّ العالم العُلويَّ سِفْرٌ ... نطالعهُ ولسنا مفصحينا
نحاول منه إعراب المعانى ... بتأويل فنرجع مُعْجمينا[٦]
كواكب فى المجرة عائمات ... حكت فى بحر فسحتها السفينا[٧]
سرت زهر النجوم وما دراها ... فلاسفة مضت ومنجمونا

---

(١) المنطيق : البليغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم الفرس . وتبع : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشي للحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزيز لمصر .

(٣) لاينجع : لايؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع للروح . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسرها ، والهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التى لاتستعمل إلا مضافة . ومعناها أبجد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم استحلاف بالجد ، أى البخت والحظ ، وبكسرها معناها استحلاف بالجد . أى الحقيقة والاجتهاد . والجد الذى هو ضد الهزل.

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) المجرة : مجموعة نجوم كثيرة لاتدرك بمجرد البصر . وإنما ينتشر ضوءها كأنه بقعة بيضاء . حكت : أشبهت . السفين : جمع سفينة .

شموس فى السماء عَلَتْ وجلّتْ فظنوا فى حقيقتها الظُّنونا
سوابحَ فى الفضاء لهـا شؤُون ولمـا يعلموا تلك الشئونا
وما ارتجفت بجُنح الليل إلّا لتضحك فيه مما يزعمونا
لعلّ لها بهذا الجوّ شأناً سِوَى ما نحن فيه مرجّمونا(١)
تلوح على الدجى متلألئات فتبهج فى تلألُئها العيونا
وأنى يدرك الرائى مداها وإن ألقى لها نظراً شَفونا(٢)
تودّ الغانيـات إذا رأتهـا لو انتظمت لها عِقْداً ثمينا
تَقَلّدُه على اللَّبـات منهـا وتطّرح الدمالج والبُرينا(٣)

* * *

ألـكنى يا ضياء إلى الدرارى رسالة مُسْهِرٍ فيها الجفونا(٤)
لعلك راجع منهـا جواباً يزيل عمـايةَ المتحيرينا
فقل ، إنى تحير فيك فـكرى كذاك تحـير المتفـكرونا
فيا أُم النجوم وأنتِ أمٌّ أيولد فيك كالأرض البنونا(٥)
وهل فيك الحياة لهـا وجود فيمكن للردى بك أن يكونا
وهل بك مثـل هذى الأرض أرض
وفيها مثلنـــــــا متخالفونا
وهل هم مثلُنا خُلقاً وَخَلْقـاً هنـاك فيأكلون ويشربونا
وهل هم فى الديانة من خلاف نصارى أو يهود ومسلمونا

---

(١) مرجمون : قائلون بما لا يعلم.
(٢) مداها : غايتها . شفن شفونا : رفع طرفه ناظرا الشىء كالمتعجب أو كالـكاره . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .
(٣) تقلده : أى تتقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللبات : جمع لبة وهى النحر ، الذى هو موضع القلادة من العنق . الدمالج : جمع دملج ، وهو حلى يلبس فى المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (بضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .
(٤) ألـكنى إلى فلان : أى كن رسولى إليه ، وتحمل رسالتى إليه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر . (٥) أم النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً ففوق الأرض نحن معذبونا
وهل حُسِبت بك الأيام حتى تألَّف من تعاقبها السنونا
وهل بالموت نحن إذا خرجنا عن الأجساد نحوك مرتقونا[1]
فتبقى عندك الأرواح منَّا تُصان فلا ترى جَنَفا وهُونا[2]
فأحببْ بالمنون إذنْ وأحبب بها إن كان سُلَّمك المنونا[3]

* * *

أبينى ما وراءكِ يا درارى فنحن نخاله بعداً شَطونا[4]
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً فهل أبعاده بك يتنهينا
وصغَّرك ابتعادك فيه حتى إليك استشرف المتشوِّفونا[5]
فهل كان ابتعادك من دلال علينا أم بعدت لتخدعينا
خوالد فى قضاءك أنت ؟ أم قد يحل بك الفناء فتذهبينا
وقالوا ما لعدَّتك انتهاء فهل صدقوا أو ارتكبوا المجونا[6]
وقالوا الأرض بنتك غيرَ مَيْنٍ فهل أبناء بنتك يصدقونا[7]
وقالوا إن والدك المفدَّى أثيرٌ فى الفضاء أبى السكونا[8]
ترصَّدك الأنام وما أتانا بعلم كيانك المترصدونا[9]
(فهرشل) ما شفى منَّا غليلا ولا (غاليلُ) أنبأنا اليقينا[10]
و (كبلر) قد هدى أو كاد لمَّا أبانك يا نجوم تجاذبينا[11]

---

(١) مرتقون : مرتفعون . (٢) تصان : تحفظ . جنفا : ظلما .
(٣) يقول : أيتها المجرة ، هل نحن نرتفع إليك إذا متنا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت إن كان سلما للوصول إليك .
(٤) بئر شطون : بعيدة القعر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .
(٥) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . تشوف إلى الشيء : تطلع إليه .
(٦) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .
(٧) المين : الكذب . (٨) الأثير : مادة منتشرة فى كل خلاء ألطف من الهواء .
(٩) الكيان : الطبيعة . (١٠) هرشل وغاليل وكبلر : علماء فلكيون .
(١١) أبانك ؟ أظهرك .

إلى كم نحن نَلْبِس فيك لَبسًا ومن جَرَّاك ندَّرع الظنونا[١]
لعل النجم فى إحدى الليالى سيبعث للورى نورًا مبينا
تقوم له الهواتف قائلات خذوا عني النُّهَى ودعوا الجنونا

الأرض

خبَرٌ فى الأرض أوحتهُ السما لِأُولى العلم برُسْلِ الفِكَرِ
أنَّ هذى الأرض كانت أولا ما ترى بحرًا بها أو جبلا
أو سهولًا أو رُبًا أو سُبُلا أو رياضاً زهرها الغضُّ نَمَا[٢]
من سحابٍ جادها بالمطرِ

إنما كانت كتلك الأخواتْ من نجوم سائرات دائراتْ
حول شمس هى إحدى النيِّراتْ كنَّ من قبلُ عليها سُدُمًا[٣]
كتلةً واحدةً فى النظر

ثم بعدُ انفصلت من ذا السديمْ قِطَعٌ منها صغير وجسيمْ
ضمن أفلاكٍ بها الدَّوْرَ تُديمْ فاستقر الكل فيها أنجمَا
حول غير الشمس لم تستدرِ[٤]

أوَّلًا « نِبتُون » منه انفصلا ثم « أورانِسُ » يهدِى زُحَلا[٥]

---

(١) من جراك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .

(٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أى كانت النجوم التى هى فى العالم الشمسى حول الشمس بمنزلة الغيوم .

(٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التى يتألف منها النظام الشمسى ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطا مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة فى قوله تعالى فى القرآن الكريم :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » .

(٥) نبتون : هو النجم السيار الذى لم يعرف فى القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يكن معروفا من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضا هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التى ذكرها بعد أورانس هى السبعة السيارة الأصلية ، التى تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهى تدور حول الشمس .

ثم للمشتري مرّيخ تلا ... ثم هذي الأرض فالزُّهرة ما
بعدها غير أخيها الأشهرِ[1]

وأخو الزُّهرة بالشمس اقتدى ... ولما أقربَ سيّارٍ غدا
وهي سارت خلفهُ طول المدى ... فأمامَ الأرض ذانِ انتظما
خلفها المرّيخ ثم المشتري

أرضنا كانت لَظًى مشتعلهْ ... مذ من الشمس غدت منفصلهْ
لم تزل في دورها منتقلهْ ... كتلةً فيها اللهيب احتدما
وهي ترمي في الفضا بالشررِ

كان فيح النار منها مصعدا ... وهجًا في الجوّ عنها مبعدا
حيث لا يمكن أن ينعقدا ... فوقها منهُ بخارٌ ديَمَا[2]
هاطلات بالحيا المنهمرِ[3]

بقيت حينًا وهذا أمرُها ... وهي بالإشعاع يخبو حرّها[4]
وانثنى يبرد من ذا ظهرها ... فاكتست قشرًا يحاكي الأدَما[5]
واستمرت بطنها في سُعُرِ[6]

ثم قد صار على مرّ الزمانْ ... قشرها يغلظ آنًا بعد آنْ
بَيد أن النار عند الهيَجَانْ ... قد أعادت قشرها منخرمَا
بصدوع مُدْهِشات البصرِ[7]

---

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ، وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، والمراد به هنا المطر مطلقا.

(٣) الحيا : المطر . المنهمر : السائل ، أي أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينعقد سحابا ماطرا .

(٤) يخبو : يخمد ويسكن .

(٥) يحاكي : يشابه . الأدم : البشرة وهي ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتانيثه لغة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير في استمرت عائداً إلى الأرض. فتكون جملة بطنها في سعر ، في موضع الحال من الضمير . السعر : الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسعر في الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصتْ أطراف هاتيك الصدوعْ بجبال شَمَخَت منها الفروعْ
ولها فى العين أشكال تروعْ تقذف الأفواه منها حُمَمَا[١]
صار منهن رُكام الحَجَرِ[٢]

حصلت من قَذْف هاتيك الموادْ حيث يجمدنَ جبال ووهادْ[٣]
ورِكاز وصخور وجمادْ بعضها دَقّ وبعضٌ عَظُما[٤]
وهو صلب الجسم صعب المكسرِ

وهناك انعقدت فيها الغيومْ من بخار كان فى الجو يعومْ
ردَّه البردُ مياهاً فى التخومْ فجرى السيل عليها مفعِما[٥]
كلَّ غور فوقها منحدِرِ[٦]

عمها السيل فغطى حين سالْ سطحها مجترفاً منها الرمالْ
فطما الماء ولكنَّ الجبالْ شخصت فى الماء لما أن طمَا[٧]
وعلت كالسُّفْن فوق الأبحرِ

غمر الماء بها ما غمرا ثم خلَّى بعضها منحسرا[٨]
محدثاً فى السطح منها جُزُرا أنزل الماء بها ما حطما[٩]
من طُفال وحُتات المدَرِ[١٠]

---

(١) تروع : تخيف . الحمم : جمع حمة . وهى ماتقذفه البراكين عند ثورانها .

(٢) الركام : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض . (٣) الوهاد : الأماكن المنخفضة .

(٤) الركاز : المعدن . دق : صغر . (٥) التخوم : الفواصل بين الأرضين . مفعما : مالئا .

(٦) الغور : هو ما انحدر من الأرض ، متى تسلطت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ، فتتصاعد تلك الرطوبة بخاراً فى الجو ، ومتى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتحلل ويتساقط مطراً ، وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى فى القرآن الكريم : « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه . ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله » . الودق : المطر .

(٧) طما : ارتفع . (٨) منحسرا : منكشفا .

(٩) الجزر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .

(١٠) الطفال : بفتح الطاء وضمها هو الطين اليابس . الحتات ، بضم الحاء : هو ما تناثر من كل شيء . المدر : التراب المتلبد .

بسيول الماء كم فيها ارتكمْ من رمال رسبت فيها أَكَمْ(١)
ولكم خدَّت أخاديد وكَمْ قد بَنت من طبقات علمَا(٢)
نَضَدَتْ فيه صفيح المَرْمَرِ(٣)
ثم صارت وهى من قبلُ مَواتْ تَصْلُح الأقطارُ منها للحياةْ(٤)
فانبرت تُنْبت فى البدء النبات ثم أبدت من قواها النسَما(٥)
وارتقت فيها لنوع البشرِ(٦)
فغدت إذ ذاك تزهو بالرِّياضْ وبها الأدواح تنمو فى الغياضْ(٧)
ثم ترميها أكف الانقراضْ بانحطام حيث تمسى فَحما
حجريّا بمرور الأعصرِ
من حطام الخلق فى الأرض هضابْ كوَّنتهنَّ أكفّ الانقلابْ(٨)
ما تراب الأرض والله ترابْ إنما ذاك حُطامٌ قَدُما
من جسوم باليات الكِسَر
كم على الأرض رُفاتٌ بالياتْ من جسوم طحنتها الدائراتْ(٩)

---

(١) ارتكم الشىء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشىء فى الماء : وصل إلى أسفله . أكم : جمع أكمة . وهى التل .

(٢) خدت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل فى الأرض . العلم : الجبل .

(٣) نضدت الشىء : بمعى جعلت بعضه فوق بعض مسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارته .

(٤) الأرض الموات : هى الخراب . أو التى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : النواحى والجهات ، مفردها قطر .

(٥) النسيم : جمع نسمة وهى نفس الروح ، وأراد بالنسم الأرواح أنفسها .

(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد اضطربت الآراء فى أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؟ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء الكون فى حيرة من تحقيق هذا المذهب .

(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .

(٨) الحطام : ما تكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ما تكسر من عظامها وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض .

(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكر ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجمع صفته وأنثها .

فاحتفر فى الأرض تلك الطبقات   تجد الأنقاض فيها رمما[1]
هى للأحيـاء أو للشجر
كل وجه الأرض للخلق قبورْ   خفف الوطء على تلك الصدورْ
والعيونِ النجل منهم والثغورْ   إنمـا أنت ستفنى مثلمَا[2]
قد فَنُوا والموت دامى الظفُر
ظلت الأرض على كرّ الدهورْ   تُبحر الأجبل فيها والبحورْ[3]
فوقها تُجْبَلُ والماء يغور   وعلى ذاك استدلَّ الحكما
بجبال السَّمَكِ المستحْجِرِ
علماء الأرض لم تبرح ترى   حيوانَ البر لمـا دَثَرا[4]
منـه فى الأبحر أبقى أثرا   وكذا فى البر ألفى العلمَا
أثراً من حيـوان الأبحر
كلما فى الأرض من قفرٍ وَبيدْ   وجبال شَهِقَت فوق الصعيدْ[5]
عن زُهاء الربع منها لا يزيدْ   وسوى ذلك منها انكتما
تحت ماء البحـر لم ينحسر
فى صعيد الأبحر المنغمِس   . مثل ما يوجد فوق اليَبَسِ
من جبال ناتئات الأروُس   وَوِهاد تستَزِلَ القَدَما[6]
وَرُبًا مختلفـات القَـدَرِ[7]

---

(١) الأنقاض : الأبنية المتهدمة . الرمم : ما بلى من العظم ، مفردها رمة ، وأراد بها الشاعر ما هو أعظم .   (٢) النجل : العيون الواسعة الحسنة .

(٣) تبحر الأجبل : أى تصيرها بحرا . والأجبل : جمع جبل . تجبل : تصير جبالا — يعرض للأرض بسبب ما فى جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه الفواعل تغوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحرا ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر فى البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة فى رؤوس الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية فى أغوار البحار .

(٤) دثر : بلى وامحى .

(٥) البيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة لاماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .

(٦) ناتئات : مرتفعات . تستزل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهى المرتفع من الأرض .

ما نرى اليوم من الماء الحميمْ　　والبراكين التى تحكى الجحيمْ [١]
ومن الزّلزال ذى الهول العظيمْ　　دلَّ أن الأرض فيما قدُما
ذات جِرْمٍ ذائبٍ مستعرِ [٢]
كل ما كان بحال السَّيَلانْ　　فهو يغدو كرة بالدَّوَران
وكذاك الأرض فى ماضى الزمانْ　　كُرَوِيًّا قد غدا ملتئما
جِرمها من سَيَلان العُنْصُر
ثم إن الأرض من قبل الجمودْ　　ولدت منها وليست بالوَلودْ [٣]
قمراً دار عليها بسعودْ　　وجلا فى الليل عنها الظلَما
فهى بنت الشمسِ أمُّ القمَر [٤]

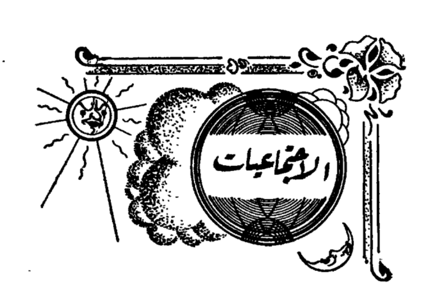
---

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف نارا ودخانا وماء ووحلا ومواد ذائبة ، فيبدو منها إذ ذاك مجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها . ومفردها بركان، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربى الصحيح فلقان : جمع فلق . بفتح الفاء واللام، ومعناه جهنم ، ثم استعمل لجبل النار .

(٢) مستعر : ملتهب .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجمد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هى ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها منفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .


الاجتماعيات

نحن والماضى

عهدتكَ شاعرَ العرب المُجيدا . فما لك لا تُطارحُنا النَّشيدَا[١]
فنحن إليك بالأسماع نُصغى فهل لك أن تفيد فنستفيدَا
بشعر لا تزال تَنوطُ منه بجيد بدائع الدنيا عقودا[٢]
إذا أنشدنَه الحسناء تاهتْ كأنْ قرَّطتها دُرًّا فريدَا[٣]
وأنت إذا قرعت به عَبيدًا رددت إلى الحرار به العبيدَا[٤]
ولو تستنهض الْجبناء يومًا به لتقحَّموا الهيجا أسودَا
ولو كرَّرته للقوم ألْفًا لأَقسم سامعوه بأن تُعيدَا
وكم تهتز أعطافُ المعالى إذا ما قلت قافية شَرودَا
فلو أنشدتنا فى الفخر شعراً تذكَّرنا به العهد البعيد!
تذكَّرنا الأوائل كيف سادوا وكيف تبوعوا الشرف المديدَا[٥]

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا إلىَّ إذِ ارتجلت له القصيدَا
أجَلْ إنَّ القبائل فى مَعَدٍّ عَلَوْا فتسنموا المجد المجيدا[٦]
وَإِنَّ لهاشم فى الدهر مجداً بناه لها الذى هَشَم الثريدا

(١) قوله « لا تطارحنا النشيد » : أى لا تحاوبنا منشدا ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء : إذا ناطره وجاوبه .
(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .
(٣) تاهت : تكبرت . وقرطتها : أى ألبستها قرطا ، والقرط بالضم : هو الذى يعلق فى شحمة الأذن ، من درة أو نحوها .
(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .
(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أى الممدود الطويل .
(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وتسنموا المجد : أى علوه . ومعد : هو معد بن عدنان أبو العرب .

ومُذْ قام ابن عبد الله فيهم أقام لـكل مَكْرمة عمودَا(١)
وأنهضهم إلى الشرف المُعَـلَّى وكانوا قبلئذْ عنه قعودا
فأصبح وارياً زَنْد المعالى وقبلًا كان مَقْدَحُه صَلُودَا
فهمْ فتحوا البلاد ودوَّخوها(٢) وقادوا فى معاركها الجنودا
وهمْ كانوا أشد الناس بأْسًا وأمنع جانباً وأعمّ جودا
وأرجَحهم لَدَى الْجُلَّى حلوماً(٣) وأصلبهم لَدَى الغمَرَات عودَا
ولـكن أيُّهَا العربىّ إنِّى أراكَ لغير ما يُجْدِى مُريدَا
وما يُجْدِى افتخارك بالأوالى إذا لم تفتخر فخراً جديدَا

٭ ٭ ٭

أَرى مستقبل الأيام أولى بمطمح من يحاول أن يسودا
فمـا بلغ المقاصد غير ساعٍ يُرَدِّد فى غَدٍ نظراً سديدَا
فوجِّهْ وجهَ عزمك نحو آتٍ ولا تلفتْ إلى الماضين جِيدَا
وهل إن كان حاضرنا شقيًّا نسود بكون ماضينا سعيدا
تقدَّمْ أيُّهَا العربىّ شَوْطاً(٤) فإن أمامك العيش الرَّغيدا
وَأَسِّس فى بنائك كلَّ مجدٍ طريف(٥) واترُكِ المجد التليدا
فشرّ العالمين ذوو خمولٍ إذا فاخرتَهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم أقام لنفسه حسباً جديدا
تراه إذا ادَّعى فى الناس فخراً تُقيم له مكارمه الشهودَا
فدعنى والفخارَ بمجد قوم مضى الزمن القديم بهم حميدا
قد ابتسمت وجوه الدهر بيضاً لهم ورأيننا فعبسنَ سودا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) دوخوها : أى قهروها واستولوا على أهلها .
(٣) الجلى : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤنث الأجل .
(٤) الشوط : الجرى مرة إلى الغاية .
(٥) المجد الطريف : الحديث المـكتسب . والتليد : القديم الموروث .

وقد عَهِدوا لنا بتُراث مُلْك … أضعنا في رعايته العهودا[١]

وعاشوا سادة في كل أرض … وعشنا في مواطننا عَبيــــدا

إذا ما الجهل خَيَّمَ في بلاد … رأيت أُسودها مُسِخت قُرودا

معــــترك الحيــــاة

هو الدهر لم يترك مَشَنَّ غِوارِهِ … على سابق من ليله أو نهاره[٢]

يثير غبارَ الحادثات بكَرِّهِ … وهل نحن إلّا من مُثار غبارِهِ

وكم عِبَرٍ مطويَّةٍ في صروفه … فهل من مُجيل فيه طرف اعتباره

خليليَّ إنَّ الأرض غربال قدرة … تجمَّعت الأحيــــاء بين إطاره[٣]

تميد به كفّ الزمان تحرُّكاً … لمحو ضعيفٍ أو لإثبات فاره[٤]

فيبقى به الأقوى قرينَ ارتقائه … كما يسقط الأوهى رهينَ اندثاره[٥]

فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها … قديراً على دفع الأذى والمكاره

* * *

لعمرك ما هذى الدنيا بملبسٍ … لمن حِيكَ من عجز نَسيجُ شعاره

ولــكن لمن أمسى بأيدٍ وقوَّة … يجرّ على الأيام فضل إزاره[٦]

(١) قوله بتراث ملك ، التراث : ما يخلفه الرجل لورثته ، أى بتراث هو ملك ، فالاضافة بيانية .

(٢) الغوار : كالاغارة ، مصدر غاور العدو إذا أغار عليهم . ومشن : مصدر ميمى بمعنى الشن . وشن الغارة تفريقها وصبها من كل جهة . يقول : إن الدهر لا يقعد عن شن الاغارة بحوادثه المتتالية ، وهو على جوادين سابقين ، هما الليل والنهار .

(٣) يشير بهذا والذى بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعى ، وهو قانون بقاء الأنسب ، فهو يعمل عمله فى الأرض الدائرة حول الشمس ، فيضمحل فى أثناء دورانها الضعيف من المخلوقات ، ويبقى بها القوى القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها ، فهى فى ذلك بمنزلة الغربال ، الذى يسقط عند تحريكه كل دقيق صغير ، ويبقى فيه ما هو كبير . وإطار الغربال : اللوح المحيط به

(٤) تميد به : أى تدور به وتتحرك . والفاره : النشيط ، والمراد به هنا : ما يقابل الضعيف ، وهو القوى .

(٥) الأوهى : الأضعف ، وهو مقابل الأقوى فى الشطر الأول .

(٦) بأيد : أى بقوة ، فعطف القوة عليه من قبيل عطف التفسير . والباء هنا للمصاحبة . ==

أرى الشمس تُخفي ضوءها كلَّ بارق ... وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
وما ذاك إلا أنّها فى تلهُّب ... يموج بنور ساطع وَقْدُ ناره
فلم يستطع نجم طلوعًا تجاهها ... إذا لم يغُذ بالليل غبّ اعتكاره
كذلك ضعيف القوم إن كان جاره ... قويًّا يكن شِلوًا أكيلًا لجاره(١)
وما الليث لولا بأسه فى عرينه ... بأشرف من ضبّ الفلا فى وجاره
ومن غاور الأيام غير مدجَّج ... فلا يطمعَنْ فى مغنم من مُغاره(٢)
ومن لم يهن صَرْفَ الزمان برحلةٍ ... تُهنه صروفُ الدهر فى عُقْر داره(٣)
وما شَرَف الدرّ الثمين فريدُه ... إذا هو لم يبرح بطون مَحاره(٤)

* * *

أرى كل ذى فقر لدى كل ذى غنًى ... أجيرًا له مستخدمًا فى عقاره(٥)
ولم يعطه إلّا اليسير وإنما ... على كدّه قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العزّ ضافيًا ... وينظره شزرًا بعين احتقاره
يَشُدُّ الغِنَى أزرَ الفتى فى حياته ... وما الفقر إلّا مَكْسَر فى فَقاره
وليس الغنى إلّا غنى العلم إنّه ... لنور الفتى يجلو ظلام افتقاره(٦)
ولا تحسبنّ العلم فى الناس منجيًا ... إذا نكبت أخلاقهم عن مناره

= وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الازار إنما هو فعل الجبابرة والأعنياء ، فكأنه يقول لمن أمسى قويا ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب فى الأبيات المتقدمة مثلا لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التى لا تستطيع النجوم طلوعا تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوبا له . والشلو : العضو من اللحم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عقر الدار : وسطها . أى من لم يرحل لدفع نوائب الدهر عنه ، نابته تلك النوائب وهو فى وسط داره .

(٤) المحار : الصدف الذى يكون فيه اللؤلؤ ، واحده محارة .

(٥) ينتصر بهذا البيت ومابعده لمذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة الفقير تجاه الغنى ، وعيش الثانى من كد الأول .

(٦) يشير بهذه الأبيات إلى أن الغنى الحقيقى هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لايجدى نفعا إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة .

وما العلم إلّا النور يجلو دُجى العمى ... ولكن تَزِيغُ العين عند انكساره[1]
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحًا ... وإن كان بحرًا زاخرًا من بحاره

* * *

سل الفلك الدوّار عن حركاته ... فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو فى هذا الفضاء مسافر ... له غاية مقصودة من سفاره
وهبنْا جهلنا بدأه من تقادمٍ ... فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلى ليل الشكوك عن النُهى ... وتَرْفع كفُّ العلم مُرخَى ستاره
ألا وَرْىَ فى زند الزمان فنهتدى ... بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر ... وإن كان فى رأد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه ... وإن ركبوا فى السير متن بخاره

* * *

لعمرك إن الدهر يجرى لغاية ... فإن شئت أن تحيا سعيدًا فجاره
وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى ... وينهب أعمار الورى فى ابتداره
لقد فاز من بارَى جديديه جِدَّةً ... وخاب الذى فى جِدَّةٍ لم يُباره
وليست حياة الناس إلّا تجددًا ... مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلّا الماء يُحييه جريُه ... ويُرديه مُكْثٌ دائم فى قراره

* * *

لك الخير هل للشرق يقظة ناهضٍ ... فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تَرَ أن الغرب أصلت سيفه ... عليهم وهم لاهون تحت غِراره
وبادرهم كالسيل عند انحداره ... وهم فى مَهَاوِى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدى بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انكسر شعاعه عند نفوذه فى الأجسام الشفافة كالهواء والماء . تزوغ عين الرائى . أى تنحرف بسبب انكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنكسر . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساهين أنِ يأْبَهُوا له وقد أصبحوا فى قبضةٍ من إساره(١)
تراهم جميعاً بين حيرانَ واجم وآخر يُطرِى ماضياً من فخاره(٢)

أم اليتيم(*)

رمتْ مِسْمَعى ليلًا بأنة مؤلِمٍ فألقت فؤادى بين أنياب ضَيْغَم(٣)
وباتت توالى فى الظلام أنينها وبت لهــا مُرْمًى بنهشة أرقمِ(٤)
فيهفو بقلبى صوتها مثلما هفت بقلب فقــير القوم رنة درهمِ(٥)
إذا بعثت لى أنةً عن توجعٍ بعثت إليهــا أنةً عن ترحم
تقطع فى الليل الأنينَ كأنها تقطع أحشائى بسيفٍ مثلَّمِ(٦)
يهزُّ نياطَ القلب بالحزن صوتها إذا اهتزَّ فى جوف الظلام المخيِّم(٧)
تردده والصمت فى الليل سائدٌ بلحنٍ ضئيلٍ فى الدُّجُنَّة مُبْهَم(٨)
كأن نجوم الليل عند ارتجافها تُصيخ إلى ذاك الأنين المُجَمْجَمِ(٩)
فما خَفقان النجم إلَّا لأجلها وما الشهب إلَّا أدمع النجم ترتمى
لقد تركتنى مُوجَع القلب ساهرا أخا مَدْمَع جارٍ ورأْسٍ مُهوِّم(١٠)
أرى لحمة الظلماء عند أنينها فأعجب منها كيف لم تتضرم(١١)
فأصبحت ظمآن الجفون إلى الكرى
وإن كنتُ ريَّان الحشا من تألمى(١٢)
وأصبح قلبى وهو كالشعر لم تدعْ له شعَراء القوم من متردَّم(١٣)

(١) أن يأبهوا له : أى أن يفطنوا له . (٢) واجم : أى ساكت لشدة حزن أو غم .
(*) من الديوان الأول .
(٣) الضيغم : الأسد . (٤) الأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .
(٥) يهفو : يخفق . (٦) مثلم : مفلل مكسر الحد .
(٧) النياط : عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين . والنياط فى الأصل : مايعلق عليه أى شىء .
(٨) الدجنة : الظلمة . (٩) تصيخ : تستمع . جمجم الكلام : أى لم يبينه .
(١٠) هوم الرجل تهويما وتهوم تهوما : أى هز رأسه من النعاس .
(١١) تتضرم : تشتعل . (١٢) الكرى : النعاس . (١٣) المتردم : المرقع الذى يرقع

وبيتٍ بكت فيه الحياة نحوسة ... ولاحت بوجه العابس المتجهِّم (١)
به ألقت الأيامَ أثقال بؤسها ... فهاجت به الأحزانُ فاغرةَ الفم (٢)
كأنى أرى البنيانَ فيه مهدَّمًا ... وما هو بالخاوى ولا المتهـــدِّم
ولـكنَّ زلزالَ الخطوب هوى به ... إلى قعر مَهْواة الشقاء الجسَّم
دخلت به عند الصباح على التى ... سقانى بكاها فى الدُّجَى كأس علقم (٣)
فألفيتُ وجهاً خدَّد الدمع خدَّه ... ومحمَّرَ جفنٍ بالبكا متورِّم (٤)
وجسما نحيفاً أنهكته همومه ... فـكادت تراه العينُ بعضَ توهم
لقد جَثَمت فوق التراب وحولها ... صغيرٌ يرنو لها بعينى ميِّت (٥)
تراه وما إن جاوز الخمسَ عمرُهُ ... يدير لحاظ اليـــــافع المتفهِّم (٦)
بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا ... وليس البكا إلا تَعِلَّة مُعْدِم (٧)
وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى ... بكاء يتيم جائع حول أيِّم (٨)

***

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما ... لمريمَ أبكى رحمة وابنِ مَرْيم
وقفت لديها والأسى فى عيونها ... يكلمنى عنهـــا ولم تتـكلم
وساءلتها عنها وعنه فأجهشت ... بكاء وقالت أيها الدمع ترجِم (٩)
ولما تناهت فى البكاء تضاحكت ... من اليأس ضِحْكَ الهازىء المتهكم
ولـكن دموع العين أثناءَ ضِحكها ... هواطلُ مهما يسجُمِ الضحكُ تسجم (١٠)
فقد جمعت ثغراً من الضحك مُفْعَمًا ... إلى محجر باك من الدمع مُفْعَم (١١)
فتذْرى دموعاً كالجُمان تناثرت ... وتضحك عن مثل الجمان المنظَّم (١٢)

(١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كريه . (٢) فاغرة : فاتحة .
(٣) الدجى : الليل . العلقم : الحنظل وكل شىء مر . (٤) خدد : شقق.
(٥) يرنو : يديم النظر . (٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .
(٧) التعلة : هو الشرب بعد الشراب تباعا . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة . ليعلل نفسه . ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير . (٨) الأيم التى فقدت زوجها .
(٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيأت له . (١٠) سجم الدمع : سال .
(١١) مفعما : مملوءا . المحجر : مادار بالعين وبدا من البرقع. (١٢) الجمان : اللؤلؤ.

فلم أرَ عيناً قَبْلها سال دمعها　　بكاءً وفيها نظرة المتبسم
فقلتُ وفى قلبى من الوجد رَعشةٌ　　أمجنونةً يا ربِّ فارحم وسلم

* * *

ومذ عرضت للإبن منها التفاتة　　أشارت إليه بالمدامع أنْ قُم
فقام إليها خائر الجسم فانثنت　　عليه فضمته بكف ومِعصم (١)
وظلت له ترنو بعينٍ تجودُه　　بفذّ من الدمع الغزير وتوءم (٢)
فقال لها لما رآنى واقفاً　　أردّدُ فيه نظرة المتوسِّم (٣)
سلى ذا الفتى يا أمُّ أين مضى أبى　　وهل هو يأتينا مساءً بمَطعَم
فقالت له والعين تجرى غُروبها　　وأنفاسها يقذفن شُعْلة مُضْرَم (٤)
أبوك ترامت فيه سفرةُ راحل　　إلى الموت لا يُرْجَى له يومُ مَقْدم (٥)
مشى أرمنيًا فى المعاهد فارتمت　　به فى مهاوى الموت ضَربة مسلم
على حين ثارت للنوائب ثورةٌ　　أتت عن حَزازاتٍ إلى الدِّين تنتمى (٦)
فقامت بها بين الديار مذابحٌ　　تخوّض منها الأرمنيون بالدم
ولولاك لاخترت الحمام تخلصاً　　بنفسىَ من أتعاب عيش مُذَمَّم (٧)
فأنت الذى أخرت أمك مَرْيَمًا　　عن الموت أن يُودِى بأمك مَرْيَم (٨)
أمَرْيم مهلًا بعضَ ما تذكرينه　　فإنك ترمين الفؤاد بأسهم
أمريمُ إن الله لا شكّ ناقمٌ　　من القوم فى قتل النفوس المحرّم
أمريمُ فيما تحكمين تبصرى　　فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمى
فليس بدينٍ كل ما يفعلونه　　ولكنه جهلٌ وسوء تفهُّم
لئن مَلَئُوا الأرض الفضاء جرائمًا　　فهم أجرموا والدين ليس بمجرم

---

(١) المعصم : موضع السوار من الساعد . (٢) الفذ : الفرد . التوءم : المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المتفرس. (٤) غروبها : دموعها . (٥) ترامت به : أبعدته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أطنة التى ثارت بسبب حمق الأرمن وجهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولـكنهم فى جنح ليل من العمى ... تمشَّوا بمطموس العلائم مُبهَمِ (١)
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم ... فكم مُنجدٍ فى المُخزيات ومُتْهِمِ (٢)
ولما رأيت اللوم لؤمًا تجاهها ... سكتُّ فلم أنبِس ولم أتبرّمِ (٣)
وأطرقت نحو الأرض أطلب عفوها ... ولا أنا بالجانى ولا بالمتيَّمِ (٤)
وظلْتُ لها أبكى بعينٍ قريحةٍ ... جرت من أماقيها عصارة عَندَمِ (٥)
بكيتُ وما أدرى أأبكى تضجرًا ... من القوم أم أبكى لِشقوة مَرْيَمَ

السجن فى بغداد (*)

سكنّا ولم يسكن حَراكُ التبدُّدِ ... مواطنَ فيها اليومُ أيمن من غَدِ (٦)
عفا رسم مغنى العز منها كما عفت ... « لخولة أطلال ببرقة ثَهمد » (٧)
بلادٌ أناخ الذلّ فيها بكلكل ... على كل مفتول السَّبالين أصيد (٨)
معاهد عنها ضلَّ سابق عزها ... فهل هو من بعد الضلالة مهتدِ
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب ... إلى أن محتها معهدا بعد مَعهد (٩)

---

(١) جنح الليل : طائفة منه . بمطموس : أى بطريق مطموس . والعلائم : جمع علامة ، وهى شىء منصوب فى الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التى يتوه بها الإنسان . المنجد : قاصد النجد ، أى المكان المرتفع . والمتهم : قاصد تهامة أى المكان المنخفض .

(٣) لم أنبس : لم أتكلم . أتبرم : أتضجر .

(٤) الجانى : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلله وعبده .

(٥) الأماق : جمع مؤق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصبغ بطبيخه .

(*) من الديوان الأول.

(٦) التبدد : التفرق . أيمن : أسعد .

(٧) عفا : امحى . الرسم : ما كان لاحقا بالأرض من آثار الديار . المغنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . خولة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو الباقى من آثار الديار . برقة ثهمد : اسم موضع .

(٧) أناخ بالمكان : أقام به . الكلكل : الصدر . (٨) السبالين : تثنية سبال ، والسبال : جمع سبلة ، وهى شعر الشاربين . الأصيد : الذى يرفع رأسه زهوا وعجبا .

(٩) الأرزاء : المصائب .

وحلّق فى آفاقها الجور بازيًا مُطلًّا عليهـــا صائتًا بالتهدُّد(١)
وينقضّ أحيانًا عليهـــا فتارة يروح وفى بعض الأحايين يغتدى
فيخطَف أشلاءً من القوم حيةً ولم يَقُدِ المقتولَ منها ولم يَدِ(٢)
ويرمى بها فى قعر أظلَمَ مُوحشٍ به أين تسقطْ جذوة الروحُ تَخْمُدُ(٣)
هو السجن ما أدراك ماالسجن إنه جِلاد البلايا فى مَضِيق التجلد
بناء محيط بالتعاسـة والشقا لظلم برىء أو عقوبة معتـد

* * *

زُر السجن فى بغداد زَوْرة راحم لتشهد للأنـكاد أفجع مَشْهد(٤)
محل به تهفو القلوب من الأسى فإن زرته فاربط على القلب باليد(٥)
مربّعُ سورٍ قد أحاط بمثـله محيطٍ بأعلى منـه شِيدَ بقَرمَد(٦)
وقد وصلوا ما بين ثان وثالث بمعقود سقف بالصخـور مُشَيَّد
وفى ثالث الأسوار تشجيك ساحةٌ تمور بتيّار من الخسف مُزبد(٧)
ومن وَسَط السور الشّمالىّ تنتهى إليها بمسدود الرِّتاجين مُوصَد(٨)
هى الساحة النكْراء فيها تلاعبت مخاريق ضيم تخلط الجِدّ بالدَّدِ(٩)
ثلاثون متراً فى جـدار يحيطها بسمكٍ زُهاءَ العشر فى الجو مُصْعِدِ

---

(١) البازى : اسم فاعل من بزا عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازى ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التى تسمى الصقور . صائتا : مصوتا .

(٢) أشلاء الانسان : أعضاؤه . لم يقد المقتول : لم يقتل قاتله . لم يد : لم يعط الدية ، وهى مال يعطى لولى القتيل بدل النفس .

(٣) جذوة الروح : شعلتها .

(٤) الأنكاد : جمع نـكد ، وهو الرجل المشئوم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .

(٦) أى هو مربع سور . يصف بهذا البيت ومابعده بناء السجن وشكله . أى هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضا أحاط بسور ثالث أعلى منه .

(٧) هو السور الذى تليه ساحةُ السجن . تشجيك : تحزنك . تمور : تضطرب . الخسف : الاهانة والذل . مزبد : هائج .

(٨) الضمير فى قوله إليها يعود إلى الساحة فى البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .

(٩) المخاريق : مايلعب به الصبيان من الخرق المفتولة . الضيم : الذل . الدد : اللهو .

تواصلت الأحزان فى جنباتها ... بحيث متى يَبلَ الأسى يتجدَّدِ
تصعَّدَ من جوف المراحيض فوقها ... بخارٌ إذا تمرر به الريح تفسد
هنالك يودُّ المرء لو قاء نفسَه ... وأطلقها من أسر عيش مُنكَّد[١]
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً ... إلى حُجَرٍ قامت على كل مقعد
مقابر بالأحياء غَصَّت لحودها ... بخمس مئين أنفس أو بأزيد
وقد عميت منها النوافذ والكُوَى ... فلم تكتحل من ضوء شمس بمِرْوَد[٢]
تظن إذا صدرَ النهار دخلتها ... كأنك فى قِطْع من الليل أسود
فلو كان للعُبَّاد فيها إقامةٌ ... لَصَلَّوا بها ظهراً صلاة التهجُّد[٣]
يزور هبوبُ الريح إلَّا فِناءها ... فلم تحظَ من وصل النسيم بموعد[٤]
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما ... على كل حيزوم صفائح جلْمد[٥]
وحتى كأن القوم شُدَّت رقابهم ... بحبل اختناقٍ محكَم الفتل مُحصَد[٦]

* * *

بها كل مخطوم الخُشام مذَلَّل ... متى قِيد مجرورا إلى الضَّيم ينقد[٧]
يَبيت بها والهمُّ مِلء إهابه ... بليلة منبول الحشا غير مُقصَدِ[٨]
يُميت بمكذوب العزاء نهارَه ... ويحيي الليالى غيرَ نوم مُشرَّد
ينوء بأعبــــاء الهوان مقيَّدًا ... ويكفيه أن لو كان غير مُقَيد[٩]

---

(١) قاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كالقىء .

(٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شىء فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لاينفذ . المرود : الميل الذى يكتحل به .

(٣) التهجد : الصلاة فى الليل . (٤) الفناء : الوصيد ، وهوساحة أمام البيت .

(٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصفائح : الحجارة العراض . الجلمد : الصخر .

(٦) محصد : محكم الفتل .

(٧) الخشام : الأنف العظيم ، ومخطوم الأنف : أى جعل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .

(٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصده السهم ، أى أصابه فقتله .

(٩) ينوء بأعباء الهوان : تثقله أحماله .

وتقـذفهم تلك القبور بضغطها   عليهم كحرّ الساحة المتوقد
فيرجع بعضٌ من حصير ظلالةً   ويجلس فيهـا جِلسة المتعبد
وليست تقيه الحر إلا تعلةً   لنفس خلت من صبرها المتبدد (١)
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم
بنسج لعاب الشمس فى القيظ يَرْتدى (٢)
فمن كان منهم بالحصير مظللًا   يعـدّونه ربّ الطّراف الممدَّد (٣)
تراهم نهار الصيف سُفعاً كأنهم   أثافىُّ أصلاها الطُّهاة بمُوقَدِ (٤)
وجوهٌ عليهـا للشحوب مَلامح   « تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد » (٥)
وقد عمَّهم قيـد التعاسة موثقاً   فلم يتميز مطلق عن مقيـد
فسيدهم فى عيشه مثـل خادم   وخادمهم فى ذُلِّه مثل سـيد
يخوضون فى مستنقع من روائح   خبائثَ مهما يزدد الحر تزددِ
تدور رءوس القوم من شمِّ نَتْنِها   فمن يك منهم عادم الشم يُحْسَد
تراهم سُكارى فى العذاب وما هم   سُكارَى ولكن من عذاب مشدّدِ
وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة   وما هو من دودٍ بهـا متولِّدِ (٦)

• • •

ألا ربَّ حَرٍّ شاهد الحكم جائراً   يقود بنا قَوْدَ الذَّلول المعبَّد (٧)

---

(١) التعلة : مايتعلل به ، أى يتلهى .

(٢) القيظ : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .

(٣) الطراف : بيت يصنع من الأدم ، أى الجلد ، للملوك والرؤساء خاصة .

(٤) سفعا : وجوههم متغيرة مسودة : الأثافى : أحجار يوضع عليها القدر ، مفردها أثفية . أصلاها : أحرقها . الطهاة : جمع طاه ، وهو الطباخ .

(٥) الشحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة فى الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .

(٦) الحمأة : الطين الأسود المنتن ، أى هم يشبهون الدود الذى تولد فى غير الحمأة ، ثم ألقى فى الحمأة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد فى الحمأة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .

(٧) الذلول : البعير السهل القيادة . المعبد : المذلل.

فقال ولم يجهَر ونحن بمنتدًى به غيرُ مأمون الوشاية ينتدى(١)
على أى حكم أم لأية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير مَنشد(٢)
فأدنيت للنجوى فمى نحو سمعه وقلت لأن العدل لم يتبغدد(٣)
رعى الله حيًّا مستباحًا كأنه من الذعر أسراب النعام المطرد(٤)
وما صاحب البيت الحقير بناؤه بأفزع من رب البلاط الممرَّد(٥)
وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا ولم ينهضوا للخصم نهضة مُلبد(٦)
فناموا عن الجلَّى ونمتُ كنومهم سوى نَوْحَةٍ منى بشعر مغرِّدٍ(٧)
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعدِ
وكم رمت إيقاظًا فأعيا هبوبهم وكيف وعزم القوم شارب مُرقِدِ(٨)
نهوضاً نهوضاً أيها القوم للعُلَى لتبنوا لكم بنيان مجد موطَّد
تقدَّمَنا قوم فأبعد شوطهمْ وقد كان عنا شوطهم غير مُبعد
وسدَّ علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالغَوْرِىّ والمتنجِّد(٩)
أفى كل يوم يزحف الدهر نحونا بجند من الخطب الجليل مجنَّد
فيارُبَّ نفسٍ من كروب عظيمة ويارُبَّ خفق من عذاب مشدَّد

(١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والمعنى : قال ذلك القول ونحن فى ناد يجتمع فيه من لم نكن نأمن من تجسسه ووشايته .

(٢) منشد : مصدر ميمى من نشد الضالة : أى نادى وسأل عنه .

(٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب لبغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأمناء ، قائلا : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سراً : ذلك لأن العدل غير بغدادى .

(٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .

(٥) الممرد : المملس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .

(٨) أعيا : يريد أعيانى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استيقاظهم من الخمول ، وإسراعهم إلى المعالى . المرقد : دواء يرقد شاربه أى ينيمه كالأفيون . يقول ، كيف ينهضون إلى المجد وهم شاربون من الخمول والاستبداد ما أفقدهم السداد .

(٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به كلفه ما لا يطيق . الغورى : قاصد الغور ، وهو المطمئن من الأرض . المتنجد : قاصد النجد ، وهو المرتفع منها .

الدهـــر والحقيقة

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق ... إذا افتر عن صبح تلاه بغاسِق (١)
يجر ذيول الخطْب فوق طريقها ... ليعفوَ منـــــه ما به من سلائق (٢)
ولو لم يجئنا كل يوم موارِباً ... لما كان فجر كاذب قبل صادق
كأن ليالى الدهر غضبى على الورى ... فتنظر شزرا بالنجوم الشوارق (٣)
وما طلعت كى تَهدىَ القوم شمسُه ... ولـكن لتصليهم جحيم الودائق (٤)
وقد تُنْطق الأيامُ بالحق أعجما ... وتسكِت عن تِبيانه كل ناطق
وكم مدَّعٍ فضل التمدّن ما له ... من الفضل إلا أكله بالمَلاعق
وكم عاقل قد عده الناس أحمقاً ... وما هو لو يُبْلى سوى متحامِق (٥)
وربَّ ذكىٍّ لم يكن من ذكائه ... سوى ما رووه من ذكاء اللقالق (٦)
وقد تعْرِض الأسماع عن ذى فصاحة ... وتُصغِى إلى ذى اللُّكنة المتشادق (٧)
ومن شيم الأيام فى الناس أنها ... تجـوز عليهمُ باقتطاع العلائق
وألطف جور الدهر جورٌ نرى به ... تدلُّل معشـــــوق وذلة عاشق
وما كان كذب القوم فى القول وحده ... ولـكنَّه فى كتبهم والمهارق (٨)
وأقبح مين فى الزمان خُرافـةٌ ... تَخُط بهـا طِرساً يراعة نامق

(١) غاسق : ظلام دامس . (٢) سلائق جمع سليقة ، وهى الطبيعة .
(٣) النظر الشزر ، كأن بمؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذر : أضاه أو طلع .
والشارق : الطالع .
(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .
(٥) المتحامق : المتشبه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحمق .
(٦) اللقالق : جمع لقلق ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .
(٧) اللـكنة : الحبسة فى اللسان . المتشادق : المتفاصح .
(٨) المهارق : الصحف تتخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الـكتب المخلدة كالمعاهدات ونحوها .

ضلالٌ على مر الجديدين لم تزل ... مغاربنا من أمره كالمشـــارق
فعدٍّ عن الأيام إذ لم تجد بها ... سوى لَغطٍ يُزْرِى بفضل المَناطق
نفضت من الدنيا يدىَّ لأننى ... تعرفت منها ما بها من خلائق
فما أنا وقاف بها عنـــد منزل ... ولا أنا باك من حَبيب مفارق
ولا عذبتنى فى العُذَيب صبابة ... ولا شاقنى برقٌ لربع ببارق
تعشّقت فيها حسن كل حقيقة ... وأعرضت عن حسن الحسان الغَرانق(١)
ولى عنـد إخوان الصفا أريحيَّة ... إلى كل خِلٍّ فى الزمان موافق(٢)
إذا ما عقدنا مجلس الأنس بالطلا ... فبينى وبين السكر خمس دقائق(٣)
أقوم إلى كبرى الزُّجاجات مُدهِقاً ... بمستقطَرٍ من خالص التمر رائق
فأقرع بالـكأس الرويّة جبهتى ... بشرب كما عبَّ القطا متلاحق(٤)
أسابق ندمانى إلى السكر طائرا ... بجنح من الأنس المضاعف خافق
فما هى إلا بعد شرب سويعة ... وقد دب من رأسى الطّلا فى المفارق
فنادمت أصحابى على غير حشمة ... وقلت لهم ما قلت غير منافق
وأغنيتهم عن نُقْلِهم فى شرابهم ... بِمَزْحٍ طرىٍّ من نُقول الحقائق
ولم يبد فىّ السكر عند اشتداده ... سوى شكر خلى أو سوى حمد خالقى
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد ... من السكْر أن أحظى به غير سابق
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خَزْعلٌ ... بلا سابق فيها عليـــه ولاحق
أمير نمتــه للمـكارم والعلى ... جحاجحُ من كعب كرام المعارق(٥)

(١) الغرانق : جمع غرنوقة ، وهى الشابة الممتلئة .
(٢) أريحية : ارتياح .
(٣) الطلا : الخمر .
(٤) الروية : المملوءة .
(٥) نمته : نسبته . والجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد الكريم . والمعارق : جمع معرق وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله فى الناس كعبه ... بحظٍّ من المجد المؤثل فائق[1]
إذا سار سار المجد فى طىِّ بُرده ... يرافقه أكرِمْ به من مرافق
فيرحل من أنسابه فى مواكب ... وينزل من أحسابه فى سرادق
وإن جاء أغضى من رآه تهيباً ... سوى نظر منهم بعينى مُسارِق

ومنها :

أبا الأمراء الصِّيد جئتك شاكيا ... إليك جنايات الزمان المماذِق
أجرنى رعاك الله منها فإنها ... رمت كل عظمٍ فىَّ منها بعارق[2]
أترضى وإنى صقر بغداد أننى ... تقدَّمنى فيها فِراح العقاعق[3]
لئن أنكروا حقى فسوف تحقّه ... شواهد أقلام بكفِّى نوامق
أصوغ بها حُرَّ الكلام لجزعل ... مديحاً كعقد اللؤلؤ المتناسق

(١) المؤثل : الثابت القديم .
(٢) عرق العظم يعرقه فهو عارق : أكل ماعليه من اللحم .
(٣) العقاعق : جمع عقعق ، وهو طائر صغير ذو لونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ، وصوته العقعقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

في سبيل حرية الفكر

أنشدت في حفلة منتدى التهذيب السنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ .



كتبت لنفسي عهد تحريرها شعرَا   وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهرَا
ومِن بعد إتمامي كتابةَ عهدها   جعلت الثُّريّا فوق عُنوانه طغرَا [1]

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أنجم صغيرة . والطغراء ، ويقال لها الطرة : هي علامة توضع في كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل في حاشية الثوب .

وعلّقته كى لا تنـــاوله يد ... بمنبعث الأنوار من ذِروة الشِّعْرَى[1]
لذاك جعلت الحقّ نُصْبَ مقاصدى ... وصيّرت سرّ الرأى فى أمر جهرا
وجرّدت شعرى من ثياب ريائه ... فلم أكسه إلا معانيَه الغُرّا
وأرسلته نظماً يروق انسجامُه ... فيحسبه المصغى لإنشاده نثرا
فجاء مضيئاً ليلُه كنهاره ... وإن كان بعض القوم يزعمه كفرا
أضمّنه معنى الحقيقة عارياً ... فيحسبه جهّالُه منطقاً هُجرا[2]
ويحمله الغاوى على غير وجهه ... فيُوسعنى شتماً وينظرنى شَزْرا[3]
رُوَيْدَك إن الكفر ما أنت قائل ... وإن صريح العُرف ماخلته نُكرا[4]
هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهرا ... فتضرب للأنظار من دونه سِترا
وأن تبصر الأشياء بيضًا نواصعا ... فتظهرها للناس قانيــة حُمرا
إذا كان فى عُرى الجسوم قباحةٌ ... فأحسن شىء فى الحقيقة أن تعرى
فيمسُّها من مارست عينُه عمى ... ويبصرها من كابدت أذنه وَقْرا[5]
أحب الفتى أن يستقل بنفسه ... فيصبح فى أفكاره مطلقاً حرا
وأكره منــه أن يكون مقلّدًا ... فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى
وما هــذه الأوطان إلا حدائق ... بها تنبت الأفكار من أهلها زَهرا
وما حبها إلا لأجل تحرُّر ... يكون إلى العلياء بالناس مُنجَرّا
وما حسنها إلا بأن سماءها ... تضاحك من أحرارها أنجماً زُهرا
إذا كان فى الأوطان للناس غاية ... فحرية الأفكار غايتها الكبرى
فأوطانكم لن تستقل سياسةً ... إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا

(١) ذروة الشىء : أعلاه . والشعرى : كوكب نير . يطلع فى شدة الحر .
(٢) الهجر : الفحش فى الكلام .
(٣) الغاوى : الضال أو الجاهل . ويوسعنى شتما : يبالغ فى شتمى . وينظرنى شزرا : ير مقنى باحتقار بمؤخر عينه .
(٤) رويدك : تمهل ولا تعجل . والنكر : المنكر ، ضد المعروف .
(٥) الوقر : ثقل السمع .

إذا السيفُ لم يَعضُده رأى محرر ... فلا تأملنْ من حدِّه ضربة بِكرا[١]
سواء على الإنسان بعد جموده ... أحلّ بقفر الأرض أم سكن المصرا
إذا لم يعش حرًّا بموطنه الفتى ... فَسَمِّ الفتى مَيتاً وموطنه قبرا
أحرّيتى إنى اتخذتك قِبلةً ... أوجه وجهى كل يوم لها عشرا
وأمسك منها الركن مستلماً له ... وفى ركنها استبدلت بالحَجَر الحِجْرا[٢]
إذا كنتُ فى قفرٍ تخذتك مؤنساً ... وإن كنت فى ليل جعلتك لى بدرا
وإن نابنى خطب ضممتك لاثماً ... فقبلت منك الصدور والنحر والثغرا
وإن لامنى قوم عليك فإننى ... لملتمس للقوم من جهلهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم فى الظلمات نورا ... يبيّن فى الحياة لنا الأمورا
فكم وجد الذليل به اعتزازاً ... وكم لبس الحزين به سرورا
تزيد به العقول هُدًى ورشداً ... وتستعلى النفوس به شعورا

* * *

إذا ما عقّ موطنهم أناسٌ ... ولم يبنوا به للعلم دُورا[٣]
فإن ثيابهم أكفان موتَى ... وليس بيوتهم إلا قبورا
وحُقّ لمثلهم فى العيش ضنك ... وإن يدْعوا بدنياهم ثُبورا[٤]

* * *

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التى لم يضرب قبلها مثلها .

(٢) الحجر ، بتحريك الجيم : هو الحجر الأسود الذى فى ركن من أركان الكعبة . والحجر ، بكسر الحاء وتسكين الجيم ، مكان بجانب الكعبة . وفى اللفظ تورية ، لأنه يطلق أيضا على العقل وهو المراد به فى البيت .

(٣) عقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهده وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضنك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطلبوا الهلاك فى الدنيا . يريد أن من قصر فى حق العلم استهدف للهلاك .

أرى لُبّ العلى أدباً وعلماً بغيرهما العُلَى أمست قشورا

* * *

أأبناء المدارس إن نفسى تؤمّل فيكمُ الأمل الكبيرا
فسقيًا للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا
ستكتسب البلاد بكم عُلوًّا إذا وجدت لها منكم نصيرا
فإن دَجَت الخطوب بجانبيها طلعتم فى دُجنَّتها بدورا[1]
وأصبحتم بها للعزّ حصنًا وكنتم حولها للمجد سورا

* * *

إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهلها يمسى قديرا
ويَقوى من يكون بها ضعيفًا ويغنَى من يعيش بها فقيرا
ولكن ليس منتفعًا بعلم فتى لم يحرز الخُلُق النَّضِيرا
فإن عماد بيت المجد خلق حكى فى أنف ناشقه العبيرا
فلا تستنفعوا التعليم إلا إذا هذبتم الطبع الشريرا
إذا ما العلم لابس حسنَ خُلُقٍ فرجِّ لأهله خيرًا كثيرا
وما إن فاز أغزرنا علومًا ولكن فاز أسلمنا ضميرا

* * *

أأبناء المدارس هل مُصيخٌ إلى من تسألون به خَبيرا[2]
ألا هل تسمعون فإن عندى حديثًا عن مواطنكم خطيرا
ورأيًا فى تعاونكم صوابًا وقلبًا من تخاذلكم كسيرا
قد انقلب الزمان بنا فأمست بَغاثُ القوم تحتقر النسورا[3]

---

(١) دجت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .
(٢) مصيخ : مستمع .
(٣) البغاث ، مثلث الباء : صغار الطير وضعافها .

وساء تقلُّب الأيام حتى حمدنا من زعازعها الدَّبورا[١]
وكم من فأرة عمياء أمست تسمَّى عندنا أسداً هصورا[٢]
فكيف تروم فى الأوطان عزًّا وقد ساءت بساكنها مصيرا
ولم يك بعضنا فيها لبعض على ما ناب من خطب ظهيرا[٣]
ألسنا الناظمين عقود مجد نزين من العصور بها النحورا
إذا لُجَجُ الخطوب طمت بنَينا عليها من عزائمنا جسورا
لنبتدر العُبور إلى المعالى بحيث نطاول الشعرَى العَبورا[٤]

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المَكُورا[٥]
تنفَّضْ من غبار الجهل واهرعْ إلى تلك المدارس مستجيرا[٦]
فهنَّ أمانُ من خشى الليالى وهن ضمان من طلب الظهورا

المطلقـــة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروبُ فتاةٌ راع نَضرتها الشحوبُ[٧]
منزَّهة عن الفحشاء خَوْد من الخفِرات آنسـة عَروبُ[٨]

(١) الزعازع : جمع زعزع ، وهى الريح الشديدة . والدبور : هى الريح التى تأتى من الجنوب ، وهى مكروهة عند العرب .
(٢) الهصور : الشديد الافتراس .
(٣) ظهيرا : وعونا ومساعدا .
(٤) الشعرى : كوكب مضىء يطلع فى الحر ، وهما شعريان : العبور والغميصاء .
(٥) المكور : الشديد المكر .
(٦) أهرع : أسرع .
(*) من الديوان الأول .
(٧) راع : شوه ، وراع فى الأصل : بمعنى أفزع وأخاف . نضرتها : رونقها وحسنها .
(٨) الخود : المرأة الشابة . الخفرات : جمع خفرة ، وهى المرأة التى تستحى أشد الحياء . الآنسة : التى يؤنس بحديثها . العروب : المرأة المتحببة إلى زوجها .

نَوارٌ تستجِــدُّ بها المعالى ... وتَبلى دون عفَّتها العيوب[١]
صفــا ماء الشبَاب بوجنتيها ... فخلمتْ حول رونقه القلوب
ولــكنَّ الشوائب أَدركــته ... فعاد وصفوه كــدِر مشوب[٢]
ذوى منها الجمال الغض وجداً ... وكاد يجفّ ناعمــه الرطيب[٣]
أصابت من شبيبتها الليالى ... ولم يُدرك ذؤابتهــا المشيب[٤]
وقد خلب العقولَ لهــا جبين ... تلوح على أسرَّته النُّــكوب[٥]
ألا إن الجمــال إذا عــلاه ... قتام الحسن منظره عجيب

* * *

حليلة طيِّب الأعراق زالت ... به عنها وعنه بها الـكروب
رعى ورعت فلم ترَ قطّ منــه ... ولم يرَ قطّ منهــا ما يَريب
توثّق حبل ودّهما حضــوراً ... ولم ينــكث توثُّقــه المغيب[٦]
فغاضب زوجها الخلطاء يوماً ... بأمر للخــلاف به نشوب[٧]
فأقسم بالطــلاق لهم يميناً ... وتلك أَليَّــةُ خَطَأٌ وحُوب[٨]
وطلّقها على جهــلٍ ثلاثاً ... كذلك يجهل الرجل الغضوب[٩]
وأفتى بالطلاق طلاق بتٍّ ... ذو فُتيــا يعصبهم عصيب[١٠]

---

(١) النوار : المرأة النفور من الريبة . ونوار اسم امرأة كانت زوجا للفرزدق ، فطلقها ثم ندم ، وفى البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التى تغير الشىء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهى مقدم الرأس ، أو هى الطرة .

(٥) الأسرة : هى خطوط فى الجبهة والكف ، وفى كل شىء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة . النكوب : جمع نكب ، وهى المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : ينقض . (٧) النشوب : نشب الشىء نشوبا : بمعنى علق .

(٨) ألية : قسم . الحوب : الذنب . الحلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الحالف به مذنبا .

(٩) عصيب : شديد .

(١٠) بانت : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . القتام : العيب — جهل الناس الحكمة من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألفاظ الكتب التى درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح فضلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس فى حرج عظيم .

فبانت عنـه لم تأتِ الدنايا ولم يعلق بهـا الذام المعيب
فظلّت وهى باكية تنادى بصوتٍ منـه ترتجف القلوب

* * *

لماذ يا نجيب صرمت حبلى وهل أذنبت عندك يا نجيب[(١)]
ومالك قد جفوت جفاء قالٍ وصرتَ إذا دعوتُكَ لا تجيب[(٢)]
أينْ ذنبى إلىَّ فدتك نفسى فإنى عنـــــه بعدئذٍ أتوب
أما عاهدتنى بالله أن لا يفرّق بيننا إلا شـعوب[(٣)]
لئن فارقتنى وصددت عنى فقلبى لا يفارقه الوجيب[(٤)]
وما أدماء ترتع حول روضٍ ويرتع خلفها رشأ رَبيب[(٥)]
فما لفتت إليـه الجيد حتى تخطّفـه بآزمتيـه ذيب[(٦)]
فراحت من تحرقها عليه بداءٍ ما لها فيـه طبيب
تَشَمّ الأرض تطلب منه ريحاً وتنحب والبُغام هو النحيب[(٧)]
وتمزَع فى الفلاة لغير وجهٍ وآونةً لمصرعــه تثوب[(٨)]
بأجزعَ من فؤادىَ يوم قالوا برغمٍ منكِ فارقك الحبيب[(٩)]

* * *

(١) صرمت : قطعت .
(٢) قال : مبغض .
(٣) شعوب : اسم للموت .
(٤) الوجيب : الخفقان .
(٥) الأدماء : الظبية المشرب لونها بياضا . الرشأ : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى . ربيب : ملازم لها .
(٦) الجيد : العنق . الآزمتان : النابان .
(٧) تنحب : تبكى وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
(٨) تمزع : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . تثوب : ترجع .
(٩) بأجزع : الجار والمجرور خبر لقوله وما أدماء فى بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة : إن هذه الظبية التى صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعا واضطرابا منى حين بلغنى أنك طلقتنى . فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأســه خَجَلًا وأغضى　　وقال ودمع عينيه سَـكوب

نجيبــــةُ أقصرى عنى فإنى　　كفانى من لَظَى النَدم اللهيب

وما والله هجرك باختيـارى　　ولـكن هكذا جرتِ الخطوب

فليس يزول حبك من فؤادى　　وليس العيش دونك لى يطيب

ولا أسلو هواك وكيف أسلو　　هوًى كالروح فىّ له دبيب

سلى عنى الـكواكب وهى تسرى　　بجُنح الليل تطلع أو تغيب

فـكم غالبتهـا بهواك سهداً　　ونجم القطب مطّلع رقيب

خذى من نور رَنْتَجْنٍ شُعاعاً　　به للعين تنـكشف الغيوب[1]

وألقيهِ بصـدرىَ وانظرينى　　تَرَىْ قلبى الجريح به ندوب[2]

وما الـكبول أُلْقِىَ فى خِضَمٍ　　به الأمواج تصعد أو تصوب[3]

فراح يغُطُّه التيَّـار غَطًّا　　إلى أن تمَّ فيه له الرسوب[4]

بأهلك يابنة الأمجـاد متى　　إذا أنا لم يسدْ بك لى نصيب

* * *

ألا قل فى الطلاق لِمُوقعيه　　بما فى الشرع ليس له وجوب

غـلوتم فى ديانتكم غُلوًّا　　يضيق ببعضه الشرحُ الرحيب

أراد الله تيســـيراً وأنتم　　من التعسير عنـدكم ضروب

وقد حَلَّت بأمتـكم كروب　　لـكم فيهنَّ لا لهم الذنوب

وَهِى حبلُ الزواج ورقَّ حتى　　يكاد إذا نفختَ له يذوب

كخيطٍ من لُعاب الشمس أَدَلْتْ　　به فى الجوّ هاجرةٌ حَلُوب[5]

يمزّقه من الأفـواه نفْثٌ　　ويقطعه من النسَم والهُبوب

---

(١) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه .　(٢) الندوب : آثار الجروح .

(٣) المـكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .

(٤) الرسوب : الغرق إلى القعر .

(٥) لعاب الشمس : شيء كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل نسج العنكبوت .
أدلت : أرسلت : الهاجرة : شدة الحر ، والهاجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابنَ القيم الفقهاءُ كم قد   دعاهم للصواب فـلم يجيبوا[١]
ففى « إعلامه » للناس رشدٌ   ومزدَجرٌ لمن هـو مُستريب[٢]
نحا فيما أتاه طريق عـلم   نحاها شيخـه الحبر الأريب[٣]
وبيَّن حكم دين الله لـكن   من الغالين لم تَعَـهِ القلوب[٤]
لعلَّ الله يُحْدِث بعـدُ أمراً   لنا فيجيبَ منهم من يجيب

اليتيم فى العيـــد[*]

أطلَّ صباح العيد فى الشرق يسمعُ   ضجيجاً به الأفراح تمضى وترجعُ
صباحٌ به تُبدى المسرةَ شمسها   وليس لها إلا التوهمَ مطلعُ
صباح به يختال بالوشى ذو الغنى   ويُعوِزُ ذا الإعدام طِمرٌ مرقَّع[٥]
صباح به يكسو الغنىُّ وليدَه   ثيابا لها يبكى اليتيم المضيَّع
صباح به تغدو الحلائل بالحُلَى   وترَفَضُّ من عين الأرامل أدمع[٦]
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه   يجدد للمحزون حزنا فيجزع
يُرينا سرورا بين حزنٍ وإنما   به الحزن جدٌّ والسرور تصنُّع
فمن بؤساء الناس فى يوم عيدهم   نحوسٌ بها وجه المسرة أسفع[٧]

---

(١) ابن القيم : هو العلامه المحدث الفقيه المشهور .

(٢) يشير الى كتاب « إعلام الموقعين » لابن القيم المذكور ؛ وهو من أهم الكتب التى ألفها . ومزدجر : مصدر ميمى من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .

(٣) أراد بشيخه الامام أحمد بن تيمية رحمه الله .

(٤) الغالين : هم المتشددون فى الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى « لاتغلوا فى دينكم » ؛ لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تتدبر معناه .

(*) من الديوان الأول .

(٥) الوشى : نوع من الثياب الموشية المحسنة . أعوزه الشىء : احتاج إليه فلم يقدر عليه . الإعدام : الفقر . الطمر : الثوب البالى .

(٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج .   (٧) أسفع : أسود .

قد ابيضَّ وجهُ العيد لـكنَّ بؤسهم رمى نُـكَتا سوداً به فهو أبقع[١]

* * *

خرجتُ بغد النحر صبحا فلاح لى مسارحُ للأَضـداد فيهنَّ مرتع

خرجت وقرص الشمس قد ذرّ شارقا

ترى النور سيالا به يتـــــدفع

هى الشمس خَوْدٌ قد أطلَّت مصيخةً

على الأرض من أفق العُلَى تتطلع[٢]

كأن تفاريق الأشعة حولها علىَ الأفق مُرْخاةً ذوائبُ أربع[٣]

ولمـا بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع

فرحت وراحت ترسل النور ساطعًا

وسرت وسارت فى العُــــلَى تترفَّع

بحيث يسير الناس كل لوجهة فهذا على رِسْلٍ وذاك مسرع[٤]

وبعضٌ له أنفٌ أشمُّ من الغنى وبعض له آنف من الفقر أجدع[٥]

وفى الحىّ مِزْمار لِمُشْجِى نعيرِه غدا الطبلُ فى دَرْدَابه يتقعقع[٦]

فجئت وجوف الطبْل يرغو وحوله شباب وولدانٌ عليه تجمعوا[٧]

لقد وقفوا والطبل يهتزُّ صوته فتهتز بالأبدان سوقٌ وأكْرِع[٨]

ترى مَيْعة الإطراب والطبل هادرٌ تَفيض وفى أصابعهم تتميَّع[٩]

---

(١) نـكتا : نقطا سودا . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الخود : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة . (٣) الذوائب : الضفائر .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيره : صوته . الدرداب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضج ويصوت .

(٨) سوق : جمع ساق . وأكراع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) ميعة : كل شىء أوله . تتميع : تتسيل .

فقد كانت الأفراح تفتحُ بابها   لمن كان حول الطبل والطبل يُقْرع

* * *

وقفت أجيل الطَّرْف فيهم فراعني   هنـــاك صبيٌّ بينهم مترعرِع
صبيٌّ صبيح الوجه أسمر شاحب   نحيف المباني أدعج العين أنزع[١]
يَزين حِجاجيهِ اتساعُ جبينهِ   وفي عينه برق الفَطانة يلمع[٢]
عليه دَرِيسٌ يَعصِر اليتمُ رُدْنه   فيقطرُ فقر من حواشيه مُدْقِع[٣]
يُلِيح بوجــــهٍ للكآبة فوقهُ   غُبارٌ به هبَّت من اليتم زَعْزع[٤]
على كُثْرِ قَرْع الطبل تلقاه واجماً   كأن لم يكن للطبل ثَمَّة مَقْرع[٥]
كأن هدير الطبل يقرع سمعه   فلم يُلفِ رجعًا للجواب فيرجع
يرد ابتسام الواقفـــين بحسرة   تكاد لها أحشاؤه تتقطع
ويرسل من عينيهِ نظرةَ مُجْهِشٍ   وما هو بالباكي ولا العين تدمع[٦]
له رجفـــة تنتابهُ وهْو واقفٌ   على جانب والجوُّ بالبرد يلسع[٧]
يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد
على البَرْد من بُرْدٍ به يتلفّع[٨]
فكان ابتسام القوم كالثلج قارسًا   لدى حسراتٍ منه كالجمر تلذع

* * *

فلمـــــا شجاني حاله وأفزَّني   وقفت وكلّي مَجْزَع وتوجع[٩]

---

(١) شاحب : أي متغير اللون . أدعج العين : أسودها مع سعة فيها . الأنزع : المنحسر الشعر عن جانبي جبهته .
(٢) حجاجيه حاجبيه ، وأصل الحجاج العظم المحيط بالعين .
(٣) الدريس : الثوب البالي . الردن : أصل الكم . فقر مدقع : شديد كأنه يلصق صاحبه بالدقعاء ؛ وهي التراب .
(٥) واجما : ساكتا عاجزا عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف . ثمة : هناك .
(٦) المجهش : الهام بالبكاء المتهيء له ؛ وماضيه أجهش .
(٧) تنتابه : تصيبه .   (٨) البرد : الثوب المخطط . تلفع بالثوب : تلفف به .
(٩) شجاني : حزنني .

وروحت أعاطيه الحَنان بنظرةٍ … كما راح يرنو العابد المتخشع
وأفتح طرفى مُشْبَعًا بتعطُّفٍ … فيرتد طرفى وهو بالحزن مُشْبَع
هنالك على مهل تقدمت نحوه … وقلت بلطف قول من يتضرع
أيابن أخى من أنت ما اسمك ما الذى … عراك فلم تفرحْ فهل أنت مُوجع ؟[١]
فهبَّ أمامى من رقاد وُجومِه … كما هبَّ مرعوبُ الجنان المهجَّع
وأعرض عنى بعد نظرة يائسٍ … وراح ولم ينبِسْ إلى حيثُ يُهْرَع[٢]
فعقَّبتهُ مستطلعًا طِلعَ أمره … على البعد أقفوا الأَثْر منه وأتبع[٣]
و بيناهُ ماشٍ حيث رُحت خلفهُ … أدِبُّ دبيب الشيخ طوراً وأسرع[٤]
لحت على بعد إشارة صاحب … ينادى أنِ ارْجع وهو بالثوب مُلمِع
فأومأت أن ذكرتهُ مُوعداً لنا … وقلت له اذهب وانتظر فسأرجع
وعدتُ فأبصرت الصبىّ معرّجا … ليدخل داراً بابها متضعضع[٥]
فلما أتيت الدار بعد دخوله … وقمت حيالَ الباب والباب مُرجَع[٦]
دنوت إلى باب الدُّوَيرة مطرقاً … وأصغيت لا عن رِيبة أتسمَّع[٧]
سمعت بكاءً ذا نشيج مردَّدٍ … تكاد له صمُّ الصفا تتصدّع[٨]
فخرْت وعينى ترمق الباب خِلْسة … وللنفس فى كشف الحقيقة مَطمَع
أأرجع أدراجى ولم أكُ عارفاً … جلية هذا الأمر أم كيف أصنع ؟

* * *

فمرّت عجوز فى الطريق وخلفها … فتـاة يغشِّيها إزار وبُرْقع[٩]

---

(١) عراك : أصابك . (٢) لم ينبس : لم يتكلم .
(٣) أقفو الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؛ وقيل هو من بلغ الأربعين ؛ وقيل الخمسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبالته . (٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ولم يتكلم
(٨) النشيج : الغصة بالبكاء من غير انتحاب . (٩) يغشيها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألتهـــا ... عن الاسم ، قالت إننى أنا بوزع
فأدنيتها منى وقلت لهـا اسمعى ... حنانيك ما هذا الحنين الموجَّع
فقالت وأنَّت أنـة عن تنهدٍ ... وفى الوجه منها للتعجب موضع
أيا بُنىَّ ما يعنيك من نوح أيِّمٍ ... لها من رزايا الدهر قلب مفجَّع(١)
فقلت لها إنى امرؤ لا يهمنى ... سوى من له قلب كقلبىَ مروَّع(٢)
وإنى وإن جارت علىَّ مَواطنى ... فؤادى على قطّانهن مُوَزَّع(٣)
أبوزعُ مُنِّى عمرَكِ اللهَ بالذى ... سألت فقد كادت حشاىَ تَمَزَّع
فقالت أعن هذى التى طال نحبُها ... سألت فعندى شرح ما تتوقع
ألا إنها سَلْمَى تعيسةُ معشرٍ ... من الصِّيد أقوت دارهم فهى بلقع(٤)
وصارعهم بالموت حتى أبادهم ... من الدهر مجَّارٌ شديد مُصَرَّع(٥)
فلم يبق إلا زوجها وشقيقها ... خليلٌ وأما الآخرون فودَّعوا
ولم يلبث المقدور أن غال زوجَها ... سعيداً فأودى وهى إذ ذاك مُرْضِع(٦)
فربّى ابنها سعداً وقام بأمره ... أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع(٧)
فأذهب عنه الخالَ دهرٌ غشمشمٌ ... بما يوجع الأيتام مُغْرًى ومُولَع(٨)
جرت هَنَةٌ منها على خاله انطوى ... بقلب رئيس الشرطة الحقدُ أجمع(٩)
فزجَّ به فى السجن بعــد تجرُّم ... عليه بُجرمٍ ما له فيه مَصْنَع(١٠)

(١) الأيم : هى من فقدت زوجها . مفجع : موجع .
(٢) مروع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطانهم : سكانهم .
(٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذى لايلتفت من كبره ؛ وأراد بالصيد : أولى النعمة . بلقع : خالية من السكان .
(٥) المجار : المصارع ؛ الذى لايطاق جنبه فى الصراع .
(٦) غال : أهلك . أودى : أهلك . (٧) يضلع : يقوى وتشتد أضلاعه .
(٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شىء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
(٩) هنة : أى شىء ماوهى مؤنث الهن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها شىء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
(١٠) تجرم عليه : أى أدعى عليه بجرم لم يفعله.

عزاه إلى إيقـــــــاعه مُوقعًا به وما هو يا ابن القوم للجرم موقع[١]
ولـكن غدر الحاقدين رمى به إلى السجن فهو اليوم فى السجن مودع
فَحقَّ لسـلمى أن تنوح فإنهـا من العيش سمًّا ناقعاً تتجرَّع[٢]
فلا غَروَ مِنْ أُمّ اليتيم إذا غدت ضحى العيد يبكيها اليتيم المضيَّع

* * *

فَعدْتُ وقلبى جازع متوجع وقلت وعينى ثَرَّة الدمع تهمع[٣]
ألا ليت يوم العيد لا كان إنهُ يجدد للمحزون حزناً فيجزع
وجئت إلى معيادنا عند صاحبى وقد ضمه والصحبَ نادٍ ومَجمع
فأطلعتهم طِلْعَ اليتيم فأفَّفوا وخبَّرتهم حال السجين فرجّعوا[٤]
فقلت دعوا التأفيف فالعار لاصق بكم واتركوا الترجيع فالأمر أفظع
ألسنا الألى كانت قديماً بلادُنا بأرجائها نور العدالة يسطع[٥]
فما بالنا نستقبل الضيم بالرضا ونعنو لحكم الجائرين ونخضع[٦]
شربنا حميم الذلّ مِلْء بطوننا ولا نحن نَشْكوه ولا نحن نَيجَع[٧]
فلو أن غير الحىّ يشرب مثلَنا هواناً لأمسى قالسا يتهوّع[٨]
نهوضاً إلى العز الصُّراح بعزمة تخِرُّ لمرماها الطُّغاة وتركع
ألا فاكتبوا صَكَّ النهوض إلى العـلى
فإنِّى على مـــــــوتى به لموقِّع[٩]

---

(١) موقعا : منزلا به ما يسوءه . (٢) السم الناقع : البالغ القاتل .
(٣) الثرة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٤) رجعوا : أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . (٥) الأرجاء : الأطراف .
(٦) الهوان . نعنوا : نخضع. (٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .
(٨) العير : الحمار . قلس خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن علب فهو القىء والتهوع .
(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر منِّى لمبتكرٍ ... ولست للشعر فى حالٍ بمفتقرِ
دعوت غُرَّ القوافى وهى شاردة ... فأقبلت تمشى مشى معتذرِ
وسلمتنىَ عن طوع مَقادتها ... فرحت فيهنَّ أجرى جرىَ مقتدرِ
إذا أقمت أقامت وهى من خدمى ... وأينما سرت سارت تقتفى أثرى
صرَّفت فيهن أقلامى ورحت بها ... أُعرِّف الناس سحر السمع والبصر
ملكن من رقةٍ رِقَّ النفوس هوًى ... من حيث أطربن حتى قاسِيَ الحجر
سقيتهنَّ المعانى فارتوين بها ... وكنَّ فيها مكان الماء فى الثمر
كم تشرئب لها الأسماع مصغيةً ... إذا تُنُوشدن بين البدو والحضَرِ
طابقت لفظىَ بالمعنى فطابقه ... خِلْوًا من الحشو مملوءًا من العِبر
إنى لأنتزع المعنى الصحيح على ... عُرْىٍ فأكسوه لفظاً قُدَّ من دُرَرِ
سل المنازل عنى إذ نزلت بها ... بيتاً من الشِّعْر لا بيتاً من الشَّعَر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله ... بوشْىِ ذا العصر لا الخالى من العُصُرِ
لا يحسن الشِّعْرُ إلَّا وهو مبتكَر ... وأىُّ حسن لشعر غير مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة ... فلست والله فى شعرٍ بمفتخر.
وإنما هى أنفاس مُصَعَّدة ... ترمى بها حسراتى طائرَ الشرر
وهنَّ إن شئت منِّى أدمع غُزُر ... أبكى بهن على أيامنا الغُرَر
أبكى على أمة دار الزمان لها ... قَبْلًا ودار عليها بعدُ بالغِيَرِ (1)
كم خلَّدَ الدهر من أيامهم خبرًا ... زان الطروس وليس الْخُبْرُ كالْخَبَرِ
ولست أَدَّكر الماضين مفتخرا ... لكن أقيم بهم ذِكْرَى لمدَّكِرِ (2)

(*) من الديوان الأول . (1) الغير : الحوادث . (2) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون فى عَمَهٍ ... بدارسٍ من هُدَى الماضين مندثر (١)

لهفى على العُرب أمست من جمودهم ... حتى الجمادات تشكو وهى فى ضَجَر

أين الجَحاجِح ممن ينتمون إلى ... ذؤآبة الشرف الوضَّاح من مُضَر (٢)

قوم هم الشمس كانوا والورى قمر ... ولا كرامة لولا الشمسُ للقمَر (٣)

راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عَقِباً ... ناموا عن الأمر تفويضاً إلى القدر

أقول والبرق يسرى فى مراقدهم ... «ياساهر البرق أيقظ راقدالسمُر» (٤)

يأَيها العُرب هبُّوا من رقادكُم ... فقدبداالصبحوانجابتدُجَى الخَطَر (٥)

كيف النجاح وأنتم لااتفاق لكم ... والعود ليس له صوت بلا وتر

مالى أراكم أقلَّ الناس مقدِرةً ... يا أكثر الناس عدًّا غير منحصر

إلى الشبان (*)

أدَبُ العــلم وعلم الأدبِ ... شرف النفس ونفس الشرفِ

بهما يَبْلُغ أعلى الرّتبِ ... كلُّ رامٍ منهما فى هدفِ

* * *

أيهـا السابح فى بحر الفنونْ ... غائصاً فى لُجّهـا الملتطمِ

أنت والله على رغْم المنونْ ... ذو وجــودٍ قاتلٍ للْعدَم

قَرنك الحاضر من أرقى القرونْ ... خضع السيف به للقــلم

فإذا شئت بلوغ الأربِ ... فاغترف من بحره وارتشفِ

فالمعالى أُودعت فى الكتبِ ... كاللآلى أُودعت فى الصدفِ

(١) العمه : الضلال . الدارس : المنمحى . مندثر : بال دارس .

(٢) الجحاجح: السادة. الذؤابة : فى الأصل معناها: الضفيرة فوق الناصية، وذؤابة الشرف: أعلاه.

(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .

(٤) المراقد : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمر : القوم يجتمعون للمسامرة .

(٥) انجابت : انكشفت .

(*) هذه القصيدة أنشدت يوم افتتاح المنتدى الأدبى الذى أسسه شبان العرب فى الآستانة ، وقد طلبوا إلى الرصافى أن ينظم لهم قصيدة تنشد فى يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .

أنت يا جاهل من قبل المماتْ   ميِّت يمرح ما بين البيوتْ(١)
أوَ ما تعلم فى هــذه الحياةْ   أن رب العلم حى لا يموتْ
إذا قضى للعلم رب الـكائناتْ   بالعُلَى فهو زمام الملـكوتْ
وعلى الجهل قضى بالعَطَبِ   فهو فى الناس دليل التلفِ
فافتــكر إن شئت علم السببِ   هل يكون النور مثل السَدَفِ(٢)

* * *

يارعى الله زماناً لو يدومْ   كان للدهر كأيام الصِّبا
أشرقت فيه من العــلم النجومْ   ظن كل الناس أن لن تغرُبا
زمن قد ضحكتْ فيه العلومْ   ونراها اليــوم تبكى العَرَبا
حيث منهمْ فقدت خير أب   واغتدت من يتْمها فى شَظَفِ(٣)
يا عهود العلم ما شئتِ اندبى   يا عيون المجــد ما شئتِ اذرُفِى

* * *

هل أتاكَ الدهر فيا قد أتى   بحديث العُرْبِ فى الأندلس
حيث بالعزم أماطوا العنَتا   وبنور العــــلم ليلَ الهوَسِ(٤)
فاسألنَّ الغرب عمـــا ثبتا   فى رُبوع خلَّفوها دُرُسِ
هل ترى ثمَّــة من لم يجب   عن معاليهم ولم يعترفِ
آه لو يرجع ماضى الحِقَبِ   آه لو عاد زمان الشرفِ

* * *

(١) يمرح : يتبختر ويختال فرحا ونشاطا . والجملة صفة لميت . والغرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقى ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أى أنت ميت مجازا قبل أن تموت حقيقة .

(٢) السدف : بفتحتين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدفة كظلمة ؛ وزنا ومعنى .

(٣) الشظف : بالتحريك : ضيق العيش ويبسه وشدته .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت، أو وقع فى أمر شاق، أو لقى الشدة وهلك . والهوس: بفتحتين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سل رُبَاً بغداد عما قد مضى . لبنى العباس فى تلك الديارْ
واسألنَّ الشام عما قد أضا للعاويين فيها من فخارْ
كم ترى للمجد سيفا منتضَى كم ترى للعلم فيها من منارْ
عجبى يا قوم كل العجب هذه الآثارَ لِمْ لا نقتفِى
آه من رقدتنا واحَرَبِى آه من غفلتنا وا أَسفِى[١]

* * *

يا أباة الضيم من عُلْيا نِزَارْ أينَ منكم ذهبتْ تلك الطباعْ
كنتم كالسيف مشحوذ الغِرارْ والذى حل حماكم لن يراعْ[٢]
كم إلى العلم أقتم من منارْ بعقول هى أسنى من شعاعْ
قَطَفَتْ أبواعكُم عن كَثَبِ كلَّ مجد شاهق المقتَطَفِ[٣]
تلك والله مزايا العربِ أورثوها خَلَفًا عن سَلَفِ

* * *

أنت يا شمسُ على كر السنينْ قد تقلَّبت طلوعاً فى الورَى
حدثينا بحديث الأوَّلينْ فلقد شاهدتِ تلك الأعصرا
أفكانوا مثلنا مختلفينْ لا يُغيثون إذا خطب عَرَا[٤]
إننا يا شمس فى مُضطَربِ قد ألفناه فلم نأتلفِ
إن بقينا هكذا فاحتجبى عن بنى الغبراء أو فانكسفِى

* * *

يا بنى يعرُب ما هذا المنامْ أوَ ما أسفر صبح النُّوَّم

(١) واحربى : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحتين : الهلاك ، يقال واحربا وواحربى توجعا أو تأسفا وكذلك وا أسفى ووأسفا .

(٢) الغرار : بالكسر حد السيف ، ومشحوذ الغرار : أى ماضى الحد .

(٣) الكثب : بفتحتين : القرب ، يقال رماه من كثب ، وعن كثب : أى من قرب وتمكن

(٤) عرا يعرو : أى عرض وألم . والخطب هنا : الأمر المكروه .

أينَ من كان بكم يرعى الذمامْ ويلبى دعــــوة المهتَضَم[1]
أفلا يلذعكم منى المــلامْ فلَقد ألفظ جمراً من فمى
خارجاً عن نَفَسى كاللهبِ محرقاً مهجـــة قابى الدنفِ
أنا لولا فيض دمعى السكِبِ لتحرقتُ بنار الأسفِ

* * *

يا شباب القوم لولاكُمْ لما ساغ لى العذب وما إن لذ لى
إننى أبصر منكم أنجــما لامعات فى ظلام الأمــل
فاصبروا اليوم على حر الظما كى تنالوا الرى فى المستقبل
واتعبوا اليوم فعُقبى التعبِ راحـــة مُشْبَعَة بالترفِ
لتقونا أســوأ المنقلبِ إذ بناء القوم هارى الجُرُفِ

* * *

يا شباب القوم هبُّوا للبِراز فبكم يبسِم ثغر الوطنِ
وارفلوا إما بثوب الإعتزازْ أو بثوب هو ثوب الكَفَنِ
وأعدوا العلم لا السيفَ الجُرازْ إنه عُدة هذا الزمنِ[2]
بسواه العز لم يُكْتسبِ وهُوَ المُنصِف للمنتصفِ
إنه والله لا عن كذِبِ شرف النفس ونفس الشرفِ

الدهـــر(*)

هل الدهرُ إلّا أعجمىّ أخاطبهْ فما لى إلى فهم الحديث أجاذبهْ
أيثنى إلى وجـه اللئيم بوجهه ويرتد مُزْوَرًّا عن الحر جانبه[3]

(١) المهتضم : بصيغة المفعول : المظلوم .
(٢) الجراز بالضم : صفة للسيف ، ومعناه القاطع .
(*) هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتا .
(٣) يثنى : يعطف . والباء فى بوجهه زائدة فى المفعول ، ومزورا : منحرفا .

أراه إذا طارحته الجد لاعبا … وما أنا ممن يا أميم يلاعبه (١)
ويضرب أطناب المنى لىَ هازلًا … وما أنا مخدوع بما هو ضاربه
وبيناه يُبدى لى ابتسامة خادعٍ … يقطِّب حتى لا تَبِين حواجبه (٢)
لقد أضحكت غير الحليم شُئُونه … وأبكت سوى عين السفيه نوائبه
فيا أدباء القوم هل تنقضى لكم … شكاية دهر حاربتكم مصائبه
يشدّ عليكم بالسيوف نكايةً … وأقلامكم وهو الأصمّ تعاتبه (٣)

* * *

هو الدهر لم يسلم من الغىّ أهله … كما الليل لم يأمن من الشر حاطبُه (٤)
إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم … فتجثو على الأبصار منهم غياهبه (٥)
تضاربت الأهواء فيهم فناكب … عن الشر يُقصيه وآخر جالبه
طبائعهم شتى على أنّ بينهم … كريما تواليه ووَغْدا تجانبه
لعمرك حتى البرق خالف بعضه … فقد خولفت بالموجبات سوالبه (٦)
أبتْ حركات الكون إلا تباينا … دوافعه فعّالة وجواذبه
ولولا اختلافٌ شاءَهُ الله فى القوَى … لما دار فى هذا الفضاء كواكبه

* * *

---

(١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا ناظره وجاوبه .

(٢) بيناه : الألف كافة لبين أوهى مختصرة من ما الكافة ؛ والأصل بينما ؛ فحذفت الميم من ما . وكذلك القول فى الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو ؛ والأصل بينا هو ؛ فالضمير ضمير رفع . وقوله يقطب : أى يزوى ما بين عينيه .

(٣) أى هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح ، وأنتم تقابلونه بالأقلام عتابا ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .

(٤) حاطب ليل : مثل عندهم فى التخليط ، ومنه قولهم : المكثار حاطب ليل ، أى يجمع بين الجيد والردىء : أو أن الحاطب فى الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى فى الحطب الذى احتطبه وهو لايدرى . فى البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهليه بالحاطب فيه ، فهم لايسلمون من الوقوع فى الباطل كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع فى الشر ، وكما فى البيت : مثلها فى قول الشاعر :

كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم فى الريب . وضمير الفاعل فى رابهم يعود إلى الدهر .

(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لاعجب فى اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخالف جار فى جميع ما فى الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت فى هذا الفضاء كواكبه .

سبرتُ زمانى بالنُّهى وَمَخَضته ... بتجربتى حتى تجلَّت عواقبه
لم أستشرْ فى الناس إلّا تجاربى ... وهل يصدق الإنسانَ إلا تجاربه
فلا ترتكب قرب اللئام فإنهم ... لكالبحر محمول على الهول راكبه
وما عجبى فى الدهر إلا لواحد ... وإن كثرت فى كل يوم عجائبه
وذلك أنّ العيش فيه مطيّب ... لمن خبثت بالمخزيات مكاسبه
ولو كان فى أعماله الدهر عاقلًا ... لما كان مثلى فى الورى من يحاسبه
ولو لم يكن فى كل ما فيه خادعا ... لما أمّ فيه صادقَ الفجر كاذبه(١)

* * *

ألارب شيطان من الإنس قدغدا ... يخاتلنى خَلْسا وعينى تراقبه(٢)
فقلت له اخسأ إنما أنت خائب ... وقبلك أعيا الجنّ ما أنت طالبه(٣)
فولّى على الأعقاب يحبو وقد درى ... ولله درّى إنى أنا غالبه(٤)
فأتبعه منّى شهاب تسامح ... يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه(٥)
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه ... تطارده حتى تضيق مذاهبه
ولكن أبى منّى الخداعَ مهذّبٌ ... تعوّد فعل الخير مذ طُرَّ شاربه

* * *

وذى سَفَهٍ أغضيت عنه تكرّما ... فدبَّت على رجلىَّ غدراً عقاربُه
فقمت له بالنعل ضربا فلم تزل ... يداىَ بِهِ حتى اطمأنت غواربه(٦)

---

(١) أم فلان القوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر . والمعنى أن كل مافى الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .

(٢) يخاتلنى : أى يخدعنى عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشىء إذا أخذ . فى مخاتلة ، وهو فى البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى المخاتلة .

(٣) أخسأ : أى ابعد وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرد الكلب .

(٤) المعنى المراد من قوله « فولى على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،

(٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفح وعفو عنه .

(٦) فلم تزل يداى به حتى اطمأنت : أى لم تزل يداى تمارسه أو موقعة به . تقول العرب : مازلت وزيدا حتى فعل : أى مازلت أزاوله .

وجنّبته السيف الجُرازَ لأنه ... تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقـــد عابنى جهلا ولم يدر أنه ... أقلّ فداء للذى هو عائبه
له نسبة مجهولة غير أنه ... مَغامزه معـــلومة ومعايبه[1]

إلى أبناء الوطن

أنشدها فى حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣

سِرْ فى حياتك سَيرَ نابهْ ... ولم الزمان ولا تحابه[2]
وإذا حللتَ بموطن ... فاجعل محلك فى هِضابه[3]
واختر لنفســك منزلا ... تهفو النجوم على قبابه[4]
ورُم العــلاء مخاطرا ... فيما تحاول من لُبابه
والمجـــــد ليس بنائلْ ... إلا المخاطر فى طِلابه
وإذا يخاطبـــك اللئـــيم فصمّ سمعك عن خطابه
وإذا انبرى لك شاتما ... فاربأ بنفسك عن جوابه[5]
فالروض ليس يضــــيره ... ما قد يَطَنْطِن من ذبابه[6]
ولربّ ذئب قد أتا ... ك من ابن آدمَ فى إهابه[7]
ما امتاز قطُّ عن ابن آ ... وى شخصه بسوى ثيابه
وإذا ظفرت بذى الوفا ... ء فحطّ رحلك فى رحابه[8]
فأخوك مَن إن غاب عنـ ... ـك رعى ودادك فى غيابه
وإذا أصابك ما يسو ... ء رأى مُصابك من مُصابه

---

(١) المغامز : جمع مغمز . وهو المطعن ، فهى كالمعايب معنى .
(٢) النابه : المشهور ، ضد الخامل .
(٣) هضابه : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على الأرض . والمراد : المنازل المرتفعة .
(٤) تهفو : تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشيء : إذا أسرعت إليه .
(٥) انبرى له : عارض وصنع مثل صنعه . اربأ بنفسك : ارفع نفسك .
(٦) يضيره : يؤذيه . يطنطن : يصوت ويحدث طنينا .
(٧) أصل الإهاب : الجلد قبل أن يدبغ . والمراد : الجلد مطلقا .
(٨) حط رحلك فى رحابه : أى انزل عنده فى أرحبه . والمراد تمسك بإخائه ولاتتحول عنه .

وتره يَيْجع إن شكو ت كأن ما بك بعض ما به[١]

* * *

يا قوم قد هرم الزما ن من التمادى فى انقلابه
فانزاك عنـــد الهاجرا ت يسيل شىءٌ من لعابهْ
ما زال من خَرَفٍ به للناس يهذِر فى كِذابه[٢]
يأتى بكل عجيبةٍ تدعو اللبيب إلى ارتيابه
والناس فى عطش تسيـــر إلى ارتواءٍ من سَرابه
فمتى يجود لنا الزما ن ولو بمَذْق من وِطابه[٣]
وإلى متى هو سائر وجه الحقيقة فى ضَبابه[٤]
يتـــلو بصرف الحادثا ت لنا فصولا من كتابه
كم يدَّعى وطنيَّةً من لم تكن مرت ببابه
فتراه ينفح لاغيا فيها وينفخ فى جرابه
ليكون مكتسبا بها مالًا تهالك فى اكتسابه
فكأنما هو صائد وكأنما هى من كلابه
وتراه يرمى المخلصـ ين بكل سهم من جِعابِه
ويعيب قـــوما بالخيا نة والخيانة بعض عابه[٥]

* * *

لا بدَّ للوطنِ العـــزيز من المسكنِ لاضطرابهْ
من مجلسٍ للشعب ينظر بالتأمُّـلِ فى مـــآبه
وينوبُ عن أبنـــائه إن صادقوه على منابه

(١) يقال : وجم فى الماضى ، ويوجم وييجع وياجم فى المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .
(٢) الخرف : الهذيان . والهذر مثل كلام المحموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتى به من الحوادث ولا يستقم له قصد .
(٣) المذق: اللبن الممزوج بالماء، يريد غير الخالص. والوطاب جمع وطب، وهو سقاء يوضع فيه اللبن .
(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهرا ، وإنما يخفيه الضباب ، يعنى ما يأتى به الدهر من الخير والشر ليس واضحاً .
(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد ... به يعود إلى نصابه
أبهت حكومتنا له ... والشعب ليس له بآبه
أترى الحكومة تبتغيه ... ونحن نعرض عن طِلَابه
هـذا لعمر أبيك ما ... يدعو الحليم إلى انتحابه
هلا يقوم القـاعدون ... مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى ... صرف الزمان له بنابه
وغـدا يهـدد بالبوار ... بنيـه بور فى ترابه
إن لم تـكونوا مدركيه ... فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسـافر للديار ... على اضطرار فى إيابه
لو كان يجنح للإيا ... ب لما تَعَجَّل فى ذهابه
قد كان يمرح فى التغر ... ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبنّ لخـاملٍ ... لبس النباهة فى اغترابه
فالسيف أحسن مايكو ... ن إذا تجرد من قِرابه
أما العراق فإن لى ... كلَّ الرجاء بأسد غابه
ينجـاب يأسى بالرجا ... ء إذا نظرت إلى شبابه
من كل ما هو فى ظلا ... م الليـل أضوأ من شهابه
لمـع الذكاء بوجهـه ... كالبرق يلمـع فى سَحابه
يا من زكت أحسابهم ... فأتوا بأخـلاق نوابه[1]
ووجوههم بالنـيّرا ... ت من النجوم لها مَشابه
إنّى لأشكر فضلـكم ... شكر المناب على ثوابه
كالروض يشـكر وابلا ... حيّا الأزاهر بانسكابه

---

(١) زكت أحسابهم : برئت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال .

في المعهـــد العلمي

لعمرك إنَّ الحر لا يتقيَّدُ ... إلا فليقل ما شاء فيَّ المفنَّدُ[(١)]
إذا أنا قصَدتُ القصيد فليس لي ... به غير تبيان الحقيقة مَقْصِد
نشدت بشعري مَطلبا عزَّ نيله ... وإن هان عند الشعر ما كنت أنشُدُ
فللنجم بعدٌ دون ما أنا ناشد ... وللدرّ قدرٌ دون ما أنا مُنشِد
وكم جنَّبتني عزة النفس مَنهلًا ... يطيب به لكن من الذل مورد
وما أنا إلّا شاعر ذو لبانة ... أنوح بها حينا وحينا أغرّد
ولي بين شدقي الهَريتين صارمٌ ... يُسلُّ على الأيام طورا ويُغمد[(٢)]
ولا عجبٌ إن عابني الشاعر الذي ... يقول سخيفَ الشعر وهو مقلِّد
فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر ... تنقَّصه في الشعر حمَّاد عجردُ[(٣)]
تعوَّدت تصريحي بكل حقيقة ... وللمرء من دنياه ما يتعود
إذا رمت نصحا جئت بالنصح واضحا ... وما كان من شأني الكلام المعقَّد
وقد أبصر الداء الدفين الذي بنا ... كما أبصر الأمواه في الترب هُدهد[(٤)]
يقولون لي استنهض إلى العلم قومنا ... بشعر معانيه تقيم وتقعـــد
أما علموا أن الحياة بعصرنا ... مدارس في كل البلاد تُشيَّد
وما ينفع القول الذي أنت قائل ... إذا لم يكن بالفعل منك يُؤيَّد
فيا قومنا إن العلوم تجدَّدت ... فإن كنتم تهوَوْنها فتجدّدوا

---

(١) المفند : اللائم العائب .

(٢) الشدق الهريت : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف . يغمد : أي يوضع في غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسي ، وحماد عجرد شاعر أيضا في عصر بشار كان مولعا بهجائه ، وكلاهما عاش في صدر الدولة العباسية .

(٤) يعني الشاعر أنه لطول تجربته وممارسته شئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد مالا يستطيعه غيره ، وشبه نفسه بالهدهد الذي يرى الماء الغائر في الأرض لبعد نظره .

وخَلُّوا جمود العقل فى أمر دينكم | فإن جمود العقل للدين مفسد
وإن شئتم فى العيش عزًّا فأقدموا | فكمْ نيلَ بالأقدام عزٌّ وسُوْدد
وأمضوا سديد الرأى دون تردد | فما يبلغ الغاياتِ من يتردَّد
ولا تقبلوا قيدا بقولٍ مجرَّدٍ | فما قيَّد الأحرارَ قولٌ مجرَّد
وأطلالِ علم لا تزال شواخصا | تذكِّر بالعهد القـــديم وتشهد
أراها فأبكى وهى رهنُ يد البِلَى | بدمع كما ارفضَّ الجمان المنضَّد
وما أنا سالٍ عهدها حين لم تسِل | دموعى ولكنى امرؤ متجلِّد
فإن تُكبِروا تسديد دمعى لأجلها | فإن دمى من أجلها سيبدّد
ومعهـــدِ علم أسسته عصابة | من القوم تسعى للنجاح وتجهد
شباب مَشَوا للمكْرمات بعزمة | تقاعس عنها الكوكبُ المتوقد
سأستودع الأيّام كل قصيدة | يطيب لهم فيها الثناء المخلَّد
أقول لهم قولا به أستزيدهم | وأشكرهم شكرا جزيلًا وأحمد
أما وخلال فيكم عربيـــة | وذا قسَمٌ لو تعلمون مؤكَّد
يسرّ العلى أن ينهض القوم للعلى | وأن يجمع الشبانَ للعلم معهد

فى منتدى التهذيب

أنشدها فى حفلة افتتاح منتدى التهذيب فى بغداد

تريد لى الأيام أن أتقيَّـــدا وأطلب فيها أن أكون المجدِّدا
وتقعد بى دون المدى فى خطوبها وغاية همّ النفس أن أبلغ المَدى
كفى لصريح العقل قيداً لمطلق من الناس يبغى أن يكون مقيدا
لعمر الهدى إنَّ النُهى ليس مِن صُوًى
سواها لمن ضلُّوا الطريق إلى الهدى[(١)]
فما بال هذا العقل أمسى معطَّلَا لدينا كأن الله أوجده سُدى[(٢)]
أيُخلِقنا كرّ الجديدين ضَلَّةً ولم نتقمّص فيهما ما تجـددا[(٣)]
فيا منجدى فيما أريد من العلى ولولا العلى لم أطلب الدهر منجدا
أعِنِّى على ما لو تحقق كونُه لما كان لى بل للأناسىّ مُسعدا
تجهَّز من الحسنى بما أنت قادر عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
وأحسن إلى من قد أساء تـكرُّما وإن زاد بالإحسان منك تمردا
وحِبّ الذى عاداك إن رمت قتله فإنى رأيت الحب أقتل للعِدا
فليس مضرًّا فى العلى بالذى أرى على كل حال أن تحب من اعتدى
إذا دُفع الشر القبيح بمثـله تحصَّـل شرٌّ ثالث وتولَّدا
وأمست دواعى الشر ذات تسلسل مَديد وصار الشر فى الناس سرمدا
فما الرأى عندى إن تمخَّضتِ الوغى
سوى أن يظلَّ السيف فى الغِمد مغمدا

---

(١) النهى العقل وأصله جمع نهية ، وهى ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهى العلامة تنصب فى الطريق ليهتدى بها السائرون فى الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى صياعا ، بلا فائدة .

(٣) يخلقنا يبليا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلة ، إذا لم يوفق للرشاد ، وكأنه منصوب على الحال ، أى ضالا . وتقمص الشىء : كالقميص .

وأن تجمع الدنيا على ردّ طامع ... أشار إلى أسيافه متهدّدا
فإن كان هذا فى العصور التى خلت ... عسيرا ففى هذا الزمان تمهّدا
فإن جميع الأرض أمست كبلدة ... بها كل جمع عُدَّ فى الحكم مفردا
ولى خلقٌ يأبى علىَّ انطباعه ... على الخير تسليمى إلى الشر مِقودا
وأضرب عن جهل المجهول ولم أكنْ
لِأُضْربَ فى الأيام للغدر موعدا
إذا أيقظتْنى للعداء اعتداءةٌ ... شربت لها من خالص العفو مرقدا
وكره نفسى كل عبد مُذلَّلٍ ... فقد كرهت حتى الطريق المعبّدا
إذا ما اتقت نفسٌ رداها بذلة ... فعندى نفس تتقى الذلّ بالردَى
ولو طلبت نفسى الغنى بامتهانها ... لأصبحتُ فى المثرين أطولهم يدا
ولكننى آليت ألا أذيقها ... من العيش إلا ما اُستطيبَ وحُمِّدا
سجيَّة نفس لم أحُل عن عهودها ... وإن لامنى الأعمى عليها وفنّدا
وما ضرَّنى إذ عضَّنى متشادقٌ ... شحا بفم قد كان فى العضّ أدْردا(١)
ولى وطنٌ أفنيت عمرى بحبهِ ... وشتتُّ شملى فى هواه مبددا
ولم أرَ لى شيئا عليه وإنما ... علىَّ له فى الحبّ أن أتشددا
تعلقته منذ الصبا مغرما كما ... تعلّق ليلَى العامرىُّ معمّدا
وسيّرت فيه الشعر فخرا فطالما ... شدوت به فى مَحفِل القوم منشدا
وكم رام إسكاتى أناسٌ أبى لهم ... خنا الطبع إلّا أن يَرَوْا لى حسّدا
ومن عجب أن يعشق الروضَ بلبلٌ ... ويمنعه ذِبّانه أن يغرّدا
وما الناس إلا اثنان فى الشرق كله ... جهول تلهّى أو حليم تبلدا

---

(١) المتشادق : يريد به المتشدق ، وهو المتفاصح الذى يملأ شدقيه بالكلام ، وقيل هو المستهزىء بالناس ، يلوى شدقه بهم وعليهم . وتشدق فى كلامه : فتح فمه واتسع . شحا الرجل فاه فتحه ، وشحا فوه انفتح، متعد لازم . والباء زائدة أو على تضمينه معنى نطق بفم . والأدرد ، صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل في الشرق مخفقا ... ولا مثل جَدّ المرء للمرء مُسعدا
تأمل قليلا في بنيه مفكّرا ... لتشهد منهم للعجائب مشهدا
فتُبصرَ أيقاظا يُطيعون هُجّدا ... وتبصر أحرارا يخافون أعبدا
وكم فأرة في الشرق تحسب هرّةً ... وكم عَقْعَقٍ في الشرق سُمّي هُدْهُدا
ألا رُبَّ شاكٍ قال لي وهو آسف ... أما آن للتهذيب أن يتبغددا[1]
فقلت له أَبشر بخير فإنه ... ببغداد للتهذيب أسّس مُنتدَى

في زحـــله

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها في حفلة أقيمت له وللريحاني في زحلة

حَبَبْتُ العلى منذ الصِّبا حبّ شاعر ... وقمت إليها ساعيا سعي قادر
أأقدر فيها أن أصيخ للائم ... وقد ملكت مني جميع المشاعر[2]
تقول ابنة الأقوام وهي تلومني ... وأدمعها رقراقة في المحاجر[3]
إلى كَمْ تُجِدّ البينَ عني مسافرا ... أما تستلذّ العيش غير مسافر[4]
وأسكتها عني نشيجٌ فلم تزل ... تردّده منها بأقصى الحناجر
إلى أن تفاني الصبر فافتر مدمعي ... كمدمعها عن لؤلؤٍ متناثر
ولا غروَ أن أبكي أسًى من بكائها ... فأعظم ما يشجي بكاء الحرائر
وقلت لها إني امرؤٌ لي لبانة ... منوطٌ مَداها بالنجوم الزواهر
تعوّدت أن لا أستنيم إلى المنى ... وألّا أرَى إلّا بهيئة ثائر
وأن امْضِيَ الهم الذي هو مُقلقي ... بطيّ الفيافي أو بخوض الدياجر[5]

(١) تبغدد : أي يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاخ له : استمع وأنصت .

(٣) رقراقة : جائلة متحركة . والمحاجر : جمع محجر ، وهو مادار بالعين من العظم .

(٤) تجد البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضى همه : نفذ ما عزم عليه وهم به . وطي الفيافي : قطع الصحارى . والفيافي : جمع فيفاة ، والدياجر : جمع ديجور ؛ وهو الظلمة ، وأصله الدياجير .

أما تَرَينَّ الوجهَ منى شاحبا لكثرة ما عرّضته للهواجر(١)
ولست أبالى أننى عادم الغنى إذا كان جدّى فى العلى غير عاثر
ذرينى أزرْ فى هَضْب لبنان أربعا تعالت بحيث العز مُرخَى الضفائر
بحيث أرى تلك الليوث خوادرا تسارق ألحاظا عيون الجآذر
ليوث إذا ما عبَّست فى مُلِمَّةٍ تبسمت الدنيـــا تبسم ناصر
وألقت جيوش الفاخرين سلاحَها إذا خفقت راياتها بالمفاخر
فأكرم بلبنانٍ مَقرًّا لنابهٍ ومأوًى لمنكودٍ ومهدًى لحائر
ألا إنما لبنان فى الأرض عاهلٌ تبوَّأ عرشا من جليل المآثر
وزَحْلةُ فى لبنان تاجٌ لرأسه قد ازدان من أبنائها بالجواهر
وما هى إلّا روضةٌ أنبتت له أزاهيرَ من تلك الحسان الغرائر(٢)
أزحلةُ إنّى تارك فيك مُهجتى تعاطيك من بَعْدى محبةَ شاكر
فتشكرُك الشكر الذى أنت أهله طَوال الليالى خالدا فى الدفاتر
وفاء امرىء ما عوّد الغدرَ نفسَه ولا وُدَّ إلّا مُخلَصا فى الضمائر
ومن عجب أن الشويعر لامنى ببيروتَ لوم الشاتم المتجاسر
ومن كان مثلى شاعرا لا تسوءه مقاذعة جاءته من متشاعر(٣)
على أنّنى من عاذريه وإن يكن لى الحق فى عذرى له غير عاذر
وكم فى رُبَا لبنان من ذى فصاحة مُجيدٍ بيوم الحفل قَرْعَ المنابر
ومن أهل آداب كشارقة الضحى ومن أهل علم كالبحار الزواخر

---

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .
(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجربه شئون الحياة لنعمتها وحداثتها .
(٣) مقاذعة : مهاجاة ومسابة .

الفنون الجميـــلة



تأتيك ريشته بشعر صامت . . .

إن رُمتَ عيشا ناعما ورقيقاً   فاسلك إليه من الفنون طريقاً
واجعل حياتك غَضّة بالشعر والتَّـــمثيل   والتصوير والموسيقَى
تلك الفنون المشتهاة هى التى   غصنُ الحياة بها يكون وريقاً
وهى التى تجلو النفوس فتمتلى   منها الوجوه تلألؤا وبريقا
وهى التى بمذاقها ومشاقها   يمسى الغليظ من الطباع رقيقا

تمضى الحياة طرية فى ظلها   والعيش أخضر والزمان أنيقا
إن الذى جعل الحيـاة رواعدا   جعل الفنون من الحيـاة بُرُوقا
وأدرّها غيثَ اللذاذة منبتا   زهر المسرة سوسنا وشقيقا
وأقام منهـا للنفوس حوافزا   تدع الأسير من القلوب طليقا
فتحلّ عقـــدة من تراه معقّدا   وتفك رِبْقة من تراه رَبيقا
تلك الفنون فطر إلى سعة بهـا   إن كنت تشكو فى الحياة الضيقا
وإذا أردت من الزمان مضاحِكا   فتحسّ منها قرقفا ورحيقا
ما فاز قط بوصلها من عاشق   إلّا وكان لعـارفيه عشيقا
فهى ابتسامات الدُّنَى وبغيرها   ما كان وجه الحادثات طليقا

* * *

رطّب حياتك بالغناء إذا عرا   همٌّ يجفّف فى الحلوق الريقا
إن الغناء لمحدث لك نشوةً   فى النفس تطفىء فى حشاك حريقا
واترك مجادلة الذين توهموا   هَزَج الغناء خلاعةً وفسوقا
أفأنتَ أغلظُ مهجةً من نوقهم   فقد استحثُّوا بالحُداء النّوقا
أرقى الشعوب تمدنا وحضارةً   من كان منهم فى الفنون عريقا
وأحطُّهم من إن سمعت غناءهم   فمن الضفادع قد سمعت نقيقا
فالفن مقياس الحضارة عند من   حازوا الرقيّ ، وناطحوا العيُّوقا

* * *

الشعر فن لا تزال ضروبه   تتلو الشعور بألسن الموسيقى
ويجيد تقطير العواطف للورى   فتخاله لقـــلوبهم أنبيقا

* * *

ومسارح التمثيل أصغر فضلها   جعل الكليل من الشعور ذليقا[1]
وإذا رأى فيها الوقائع غافلٌ   من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : الذى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تنمى الحميد من الخصال وتنتقى ... ما كان منها بالفخار خليقا
وتجىء من عبر الزمان بمشهد ... يُلقى خشوعا فى النفوس عميقا
ويكون منظره الرهيب ممهِّداً ... لمشاهديه إلى الصلاح طريقا

* * *

أمّا المصوّر فهو فنّانٌ يرى ... ما كان من صور الحيـاة دقيقا
تأتيك ريشته بشعر صامت ... ولقد يفوق الشاعرَ المِنطيقا(١)
وبدائع التصوير من حسناتها ... أن يستفيد بهـا الشعور سموقا(٢)
فهى الجديرة أن تـكون ثمينةً ... وتكون أنفق من سواها سوقا(٣)
إن الحياة على الـكدورة لم تجد ... مثل الفنون لنفسها راووقا(٤)

الحياة الاجتماعية والتعاون

أنشدت فى حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال فى بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس فى حال اجتماع ... فتحدث بينهم طرق انتفاعِ
وتـكثر للتعاون والتفـادى ... على الأيام بينهم الدواعى
ولو ساروا على طرق انفراد ... لمـا كانوا سوى هَمَجٍ رَعاعِ(٥)
رأيت الناس كالبنيـان يسمو ... بأحجار تُسـيَّعُ بالسِّياع(٦)
فيمسك بعضه بعضا فيقوى ... ويمنع جانبيه من التداعى
كذاك الناس من عَجَم وعُرْب ... جميعـا بين مرعىّ وراعِ
قد اشتبكت مصالحهم فـكلٌّ ... لـكلٍّ فى مجال العيش ساع
ولولا سعى بعضهم لبعض ... لعاشوا عيش عادية السباع(٧)

(١) المنطيق : الفصيح . (٢) السموق : الارتفاع .
(٣) أنفق : أروج . (٤) الراووق : المصفاة .
(٥) الهمج والرعاع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .
(٦) تسيع بالسياع : أى تطلى بما يطلى به البناء بعد بنائه ، ليجمل شكله ومنظره .
(٧) عادية : أى مفترسة .

إذا رب الحسام ثناه عجزٌ تدارك عجزه رب اليراع
وإن قلم الأديب عراه زيغ تلافى زيغه سيف الشجاع
وإن صِفرت يدٌ من ريع زرع أعيد ثراؤها بيد صَناعِ[1]
بذاك قضى اجتماع الناس لمّا أن اعتصموا بحبل الإجتماع
يساند بعضهم فى العيش بعضا مساندة ارتفاق وانتفاع
فتعلو فى ديارهم المبانى وتخصب فى بلادهم المراعى
وتستعلِى الحياة بهم فتمسى من العيش الرغيد على يَفاعِ[2]
وما مدنيّة الأقوام إلّا تعاونهم على غُرّ المساعى
ولم يصلَح فساد الناس إلّا بمال من مكاسبهم مُشاع
تشاد به الملاجىء لليتامى وتُمتار المطاعم للجياع
وتُبنى للعلوم به مبانٍ تفيض العلم مؤتلق الشعاع
وإلّا فالشقاء لهم حليف وما حمل الشقاء بمستطاع
وممّا سرّنى أنى أناجى رجالًا فى الفخار ذوى ابتداع
سعوا لحماية الأطفال منًّا بما أوتوه من كرم الطباع
فقاموا بالذى يُعلِى ويُسلِى يصونون الضعاف من الضياع
وما هذى الحياة سوى صِراع يتم بفوز مفتول الذراع
وما سادت شعوب الخلق إلّا بتهيئة البنين لذا الصراع
إذا لم يُعنَ بالأطفال قوم فهضْبة مجدهم رهن انصداع[3]
ولا تزكو المَناشىء فى أناس يرون الطفل من سَقَط المتاع[4]
وما هاج العواطف فى فؤاد كحال الطفل فى زمن الرضاع
فشكراً للكرام وكل شكر لمن عضدوا الكرام بمدّ باع[5]

(١) صفرت : أى صارت صفرا خالية . وريع الزرع : يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه . واليد الصناع : الماهرة ، وهى ضد اليد الخرقاء ، وهى التى لا تحسن عملا .
(٢) اليفاع : المرتفع . (٣) انصداع : تشقق وتكسر .
(٤) سقط المتاع: أردأ وأرخص ما فى البيت من متاع وأدوات كالمكنسة والكور ونحوها.
(٥) عضده يعضده، بضم الضاد فى المضارع: قوى عضده وشد أزره يريد عاونوا بمد أيديهم بالمال

فى سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه فخرى البارودى وهو إذ ذاك ببيروت ، يخبره بأنه ألف فى دمشق شركة للمنسوجات الوطنية ، ويطلب إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها والانضمام إليها ، فكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه فى دمشق

من كان فى المجد المؤثَّل راغبا ... فَلْيطَّلِبْه بهمَّة البارودى
فخرى الذى ابتكَرَ المفاخر واغتدى ... منهنَّ مفخراً بكل جديد
وأبى سوى غُرِّ المساعى إذ سعى ... متشبِّثا منها بكل مفيد[1]
وبنى له بدمشق مجداً طارقا ... من بعد مجد فى دمشق تليد[2]
إن كان محمود الفعال فإنه ... ورث المكارم عن أبٍ محمود
نفع البلاد بماله وبسعيه ... وبحسن رأى فى الأمور سديد
ورأى الشَّتات بها فقام موحداً ... فيها المساعىَ أيَّما توحيد
ودعا الرجال بها فألَّف شِرْكةً ... ترمى إلى غرض أغرَّ حميد[3]
تغني البلاد بسعيها عن غيرها ... وتعيد عهد ثرائها المفقود
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها ... من نسج أردية لهم وبُرود
حتى تكون عن الأجانب فى غِنًى ... وتعيش غير أسيرة التقليد
أوَ ما ترى أهل البلاد تقيَّدوا ... للغرب من حاجاتهم بقيود
الغربُ يكسوهم ملابس هم بها ... يعرَوْن من مال لهم ونقود
وتراه يَسلَخهم بمصنوعاته ... سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتدى ... ببضائعٍ لم تحصَ بالتعديد
فكأنما هى لامتصاص دمائنا ... بعض المحاجم أو كبعض الدود[4]

(١) غر المساعى : جمع أغر ، وهو الذى فى وجهه بياض .
(٢) الطارف والطرف : المكتسب الحديث . والتالد والتليد : الموروث القديم .
(٣) الشتات : التفرق .
(٤) المحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق الأسود ، يستعمل كالمحجم لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا ... ونذلّل القربى لعزّ بعيد
و بجانب الوطنىّ من أشيائنا ... ولو انّه من أحسن الموجود
إن البلاد لتشتكى من أهلها ... وتقول فى قول الرازح المجهود(١)
يا سادة الأوطان لستم سادةً ... ما عشتمُ من فقركم كعبيد
أفسيّدٌ من عاش وهو لغيره ... فى حاجة بل ذاك عيش مَسود
إن السيادة تستدير مع الغنى ... فى حالتى عَدَم له ووجود(٢)
لا يستقلُّ بسيفه الشعبُ الذى ... لا يستقلُّ بنقـده المنقود(٣)
من كان محلول العُرى فى ماله ... وجب انحلال لوائه المعقود
يا قومنا أنتم كغارس كَرْمةٍ ... وسواه منها قاطف العنقود
كم تزرعون بأرضكم ولغيركم ... ممّا زرعتم حَبُّ كل حَصِيد
فتبصّروا يا قوم فى أحوالكم ... وتنبّهوا من غفلةٍ ورقود
من شاء منكم أن يُعِزّ بلادهُ ... فليسعَ سعى مُعِزّها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا ... قد أقيمت للطالبين منارا
هى دار ينتابها وُلد قوم ... جعلوا العلم للحياة مدارا
نحن قوم نرى المفاخر إلا ... من طريق العلوم ثوب معارا
ما قصدنا بسلّنا السيف إلّا ... ردّ ليل الجهل المميت نهارا
هل شددنا الرحال فى الأرض للأسـ ... ـفار إلّا لنكتب الأسفارا(٤)

(١) الرازح المجهود : هو الذى لحقه الاعياء من حمل ثقيل .

(٢) يريد أن المرء لايوصف بأنه سيد إلاإذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : «استغن عمن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره» .

(٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .

(٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين وسكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طوينا من قبلُ فى طلب العلـ ... ـم فِجاجا وكم شققنا بحارا
واقتحمنا لأجله كل هولٍ ... وركبنا لأجله الأخطارا
ولقد هانت النوائب فيه ... إذ لبسنا الصبر الجميل شِعارا
إنما تصغر الخطوب لدى القو ... م إذا كانت النفوس كبارا
سَلْ بنا العلم والفنون جميعا ... هل ملكنا بغيرها الأقطارا(١)
سل بنا العدل فى جميع الرعايا ... هل عَمرنا بغيره الأمصارا
سل بنا الغُرَّ من كبار المساعى ... هل طلبنا بغيرهنَّ فخارا
سل بنا هذه الدماء الدوامى ... هل غسلنا بغيرهنَّ العارا
سل بنا هذه النجوم الدرارى ... هل رضينا تحت النجوم قرارا
كم رفعنا للعلم فى الأرض بُرجًا ... وبنينا له كغُمدان دارا
لا يكن منك فى الذى قلت شكٌّ ... وإذا شئت فانظر الآثارا
يعلم الله ذو الجلالة أنَّا ... لسوى الله ما رجونا وقارا
إنما هذه المدارس رَوض ... يُنبت المجد والعلى والفخارا
تتغذى بها النفوس غذاءً ... هو يُنمى العقول والأفكارا
جلَّ فعلا إكسيرها المتعالى ... كيف يجلو القلوب والأبصارا
يدخل الناشئون فيها من النا ... س نُحاسا ويخرجون نضارا
رب نفس كدرهم قد جلاها الـ ... ـعلم حتى أعادها دينارا
نضرت هذه المدارس روضا ... من بنى القوم مُنبتا أزهارا
تمنح العاجز الضعيف اقتدارا ... مُوشِكا أن يغالب الأقدارا
كانت الناس فى القديم عبيدا ... وبها اليوم أصبحوا أحرارا
فعليكم فيها بتحصيل علم ... يُرغِد العيش ، يُسعِد الأعمارا

---

(١) سل بنا : سل عنا . وفى الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيراً » .

المدارس ونهجها

أنشدت فى حفلة وضع الحجر الأساسى لبناية مدرسة التفيض الأهلية التى أقيمت عصر ١٨ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا ... حتى نطاولَ فى بنيانها زُحَلا
جودوا عليها بما درَّت مكاسبُكم ... وقابلوا باحتقار كل من بخِلا
إن كان للجهل فى أحوالنا عِلَلٌ ... فالعلم كالطب يشفى تلكمُ العِلَلا
سيروا إلى العلم فيها سير معتزمٍ ... ثم اركبوا الليل فى تحصيله جَمَلا
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم ... بل علِّموا النشء علما يُنتج العَمَلا[1]
هذى مدارسكم شَرْوَى مزارعكم ... فأنبتوا فى ثراها ما علا وغلا[2]
لا تتركوا الشوك ينمو فى منابتها ... أعنى بذلكمُ الأهواءَ والنِّحَلا
وأسِّسُوها على الأعمال قائمة ... ممهدين إلى المحيا بها سُبُلا
يلقَى بها النشء للأعمال مختبَرا ... وللطباع من الأدران مُغْتَسلا
وأمطروا روضها علما ومقدرة ... حتى تفتح من أزهارها الأمَلا
فتنبت العالم الفنَّان مخترعا ... وتنبت الفارس المِغوار والبَطَلا
وتنبت الحارث الفلَّاح مزدرعا ... وتنبت المِدرةَ المِنْطيق مرتجلا
واسقوا المتلمذ فيها خمر مكرمةٍ ... عن خمرة الكَرْم تمسى عنده بدلا
حتى إذا ما غدا خِرِّيجُها طَرِبا ... من عزَّة النفس خِيلَ الشاربَ الثَّمِلا
ربُّوا البنين مع التعليم تربيةً ... يمسى بها ناطق الأخلاق مكتملا
وثقفوهم بتدريبٍ وتبصرةٍ ... ثقافة تجعل المعوَجَّ معتدلا

---

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولى النظرى ، بل وجهوا عنايتكم إلى الشئون العملية ، كالعلوم التطبيقية التى تفيد فى ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فصـــــل معاقبة ... إنَّ العقاب إذا كرَّرته قتلا
إن العقابَ يزيد النفس شرَّتها ... وليس ينكر هذا غير من جهلا
بل أنشئوا ناشىء الأحداث وهو على ... حبِّ الفضيلة فى محياه قد جبلا
بحيث يمسى إذا شانته شائنة ... من فعله احمرَّ منها وجهه خَجَلا
من يترُكِ الشرَّ خوفا من معاقبة ... فليس يُحْسَبُ ذا فضل و إن فَضَلا
فجيشوا جيش علم من شبيبتنا ... عَرَمْرَما تضرب الدنيا به المثلا
إن قام للحرثِ ردَّ الأرض مُمْرِعة ... أو قام للحرب دكَّ السهلَ والجبلا
وإن غزا مستظلًّا ظل رايته ... هزَّ البلاد وأحيا الأعصر الأوَلا
إنَّا لمن أمة فى عهـد نهضتها ... بالعلم والسيف قبلا أنشأت دُوَلا
هذا هو العـلم لا ما تدأبون له ... مما تـكون به عُقباكُمُ الفشَلا
ماذا تقولون فى تقدى مذاهبَـكم ... وقد كُفيتكم التفصيل والجمـلا
وأى نفع لمن يأتى مدارسكم ... إن كان يخرج منها مثلما دَخلا !
فأجمعوا الرأىَ فيما تعملون به ... ثم اعملوا بنشاط ينـكر الملَلا
ثم انهجوا فى بلاد العُرب أجمعها ... نَهْجا على وحدة التعليم مشتملا
حتى إذا ما انتدبنا العُربَ قاطبة ... كنا كأنا انتدبنا واحدا رجلا

العلم والإجازة(*) فيه

إن من حاز فى العلوم إجازهْ ... لجدير برتبـــــة ممتازهْ
وخليق بعيشـــــة مرتضاةٍ ... وافتخار بفضل ما قد حازهْ

(*) الاجازة : هى الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحو أهلا لذلك ، وكان الطلاب يعتزون بشهادة أستاذيهم لهم ، ويذكرونها فى تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صَـك بيـد المرء ضامنٌ إعزازه
وهى تعويذة له من عيون بالمساوى همَّازة غمَّازه
فهنيئا لمن أجيز وشكراً للذى فى علومه قد أجازه

* * *

معهدُ العلم وهو حِرْزٌ يفوق ال أبلقَ الفردَ مَنْعةً وحَرازه (١)
تلجأ الناس فى الحياة إليـه هَرَبا من جهالةٍ وَخَزازه
حبذا العلمُ يَكسبُ المرءَ عِزًّا ويقيه فى عيشه إعوازه
فى نفوس الذين لم يُرزَقوه حسَراتٌ وفى القلوب حَزازه
إنما العلم من معاجز عيسى كم جهول أحياه وهو جنازه
صاحب العلم يركب المجد طِرفا جاعلًا غاية العُلى مِهمازه (٢)
ويهزّ الدنيا رجاء وخوفا بيدٍ من درايةٍ هزّازه
نحن سَفْرٌ وما الرواحل والزا دُ سوى العلم والحياة مَفازه (٣)
كل من لم يُعدّه لاجتياز لم تيسِّر يد النجاح إجتيازه
إن عقل الفتى ليصبح بالعلم رزينا بكف من قد رازه (٤)
والطباع العرجاء فى كل شخص تقتضى من ثقافة عُكّازه
ألغز الدهر فى الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازهْ
وإذا الأمر قد غشته الغواشى ضمن العلم للورى إبرازه

* * *

كان للعلم فى القديم طريق غير رحب يشُقُّ أن نجتازه

---

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسموءل بن عادياء اليهودى بأرض تيماء من بلاد العرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره يعز على من رامه ويطول

(٢) الطرف : الحصان الكريم ، والمهماز مايحث به الفرس على السير .
(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .
(٤) رازه : اختبره بيده ليعرف ثقله .

فجرى اليوم فى طريق جـديد   جُعِل الشك واليقينُ طِرازَه
هو صيدٌ ولم يَعُد يجعل المصـــطادُ منـه غير التجاريب بازَه[١]
قد عرفنا حقيقة القول فيـه   وتركنا للغافلين مجازه[٢]
وبحثنا عن جوهر الحق فيه   فبلغنا دفينـــه ورِكازه[٣]
بَلْهَ إطنابَ شرحه بقياس   إنّ فى تجرباته إيجـــازه[٤]
هو فى الناس قدره متعالٍ   لم يَطُل صَرْحُ إيفلٍ أنشـازَه[٥]
وإذا الملك لم يؤيده عـلمٌ   فارتقب سلبه ورج ابتزازه[٦]
وإذا العلم فاه يوما بوعد   ذهب اليأس آملًا إنجازه[٧]
وإذا أنشطَ الجبان لحرب   صال يرغو حماسةً وحمازه
قلم المرء فى بلوغ المعالى   فائق فى وغى الحروب جُرازه[٨]
صاحب العلم فى الأمور أمير   قد غـدا كل حادث جِلوازه[٩]
يبصر الخطب من هواديه حتى   يلتهى فيـه مبصراً أعجازه[١٠]
فلهـذا ، نعم لهـذا أهنّى   كل من حاز فى العلوم إجازه

---

(١) شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبازى ، وهو الصقر الذى يستعان به على الصيد .
(٢) يقول : استمنا فى عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة ، واستغنينا بهـا عن الشرح الطويل ، والقياس المنطق النظرى .
(٣) الركاز : المعادن المدفونة فى الأرض .
(٤) يقول : فى عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .
(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً فى فرنسا ، والأنشاز جمع نشز ، وهو كل شىء مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرفه عال جداً لايساميه برج إيفل علوا .
(٦) يقول : إن الملك الذى لايقوم على دعائم العلم لايلبث أن يضيع ويسلب .
(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلا بد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلا أو بعيداً .
(٨) الجراز : السيف .   (٩) الجلواز : يعنى الشرطى .
(١٠) هواديه : أوائله ومقدماته

العلم

إلى شبان الكلية الانكليزية فى القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه   إلا بعلم يَجِدّ فى طلبه
فأوِ إلى ظلّه تعش رغِداً   عيشاً أميناً من سوء منقَلَبه
واتعب له تسترح به أبداً   فراحة المرء من جَنَى تعبه
ولذة العلم من تذوّقها   أضرب عن شَهْدِه وعن ضَرَبه
وإن للعلم فى العلى فلكاً   كل المعالى تدور فى قُطُبه
فاسعَ إليه بعزم ذى جلدٍ   مصمِّم الرأى غير مضطربه
وأبذل له ما ملكت من نشَب   فالعِلْم أبقى للمرء من نشبه
لا تتكل بعده على نسب   فالعِلْمُ يغنى النسيب عن نسبه
واطّرح المجد غير طارفه   واجتنب الفخر غير مكتَسبه
ما أبعد الخير عن فتى كسل   يسرح فى لهوه وفى لعبه
كم رفع العلم بيت ذى ضَعةٍ   فقصّر الناس عن مدى حسبه
حتّى تمنَّى أعلى الكواكب لو   يحلّ بيتا يكون فى صَقَبه
وودّت الشمس فى أشعتها   لو كنّ يُحسبن من قوى طُنُبه[1]
وإن يسُد جاهل فسؤدُدُه   بعد قليل يفضى إلى عطبه
يرى امرؤ مجدَ جاهل عجبا   لو صحّ عقلا لكفَّ عن عجبه
كم كذب الدهر فى فعائله   وسؤدد الجاهلين من كذبه
العلم فيض تحيا القلوب به   فامتح بسَجل الحياة من قُلُبه[2]
كل فخار أسبابه انقطعت   إلا فخاراً يكون من سببه
للعلم وجهٌ بالحسن منتقِب   وسافرٌ منه مثل متقبه

(١) الطنب : حبل تشد به الخيمة .
(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قليب ، وهى البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة   إن لم يؤيَّد بالحسن من أدبه
ما أقدر العلْم إن صيحته   يعن منها الخميس في هربه[1]
من تخذ العلم عُـدة لوغًى   أغناه عن درعه وعن يَلَبه[2]
فانتدب العلْم للخطوب فما   خاب لعمرى رجاء منتدبه
العـلم كالنور بل أفضِّله   ما أفقر النور أن يشـبَّه به
سقيًا ورعيًا لروض معهده   وطالبيه وقارئى كتبه
ما النـاس إلا رُوَّاد نجعته   وناشروه وكاشفو حُجُبه
ومن غدا هاديًا بعلمه   وراح يشفى الجهول من وَصَبه
ومعهد أسست قواعده   فى بلد شـفَّنى هوى عربه
شيده للعلوم مدرّسه   من كان نشر العلوم من دأبه
قد غرَّد المجد فى جوانبه   فاهتزَّ عِطف الفخار من طربه[3]
وأصبح العلم فيـه مزدهرًا   بكل ذاكى الذكاء ملتهبه
بمثله فى البلاد قاطبـةً   يشفى عَقور الزمان من كَلَبه[4]
أضحت فلسطين منه مُمْرعة   مذ جادها بالغزير من سُحُبه[5]
تاهت به إيليـاء فاخرةً   على دمشق الشآم أو حَلَبه
شكرا لبانيه ما أقام به   شبانه القاطنون فى قُبَبه

(١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة. يعن: يبالغ.

(٢) عدة الحرب أداتها ، واليلب : الترسة أو الدروع من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة .

(٣) العطف : الجانب .

(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلكه

(٥) المرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود الغزير .

دار الأيتام

أو مدرسة شنلّر فى القدس

لدار شنلّر فى القدس فضلٌ ... به تَنْسى تَيتُّمها اليتامَى
ويحمده من الفقراء طفلٌ ... يذمّ لفقد والده الحِماما
بها يجد اليتيم له مُقامًا ... إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمّه أمًّا عطوفا ... عليه وعن أبيه أبًا هماما
تميت نهارها فيه ليحيا ... وتحيي الليل فيه لكى يناما
فتُشْرِب نفسه حبَّ المعالى ... وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فجعوا بيُتم ... صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما(١)
ويدخلها يتيم القوم طفلًا ... فتخرجه لهم يَفَعا غلاما
عليمًا بالحياة يسير فيها ... على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارتداها ... وشد عليه من حَزْم حِزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا ... وأستسقى لساكنها الغَماما
وأشكر فضلها والشكر عجز ... إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار شنلّر لا زلت مأوًى ... لأبناء الآرامل والأيامَي
أثابكِ مالك الملكوت عنهم ... مَثُوبة كل من صلّى وصاما
ضَمِنتِ لهم رغيد العيش حتى ... أخذتِ على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم ... فكنت لهم مِن الدهر انتقاما
إذا ما أَبكت الدنيا يتيما ... أعدتِ بكاءه منه ابتساما
لقد هوّنت رزء اليتم حتى ... غفرنا للزمان بك الأثاما

---

(١) رئمت الأمّ ولدها : شمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَغْنـــاك راء   يودّ بأن يكون من اليتامى
ليمكث فيك مغتبطا سعيدا   ويكسب عندك الشرف الجساما[١]
ويعلم كيف يدَّرع المعـــالى   ويعرف كيف يبتدر المراما
وما فقـد المسيحَ الناسُ لمَّا   أعدتِ لهم خلائقه الكراما
فنُبتِ عن المسيحَ وقمت حتى   لقد شكر المسيح لك القياما
ولا عجب فقد جدَّدتِ منـه   عواطف كان عم بها الأناما
شمخت على رُبَا القدس اعتلاء   فكنت لهن من شرف وساما
ولحت بأفقها بدراً منيراً   جلا من ليل أبؤسها الظلاما
ألا إن النجوم بشعريها   لَتحسُد من مَرابِعك الرَّغاما[٢]
هززتِ الطور فهو يكاد يمشى   إليك على تقدّسه احتراما
وجاذبت الكرامة خير قبر   به دفن المسـيح ومنـه قاما
تُباهى القدس مكة فيك حتَّى   تفاخر فيك مَشعرها الحراما
فلا برحت رُبوعُك عامراتٍ   نَسلٌ على الشقاء بها حُساما

الفقر والسقام(*)

أَىّ مضنى يمدّها باكتئاب   أنةً تترك الحشا فى التهاب
يتشكَّى والليل وحف الإهاب   ضمن بيت جثا على الأعقاب[٣]
صَفَعتْه فـال كفُّ الخرابِ[٤]
تسمع الأُذْن منه صوتا حزينا   راجعا فى حشا الظلام كمينا

---

(١) الشرف الجسام : الجسيم .
(٢) الشعريان : الشعرى العبور ، والغميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .
(*) من الجزء الأول .
(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف شدة ظلام الليل . جثا على الأعقاب : يريد أنه قارب أن يتهدم .
(٤) كف : فاعل صفعت .

يملأ الليل بالدعاء أنينا   ربِّ كن لى على الحياة معينا
ربِّ إن الحياة أصـــل عذابى
وجَعٌ فى مفاصلى دقَّ عظمى   ودهانى ولم يَرِقَّ لعُدمى[١]
عاقنى عن تكسُّبى قوتَ يومى   ربِّ فارحم فقرى بصحة جسمى
إن فقرى أشـــد من أوصابى[٢]
يا طبيبا وأين منّى الطبيبُ   حال دون الطبيب فقر عصيبُ[٣]
لا أصاب الفقيرَ داءٌ مصيب   إن سقم الفقير شىءٌ عجيب
بطلت فيـــه حكمة الأسباب

* * *

رجلٌ معسر يسمَّى بشيرا   كان يسعى طول النهار أجيرا
كاسباً قوته زهيـداً يسيراً   مالـكاً فى المعاش قلباً شكورا
راجياً فى المعـاد حسن المـآب[٤]
عالَ أختاً حكتهُ خلقاً نزيها   عانساً جاوز الزواجُ سنيهـا[٥]
لزمت بيت أمهـا وأبيهـا   معْ أخيها تعيش عند أخيها
مثـــله فى الطعام أو فى الشراب
كلَّ يوم له ذهاب ومَأْتَى   فى معاش من كدِّه يتأتى[٦]
هكذا دأبه مَصيفاً ومشتى   فاعــتراه داء المفاصل حتى
عاقـه عن تعيُّشٍ واكتساب
بينما كان فى قواه صحيحًا   ساعياً فى ارتزاقه مستميحًا[٧]

---

(١) العدم : الفقر .
(٢) الأوصاب : الأمراض .   (٣) عصيب : شديد .
(٤) أى أن ذلك المضى الذى مر ذكره فى أول القصيدة هو رجل معسر الخ .
(٥) عال أختا : كفلها وكفاها معاشها . العـانس : هى التى طال مكثها فى بيت أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج .
(٦) يتأتى : يتهيأ .   (٧) مستميحاً : طالبا .

إذ عراه الضَّنَى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا[١]
جسمه من سقامه فى اضطراب

بات يبكى إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نَشَاوى[٢]
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطراتٍ من عينه تتهاوى
كشهاب ينقضُّ إثر شهاب[٣]

إن سقماً به وعُقماً ألمَّا تركاه يذوب يوماً فيوما
فهو حيناً يشكو إلى السقم عُدْما وهو يشكو حينا إلى العدم سقما
باكيًا من كليهما بانتحـــاب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزا إذ تعزِّيه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عزِّ صبرىَ عزَّا إن للداء فى المفاصل وخزا[٤]
مثل طعن القنا ووخز الحراب[٥]

قد تمادى به السقام وطالا وترآءى له الشفاء محالا
إذ قلاباً به السقام استحالا كان هَينا فصار داء عضالا[٦]
ناشبا فى الفؤاد كالنُّشاب[٧]

* * *

ظلَّ ملقًى وأعوزته المطاعم موثقا من سقامهِ بالأداهم[٨]
منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب

(١) الطليح : المهزول . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .
(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .
(٤) الوخز : الطعن غير النافذ برمح أو إبرة أو غير ذلك .
(٥) القنا : جمع قناة ، وهى الرمح .
(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .
(٧) ناشبا عالقا .
(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقا : مقيدا . الأداهم : القيود .

قال والأختَ أخبرته بأن قدْ   كَرَبت عنـدها الدراهم تنفَدْ[١]
أخبرى السقم علَّهُ يتبعـــــد   أيها السُّقم خلِّ عيشى المنـكَّد
لا تعُقنى فى عيشتى عن طلابى

مرِّضينى شـقيقتى مرِّضينى   وعلى الـكسب فى غدٍ حرضينى
وإذا مسّك الطَّوَى فارفضينى   أو على الناس للمبيع اعرضينى[٢]
علّهم يشـــــترونى ممَّا بى

رام خبزا والجوع أذكى الأُوارا   فى حشاه فعلَّلَتْهُ انتظارا
ثم جاءت بالمـاء تُبدى اعتذارا   وهل المـاء وهو يطفىء نارا
يطفىء الجوع ذاكيا فى التهاب

خرجتْ فاطمٌ إلى جارتيها   وهى تُذْرِى الدموعَ من مقلتيها
فأبانت برقَّةٍ حالتيهـــــا   من سَقام ومن سُعار لديها[٣]
وشكت بعدَ ذا خلو الوِطاب[٤]

فانثنت وهى بين ذل وعزّ   تحمل التمر فى يد فوق خبز[٥]
وبأخرى سمناً وبعض أرُزِّ   منحوها به وذو العرش يجزى
من أعان الفقير حسن الثواب

* * *

ليـلةٌ تنشر العواصفُ ذُعرا   فى دجاها حيث السحاب اكفهرا[٦]
ذا هزيمٍ يمجُّ فى الأذن وَقْرا   حين تبدى صوالج البرق تتْرى[٧]
كهرَبائيةً سرت فى السحاب

---

(١) كرت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السعار : بضم السين : شدة الجوع .
(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهوسقاء اللبن من الجلد ، وخلوالوطاب كناية عن الفقر والحاجة
(٥) انثنت : رجعت   (٦) ذعرا : خوفا . اكفهر : تراكم واشتدت ظلمته .
(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقى . الوقر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ما تضرب به الأكرة . وصوالج البرق : هى الرياح التى تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذى يولد البرق ، فان كان الاحتكاك أعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذاك المريض الأكفا   فى فِراش به على الموت أوفى[1]
طرفها كالسُّها يَبين ويَخفى   حيث يُغضِى طرفًا ويفتح طرفا[2]
عاجزاً عن تكلمْ وخطاب
فدعته والعين تُذْرِى الدموعا   أخته وهى قلبها قد ريعا
يا أخى أنت ساكن أفَجوعا   ساكتٌ أنت يا أخى أم هُجُوعا[3]
فاشفنى يا أخى برجع الجواب
فرأت منه أنه لا يجيب   فتدانت والدمع منها صبيب
ثم أصغت وفى الفؤاد وجيبُ   ثم هابت والموت شىء مَهيبُ[4]
ثم قامت بخشية وارتياب
خرجت فاطمٌ من البيت ليلا   حيث أرخى الظلام سِدلًا فسِدْلا[5]
وهى تبكى والغيث يهطُل هَطْلا   مثل دمع من مقلتيها استهلا
أو كماء جرى من الميزاب
ربِّ أدرك باللطف منك شقيقى   وامنع الغيث ربِّ عن تعويقى
ومُرِ البرق أن يضىء طريقى   ببريق يبديه إثرَ بريق
فعسى أهتدى به فى ذهابى
قرعت فى الظلام باب الجارِ   وهى تبكى الأسى بدمع جار
ثم نادت برقة وانكسار   أمَّ سلمى ألا بحق الجوار
فافتحى إننى أنا فى الباب
فأتتها سُعْدى وقد عرفتها   وعن الخطب فى الدجى سألتها[6]

(١) أوفى : أشرف .
(٢) السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يغضى : يغمض .
(٣) الهمزة للاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من ساكت . وأصل العبارة : أأنت ساكت جوعا أم ساكت هجوعا ، أى نوما .
(٤) الوجيب : الخفقان والرجفان .   (٥) السدل : الستر .
(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أعلمتها   تقتفيها وبنتها تبعتهــا
فتخطّين فى الدجى بانسياب[١]

جئن والسُّحْب أقامت عن حياها   وكذاك الرعود قلَّ رُغاها[٢]
حيث يأتى شبهَ الأنين صداها   غير أن البروق كان ضياها
مُومِضاً فى السماء بين الرَّباب[٣]

فدخلن المحـلَّ وهو مخيف   حيث إن السُّكوت فيه كثيف[٤]
وضياء السراج نزر ضعيف   وبه فى الفراش شخص نحيف
دب منـه الحِمام فى الأعصاب[٥]

قالت الأُخت أمَّ سلمى انظريه   ثـكِلت روح أمه وأبيه[٦]
فرأت منه إذ دنت نحو فيـه   نفَساً مبطئَ التردد فيه
ثم قد غاله الردَى باقتضاب[٧]

وجَمت حيرة وبعد قليل   رمقت فاطماً بطرف كليل[٨]
فيه حَمْلٌ على العزاء الجميل   فعلا صـــوت فاطم بالعويل
وبكت طول ليلهـا بانتحاب

فاستمرت حتى الصباح تُوالى   زفراتٍ بنارهـا القلبُ صالِ[٩]
فأتاهـا ودمعها فى انهمال   بعضُ جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذاك الجَناب[١٠]

وقفوا موقفاً به الفقر ألقى   منه ثِقْلاً به المعيشـة تشقى

---

(١) الانسياب : الاسراع فى المشى .   (٢) الحيا : المطر . الرغاء : صوت الرعد .
(٣) الرباب بفتح الراء : السحاب الأبيض الذى أراق ماءه .
(٤) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .
(٥) الحمام : الموت .   (٦) ثـكلته أمه : فقدته .
(٧) غاله : أهلكه . الاقتضاب . الاقتطاع والانتزاع .
(٨) وجمت : سكتت من كثرة الهم والحزن .   (٩) صال : محترق .
(١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردها : صعلوك . الجناب : هو المكان القريب من محلة القوم .

فرأوا دمع فاطم ليس يرقا وأخوها ميْت على الأرض مُلقى[١]
مُـدرَجٌ في رثائث الأثواب[٢]
فغـدت فاطم ترَنّ رَنينا ببكاء أبكت به الواقفينا
ثم قالت لهم مقالًا حزينا أيهـا الواقفون هل ترحمونا
من مُصاب دها وأىّ مصاب
أيها الواقفون لا تهمـلوه دونـكم أدمعى بهـا فاغسلوه
ثم بالثوب ضافياً كفنوه وادفنوه لـكن بقلبى ادفنوه
لا تواروا جبينـه بالتراب
بعد أن ظلّ لافتقاد المـال وهو مُلقًى إلى أوان الزوال
جاد شخص عليه بعد سؤال بريالٍ وزاد نصفَ ريال
رجـلٌ حاضر من الأنجاب[٣]
كفّنوه من بعد ما تمّ غُسْلا وتمشّوا به إلى القبر حملا
فترى نعشُهُ غـداة استقلّا نعش من كان فى الحياة مُقِلّا[٤]
دون سِـتر مكسّر الأجناب
ناحت الأخت حين سار وصاحت أختك اليوم لو قضت لاستراحت
ثم سارت مدهوشةً ثم طاحت ثم قامت ترنو له ثم راحت[٥]
تسكب الدمع أيما تسكاب
أيها الحاملوه لا مشىَ رَكْضِ إن هـذا يوم الفراق المحضِ[٦]
فاسألوه عن قصده أين يمضى إنه قد قضى ولم يكُ يقضى
واجبات الصبا وشَرْخ الشباب[٧]

---

(١) ليس يرقا : لا يجف . وأصله : يرقأ بالهمز ، نخفف .
(٢) مدرج : مكفن . رثائث الاثواب : البالى منها .
(٣) الأنجاب : جمع نجيب ، وهو السخى الـكريم .
(٤) استقل : ارتفع . مقلا : فقيرا .
(٥) طاحت : سقطت .
(٦) المحض : الموجع المؤلم .
(٧) شرخ الشباب : أوله .

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساه شظايا[١]
قاتل الله يا بن أمي المنايا أنا من قبلُ مذ حسبت الرزايا
لم يكن زرء مونكم فى حسابى

إن ليلى وليس من راقديه كلما جاءنى وذكّرنيـــه[٢]
قلت والدمع قائلٌ لىَ إيهِ يا فقيدا أعاتب الموت فيـه[٣]
ببكائى وهل يفيد عتابى

* * *

رحت يوماً وقد مضت سنتان أتمشّى « بشارع المَيْدان »
مشىَ حيرانَ خطوه متدانِ أثقلتهُ الحيـــاة بالأحزان[٤]
وسقته كأساً كطعم الصاب[٥]

بينما كنت هكذا أتمشى عرضتْ نظرةَ فأبصرت نعشا
بادياً للعيون غـــير مغشَّى نَقَش الفقْر فيه للحزن نقْشا
فبدا لوح أبؤسٍ واكتئاب

قلت سرًّا والنعش يقرب منى أيها النعش أنت أنعشت حزنى
للأسى فيك حالة ناسبتنى إن بدا اليوم فيك حزن فإنى
أنا للحزن دائما ذو انتساب

رحت أسعى وراءه مذ تعدَّى مسرعاً فى خطاىَ لم آل جهدا[٦]
مع رجال كأنجم النعش عدا هم به سائرون سيرا مُجدا[٧]
فتراه يمر مرَّ السحاب

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساه : من حزنه . شظايا : قطعا ، وهى جمع شظية ، وتطلق على كل فلقة من شىء .
(٢) راقديه . النائمين فيه .
(٣) إيه . كلمة يطلب بها استزادة الحديث .
(٤) متدان : متقارب .
(٥) الصاب : شجر مر .
(٦) تعدى : تجاوز
(٧) أى عدد حاملى النعش كعدد أنجم بنات نعش ، وهى سبعة.

مذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا   قلت والدمع بلَّ مِنّى رُدْنا[١]
إن هذا هو الذى قد وعدنا   فأبينوا من الذى قد لحدنا
فتصدَّى منهم فتى للجوابِ

قال إن الدفين أخت بشير   أخت ذاك المسكين ذاك الفقيرِ
بقيت بعدهُ بعيشٍ عسير   و طرفٍ باكٍ وقلبٍ كسيرِ
وقضت مثله بداء القُلاب

قلت أَقصر عن الكلام لحسبى   منك هـذا فقد تزلزل قلبى
ثم ناجيت والضراعة ثوبى   ربِّ رحماك ربِّ رحماك ربى[٢]
ربِّ رشداً إلى طريق الصواب

ربِّ إن العباد أضعف أن لا   يجدوا منك ربِّ عفواً وفضلا
فاعفُ عن أخذهم و إن كان عدلا   أنت يا ربِّ أنت بالعفو أولى
منك بالأخذ والجزا والعقاب

قد وردنا والأرض للعيش حوض   واحدٌ كلنا لنا فيه خوض
فلماذا به مشوبٌ ومحض   عظمت حكمة الإله فبعض[٣]
فى نعيم و بعضنا فى عذاب

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم   نعم الله حيث ما إن رحمتم
سهر البائسون جوعاً ونمتم   بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوَّعٍ وشراب

كم بذلتم أموالكم فى الملاهى   وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الإله   أيها الموسرون بعضَ انتباه
أفتدرون أنكم فى تَباب[٤]

---

(١) الردن بضم الراء : أصل الكم .
(٢) الضراعة ثوبى : أى وأنا لابس ثوب الضراعة .
(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الكدورة .
(٤) التباب : الخسران .

تنبـــيه النيام(*)

أما آن أن يغشى البلاد سعودها ... ويذهب هذى النيام هجودُها
متى يتأتَّى فى القلوب انتباهها ... فينجابَ عنها رَيْنها وجمودُها(١)
أما أسدٌ يحمى البلادَ غضنفرٌ ... فقد عاث فيهـا بالمظالم سِيدُها(٢)
برئت إلى الأحرار من شرّ أمّة ... أسـيرة حكّام ثقال قيودها
سقى الله أرضاً أمحلت من أمانها ... وقد كان رُوَّاد الأمان ترودها(٣)
جرى الجور منها فى بلاد وسيعةٍ ... فضاقت على الأحرار ذرعا حدودها

* * *

عجبتُ لقوم يخضعون لدولةٍ ... يسوسهمْ بالموبقات عميدُها
وأَعجب من ذا أنهم يرهبونهـا ... وأموالها منهم ومنهم جنودها
إذا وُلّيتْ أمرَ العبـاد طغاتها ... وساد على القوم السراة مَسودُها
وأصبح حرُّ النفس فى كل وجهة ... يُردّ مهاناً عن سبيلٍ يريدها
وصارت لئـام الناس تعلو كرامها ... وعاب لبيداً فى النشيد بليدها(٤)
فما أنت إلا أيهـا الموت نعمةٌ ... يعزّ على أهل الحفاظ جحودها(٥)

* * *

ألا إنمـا حرية العيش غادة ... مُنى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ماغطى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : الذئب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه . يقال منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يُضيء دجنّاتِ الحياة جبينها ... وتبدو المعالى حيث أتلع جيدها[1]
لقد واصلت قوماً وخلّت وراءها ... أناساً تمنّى الموت لولا وعودها
وقد مرضت أرواحنا فى انتظارها ... فما ضرّها والهفتا لو تعودها[2]

* * *

بني وطنى مالى أراكم صبرتمْ ... على نوَبٍ أعيا الحُصاةَ عديدُها
أما آدكم حمــل الهوان فإنه ... إذا حُمِّلته الراسياتُ يئودها[3]
قعدتم عن السعى المؤدى إلى العلى ... على حين يُزرى بالرجال قعودها
ولم تأخذوا للأمر يوماً عتــاده ... فجاءت أمور ساء فيــكم عتيدها[4]
ألم تَرَوا الأقوام بالسعى خلّدت ... مآثر يستقصى الزمانَ خلودها
وساروا كراماً رافلين إلى العلى ... بأثواب عزٍّ ليس يبلى جديدها

* * *

قد استحوذتْ يا للخسار عليكم ... شياطينُ إنس صال منْكم مَريدها[5]
وما اتّقدت نار الحمية منــكمُ ... لفقد اتحادٍ فاستطال خمودها[6]
ولولا اتحاد العنصرين لَما غدا ... من النار يذكو لو علمتم وَقودها
إذا جاهل منكم مشى نحو سُبَّة ... مشى جمعكم من غير قصد يريدها[7]

---

(١) أتلع عنقه : مده متطاولا . (٢) تعودها : تزورها ، من عيادة المريض .

(٣) آدكم : أثقلكم . يئودها : يثقلها .

(٤) العتاد : العدة لأمر ماتهيؤه وما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب . العتيد : الحاضر المهيأ . يقول لم تستعدوا للرقى فيما مضى ، فجاء كم يوم ساءكم فيه حاضركم ، ويعنى بالحاضر ما كانت تقاسيه الأمة من جور الحكام واستبداد الطغاة ، وهو يصلح لحالتنا الحاضرة أيضا ، ويكون حاضرنا السابق ماضيا ، وحريتنا الآن حاضر لنا ، فانها جاءتنا على غير استعداد منا لها بما أفسده الطالمون من نفوسنا فأسأنا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب مايوحيه المتقهقرون إلى زعانف القوم وما يبثونه فى نفوسهم من الشرور : تارة باسم الوطنية . أصلح الله الأحوال وجعل كيد الرجعيين فى ضلال .

(٥) المريد : الخبيث المتمرد الشرير .

(٦) أى أن نار حميتكم لم تتقد لأنكم لم تتحدوا ، فان اشتعال النار لا يكون إلا باتحاد العنصرين : الأكسجين والكربون .

(٧) السبة : العار .

كأنكم للِمِعزَى تهَاوَيْنَ عند ما ... نزا فنزتْ فوق الجبال عتودها[١]
وما ثَلَّةٌ قـــد أهملتها رُعاتها ... بمأسدةٍ جاعت لعشرٍ أسودها[٢]
فباتتْ ولا راعٍ يحامى مراحها ... فرائسَ بين الضاريات تُبيدها
بأضيعَ منكم حيث لا ذو شهامة ... يذبّ الرزايا عنكم ويذودها[٣]

* * *

أتطمع هذى الناس أن تبلغ المنى ... ولم تُورِ فى يوم الصدام زنودها[٤]
فهل لمعتْ فى الجوّ شعلة بارقٍ ... وما ارتجست بين الغيوم رعودها[٥]
وأدخنـة النيران لولا اشتعالها ... لمـا تمَّ فى هذا الفضاء صعودها
وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ... ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام فى سوق المعـالى تجارة ... فليس سوى بيض المساعى نقودها

سوء المنقلب(*)

بغــــدادُ حسبكِ رقدة وسُباتُ ... أوَ ما تُمِضّك هـذه النـكباتُ[٦]
وَلعت بكِ الأحداث حتى أصبحت ... أدواءُ خطبك ما لهنَّ أسـاةُ[٧]
قلَبَ الزمان إليك ظهرَ مجنّه ... أفكان عندك للزمان تِراتُ[٨]

---

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أوهو مارعى وقوى وأتى عليه حول ، يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر نتابعه عليه من غير أن تعلم ماهو ولا أن ندرى أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) الثلة بفتح الثاء : الجماعة الكثيرة من الغنم . وأما الثلة بضم الثاء : فهى الجماعة من الناس. المأسدة : المكان الذى تكثر أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال لهزنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجس البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجعك .

(٧) الأحداث : النوازل . أدواء : جمع داء . أساة : أطباء .

(٨) المجن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . ترات : عداوات ، وهى جمع ترة .

ومن العجائب أن يمسك ضره ... من حيث ينفع لو رعتك رُعاة(١)
إذ من دِيالةَ والفرات ودجلة ... أمست تحلّ بأهلك الكرُبات
إن الحياة لفى ثلاثة أنهرٍ ... تجرى وأرضك حولهنّ مَوات
قد ضلّ أهلك رشدهم وهل اهتدى ... قومٌ أجاهلهم هم السَّرَوات(٢)
قوم أضاعوا مجدهم وتفرّقوا ... فتراهم جمعاً وهم أشتات
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا ... سعياً مغبة تركِهِ الإعنات(٣)
يا صابرين على الأمور تسومهم ... خسفاً على حين الرجالُ أُباةٌ(٤)
لا تهملوا الضرر اليسير فإنه ... إن دام ضاقت دونه الفلوات(٥)
فالنار تلهب من سقوط شرارةٍ ... والماء تجمع سيله القطرات
لا تستنيموا للزمان توكلاً ... فالدهر نزّاءٌ له وَثَبات(٦)
فإلى متى تستهلكون حياتكم ... فوضى وفيكم غفلةٌ وأناة(٧)
تالله إن فعالكم بخلافه ... نزل الكتاب وجاءت الآيات(٨)
أفتزعمون بأن ترك السعى فى ... هذى الحياة توكلٌ وتقاة(٩)
إن صحّ نقلكم بذاك فبيِّنوا ... أو قام عندكم الدليل فهاتوا
لم تلقَ عندكم الحياةُ كرامةً ... فى حالةٍ فكأنكم أموات
شقِيت بكم لمَّا شقيتم أرضُكم ... فلها بكم ولكم بها غمرات(١٠)
وجهلتم النهج السوىّ إلى العلى ... فترادفت منكم بها العثرات

---

(١) رعاة : جمع راع .
(٢) السروات : السادة والرؤساء .
(٣) المغبة : العاقبة . الاعنات : الاذلال والايقاع فى الشدة وفى أمر يخاف منه .
(٤) سامه الخسف : أذله وأهانه . أباة : لايرضون الضيم والاهانة .
(٥) الفلوات : الأراضى المتسعة .
(٦) نزاء : وثاب .
(٧) الأناة : الحلم .
(٨) الفعال بفتح الفاء : بمعنى الفعل .
(٩) التقاة : التقوى .
(١٠) الغمرات : الشدائد .

بالعلم تنتظم البـــلاد فإنه ... لرقيّ كل مدينـــة مرقاةُ
إن البلاد إذا تخاذل أهلهـا ... كانت منافعها هي الآفات
تلك الرُّصافة والمياه تحفها ... والكرخ قد ماجت به الأزمات(١)
سالت ميـاه الواديين جوارفا ... فطفحن والأسداد مؤتكلات(٢)
فتهاجم الماءان من ضَفتَيهما ... فتناطحا وتوالت الهجمات(٣)
حتى إذا اتصل الفرات بدجلة ... وتساوت الوَهَدات والرَبوات(٤)
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت ... بالكرخ نازلة لها ضوضاة(٥)
فسقت بيوت الكرخ شر مُقَيّئ ... منها فقاءت أهلها الأبياتُ(٦)
واستنقعت فيها الميـاه فطحلبت ... بالمكث ترغو تحتها الحمآت(٧)
حتى استحال الكرخ مشهد أبؤُسٍ ... تبكي به الفتيان والفتيات
طرقاته مســـدودة ودياره ... مهدومة وعِراصه قذرات(٨)
يا كرخُ عزَّ على المروءة أنه ... لجج المياه عليك مزدحمات
فلئن أماتتك السيول فإنما ... أمواجهن عليـك ملتطمات(٩)

* * *

(١) الأزمات : الشدائد .
(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتكلا : آكل بعضها بعضا .
(٣) ضفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الفاء وخففها الشاعر للضرورة وكان له مخلص من هذه الضروره وذلك بأن يقول من ضفويهما لأن الضفوين مثنى ضفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .
(٤) الوهدات : جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض ؛ والربوات جمع ربوة وهي المرتفع منها .
(٥) الضوضاء : الجلبة وأصوات الناس .
(٦) شبه الماء الداخل إلى البيوت بما يشربه الانسان من المقيئات ؛ فكما يخرج الانسان ما في جوفه بعد شرب المقيء ؛ فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .
(٧) طحلبت : علاها الطحلب وهي خضرة تعلو الماء المزمن . الحمآت : جمع حمأة وهي الطين الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .
(٨) العراص : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء .
(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فان أمواجها تلتطم حزنا عليك .

من مبلغُ المنصورِ عن بغداده خبراً تَفيض لمثله العبرات[١]
أمست تناديه وتندب أربُعاً طمست رسومَ جمالها الهَبَوات[٢]
وتقول : يالأبي الخلائف لو ترى أركان مجدى وهى متهدمات[٣]
لغدوت تنكرني وتبرح قائلًا يتعجب ما هذه الخَرِبات
أين البروج بنيتهنَّ مَشيدة أين القصور علت بها الشُرُفات
أين الجِنان بحيث تجرى تحتها الْـ أنهار يانعة بها الثمرات
أترى أبو الأمناء يعلم بعده بغداد كيف تروعها النكبات
لا دجلةٌ يا للرزية دجلةٌ بعد الرشيد ولا الفرات فرات
كان الفرات يمد دجلةَ ماؤُه بجداولٍ تُسْـقَى بها الجنات[٤]
إذ بين دجلة والفرات مصانع تفترّ عن شَنَب بها السنوات[٥]
يا نهر عيسى أين منك موارد عذبت وأين رياضك الخَضِلات[٦]
ما ذا دهى نهر الرُّفيل من البلى حيث المجارى منه مندرسات[٧]
إذ قصر عيسى كان عند مصبهِ وعليه منـــــه أطلَّت الغُرُفات[٨]
أم أين بركة زُلزُل وزلالها الســـــلطان تسرح حوله الظَبَيَات[٩]

(١) المنصور : هو المنصور بالله العباسي أبو جعفر ثانى خلفاء بنى العباس ؛ وهو أول من مصر بغداد وجعلها مدينة .
(٢) أربع جمع ربع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم ؛ وهو ما لصق بالأرض من آثار الديار . الهبوات : جمع هبوة وهى الغبرة .
(٣) يالأبى الخلائف : هو نداء ؛استغاثة .
(٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .
(٥) المراد بالشنب هنا : الخصب . والرى والشنب فى الأصل : هو الماء والرقة والبرد والعذوبة فى الأسنان . ويقال افتر المحبوب بمعنى ضحك وافتر عن أسنان كالبرد .
(٦) الخضلات : المرتوية . (٧) الرفيل : نهر يصب فى دجلة ببغداد .
(٨) قصرعيسى : هو قصرعظيم فى بغداد وكان مبنيا على شاطىء نهر الرفيل عند مصبه فى دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون فى أيام المنصور فى بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى فى بغداد .
(٩) بركة زلزل : بركة فى بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب العود حتى ضرب به المثل ؛ وكان فى أيام المهدى والهادى والرشيد .

يا نهرَ طابَقَ لا عدِمتك منهلًا　　أين الصَراة تحفُّها الروضات[١]
أم أين كرخايا تمدّ مياهه　　نهر الدجاج فتكثر الغلات[٢]
أم أين نهر الملك حين تسلسلت　　فيه المياه وهنَّ مطّردات[٣]
قد كان تزدرع الحبوب بأرضه　　فتسحّ فيه بفيضها البركات[٤]
أم أين نهر بطاطيا تأتيه من　　نهر الدجيل مياهه الجراة[٥]
وله فروع أصلهنَّ لشارع الْ　　كَبْش المجارى منه منتهيات
تنمو الزروع بسقيه فضلاله　　كل العراق ببعضها يقتات
لهفى على نهر المُعلَّى إذ غدت　　لا تستبين جنانُه النضرات[٦]
نهر هو الفردوس تدخل منه فى　　قصر الخلافة شعبة وقناة
كالسيف منصلتا تضاحك وجهه الْ　　أنوار وهى عليه ملتمعات[٧]
إذ نهر بينٍ عند كَلْواذَى به　　مُلد الغصون تهزّها النسمات[٨]
ويقربه من نهر بُوقٍ دارة　　تنفى الهموم مروجها الخضرات[٩]
يا قصر باب التبر كنت مقرّنا　　والنفى يصدر منك والإثبات[١٠]

---

(١) نهر طابق : فى بغداد يصب فى نهر عيسى . الصراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .

(٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى .

(٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى .　　(٤) تسح : تسيل .

(٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .

(٦) نهر المعلى : نهر فى بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدى ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال مالم يجمع لكبير وقد ولى المعلى البصرة وفارس والأهواز اليمامة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضا نهر الفردوس ؛ وكان يجرى تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .

(٧) منصلتا : مجردا .

(٨) نهر بين : نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . ملد : جمع أملد وغصن أملد : ناعم

(٩) نهر بوق : نهر فى سواد بغداد .

(١٠) لعله باب التبن بالنون : وهى محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق .

أيام تطلعك العدلة شمسها ... وترفّ فوقك للهدى رايات
أيام تبصرك الحضارة فى العلى ... بدرا عليك من الثنا هالات[١]
أيام تغشدك العلوم نشيدها ... فتعود منك على العلوم صِلات[٢]
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا ... فتقبض منك لهم جدا وهبات[٣]
أيام يأتيك الشكيُّ بأمره ... فيروح عنك وما لديه شكاة
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة ... وتمرّ باسمة بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فأصبحت ... آثار عزك وهى منطمسات
قد ضيّعت بغداد سابق عزّها ... وغدت تجيش بصدرها الحسرات[٤]
كم قد سقاها السيل من أنهارها ... ضرًّا وهنّ منافع وحياة
واليوم قلت بجانبيها أرخوا ... دفق السيول فجاءت الأزمات

العادات قاهرات(*)

كلُّ ابنِ آدم مقهورٌ بعادات ... لهنّ ينقاد فى كل الإرادات
يجرى عليهنّ فيما يبتغيه ولا ... ينفكُّ عنهنّ حتى فى الملذات
قد يستلذ الفتى ما اعتاد من ضرر ... حتى يرى فى تعاطيه المسرات
عادات كل امرىء تأبى عليه بأن ... تكون حاجاته إلا كثيرات
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب ... تعوّدى ما به تزداد حاجاتى
كل الحياة افتقار لا يفارقها ... حتى تنال غناها بالمنيات[٥]
لو لم تكن هذه العادات قاهرة ... لما أسيغتْ بحال بنت حانات[٦]

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمر .
(٢) صلات : عطايا .
(٣) تجيش : تغلى .
(٤) الجدا : العطية .
(*) من الجزء الأول .
(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت .
(٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكارات يدخنها ... قوم بوقت انفرادٍ واجتماعات
إن الدخان لثان فى البلاء إذا ... ما عُدَّت الخمر أولى فى البليات

* * *

وربَّ بيضاء قيدِ الأصبع احترقت ... فى الكف وهى احتراق فى الحُشاشات(١)
إن مرَّ بين شِفاه القوم أسوَدُ أَلْـ ... ـقَى اصفراراً على بيض الثنيّات(٢)
وليتها كان هذا الحظ شاربها ... بل قد نفت بكفيه المرارات
عوائدٌ عمت الدنيا مصائبها ... وإنما أنا فى تلك المصيبات
إن كلَّفتنى السكارى شرب خمرتهم ... شربت لكن دخانا من سكاراتى
واخترت أهون شر الدخان وإن ... أحرقت ثوبى منه بالشرارات
وقلت يا قوم نكفيكم مشاركتى ... إياكم فى التذاذٍ بالمُضرَّات
إنى لأمتصُّ جمرا لفَّ فى وَرَق ... إذ تشربون لهيبا ماء كاساتِ
كلاهما حمق يفترّ عن ضرر ... يَسُمُّ من دمنا تلك الكريات
حسبى من الحمق المعتاد أهونه ... إن كان لابد من هذى الحماقات
يا من يدخن مثلى كل آونة ... لمنى ألمتَ ولا ترض اعتذاراتى
إن العوائد كالأغلال تجمعنا ... على قلوبٍ لنا منهنَّ أشتات
مقيَّدين بها نمشى على حذرٍ ... من العيون فتأتى بالمداجاة(٣)
قد ننكر الفعل لم تألفهُ عادتنا ... وإن علمنا من بعض المباحات
وربَّ شنعاء من عاداتنا حسُنت ... فى زعمها وهى من أجل الشناعات

° ° °

(١) أراد بالبيضاء : اللفافة من التبغ . وقيد الاصبع أى مقداره . الحشاشات : جمع حشاشة وهى بقية الروح فى المريض والجريح ، أو هى رمق من حياة النفس .

(٢) الشفاه : جمع شفه . الثنيات والثنايا : هى أربع أسنان فى مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفردها ثنية .

(٣) المداجاة : المخادعة والرياء .

عناكبُ الجهل كم ألقتْ بأدمغةٍ   من الأنام نسيجًا من خرافات(١)
فحرَّموا وأحلُّوا حسب عادتهم   وشوَّهوا وجه أحكام الديانات
حتى تراهم يرون العلم منقصةً   عند النساء وإن كنَّ العفيفات
وحجَّبوهنَّ خوف العار ليتهمُ   خافوا عليهنَّ من عار الجهالات
لم تحصِ سيئةَ العادات مقدرتى   مهما تفنَّنتُ منها فى عباراتى
فكم لها بِدَعٌ سودٌ قد اصطدَمتْ   فى الناس منهن آفات بآفات
لو لم يكُ الدهرُ سُوقاً راج باطلها   ماراجت الحمر فى سوق التجارات
ولا استمرَّ دخان التَّبغ منتشراً   بين الورى وهو مطلوب كأقوات
لو استطعتُ جعلتُ التبغ محتكَراً   فوق احتقارٍ له أضعافَ مرات
وزدتُ أضعافَ أضعافٍ ضريبته   حتى يبيعوه قيراطا ببدرات(٢)
فيستريح فقير القوم منه ولا   يبلى به غيرُ مثرٍ ذى سفاهات

° ° °

الحرُّ مَن خرق العادات منتهجاً   نهج الصواب ولو ضدَّ الجماعات
ومن إذا خذل الناسُ الحقيقة عن   جهلٍ أقام لها فى الناس رايات
ولم يخفْ فى اتباعِ الحق لائمة   ولو أتتهُ بحدّ المشرفيّات(٣)
وعاملَ الناس بالأنصاف مدرعاً   ثوب الأخوّة من نسج المساواة
أغنى البرية أرفاهم لعادته   وأعقل الناس خُرّاق العادات(٤)

---

(١) لعناكب : جمع عنكبوت ، وهى دودية تنسج من لعابها خيوط فى الهواء وعلى رأس البئر يصيد بها طعامها وتبنى لنفسها بيتا محكما فى الأرض وتعرف بالرتيلا وهى نوعها منها وهى مؤنثة وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكيب وتجمع العنكبوت على عناكب وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهى عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغنى : اسم تفضيل من الغباوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفأ الثوب : أى أصلح خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدفع من عاداته التى اعتادها ولو كانت فاسدة وأعقلهم من لايعبأ بالعادات ، بل يعمل على إزالتها وتنفير الناس من شرورها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالى من سُلافتها صِرفا ... وغنَّتْ لنا الدنيا تُهنئنا عَزْفا[1]
وزفَّت لنا الدستور أحرارُ جيشنا ... فأهلاً بما زفَّت وشكرًا لمن زفَّا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرًا ... وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا
ورحنا نَشاوَى العز يهتف بعضنا ... ببعض هتافًا يُصعق الظلم والحيفا[2]
ولاحت لنا حُرِّيَّةُ العيش عندما ... أماطت لنا الأحرار عن وجهها السَّجْفا[3]
أتت عاطلا لا يعرف الحلَى جيدُها ... ولا كحلت عيناً ولا خضبت كفًّا[4]
فجاءت بمطبوعٍ من الحسن قد قضى ... على الشعر أن لا يستطيع له وصفا
فلم نرضَ غير العلم تاجًا لرأسها ... ولا غير شَنْفِ العدل فى أذنها شنفا[5]
ولم نكسُها إلا من العُرف حُلَّةً ... وهل يكتسى الديباجَ من يكتسى العُرفا[6]
نشرنا لها منَّا لفيف اشتياقنا ... ونحن أناس نحسن النشر واللَّفَّا[7]
حللنا الحُبَا لمَّا أتتنا كرامةً ... وقمنا على الأقدام صفا لها صفًّا[8]

(*) من الجزء الأول .
(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ماتحلب وسال قبل العصر .
(٢) نشاوى : سكارى . يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .
(٣) أماطت : أزالت . السجف : الستر .
(٤) عاطلا : أى لم يكن عليها حلى . جيدها : عنقها .
(٥) الشنف : هو مايعلق فى الأذن من الحلى .
(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سداه ولحمته حرير .
(٧) اللفيف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .
(٨) الحبا : جمع حبوة . وهى مايحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لهـا عقد اللواء تعشقاً ... فـكنَّا لهـا إلفاً وكانت لنا إلفا
رفعنا لواء النصر يهفو أمامها ... ورحنا على صَرف الزمان لها حِلفا (١)
فلم تَرَ غير الرفق فينا سجيَّة ... وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

* * *

تحمَّل أعباء الصدارة كامل ... فناء به ما لم يخفَّ وما خفَّا (٢)
طوى كشحه منها على غير لطفها ... وأظهر من وجه الخِداع بها اللطفا (٣)
نحا أن يتم الدست فيها لحزبهِ ... علينا وظنَّ الأمرَ فيما نحا يخفى (٤)
وقد فاتهُ أنَّا أولو ألمعيـة ... بها نخطَف الأسرار من قلبه خطفا (٥)
وأنَّا نرى من قد تأبط شره ... بعينٍ تقدُّ الإبْط أو تخلع الـكتفا (٦)
لنا فطنةٌ ترمى الزمانـ بنورها ... فيبدو حجاب الغيث منه وقد شفَّا (٧)
رمانا بشزْر اللحظ مزورُّ طَرْفهِ ... فضحنا به أن غُضَّ يا كامل الطَّرْفا (٨)
فما نحن بعد اليوم مهما تنوّعت ... عناصرنا من أمة تحمل الخسفا
مددنا إلى كفِّ الأخاء أكفَّنا ... نصافحهُ شوقاً فمـدَّ لنا الـكفَّا
فطاب لنا منـــه العِناق وضمنا ... إليهِ فقبَّلناه من عينهِ ألفا
أذُلًّا وهـذا العزُّ صرَّح سابغاً ... علينا إذن فالعزّ أن ندرك الحتفا (٩)
إذا نحن قمنـــا مُختقِين رأيتنا ... ندكّ جبال الظلم ننسِفها نسفا
ونحن إذا ما الحرب أفنت جيادَنا ... قتالًا ركِبنا الموت فى حربنا طِرْفا (١٠)

* * *

(١) يهفو : يخفق . الحلف : الصديق يحلف لصاحبه أنه لايغدر به .
(٢) ناء به : أثقله . (٣) طوى كشحه عنها : أى أعرض عنها .
(٤) الدست : الحيلة والخديعة . ويطلق على ما يكون فيه الغلب فى الشطرنج .
(٥) أولو ألمعيه : أصحاب ذكاء وفطنة .
(٦) تأبط شره : جعل الشر تحت أبطه . تقد : تشق .
(٧) شف الثوب : لم يحجب ما تحته .
(٨) النظر الشزر : هو نظر الغضبان بمؤخر العين . المزور : المنحرف المعرض .
(٩) سابغاً : تاما . الحتف : الموت . (١٠) الطرف . الـكريم من الخيل .

تربَّعَ في صدر الوزارة كاملٌ فخطَّ من النقصان في وجهها حرفا
وأنحى عليها بالجفاءِ مشتتاً نجاحاً بركنيها الركينين ملتفّاً
لقد أغضب الدستور فعلًا ونيَّةً ومن أعلنوا الدستورَ والشعبَ والصحفا
قد استوضحوه الأمرَ والأمر واضح فأعياه إيضاح الحقيقة فاستعفى
ولم يطلبَ الإمهال إلا لأنهُ رأى عذره أن لم يُطِل سَبْكه زيفا (١)
كذلك من صاغ الـكلام ملفقاً تمهل حيناً يكثر الخطَّ والحذْفا
ومن قال حقًّا قاله عن بديهة ويحتاج للتفـكير من موَّه الخلفا (٢)
فيأيها « الصدر » الجديد اتَّعظْ به فإياك أن تطغى وأن يثنىَ العِطفا (٣)
ويا مجلس النواب سِرْ غير عاثر إلى المجد لا تلقَى كلالًا ولا ضعفا
ودعْ عنك مذموم التجافي فإنما لغير التجافي اختارك الشعب واستصفى
ألم ترَ أرجاء البـــلاد مَحولةً من العلم فاستمطر لها الدِّيَمَ الوُطفا (٤)
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة فحقق لها من طبِّ رأيك أن تشفى
فإن لأهليها عليك لذمَّةً ومثلك من راعى الذمام ومن وفَّى
وما أنت إلا أمة قد تقدمت أماماً وقد خلت تقهقرها خلفا
ولا تنسَ مغبرَّ العراق وأهله فإنَّ البلاءَ الجمَّ من حوله احتفّا

---

(١) الزيف : المردود غير المقبول . في البيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الايضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطلب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنوه . فاستعفى .

(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .

(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمي باشا . العطف : الجانب . وثني العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلأ . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولابرق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لـكثرة مائها .

فدجلةَ أمست كالدُّجيل شحيحةً | فلا أنبتت زرعا ولا أشبعت ظلفا[١]
وإن «الفرات» العذب أمسى مرنَّقاً | به الماء يجفو أو به الماء قد جفا[٢]
سلِ «الحِلَّة» الفيحاء عنه فإنها | حكت شهداء الطفِّ إذ نزلوا الطفا[٣]
فياويلَ قوم في العراق قد انطوَوْا | على الذلّ إذ أمستْ قلوبهمُ غُلْفا[٤]
ولم يذكروا مجداً لهم كان ضاربا | رُواقا على هام الكواكب قد أوفى[٥]
وكانوا به شُمَّ العرانينِ فاغتدَوا | يقاسون أهوالا به تجدع الأنفا[٦]
يرجُّون من أهل القبور رجاءهم | ومن يحمل الدبوس أو يضرب الدُّفا[٧]

أيقاظ الرقود[*]

إلى كم أنتَ تهتف بالنشيدِ | وقد أعياك إيقاظ الرُّقود[٨]
فلستَ وإن شددت عُرا القصيد | بمُجْدٍ في نشيدك أو مفيدِ
لأنَّ القوم في غيٍّ بعيدِ
إذا أيقظتم زادوا رقادا | وإنْ أنهضتهم قعدوا وِثادا

(١) الدجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يجتر بمنزلة القدم أو الظفر للانسان ، وكالحافر للفرس ، وكالخف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .

(٢) مرنقا : مكدرا غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يعي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلف .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف ، يقال : فلان أشم الأنف : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص الشرعية القاضية بالسعي والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزامر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رسله ، وماهم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فسبحان الذى خلق العبادا ... كأن القوم قد خُلقوا جَمادا
وهل يخلو الجمـــاد عن الجمود

أطلْت وكاد يعيينى الـكلام ... مَلاماً دون وقعته الحسام
فما انتبهوا ولا نفع الملام ... كأنّ القومَ أطفالٌ نيام
تُهزّ من الجهـــالة فى مهود

إليكِ إليكِ يا بغدادُ عنّى ... فإنى لستُ منكِ ولَستِ منّى
ولـكنى وإن كَبُر التَّجَنّى ... يعزّ علىّ يا بغـــــدادُ أنى (١)
أراكِ على شَفا هول شديدِ (٢)

تتابعتِ الخطوبُ عليكِ تَتَرى ... وبُدِّل منكِ حُلوُ العيش مُرًّا (٢)
فهلاَّ تُنْجبين فتًى أغرَّا ... أراكِ عَقَمْتِ لا تلدين حُرًّا (٣)
وكنتِ لمثـــــله أزكى وَلودِ

أقام الجهلُ فيكِ له شهودَا ... وسامكِ بالهوان له السجودَا (٤)
متى تُبْدِين منـك له جحودَا ... فهلَّا عُدتِ ذاكرةً عُهودَا
بهن رَشَـدْتِ أيام الرشيدِ

زمانَ نفوذ حكمك مُستمرُّ ... زمانَ سحابُ فيضكِ مُستدَرُّ (٥)
زمانَ العـلمُ أنتِ له مَقَرُّ ... زمانَ بناء عزّك مُشمَخِرُّ (٦)
وبدرُ علاكِ فى سعدِ السُّعودِ

بَرِحتِ الأوجَ ميلًا للحضيض ... وضِقتِ وكنتِ ذاتَ عُلًى عَريض (٧)
وقد أصبحتِ فى جسم مريض ... وكنتِ بأوجهٍ للعزّ بيض
فصرتِ بأوجهٍ للذلِّ سُودِ

(١) التجنى : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (٢) الشفا : طرف كل شىء .

(٣) تنجبين فتى : تلدينه نجيبا . الأغر : الـكريم الافعال الواضحها . وقوله وكنت لمثله أزكى ولود : يشير به لما كانت عليه بغداد أيام عزها فى أوائل أيام بنى العباس .

(٤) سامك السجود : أجبرك عليه . (٥) مستدر : كثير هاطل .

(٦) مشمخر : مرتفع عال . (٧) الحضيض : أسفل الجبل .

ترقى العالَمونَ وقد هَبطْنا وفى دَرَكِ الهوانِ قد انحططنا
وعن سَنَن الحضارة قد شَحَطْنا فقَطْنا يا بنى بغـداد قَطْنَا [١]
إلى كم نحنُ فى عيش القُرودِ

ألم تكُ قبلنا الأجـدادُ تبنى بنـاءً للعـــلوم بكل فنٍّ
لمـاذا نحن يا أسرى التـأنّى أخــــذنا بالتقهقرِ والتـدنى [٢]
وصِرنا عاجزين عن الصعودِ

كأنْ زُحَلٌ يشاهدُ ما لديكَ لذاكَ أحمرَّ من حَنَقٍ عليكَ
فقال موجّهاً لوماً إليكَ لو أنّى مثلُكم أمسيتُ هيْنَ [٣]
إذن لنضوتُ جابابَ الوجود [٤]

رَكَدْتُمْ فى الجهالة وهى تُعشِى وعِشتمْ كالوحوش أخسَّ عَيْشٍ [٥]
أما فيكم فتىً للعزِّ يَمْشِى تبارَكَ من أدارِ بناتِ نَعْشٍ [٦]
وصفّدكُمْ بأصفادِ الرُّكودِ [٧]

حَكَيْتُم فى توقّفكم جُديَاً فصرتم كالسُّها شَعباً خَفِيّاً [٨]
ألا تَجْرون فى مَجْرَى الثُّرَيّا تؤمُّ بدورها فَلَكاً قَصِيّاً [٩]
فنبرزَ منه فى وضعٍ جـــــديدِ

* * *

حكومة شعبنا جارتْ وصارتْ علينا تستبدُّ بمـا أشارتْ

---

(١) شحطنا : بعدنا . قطنا : حسبنا وكافينا .
(٢) أسرى : جمع أسير . (٣) هينا : ذليلا ضعيفا .
(٤) نضوت : نزعت .
(٥) ركد الماء : سكن . تعشى : تسيء البصر وإراداتها تعمى القلب .
(٦) بنات نعش قسمان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .
(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .
(٨) الجدى : أحد البروج الاثنى عشر . وأصله غير مصغر . السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته .
(٩) قصيا : بعيداً .

فلا أحَدا دعته ولا استشارتْ وكل حكومة ظلمتْ وجارتْ
فبشّرها بتمزيق الُحــــدودِ
حكومتنا تميـــلِ لباخسيهاَ مجَانبةً طريقَ مؤسِّسيهاَ(١)
فلا يغرُرْكَ لينُ مُلابسيهاَ فهمْ كالنار تحْرِقِ لامسيهاَ
وتحْسُنُ للنواظر من بعيــــــدِ
لقد غَصّ « القَصِيمُ » بكل نَذْلِ وأمسَى من تخاصُمهمْ بشغْلِ (٢)
فَريقا خُطّتَيْ غيّ وجهلِ كلا الخصمين ليس له بأهلِ
ولــكنْ مَنْ لتشكيل المَريدِ(٣)
إليهم أرسلتْ بغدادُ جُندَا ليَهلِكَ فيه من عَبَثٍ ويُفْدَى
لقصدِ ابن الرشيدِ أضاع قصدَا فلا يابنَ الرشيدِ بلغتَ رُشْدا
ولا بلغ السعودَ ابنُ السعودِ(٤)
مَشَوا يتحركون بعزمٍ ساكنْ ورثّةُ حالهم تَبكى الأماكنْ
وقد تركوا الحلائلَ فى المساكنْ جنودٌ أرسلت للموت لــكنْ(٥)
بفتك الجوعِ لا فتك الحــديدِ
قد التفعُوا بأسمال بوال مُشاةَ فى السّهول وفى الجبالِ(٦)
يُجذّون المسيرَ بلا بِعالِ بحالٍ للنواظر غير حالِ(٧)
وزِىّ غـــيرِ مازىٍّ الجنودِ

(١) أراد بالباخسين: الذين يخدعونها ويغشونها لمـآربهم وملء جيوبهم .

(٢) القصيم : اسم محل . (٣) المريد . بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .

(٤) ابن الرشيد وابن السعود : أميرا نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة على ابن سعود . وتلبية الدولة فى أيام السلطان عبدالحميد المخلوع . طلبه بتجهيز حملة من عساكرها تحت إدارة ابن الرشيد .

(٥) الحلائل : جمع حليلة . وهى الزوجة والحليلة أيضا الجارة . ومن تقيم معك فى دار واحدة .

(٦) التفعوا : التحفوا الأسمال : الثياب البالية .

(٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشَوا فى مَنْهج جهلوه نَهْجًا   يجوبون الفَلا فَجًّا فَفَجًّا(١)
إلى حيثُ السلامةُ لا تُرَجَّى   فيالَهفِى على الشُّبان تزْجَى(٢)
على عَبثٍ إلى الموت المُبيدِ(٣)
وكلٌّ مُذْ غدَوا للبيت أمَّا   فودَّع أهـــله زوجا وأمَّا(٤)
وضمَّ وَليدَه بيدٍ وشَمَّا   بكى الوَلَدُ الوحيدُ عليه لمَّـا
غدا يبكى على الولدِ الوحيــــدِ
تقول له الحليلةُ وهو ماشٍ   رُوَيداً لا برحت أخا انتعاشِ
فبعدَك من يحصِّل لى معاشى   فقال ودمعه بادى الرَّشاشِ
وَكَلْتُكمُ إلى الرَّبِّ الْوَدُودِ
عساكر قد قضَوْا عُرْيًا وجُوعاَ   بحيثُ الأرضُ تبتلع الْجُمُوعاَ(٥)
إلى أن صار أغناهم رُبُوعاَ   لِفَرْط الْجُوع مرتضياً قُنوعاَ
بقِدٍّ لو أصاب من الجلودِ(٦)
هناك قضَوْا وما فتحوا بلادا   هناك بأسرِهِمْ نَفِدُوا نَفَادَا
هناك بحَيْرَةٍ عدِموا الرشادا   هناك لرَوْعِهِم فقدُوا الرُّقادَا
هناكَ عَرُوا هناكَ من البرودِ
أناديهمْ ولى شجَنٌ مَهِيجُ   وأذكرهمْ فينبعثُ النشيجُ(٧)
ودمعُ محاجرى بدمٍ مَزِيجُ   ألا يا هالكين لكمْ أجيجُ(٨)
ذكا بحشاىَ محتـــــدمَ الوقودِ(٩).

---

(١) فجا ففجا : أى طريقا فطريقا . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٢) ترجى : تدفع . (٣) المبيد : المهلك .
(٤) أم : قصد . (٥) قضوا : ماتوا .
(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنعل الذى لم يجرد من الشعر .
(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء فى حلقه ، من غير انتحاب .
(٨) الأجيج : الالتهاب . (٩) ذكا : اتقد . محتدم : مشتعل .

سكنّا من جهالتنا بِقاعًا يجور بها المؤمَّر ما استطاعا
فكدنا أن نموتَ بها ارتياعا وهَبْنا أمةً هلكت ضَياعًا
تولَّى أمرَها عبدُ الحميـــــدِ

أيا حريّةَ الصُّحُف ارحمينا فإنا لم نزل لكِ عاشقينا
متى تَصِلين كيما تُطْلقينا عِدينا فى وصالكِ وامطُلينَا
فإنّا منكِ نقنعُ بالوُعُودِ

فأنتِ الروحُ تَشْفِينَ الجُروحَا تُحَرِّجُ فقدكِ البــلدَ الفسيحَا (١)
وليس لبـلدة لم تحوِ رُوحَا وإن حوتِ القصور أو الصروحَا
حياةٌ تستفاد لمستفيـــدِ (٢)

أقول وليس بعضُ القول جِدًّا لسلطانٍ تجبّر واســـتبدَّا
تعدّى فى الأمور وما استعدَّا ألا يأيها الملكُ المفــدَّى
ومن لولاهُ لم تكُ فى الوجودِ

أنِمْ عن أن تسوس الملك طَرْفا أقِمْ ما تشتهى زَمْرا وَعزْفا
أطِلْ نُكْرَ الرعيــة خَلِّ عُرفا سِمِ البُلدان مهما شئت خَسْفا
وأرسلْ من تشاء إلى اللحودِ

فَدَتْك الناس من مَلِكٍ مُطاعِ أبِنْ ما شئت من طُرُق ابتداعِ
ولا تخشَ الإلهَ ولا تُرَاعِ فهلْ هذى البلادُ سوى ضِيَاعِ
ملكتَ أو العبادُ سوَى عبيدِ

تنعَّمْ فى قصورك غـير دارِ أعاش الناسُ أمْ هم فى بَوَارِ (٣)
فإنك لن تُطالَب باعتذارِ وهب أنَّ الممالكَ فى دَمار
أليس بنـاء « يَلْدِزَ » بالمَشيدِ

(١) يحرج : يضيق
(٢) حياة : مرفوع بليس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والمجرور « لبلدة » .
(٣) غير دار : غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الاهلاك .

جميع ملوكِ هذى الأرض فُلْكُ وأنت البحر فيك نَدًى وهُلْكُ
فأنّى يبلغونَ وذاكَ إفكُ لئن وهبوا النقودَ فأنت مَلْكُ[١] .
وَهُوبٌ للبـــلادِ والنُّقودِ

الصديق المضاع[*]

علامَ حُرِمْنا منذُ حين تلاقيا أفى سفرٍ قد كنتَ أمْ كنتَ لاهيا
عهدناكَ لا تلهو عن الخل ساعةً فـكيف علينا قد أطلتَ التجافيا
ومالى أراكَ اليوم وحدكَ جالساً بعيداً عن الْخُلّان تأبى التدانيا
أنابك خطبٌ أم عراكَ تعشُّقٌ فإنى أرى حُزْناً بوجهك باديا
وما بالُ عينيكَ اللّتين أراهما تُديران لحظاً يحمل الحزنَ وانيًا[٢]
وأىُّ جوًى قد عُدْت أصفر فاقعاً به بعد أن قد كنتَ أحمر قانيا
تـكلَّمْ فـما هذا الوجومُ فإننى عهدتكَ غِرِّيدًا بشعرك شاديا[٣]
تجلَّدْ تجلّدْيا (سَليمُ) ولا تـكنْ بمـا ناب من صَرْف الزمانِ مباليا
ولا تبتئسْ بالدهر إنَّ خُطوبَه سحابة صيفٍ لا تدوم ثوانيا

* * *

فقالَ ولم يملك بوادرَ أدمُعٍ تناثرنَ حتى خلْتُهُنَّ لآليا
لقد عِجتنى يا أحمدُ اليومَ بالأسى وذكَّرتنى ما كنت بالأمس ناسيا
أتعجب من حزنى وتعلمَ أننى قريعُ تباريحٍ تُشيب النواصيا[٤]
لقد عشتُ فى الدنيا أسيفا وليتنى ترحّلْت عنها لا علىَّ ولا ليا[٥]

---

(١) الافك : الـكذب .

(*) من الجزء الأول

(٢) وانيا : فاترا ضعيفا .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الـكلام .

(٤) القريع : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بمشقة ، وهو من الجوع التى لا واحد لها .

(٥) أسيفا : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العِدى
فأصبحت من جَور الأخلاء شاكيًا[١]

وما رحتُ أستشفى القلوب مُداوياً — من الحِقد إلا عُدْتُ عنها كما هياَ
وداريتُ حتى قيلَ لى مُتملِّقٌ — وما كان من داء التملُّق دائياَ
وحتى دعانى الحزمُ أنْ خلِّ عنهمُ — فإنَّ صريح الرأى ألَّا تُداريَاَ
ورُبَّ أخٍ أوقرتُ قلبى بحبِّه — فكنتُ على قلبى بحبِّيه جانياَ[٢]
أراد انقيادى للهوان وما درَى — بأنِّىَ حرُّ النفس صَعْبٌ قيادياَ
إذا ما سمانى جادَ بالذلِّ غيثُهاَ — أبَيْتُ عليها أن تكون سمائياَ
ألا فابكِ لى ياأحمدُ اليومَ رحمةً — ودَعْنى وشأنى والأسى وفؤادياَ
فإنَّ أحق الناس بالرحمة امرؤ — أضاع وِداداً عند من ليس وافياَ
وما كان حظِّى وهو فى الشعر ضاحكٌ — ليظهرَ إلا فى سوى الشعر باكياَ
ركِبتُ بحورَ الشعر رَهْواً ومائجا — وأقْحمتُ منها كلَّ هول يَراعياَ[٣]
وسيَّرت سُفْنى فى طلاب فنونه — وألقيتُ فى غير المديح المَراسياَ

وقلتُ أعصِنى يا شعرُ فى المدح إننى
أرى الناس مَوْتَى تستحق المراثيا

ولو رضِيتْ نفسى بأمرٍ يَشينها — لَماَ نطقت بالشعر إلا أهاجياَ
وكم قام ينعَى حين أنشدت مادحا — إلىَّ النَّدَى ناعٍ فأنشدتُ راثياَ[٤]
وكم بشَّرَتْنى بالوفاءِ مقالةٌ — فلما انتهت للفعل كانت مَناعياَ[٥]

* * *

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .
(٢) أوقرت : أثقلت .
(٣) الرهو : السير السهل . أقحمت يراعى : قذفته وأدخلته بشدة .
(٤) الناعى : من يعلن بوفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحا قام الناعى ينعى لى الكرم ، أى يخبرنى بموته ، فأبدلت مدحى بالرثاء .
(٥) المناعى : أخبار الموت ، مفردها منعى ومنعاة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ رِدائه ... وكفكفتُ دمعا فوق خدَّيه جاريا (١)
وقلتُ له هوّن عليك فإنما ... تنوبُ دواهي الدهر مَنْ كان داهياً (٢)
وما ضرّ إن أصفيتَ وُدَّك معشرا ... من الناس لم يَجْنوا لك الوُدّ صافياً
كفى مفخراً أنْ قد وفيتَ ولم يفوا
فكنتَ الفتى الأعلى وكانوا الأدانيا
لعلّ الذى أشجاك يُعقِب راحة ... فقد يشكُر الإنسان ما كان شاكيا (٣)
ألا رُبَّ شرٍّ جرَّ خيراً وربّما ... يجرُّ تجافينا إلينا التصافيا
فلو أن ماء البحر لم يك مالحا ... لرُحنا من الطوفان نشكو الغواديا (٤)
ولولا اختلاف الجذب والدفع لم تكنْ ... نجومٌ بأفلاكٍ لهنَّ جواريا (٥)
وكيف نرى للكهرباء ظواهراً ... إذا هى فى الإثبات لم تلقَ نافياً (٦)
تموت القُوَى إن لم تكن فى تباينٍ ... ويَحْيَيْنَ ما دام التباين باقيا (٧)
فلا تعجبَنْ من أننا فى تنافرٍ ... ألم ترَ فى الكون التنافُر ساريا
وهَبْهم جفَوْكَ اليوم بُخلا بودِّهم ... ألم تَغْنَ عنهم أنْ ملكتَ القوافيا (٨)

---

(١) الفضل : الزيادة . وفضل الرداء : يريد به طرفه . كفكفت : مسحت .

(٢) تنوب : تصيب . الداهى : العاقل ، وصاحب الرأى الجيد . يقول : إن المصائب لاتصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجاك : أحزنك .

(٤) الغوادى : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التى تنشأ غدوة . يقول : إن الشر ربما جلب خيرا ، فان ماء البحر مالح ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التى تسبب الطوفان ، غير أن الجواهر المليحة التى فيه تمين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيرا ، كالاختلاف فى الجذب والدفع المتعلقين بالنجوم ، فانه سبب لربطهما بنظام مخصوص .

(٦) الكهربا : قسمان : راتنجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولاتظهر فواعلها إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فكأنها غير موجودة .
فى تباينها . أى اختلافها .

(٨) ألم تغن : ألم تستغن .

فطِرْ فى سماوات القريض مُرَفرِفا وأطْلِع لنا فيها النجومَ الدّراريا
فأنت امرؤٌ تُعطى القوافىَ حقَّها فتبدو وإن أرخصتَهن غواليا
يُجيبك عَفوا إن أمرتَ شَرودُها وتأتيك طوعا إن دعوتَ العواصيا (١)

* * *

فقال وقد ألقى على الصدر كفَّهُ فَشدّ بها قلباً من الوجد هافيا (٢)
لقد جئتنى بالقول رَطْبا ويابساً فَداويت سُقما وهيَّجتَ ثانيا
فإنى وإن أبدى لى القوم جَفوةً أمنِّى لهم مما أحبّ الأمانيا (٣)
وما أنا عن قومى غنياً وإن أكن أطاولُ فى العز الجبالَ الرواسيا
إذا ناب قومى حادثُ الدهر نابنى وإن كنت عنهم نازحَ الدارِ نائيا (٤)
وما ينفعُ الشعرُ الذى أنا قائل إذا لم أكن للقوم فى النفع ساعيا
ولستُ على شعرى أروم مَثُوبة ولكنّ نُصحَ القوم جُلُّ مَراميا
وما الشعرُ إلا أن يكون نصيحة تُنشِّط كسلاناً وتَنهض ثاويا
وليس سَرِىَّ القوم من كان شاعراً ولكن سَرِىُّ القوم من كان هاديا
فعلَّمهم كيف التقدمُ فى العُلَى ومن أىِّ طُرْقٍ يبتغون المعاليا
وأبلى جديدَ الغىِّ منهم برُشدهِ وجدّد رشدا عندهم كان باليَا
وسافر عنهم رائدًا خِصْب نفعهم يشُقّ الطوامِى أو يجوب المواميا (٥)
وإن أفسدتهم خِطَّةٌ قام مصلحاً وإن لدغتهم فِتْنــةٌ قام راقيا (٦)

(١) القافية الشرود : السائرة فى البلاد . (٢) الوجد : الغضب . هافيا : مضطربا .
(٣) أمنى : مضارع منّاه ، بمعنى جعل له أمنية ، والأمنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشيء ، وجمعها الأمانى .
(٤) نازح الدار بعيدها .
(٥) رائدا : طالبا . الطوامى : أراد بها البحار . وأصلها : من طما الماء والبحر ، أى امتلأ . يجوب : يقطع . الموامى : جمع موماة ، وهى الفلاة التى لاماء فيها ولا أنيس .
(٦) لدغتهم : لسعتهم . والراقى : هو الذى يقرأ وينفث ، دفعا لأذية اللدغ

بعد البين (*)

لقد طوَّحتنى فى البلاد مُضاعَا — طوائحُ جاءت بالخطوب تِباعَا (١)
فبارحتُ أرضاً ما ملأْت حقائبى — سِوَى حبها عند البَراح مَتاعا (٢)
عَتبتُ على بغدادَ عتبَ مُودِّعٍ — أمَضَّته فيهـا الحادثات قِراعا (٣)
أضاعتنىَ الأيام فيها ولو دَرَتْ — لعزَّ عليها أن أكون مُضاعا
لقد أرضعتنى كلَّ خَسْفٍ وإننى — لأشكرها أنْ لَمْ تُتِمَّ رَضاعا
وما أنا بالجـانى عليها وإنما — نهضتُ خِصامًا دونها ودِفاعا
وأعملتُ أقلامى بهـا عَربيـة — فلم تُبـد إضغاءً لهـا وسماعا
ولو كنت أدرى أنهـا أعجميَّة — تخذتُ بها السيف الجُراز يَراعا (٥)
ولوشئت كايلتُ الذين أنطوَوْا بها — على الحِقد صاعاً بالعِداءِ فصاعا
ولـكنْ هىَ النفس التى قد أبتْ لها — طباعَ المعالى أن تسوءَ طِباعا
أبَيت عليهم أن أكون بذلّةٍ — وتأبى الضوارى أن تكون ضباعا
على أننى داريتُ ماشاء حقدَهم — فلم يُجدِ نفعاً ما أتيتْ وَضاعا
وأشقَى الورى نفساً وأضيعهم نُهًى — لبيبٌ بدارِى فى نُهاه رَعاعا (٦)
تركت من الشعر المديحَ لأهله — وَنزَّهت شِعرى أن يكون قذاعا (٧)
وأنشدته يجلو الحقيقة بالنُّهَى — ويكشِف عن وجه الصواب قِناعا

(*) من الجزء الأول .

(١) طوحتنى الطوائح : قذفتنى القواذف .

(٢) الحقائب : جمع حقيبة ، وهى خريطة يحملها المسافر للزاد ونحوه ، وهى تصلح أن تطلق على ماتسميه العامة اليوم : « شنطة » .

(٣) أمضته : أوجعته . القراع : مصدر قارع فلان فلانا : إذا تضاربا بالسيوف .

(٤) الخسف : الذل والهوان . (٥) الجراز : القاطع .

(٦) النهى : العقل . الرعاع : سقط الناس وسفلتهم وغوغاؤهم ، مفردها رعاعة .

(٧) قذاعا : سفاها ومشاتمة .

وأرسلته عفواً فجاء كما ترى ... قوافى تجتاب البلاد سِراعاً[(١)]

* * *

وقفتُ غداة البَيْن فى الكَرْخ وقفةً ... لها كَرَبَتْ نفسى تَطير شَعاعاً[(٢)]
أُودِّع أصحابى وهم مُحْدِقون بى ... وقد ضِقت بالبين المُشِتّ ذراعاً[(٣)]
أُودّعهم فى الكَرْخ والطَّرْفُ مُرسِلٌ ... إلى الجانب الشرقىّ منه شُعاعاً[(٤)]
وأدعَمُ رأسى بالأصابع مُطرِقاً ... كأنّ برأسى يا أُمَيْمُ صُداعاً[(٥)]
وكنت أظن البين سَهلًا فمُذْ أنى ... شَرَى البينُ منى ما أراد وباعاً
وإنى جَبانٌ فى فِراق أحبّتى ... وإن كنت فى غير الفراق شجاعاً
كأنى وقد جدَّ الفراق سفينة ... أشالتْ على الريح الهَجُوم شِراعاً[(٦)]
فمالتْ بها الأرواح والبحرُ مائج ... وقد أوشكت ألواحها تتداعى[(٧)]
فتحسبنى من هِزّة فىَّ أفدعا ... تَرَقَّى هِضابا زُلْزِلت وتِلاعاً[(٨)]
فما أنا إلا قَوْمةٌ وانحناءةٌ ... وسرٌّ أذاعته الدموعُ فذاعاً[(٩)]
رَعَى الله قومًا بالرُّصافة كلَّما ... تذكرتُهم زاد الفؤاد نِزاعاً[(١٠)]
أبيتُ وما أقوى الهموم بمضجَع ... تصارعنى فيه الهُموم صِراعاً
وألهو بذكراهم على السير كلما ... هبطتُ وِهادا أو علوت يَفاعاً[(١١)]

---

(١) تجتاب : تقطع .
(٢) كربت : كادت . تطير شعاعا : تتبدد وتتفرق من الحزن أو الخوف ونحوها .
(٣) البين المشت : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعا وذراعا : أى ضعفت طاقته ، ولم يجد من مكروهه مخلصا .
(٤) شعاعا : مفعول مرسل .
(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهى تصغير أم ، وحذفت تاؤها لأنها منادى مرخم .
(٦) أشالت : رفعت .
(٧) الأرواح : جمع ريح . تداعى : تتساقط .
(٨) الأفدع : المعوج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد الشاعر . الهضاب : أعالى الجبال . التلاع : جمع تلعة ، وهى القلعة المرتفعة من الأرض .
(٩) القومة والانحناء : المرة من القيام والانحناء . أذاعته : أفشته .
(١٠) الرصافة : محلة فى بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .
(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة : اليفاع : المرتفع من الأرض .

هم القومُ أمّا الصبر عنهم فقد عَصَى ... وأما اشتياقى نحوَهم فأطاعَا
لقد حكّمونى فى الأمور فلم أكن ... لأنطِقَ إلا آمرًا ومُطاعَا
فلستُ أُبالى بعد أن جدَّ بينُهُمْ ... زجرتُ كلابا أم قَحَمت سِباعَا[1]
سلامٌ على وادى السلام وإننى ... لأجمل تسليمى عليه وَداعَا
له الله من وادٍ تكاسل أهله ... فباتوا عِطاشا حوله وجِياعَا
رآهم عبيداً فاستبدَّ بمائه ... ولم يجر بين المُجدِبات مُشاعَا[2]
جرى شاكراً صُنعَ الطبيعة إنها ... أبانت يداً فى جانبيه صَناعَا[3]
وما أنسَ لا أنسَ المياهَ بِدَجلةٍ ... وإن هى تجرى فى العراق ضَياعَا
ولو أنها تسقى العراق لما رَمَتْ ... به الشمسُ إلا فى الجِنان شُعاعَا
وما وَجدتْ ريحٌ وإن قد تناوحت ... مَهبًّا به إلا قُرًى وضِياعَا[4]
سأُجرِى عليها الدّمعَ غيرَ مضيَّعٍ ... وأندُب قاعا من هُناك فقاعَا
وأذكر هاتيكَ الرِّباعَ بحسنها ... فنعمتْ على شَحْط المَزارِ رِباعَا[5]

يقولون !

يقولون فى الإسلام ظلْماً بأنّهُ ... يصدّ ذَويهِ عن طريق التقدمِ
فإن كان ذا حقًّا فكَيْفَ تقدمتْ ... أوائلُه فى عهدها المتقدمِ
وإن كان ذنبَ المسلمِ اليومَ جهلُه ... فماذا على الإسلام من جهل مُسلمِ
هل العلم فى الإسلام إلّا فريضة ... وهل أمّة سادت بغير التعلّمِ[6]

(١) بينهم : بعدهم . قحم المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
(٢) المجدبات : الأراضى القحطة . مشاعا . مشتركا فيه غير مقسوم .
(٣) يد صناع : ماهرة فى الصنعة ، ورجل صناع اليدين حاذق فى الصنعة .
(٤) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالا ومرة جنوبا . مهبا : منصوب على التمييز لنسبة التناوح . قرى : مفعول وجدت .
(٥) الرباع : جمع ربع ، وهى الدار . شحط : بعد .
(٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لا ذنب الاسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلامُ للمجد والعُلى ... بصائرَ أقوام عن المجد نُوَّم
وحَلَّتْ له الأيام عنـد قيامه ... حُبَاها وأبدتْ منظَرَ المتبسِّم (١)
فأشرق نور العلم من حَجَراته ... على وجه عصرٍ بالجهالة مظلم (٢)
ودكَّ حصون الجاهلية بالهُدَى ... وقوّض أطناب الضلال المخيِّم
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى ... لأهليه مجداً ليس بالمتهدِّم
وأطلق أذهان الوَرَى من قيودها ... فطارت بأفكارٍ على المجد حُوَّم (٣)
وفكَّ إسار القوم حتى تحفَّزوا ... نهوضًا إلى العلياء من كل مَجْثِم (٤)
فخلَّوا طريقاً للبداوة مجْهَلا ... وساروا بنَهج للحضارة مَعْلَم (٥)
فدوّتْ بمستنّ العُلَى نَهَضاتهمْ ... كزعزع ريح أو كتيَّار عَيلم (٦)
وعماَّ قليل طبَّق الأرض حكْمُهم ... بأسرعَ من رفع اليدين إلى الفم (٧)
وقد حاكت الأفكارُ عندَ اصطدامها ... تلألؤَ بَرْق العارض المتهزِّم
ولاحت تباشير الحقائق فانجلتْ ... بها عن بَنِي الدنيا شكوكُ التوهُّم (٨)

= العلم الاسلام فرض والأمم لاتسود إلا بتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام مما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قوله حباها : جمع حبوة ، وهي مايحتبي به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قعدت في مجالسها تحتبي بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذا لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند إليها في مجالسها . وحل الحبا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كما يقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فمعنى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حلت له الأيام حباها ، أي قامت له تعظيما .

(٢) قوله من حجراته بفتحتين : أي من نواحيه ، جمع حجرة ، وهي الناحية .

(٣) قوله حوم : أي دايرات . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفزوا : أي استوفزوا وتهيئوا القيام . والمجثم : محل الجثوم أي اللصوق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجهل بفتح الميم : لايهتدى فيه . ونهج معلم : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أي صوت . ومستن العلى : طريقها الواضح . وقوله كزعزع ريح : أي كريح شديد الهبوب تزعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبق الأرض : أي غشاها وعمها بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى الفم : أي في مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التي يبشر به ، وقد استعارها هنا للحقائق ، في الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له مايلائم المشبه به ، على طريق الاستعارة التخييلية .

وما ترك الإســلامُ للمرء مِيزةً ... على مثله ممن لآدم يَنْتمى
فليس لمثرٍ نقصُه حقَّ مُعْدِم ... ولا عَرَبىّ بحَسْنُهُ فضلَ أعجم (١)
ولا فخرَ للإنسان إلَّا بسعيه ... ولا فَضل إلا بالتُّقَى والتــكرّم
وليس التقى فى الدين مقصورةً على ... صلاة مُصلّ أو على صوم صُيَّم (٢)
ولــكنّها تركُ القبيح وفعل ما ... يؤدّى من الحسنَى إلى نيل مَغنم
فتقوى الفتى مسعاه فى طلبْ العُلَى ... وما خُصَّت التقوى بترك المحرَّم
فهل مثل هذا الأمر يالأُولى النُّهى ... يكون عثاراً فى طريق التقدُّم (٣)
وإن لم يكن هذا إلى المجد سُلَّمًا ... فأىّ ارتقاء بعــدُ أم أىّ سُــلَّم
ألا قلْ لمن جاروا علينا بحكمِهمْ ... رُوَيداً فقد قارفْتُمُ كل مَأْثَم
فلا تنــكروا شمس الحقيقة إنَّها ... لأظهر من هذا الحديث المرجَّم
عَلوْنا وكنتم سافلين فلم نــكن ... لِنبدى إليكم جَفوةَ المتهكم
ولم نترك الحسنى أوانَ جِدالــكمْ ... وتلك لعمرِى شِيمةُ المتحلم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكمْ ... كشفتم لنا عن منظر متجهِّم
فلا تأمَنوا الأيام إنَّ صروفها ... كما هى إذ أودتْ بعادٍ وجُرْهم

---

(١) لمثر : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول فى قوله : ولا عربى بحسنه فضل أعجم .

(٢) التقى : جمع تقاة بمعى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لاتنحصر بمثل الصلاة والصوم من الأعمال التعبدية . كما أنها لا تنحصر بترك المحرمات فى الدين . فيــكون معناها سلبيا . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .

(٣) اللام فى قوله يا لأولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغاثة ، داخلة على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

فى سبيل الوطن

إلى إخواننـــــــا المسيحيين

أما آنَ أن تُنسَى من القوم أضغانُ ... فيُبنَى على أُسّ المؤاخاة بُنْيَانُ
أما آنَ أن يُرمَى التخاذل جانباً ... فتَكْسِبَ عزًّا بالتناصر أوطانُ
عَلَامَ التعادى لاختلاف ديانةٍ ... وإنَّ التعادى فى الديانة عُدْوانُ
وما ضرّ لو كان التعاون ديننا ... فتعمُرَ بُلْدَان وتأمن قُطَّان
إذا جمعتنا وحْدة وطنيــــــــة ... فماذا علينا أن تَعَدَّد أديان
إذا القومُ عمّهم أمورٌ ثلاثة ... لسان وأوطان وبالله إيمان
فأىُّ اعتقاد مانع من أُخوّة ... بها قال إنجيلٌ كما قال قرآن
كتابان لم ينزلها الله ربُّنا ... على رسله إلَّا ليسعد إنسان
فمن قام باسم الدين يدعو مفرّقا ... فدعواه فى أصل الدِّيانةُ بهتانُ
أنشقَى بأمر الدين وهو سعادة ... إذن فاتِّباع الدين يا قومُ خُسران
ولكنَّ جهلَ الجاهلين طحا بهم ... إلى كل قول لم يؤيده بُرهان (١)
فهاموا بتَيهاء الأباطيل كالذى ... تخبَّطَهُ من شدّة المسّ شيطان (٢)

* * *

مَواطنكم يا قومُ أمٌّ كريمة ... تَدُرّ لكم منها مدى العمر ألبانُ (٣)
ففى حِضنها مَهدٌ لكم ومَباءةٌ ... وفى قلبها عطف عليكم وتَحنانُ (٤)

---

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تيهاء : أى مضلة يضل فيها الطريق ، والإضافة فى قوله بتيهاء الأباطيل ، بيانية أى بتيهاء من الأباطيل ، أو هى الأباطيل .

(٣) تدر لكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف متعلق بتدر .

(٤) المهد : هو الموضع يهيأ للصبي ويوطأ . والمباءة : المنزل .



فما بالكمْ لا تُحسنون وواجبٌ ... على الابن للأُمّ الكريمة إحسانُ(١)
أصبراً وقد أمسى العدوّ يُهينها ... أما فيكمُ شهمٌ على الأُمّ غَيرانُ
أَجَلْ إنكم تأبى الحياةَ نفوسكم ... إذا لم يكن فيها على المجد عُنوانُ
ألستم من القوم الذين عَلاؤهم ... تقاعَسَ عنه الدهرُ وانحطَّ كيْوان(٢)
نَمتكمْ إلى المجد المؤثّل تغلبٌ ... كما قد نمتكم للمكارم غَسَّان(٣)
فلا تُنكرا عهد الإخاء وقد أتتْ ... تصافحكم فيه نِزار وعَدْنانْ
أَجبْ أيها النَدْبُ المسيحىّ مُسلماً ... صفا لك منه اليومَ سرّ وإعلانُ
فلا تحرما الأوطانَ أنْ تتحالفا ... يداً بيدٍ حتى تُؤَكَّد أَيْمَانُ(٤)
ألا فانهضا نحو العِدَا وكلا كما ... لصاحبه فى المأْزِق الضَّنْكِ مِعوان(٥)
وقولا لمن قد لام صَهْ وَيْكَ إننَّا ... على كل حال فى المواطن إخوان

* * *

فمن مُبلِغُ الأعداءِ أن بلادنا ... مآسِدِ لم يطرُق ذَراهن سِرْحان(٦)

(١) قوله وواجب : الواوحاليه ، وواجبمبتدأ ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال ، أوعمله فى الجار والمجرور بعده . وإحسان : خبره .

(٢) تقاعس عنه الدهر : تأخر . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ، معرب .

(٣) تغلب وغسان : قبيلتان من نصارى العرب .

(٤) قوله يدا بيد : حال ، أى متقابضين ، بوضع يد فى يد .

(٥) المأزق ، كمجلس : موضع الحرب . والضنك : الضيق .

(٦) مآسد : جمع مأسدة ، وهى المكان الذى تكثرفيه الأسود . والذرا ، بفتح الذال : فناء الدار ونواحيها . والسرحان ، بالكسر : الذئب .

وإنّا إذا ما الشر أبدى نيوبَهُ ... رددناه عنا بالظُّبَى وهو خَزْيان[١]
سنستصرخ الآسادَ من كل مَرْبِض ... فتمشي إلى الهيجاء شِيبٌ وشُبّان[٢]
أسود وغى تأبى الحياة ذميمةً ... وتلبس بالعزّ الرّدَى وهو أكفان
مَقاحيم تَصْلَى المَعمعانَ مُشيحةً ... إذا احتدمتْ فى حَومة الحرب نِيران[٣]
وتكسو العَراء الرحبَ مِسْح عَجاجةٍ ... يمُجّ بها السيفُ الردَى وهو عُريان[٤]
سنَنهض للمجد المخلّدِ نهضةً ... يقرّ بها حَوران عينا ولُبْنان
وتهتزّ من أرض الشآم دِمشقها ... وتهتزّ من أرض العراقين بَغْدان
وتطرب فى البيت المقدّس صخرةٌ ... وترتاح فى البيت المحرّم أركان
وتحسُنُ للعُرب الكرام عواقبٌ ... فَيحمدها مُفتٍ ويشكر مُطْران
ولو أنصفتنا ساسة الغرب لاغتدت ... دِمَشْقُ لها من ساسة الغرب أعوان
ورقّت قلوب للعراق وأهله ... وأصغت إلى شكوى فِلسْطينَ آذان
ولكنهم رانت عليهم مَطامع ... فأمسَوا وهم صُم عن الحق عُميان[٥]
لقد قيل إن الغرب ذو مَدَنيّة ... فقلت وهل معنى التمدُّن عدوان

---

(١) أبدى نيوبه : أى اشتد وتفاقم . والنيوب : جمع ناب .
(٢) سنستصرخ الآساد : سنستنصرها ونستنهضها مستغيثين بها . والمربض : محل ربوض الأسد
(٣) مقاحيم : جمع مقحام ، وهو الذى يخوض قحمة الشدائد ، أى معظمها ، والمراد بالمعمعان : معمعان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المعمعان : تدخل فيه ، وتقاسى حره . ومشيحة : جادة مانعة لما وراء ظهرها . واحتدمت : اضطرمت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .
(٤) العراء : الفضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ، أى مسحا من عجاجة .
(٥) رانت عليهم : غلبت عليهم .

وأىّ فَخار كائن فى تمـدّنٍ إذا لم يقم فى الغرب للعدل ميزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعِرفان

* * *

بنفسى أفدِى فى العراق مَنابتاً يفوح بها شِيحٌ ويَعْبَق حَوْذان(١)
رياضٌ رعتها النائبات بأذؤبٍ من الجَوْر فارتاعت ظباء وغِزلان(٢)
لقد كان فيها الرَّند والبان زاهياً فأصبح لا رَنْدٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كلّ منهل عليه من الترنيق بالظلم ثُعبان(٣)
وظلّ ابنها عن كل حوض محلَّأً يحوم على سَلْساله وهو عطشان(٤)
سأبكى عليها كلما هبَّت الصَّبا فمالت بها من حول دجلة أغصان
وَمن ذَرَفت آماقُه الدمعَ لؤلؤا ذرفتُ عليها أدمعى وهْىَ مَرْجان(٥)

بين تونس و بغداد

أنشدت فى حفله التأهيل والترحيب بالزعيم التونسى : الأستاذ الكبير عبد العزيز الثعالبى ، عند قدومه بغداد سنة ١٩٢٥ .

أتونِسُ إنّ فى بغداد قوماً تَرِفّ قلوبهم لك بالوِداد(٦)
ويجمعهمْ وإياكِ انتسابٌ إلى من خصَّ مَنطِقهم بضاد
ودين أوضحتْ للنـاس قبلًا نواصعُ آيه سُبْلَ الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قُربَى وإن قضتِ السياسة بالبعـاد

---

(١) الشيح : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .
(٢) قوله « رعتها النائبات » من الرعاية : أى وليت أمرها وساستها بأذؤب .
(٣) مرصودا : مرقوبا . والترنيق : التكدير .
(٤) محلأ : أى مطرودا ممنوعا عن ورود المـاء .
(٥) « ذرفت آماقه الدمع » : أسالته . ومعنى البيت : من بكى عليها دمعا بكيت عليها دماء .
(٦) ترف قلوبهم رفيفا : تخفق وتضرب حبا .

وما ضَرّ البِعاد إذا تدانتْ ... أواصرُ من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخِي ... وإن أغرى الأجانب بالتعادى

* * *

أتونِس إنّ مجدكِ ذو انتماء ... إلى عُليـــــا نِزارٍ أو إياد[1]
لنا بثعالبيِّك خيرُ مُلْقٍ ... على أشتاتنا حبلَ اتحـاد
وأكبرُ حامل بيـد اعتزامٍ ... لحبِّ بلاده عَلَمَ التفادى
وأسمى من سما أدبا وعِلماً ... وأفصحُ من تـكلّم عن سداد
دعِ القول المُريب وقائليـهِ ... وسل عنه المنابرَ والنوادى[2]
تجده خطيبها فى كل خَطبٍ ... ومِدْرَهها لدى كل احتشاد[3]
فتًى صَرُحت عزائمه وجلّتْ ... عن الرَّوَغان فى طَلَب المراد
تغرّبَ ضاربا فى الأرض يبغِى ... مَدًى من دونه خَرْط القتاد[4]
فأوغلَ فى المَفاوز والمَوامِى ... وطوّف فى الحواضر والبوادى[5]
وكان طوافه شرقا وغربا ... لغير تـكسّب وسِوَى ارتفاد[6]
ولـكن ساح لاستنهاض قوم ... حَـكَوا بجمودهم صفة الجماد[7]
يَغار على العُروبة أن يراها ... مهـــــددة المَصالح بالفساد

---

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عـــدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادى : جمع النادى ، وهو المـكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) المدره : المحامى المدافع عن القوم .

(٤) خرط القتاد : قطع ورقه باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد : نبت ترعاه الإبل ، فتسمن عليه . ويصعب خرط ورقه لـكثرة شوكه وقوته .

(٥) أوغل فى الشيء ، أبعد فيه وأمعن . والمفاوز : جمع مفازة ، وهى الصحراء المهلـكة والموامى : جمع موماة ، وهى الصحراء أيضا .

(٦) الارتفاد : طلب الرفد ، وهو العطاء . يريد أنه لايبغى من تطوافه كسب مال .

(٧) استنهاض القوم : بعثهم من مرقدهم ، وتحريكهم نحو طلب المجد .

فتًى سار كان له هديرٌ يهزّ دَوِيُّه أقصى البــــلاد(١)
وكم قد قام فى نادٍ خطيباً بمُحكَمة المقاصدِ والمَبادى(٢)
تُنير بكَهْربائى المعــانى أموراً كنّ كالظُّلَم الدءادى(٣)
تحلّ من القلوب إذا وعتها مَحلّ الحُبِّ من شَغَف الفؤاد(٤)
إلى أن جاء حاضرةً نماها أبو الأمناء ذو الشَّرَف التِّلاد(٥)
فــكان نزوله فى ساكنيها نزولَ المــاء فى المُهَج الصَّوادى
فيا عبدَ العزيز أقم عزيزاً بحيث الأرضُ طيبةُ المَراد
يحيّيك العراق برافِدَيْه تحيةَ مخلص لك فى الوِداد

فى حفلة شوقى

أمارس دهراً من جديدىّ داهرًا وما زال ليلى بالعراقين ساهرًا(٦)
أبَى الحقُّ إلّا أن أقوم لأجله على الدهر فى كل المواطن ثائرا(٧)
وأن أتمادَى فى جدال خصومه وأقرَع منهم بالبيان المُــكابِرا
وإنى لأهوَى الحق كالطيب ساطعاً وكالريح هبَّاباً وكالشمس ظاهرا
ستبقى لنفسى فى هواه سريرةٌ إذا الدهر أبلى من بنيه السرائرا

---

(١) هدير : أى صوت شديد كصوت الفحل الهائج . والدوى ، بوزن غنى : الصوت الشديد كقصف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .
(٢) محــكمة المقاصد ؛ أى بخطبة مسددة الأغراض والمرامى .
(٣) الدءادى : جمع دأدأ بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهى آخر ليلة فى الشهرُ . وأصــله الدءادىء بالهمز ، ثم خفف .
(٤) شغف الفؤاد وشغافه : هى الجلدة الرقيقة التى تحيط بالقلب .
(٥) التلاد والتليد والتلد : الشىء الموروث من مال وشرف ونحوهما . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المــكتسب المستحدث من ذلك .
(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته فى الدفاع عن الحق ، وحبه لجدال خصومه ومنــكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .
(٧) الضمير فى لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسى أن أكون مخادعاً لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائرا
ومن أجل مقتى للمخانيث أنكرتْ يدى أنْ تُحلَّى فى الجنان أساورا
وما العجز إلّا أن أكون مُكاتِما إذا ما تقاضتنى العُلَى أن أجاهرا(١)
وما أنا ممن يُبهمُ القولَ لاحناً فيضمر فيه للجليس الضمائرا
ولولا طموحى فى الحيــاة إلى العُلَى
سَــكَنْتُ البوادى واجتنبت الحواضرا

* * *

يقولون لى فى مصرَ للعلم نهضةٌ تُفَتِّق أذهانا وتجـلو بصائرا
وإن بها للعلم قـدرا وحُرمةً وإن بها للحقّ عونا وناصرا
وإن لأهل العلم فيها نواديا وإن لأهل الفضل فيها دساكرا(٢)
ألم ترَ أن القومِ فى كل مَحْفِلٍ بها رفعـــوا للقائلين المنابرا
وقد ضربوا وَعداً لتكريم شاعر تملَّك صِيتا فى الأقاليم طائرا
هو الشاعر الفحـل الذى راح شعره
بإنشاده فى الـــبر والبحر سائرا
فلو قلتَ بعضَ الشعر فى يوم حَفْلِهمْ
تَشُدُّ به مِنَّا لمصرَ الأواصرا
فقلتُ أَجَلْ والشعر ليس بمعجزى
ولن تَعدَموا منى على الشـــعر قادرا
أَلَا إن شوقى شاعر جِدُّ شاعرٍ يفوق الأوالِى بل يَبُزُّ الأواخرا(٣)
تملَّك حُرَّ الشِّعر فهو رقيقه وقام عليه بالذى شاء آمرا(٤)

---

(١) تقاضتنى : طالبتنى . يقال : تقاضيته الدين : طالبته بأدائه .
(٢) الدساكر : جمع دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن العلماء وأهل الفضل منتديات وعمائر يجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وهم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقى تملك رقاب المعانى ، وحر الشعر : خالصه من العيوب ، وفى الرقيق تورية .

إذا رام جَزْلًا منه أنشد زاخرا ... وإن رام سَهلًا منه أنشد ساحرا[١]
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرِهم ... إذا عقدوا منهم عليه الخناصرا
بنى لهمُ مَجدا رفيعا بشعرِهِ ... لذا جعلوا حسن الثناء وَكائرا[٢]

* * *

ولكنَّنى قد أنظرُ الحَفْلَةَ الَّتى ... تُقام له ذا اليوم فى مصرَ ساخرا
إذا احتفلتْ مصرٌ بشوقى فما لها ... تُقيم على الأحرار فى العلم حاجِرا
فقد أسمعتْنا ضَجّةً أمطرت بها ... عَلِيًّا وطَـه حاصباً مُتطايرا[٣]
فما بال هذا عُدَّ فى مصر مارقا ... وما بال هذا عُدَّ فى مصرَ كافرا
إذا لم تكُ الأفكار فى مصر حُرةً ... فليس لمصر أن تـكرِّم شاعرا
أيُرفَع قدرُ العلم يَنطِق ناظما ... ويُوضَع قدرُ العلم يَنطِق ناثرا
ويُختصُّ بالتبجيل من جاء مُنشِدا ... ويُقذف بالتجهيل من جاء فا كرا
ألا أن هذا الشعر ليس بطائلٍ ... إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
كما أن هذا العلم ليس بنافعٍ ... إذا لم تـكن فيه النفوس حرائرا
وتـكريم رَبِّ الشعر ليس بمفخَرٍ ... لمن كان عن حُرِّية الفـكر جائرا
وإلّا فمصر الجاهلية قبلَنا ... له السبق فى تكريم من كان شاعرا

---

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الوكائر : جمع وكيرة ، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنيان الوكر ، أو عند شرائه فيدعو إليه ، استعاره الشاعر هنا لحفلة التـكريم .

(٣) على : هو حضرة الحسيب النسيب والوزير الـكبير الأستاذ على عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحـكم ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل ، وموجه الثقافة الأكبر ، الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربى بجامعة فؤاد الأولى ، ومن تآليفه التى أحدثت دويا شديدا فى العالم العربى كتاب «فى الشعر الجاهلى» ، وله كتب أخرى كثيرة فى الأدب والنقد ، ذات أثر بالغ فى توجيه أدباء هذا الجيل .

الأمة العربيـــة

ماضيها و باقيها

هِمَمُ الرجال مقيسةٌ بزمانِها ... وسعادة الأوطان فى عُمْرانِها(١)
وأساسُ عمران البلاد تعاوُنٌ ... متواصلُ الأسباب من سُكّانها
وتعاون الأقوام ليس بحاصل ... إلا بنشر العلم فى أوطانهـا
والعلم ليس بنافع إلا إذا ... أجْرَتْ بها الأعمالُ خَيلَ رِهانها
إنَّ التجارب للشيوخ وإنَّما ... أمَل البـلاد يكون فى شُبَّانها(٢)
هذى لدى العرب الكرام مَبادئٌ ... نزلت بها الآيات فى قُرآنها(٣)
والعُرْب أكبر أُمَّة مشهورة ... بفُتوحها وعُلومهـــا و بَيانها
كمْ قد أقامتْ للعلوم مدارسًا ... يَعيا ذووا الإحصاء عن حِسْبانها
وَبنَتْ بأقطار البلاد مَصانعًا ... تتحيَّر الأفـكار فى بُنْيانها
فالمجـدُ مأثور بكل صراحة ... عن قَيْسها أبداً وعن قَحْطانها
طُبِعتْ على حُبِّ العلاء فسعيها ... للمكرُمات يُعَدّ من دَيدانها(٤)
نهضَتْ بماضى الدهر نهضتَها التى ... خضعتْ لها الأفلاك فى دَوَرانها
حَسُنت عواقب أمرها حتى لقد ... بهرت بنى الدنيا جلالةُ شانها
فهمُ الأُلى فتحوا البلاد ونشَّروا ... راياتِ مَعْدَلَةٍ على قُطَّانهـــا
وهمُ الأُلَى خضعتْ لهـــم أُمم الوَرَى
من تُركها طُرًّا إلى أسبـــانها

---

(١) معنى هذا البيت والأبيات الثلاثة التى بعده : أن سعادة الأوطان بعمرانها ، وأن عمرانها بتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقترن بالعمل .

(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حنكتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الأبيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : الدأب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عماً شيد من إيوانها
يا أمّةً عاش البريّةُ أعصراً في عدلها رغَداً وفي إحسانها
ثم انقضتْ تلك العصورُ لجاءها زمن به انقادت إلى عُبدانها
فنضتْ ملابسَ عزّها وتثاقلتْ في الذلّ راسفةً بقَيد هَوانها (١)

في إيليـــاء

إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيامَ ظامئةً وليستْ بغير دم الأنام تريد رِيّا
ولو لم تنو حرْباً ما تبدّى بها شكل الأهلّة خِنْجَريّاً (٢)
ودلَّ على تقلّبها انقلابٌ لجرْم الأرض حين غدا كُريّاً (٣)
وأصلدتِ الحقيقةُ في الليالي فلماًّ بقتـدحْ زَندا وَرِيّاً (٤)
نَفضتْ يَدَيَّ من أبناء دهرٍ أهانوا الشهم واحترموا الزَّرِيّا (٥)
وقلّ حياؤهمْ حتى رأينا ظَنين القوم يتّهم البريّاً (٦)
وساد الجاهلون فلستُ أدري أعزّى العلم أم أبكى الدُريّاً
لهمْ عين تراعى الشرَّ يقظى وقلبٌ ظلَّ في عَمَه كَريّاً
تقلّدتِ السيوف رُعاةُ مَعْزٍ وكانت قبلُ تحتمل الهريّاً (٧)
فجرّد منهم الرعديدُ عَضْباً وهزّ أخو الجبـانة سَمْهريّاً (٨)

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أي ماشية مشي المقيد .
(٢) خنجريا : مشبها للخنجر .
(٣) جرم الأرض : جسمها . والكرى والكروى : المستدير المشبه للكرة .
(٤) أصلد : لم يور .
(٥) الزرى : ذو العيوب المحتقر .
(٦) الظنين : المتهم الذى لا يوثق به .
(٧) الهريا : العصى ، وهو جمع هرواة على غير قياس ، وهى العصا الغليظة .
(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعديد : الجبان المستطار الفؤاد . والعضب : السيف القاطع . والسمهرى : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرِبٍ تجَسَّس للأعادى ... فأصبحَ من تجسُّسه ثَرِيًّا
وساعٍ كان يسرَحُ بالمواشى ... فأمطِىَ من سِعايتــه سَرِيًّا
وإنَّ لساسة الدنيا لقلبا ... قَسِيًّا فى السياسة مَرْمَرِيًّا
قد اتخذوا الحُسام لهم لسانا ... فقالوا البُطْلَ واختلقوا الفَرِيًّا
وكيف تُساس مملكة بعدل ... إذا ما الحكم أصبح عسكريًّا

* * *

ألا ما بالُ دمعى ليس يرقَا ... كأن بمقلتى عِرقًا صرِيًّا
إذا ذُكِرَ العراق بكيت شَجْوا ... بدمعٍ طَمَّ سائله القَرِيًّا
ولمَّا سِرْتُ فى جبل وسهلٍ ... وكابدتُ السمائم والعريَّا
نزلت بإيليا على كرامٍ ... وَخِيم العيش عاد بهم مرِيًّا
فكدتُ بقربهم أنسى بلادى ... وأسلو الطفَّ ثَمَّةَ والغريَّا
ولم أرَ كالنشاشيبىِّ نَدْبًا ... إلى العليــاء مبتدِراً جرِيًّا
فتًى سعت المفاخرُ وهى عَطْشَى ... إلى آدابه فأصــبنَ رِيًّا
تجدَّد فى العلاء فكان بِدْعًا ... فعاش بمصرِه رجلًا طَرِيًّا
وأحرز فى الورَى شَرَفًا رفيعاً ... وصيتا فى العُــلى إسكندريا
ولم أرَ سيداً كأبى سرِىٍّ ... ولا مثلَ ابنــه ولدا سَرِيا
هما متشابهــان فعبقرىٌّ ... من الآباء أنجب عبقريا
أبٌ فى المجد أروعُ أَحْوَزِىٌّ ... نَمَى للمجد أروعَ أحوزيًّا(١)
إلى الشهم السكاكينىِّ أهدِى ... ثنــاء لا يزال به حَرِيًّا
فتًى غرس المكارمَ ثم منها ... جنى ثمر العُلَى غضًا طَرِيًّا
يعافُ مَعاشَــه إلا شريفاً ... ويأبى المجدَ إلّا جوهريًّا

(١) الأحوزى: الجاد فى أمره، والحسن السياقة للأمور. قالت عائشة فى عمر: كان والله أحوزيا نسيج وحده. وروى بالذال أيضا، وهو قريب من الأحوزى، وهو السائق الخفيف.

تجاه الريحـــانى

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ ... به الآناف يفعمهنَّ طيبُ
ويحسن فى المسامع منه صوت ... له تهـتز بالطرب القلوب
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا ... بريحـــانيّنا وهو الأديب
فتى كثرت مناقبـه فأضحى ... له فى كل مكرمة نصيب
تجالس منه ذا خُلق كريم ... له بجليسه أثرٌ عجيب
وأقسم لو يجالسه سفيهٌ ... فَواقا لاغتدى وهو الأريب(١)
كذاك يكون زهرُ الروض لمّا ... تمرّ عليــــه ناسمة تطيب
ولم يُنسب إلى الريحان إلّا ... وريحـان الرياض له سيب
له قلمٌ به تحيـا المعانى ... كما يحيا من المطر الجديب
وتُشرق فى سماء الشعر منه ... كواكب ليس يُدركها مَغيب
لقد طارت بشهرته شَمالٌ ... كما طارت بشهرته جَنوب
وطبّق صيتُه الآفاقَ حتى ... تعرّفه القبائل والشعوب
فديتك هل تُصيخ فإن عندى ... شَـكاةً لا تَصيخ لها الخطوب
إلى كم أستغيث ولا مغيث ... وأدعو من أراه فلا يجيب
أقمتُ ببلدة مُلِئتْ حقودا ... علىَّ فـكل ما فيها مُريب
أمرّ فتنظر الأبصار شَزْرا ... إلىَّ كأنما قد مرّ ذيب
وكم من أوجه تبدى ابتساما ... وفى طىّ ابتسامتها قطوب
سكنت الخانَ فى بلدى كأنى ... أخو سفر تَقاذَفه الدروب
وعشت معيشه الغرباء فيــــه ... لأنى اليـــوم فى وطنى غريب

(١) فواقا : أى قدر فواق ، وهو مدة مابين الحلبتين .

وما هـــذا وإن آذى بدائى ولا هـــو أمره أمر عصيب
ولـكنِّى أرى أبناء قومى يدبِّر أمرهم من لا يُصيب
يُقدَّم فيهـــم الشرِّير دَفعا لشِرَّته ويُحتقَـــر الأديب
فهذا الداء منتشِب بقلبى وفى قلب العُـلى منـه وجيب
فكيف شفاؤه ومتى يُرجَّى وأين دواؤه ومَنِ الطبيب
وإنأكُ قد شكوت فماشَكاتى إلى ذى خُـلَّةٍ شىء مَعيب
سأَنْصِبُ للهواجر حُرَّ وجهٍ يعود إلى الشروق به الغروب
وأضرب فى البلاد بغير مُـكْث أجوب من المَهَامِهِ ما أجوب
إلى أن أسـتظل بظل قوم حياة الحر عنـــدهم تطيب
وإلا فالحيـــاة أمرُّ شىء وخيرٌ من مرارتهـا شَعوب

بنى الأرض (*)

بنى الأرض هل من سامع فبثَّهُ حديثَ بصيرٍ بالحقيقـــة عالم(١)
جُبِلنا على حب الحياة وإنهـا . مخيفة أحـــلام أطافتْ بحالم(٢)
سعى الناسُ والأقدار مخبوءة لهم وناموا وما ليـل الخطوب بنائم(٣)
جرت سفن الأيام مشحونةً بنا على بحر عيش بالردَى متـلاطِمِ(٤)

* * *

تأملتُ فى الأحياء طُرًّا فلم أجِد بهم باسِمًا إلَّا على ألف واجم(٥)
ورُبَّ سعيدٍ واحدٍ تمَّ سـعدُهُ بألف شـقىٍّ فى المعيشـة راغم(٦)

(*) من الجزء الأول .
(١) بثه الحديث : أطلعه عليه .
(٢) الأحلام ، جمع حلم بضم الحاء ، وهو مايراه النائم .
(٣) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر صغر أوعظم .
(٣) الردى : الهلاك .
(٥) الواجم : الساكت غيظا وغما .
(٦) راغم : كاره .

وما المرء إلا دَوْحة فى تنوفةٍ مُلَوَّحةٌ أغصانها بالسمائم(١)
لها وَرَقٌ قد جف إلا أقله وعيدانها بين النُّيوب العَواجم(٢)
ولا بدَّ أن تُجْتَثَّ يومًا جُذورها وتَقلَعُها إحدى الرياح الهواجم(٣)

* * *

أرى العُمرمهما ازداد يزداد نقصُهُ إذن نحن فى نقص من العمر دائم
ولولا انهدامٌ فى بناء جسومنا لما احتيج فى تعميرها للمطاعم
لحى الله بأساء الحياة كأننا نُكَبَّلُ من حاجاتها بالأداهم(٤)
نروح كما نغدو نجاهد دونَها أموراً دعتنا لارتكاب الجرائم
فلو كنت فى هذا الوجود مخيَّرًا وفى عَدمى لاخترته غير نادم(٥)
هل الموت إلا سالك وحياتنا إليه سبيلٌ مستبين المعالم(٦)
وما زال هذا الدهرُ غضبانَ آخذاً على الناس من سيف المنون بقائم(٧)
تبصَّر تجد هذى البسيطةَ منزلًا كثير اليتامَى عامراً بالمآتم(٨)
وليس الذى آسَى له فقدَ هالك ولكن ضياعُ المفجعات الكرائم(٩)
أراملُ تَستذرى الدموع وحولها يتامى كأفراخ القطا والحمائم(١٠)

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة . التنوفة : المفازة والفلاة لاماء فيها ولاأنيس .

(٢) النيوب : جمع ناب ، وهى السن التى خلف الرباعية . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم المأكول .

(٣) تجتث : تقتلع . جذورها : أصولها . الهواجم : جمع هاجمة .

(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل اللحى بمعنى الشتم والسب مجازا كما هنا . نكبل : نقيد . الأداهم : القيود .

(٥) اخترته : أى اخترت العدم .

(٦) مستبين المعالم : واضح الطرق .

(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : مقبضه .

(٨) المآتم جمع مأتم : وهو كل مجتمع من رجال أو نساء فى حزن أو فرح ؛ ثم قصر على مجمع النساء فى المصائب .

(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من أفجعته المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : ليس ما أحزن عليه هو هالكا قد فقدته ؛ ولكنى أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .

(١٠) تستذرى : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهى طائر فى حجم الحمامة . الحمائم : جمع حمامة .

وكائنْ ترَى مخدومة فى جلالها
سعتْ حيث أبكاها الردَى سعىَ خادم[١]
فليت للمنايا حين قوّضْنَ بيتها   بدأن بها من قبل هدم الدعائم[٢]

* * *

أرى الخيرَ فى الأحياء وَمْضَ سحابة
بدا خُلَّبـًا والشرّ ضربةَ لازم[٣]
إذا ما رأينا واحداً قام بانيا   هناك رأينا خلفه ألفَ هادم
وما جاء فيهم عادل يستميلهمْ   إلى الحق إلّا صدَّه ألف ظالم
جهلت كجهل الناس حكمةَ خالقٍ   على الخلق طُرًّا بالتعاسة حاكم
وغاية جهلى أننى قد علمتـه   حكيما تعالى عن ركوب المظالم

* * *

دأبت لنفسى فى الحياة كأننى   من العيش مُلقًى فى شُدوق الضراغم[٤]
يخاصمنى منها على غيرِ طائلٍ   أناس فابْدِى الصفحَ غير مخاصم[٥]
وأقنع بالقوت الزهيد لطيبه   حِذَارَ وقوعى فى خبيث المطاعم
وأترك ما قد تشتهى النفس نَيْـلَه   لما تشتهيه قِلّةٌ فى دراهمى
وكم لىَ فى بغدادَ من ذى عداوةٍ   وما أنا فى شىء عليه بجارم[٦]
إذا جئت بالقلب السليم يجيئنى   بقلب له من كثرة الحقد وارم

---

(١) كائن : بمعنى كم للتكثير .   (٢) قوضن : هدمن .
(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الخلب : هو الخداع الذى لامطر فيه .
(٤) شدوق جمع شدق : وهو طفطفة الفم من باطن الخدين . الضراغم : الأسود .
(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولافائدة .
(٦) جارم : مذنب .

الحمـــــد للمعلم

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بتُّ أختلس الكَرَى | وأرقب فيه النجم أن يتغوَّرَا
تمطَّى على الآكام منه بغَيهب | تكاثَف حتى خِلته قد تحجَّرا
وكاد دُجاه يمكن الكفَّ لمسُهُ | فلو سار سارٍ في دُجاه تعثَّرا
لقد بِتُّهُ والهمُّ مُعْتلِجٌ به | إذا زاد طُولًا زدت فيه تضجُّرا
يقلّبني فيه الجَوَى وتهزّني | لواعج شوق في الفؤاد تسعّرا
أرى الزُّهْر فيه يضطربن كخابطٍ | بتَيهاء يجتاب الدُّجَى متحيّرا
كأن نجوم الليل غَضْبَى على الدُّجَى | تُردِّد لحظا في الدُّجنَّة أشزرا
إلى أن بدا لي الصبح يحكي عمودُه | لنخلَة رأياً بالذكاء منُوَّرا
فتى كنت قبل اليوم خُبِّرت فضله | كبيراً ومذ شاهدتُه كان أكبرا
له خُلُقٌ بادٍ إباءٍ ونخوةً | وعقلٌ رزين بالعلوم تحضَّرا
ترى منه إن لا ينتَه ذا دَماثةٍ | أديباً وإن خاشنتَه فغضَنفرا
لقد علمت هذي المدارسُ فضله | لَدُنْ كان للتدريس فيها تصدَّرا
تقضَّتْ له فيها ثلاثون حِجَّة | بها قرّط الآذان دُرًّا وجوهرا
وجهَّز بالآداب أبناء قطره | أماليَّ أملاها عليهم وقرّرا
بذلك أحيا للأعاريب لهجةً | خلا ربعُها من ساكنيه وأقفرا
إذا استبهمتْ طُرْق الفصاحة مازها | بما في كتاب الله منها تقرّرا
لنا اليومَ جيش من تلاميذ علمه | به الجهل ولّى مدبراً وتقهقرا
هم الجيش سدّوا ثغر كل جهالة | إذِ اتخذوا في كل ثغر معسكرا

---

(١) يتغور: يميل للمغيب.

له الفضل فى تعليمهم أفصح اللُّغَا وغُرّ القوافى والـكلامَ المحبَّرا
فـكل فتًى منهم أديبٌ نقيمه ليُلقىَ درساً أو ليقرع منبرَا
لك ابنَ زُرَيْق مِنّة سَرْمدية سيذكرها فى دهره من تذكَّرَا
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة من الناس أثنينا عليك تشكرَا
كفَى بالسكاكينىّ فى القدس شاهداً
بمـا لك من فضل عميم على الوَرَى
فقد كان قبل اليوم تلميذَك الذى غدا اليوم أُستاذاً كبيراً مفكِّرَا

عرس مصر

قالها لما أقيم فى مصر عرس لـكريمة الخديو عند اقترانها بابن الداماد فريد باشا ؟ وكان ذلك فى أثناء حرب البلقان المشؤومة .

أَطْرَبَتْهمْ بلحنهـا الأنغـامُ حين أدمت قلوبَنا الآلامُ
فأقاموا مجالسَ الأنس حتى رقصَ العار بينهم والذّامُ
أضحكوا أوجهَ السفاهة ضِحْكاً قد بكت فى خلاله الأحلامُ
إنَّ فى مصر للـكريمة عرسًا سوف تُعْنَى بشرحه الأقلامُ
أوقدوا فيه للسرور سِراجاً عَمّ من نوره البلادَ ظلامُ
ذاك عُرسٌ تَـكَشَّر اللؤمُ فيه عن نيوب كأنهنَّ سهامُ
وتغنّت للقوم فيه قِيانٌ أنـكر العهدُ صوتَها والذمامُ
فلِعَين الحليم فيـه بكاء ولثغر السفيه فيه ابتسامُ

* * *

أيهـا المُولِمُون فى مصرَ مَهلًا إنّ إيلامكم لنا إيلامُ
أتغنيِّـكُمُ القيانُ بيومٍ قام فى مأتم به الإسلامُ
لبست هذه البلاد حِداداً وتحلّت بوَشيها الأهرامُ
وجرت أعين الفرات دُموعاً وجرى النيل ثغرُه بسّامُ

أشمَاتا بالمسـلمين وقد دا　　رت عليهم بنحسها الأيامُ
إذ رمتهم يد الزمان بخطب　　جلَل ما لنقضه إبرامُ
فهوت مصارع الحـكم منهم　　جثثٌ تملأ الفضاء وهامُ
وتخلَّوا عن البلاد وأبقوا　　حُرُماتٍ تدوسها الأقدامُ

* * *

يا بنى مصر صَفْيَةً لسؤالٍ　　فيه عَتْب لـكم وفيه مَلامُ
أتُناط الفُتوحُ في خِنصر الـكفِّ　　ازدياناً إنْ قُطِّت الإبهامُ
أدماء القتلى لديكم خِضابٌ　　أم أنين الجرحى لـكم أنغامُ
أم تريدون أن تكونوا كقوم　　أسكرتهمْ بين القبور مُدامُ
أم أصختم إلى الأغاريد كىْ لَا　　تسمعوا كيف تَنْحَب الأيتامُ
لست أدرى وقد سمعت بهذا　　يقظةٌ ما سمعته أم منامُ

من مضحكات الدهر

سأُبدِى لدهرى ناجذَ المتضحِّك　　ولو كان يجرى بالذى هو مُهلـكِى
فما أنا راجٍ بعد ذا اليوم خيرَهُ　　ولا خائفٌ من شره المتحرِّكِ
إذا الدهر لم يُعتِبْ من الناس جازعا　　فأضيعُ ما فيه شكاية مُشتكِ[1]
على أنَّ ضِحكِى منه لاعن سفاهةٍ　　ولـكن كضحكِ العَفِّ من متهتِّكِ
ولو سَبَرَ الناس الحوادثَ بالنُّهى　　لما حصلوا منها على غير مُضْحك
وما حادثات الدهر إلا خوابطٌ　　كعشواء تمشى مِشية المترهوِكِ[2]
وتنهَض للإرقال فى غير مَنْهَضٍ　　وتبرُك أحيانا على غير مَبْرَكِ

(١) م يـ ـ : ـضـا ع أعسه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فالهمزة فيه للسلب فى أـكا : ى أزال شكايته .

(٢) الـ ـ اء : الناقة التى لاتبصر أمامها . فهى تخبط بيديها كل شىء ؛ إذا مشت لا تتوقى شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذى تراه كأنه يموج فى [illegible] .

وما حكم هذا الدهر إلّا تحكُّمٌ　　كحكم فُصوص النَّرد في نقل مُهْرَكِ[(١)]

كأنّا من الدنيا ببيتِ تقامرٍ　　حوى من سهام القَمْر كلَّ مُدَمْلَكِ[(٢)]

فمن قامرٍ قد فاز باليَسر قِدْحُهُ　　وآخر مقمور بقدح التصعلُكِ

وما الحِرَف اللاتى يُجيد احترافها　　سِوَى شَبَكٍ منصوبة للتملك

وإن طبيب القوم ناصب كِفَّةٍ　　ليصطاد فيها بالدواء المصطك[(٣)]

ومن مُضحكات الدهر حامل سُبْحة　　تُقَبِّلُ جهلًا كَفَّهُ للتبرُّك

وآخرُ تركيٌّ تَعرَّبَ وادَّعى　　على عَرَبِيٍّ هُجنةَ المتترِّك[(٤)]

وتحديثُ غِرٍّ مُطرياً عدل دَولةٍ　　برايتها رسم الصليب المشَبَّك

وما الناس إلا خادع أدرك المُنَى　　وآخرُ مخدوع لها غيرُ مدرك

فلا تُبد من زِير النساءِ تعجُّبا　　ولا تغترِرْ بالزاهد المتنسِّك[(٥)]

فما دارت الأفلاك إلّا وقُطبها　　بحكْم الهوى حبُّ الكَعاب المفلك[(٦)]

وإن أبصرتْ عيناك يوما حقيقة　　تخالفُ ما قد قلته فتشكَّك

---

(١) قوله إلا تحكم : أى مجاوزة للحق فى الحكم . والنرد : شيء يلعب به ؛ وأراد بفصوص النرد الكعاب التى يلعب بها . والمهرك : واحد المهارك ؛ وهى قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها فى النرد . وهو معروب « مهرة » بالفارسية . والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المعقول ، وإنما هو تحكم كالحكم الناتج من رمى الكعاب فى نقل المهارك فى النرد ، فان اللاعب لا ينقل المهارك كما يريد ، بل ينقلها حسبما تأتى به الفصوص عند رميها .

(٢) سهام القمر : قداحه التى يقارع بها فى القمار . والمدملك : من السهام المحلق ، أى المسوى الملس . لما جعل أحكام الدهر فى البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد ، ناسب أن يجعل الدنيا فى هذا البيت بيت مقامرة ، والناس فيها بين قامر ومقمور ، وأوضح ذلك بالأبيات التالية .

(٣) الكفة : حبالة الصائد التى يصيد بها الظباء ، وهى بضم الكاف وتكسر . والدواء المصطك : المخلوط بالمصطكى .

(٤) حاصل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرب . فصار يعير بالهجنة عربيا قد تترك . يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس فى هذا العصر ، واندماج بعضهم فى بعض . فكثيرا ما ترى من يتعصب للعرب وهو تركى الأصل ، ومن يتعصب للترك وهو عربى الأصل .

(٥) زير النساء : الذى يحب محادثة النساء . ويكثر مغازلتهن .

(٦) الكعاب . كسحاب : الجارية الناهد . والمفلك بصيغة الفاعل . واللام مشددة : التى استدار ثديها . يقال فلكت الجارية : استدار ثديها وصار كفلكة المغزل .

فإنك لم يُنبئك مثلُ مُجَرِّب   خبير ولم ينصحك مثل مُحَنَّك[١]
فهذا لعمرُ الله رأيي فخذ به   فقد فزتَ منه بالجُذَيل المحَكَّك[٢]

الشارع الكبير ببغداد

نَكِّبِ الشارع الكبير ببغدا   د ولا تمش فيه إلّا اضطرارا
شارعٌ إن ركِبت متنيه يوماً   تَلْقَ فيه السهول والأوعارا
تترامى سنابك الخيل فيه   إن تقحَّمن وَعْثه والخَبارا
فهي تحثو التراب فيه على الأو   جُهِ حَثواً وتقذف الأحجارا
لو ركبتَ البراق فيه أو البرْ   قَ نهاراً لمَا أمِنت العِثارا
تحسِب العابرين فيه سُكارَى   من هواء تنسَّموه غُبارا
ساطعٌ يملأ الفضا مستطيراً   حاملًا في ذَرَاته الأقذارا
مستجيشاً من الجراثيم جيشا   مسبطرًّا عَرمرما جرّارا
هو إن رُشّ جاش وحْلًا وإلّا   جاش نَقْعا على الوجوه مُثارا
تَصهَر الشمس فيه أدمغة القو   م إذا همْ تخبَّطوه نهارا
وإذا ما مشيت في جانبيه   فتجنَّبْ رَصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطـ   ـراف لحظا أنكرته إنكارا
لا ترى فيه ما يسرُّك بالصنْـ   ـعة حُسْنا ويبهج الأبصارا
بل ترى العينُ فيه كل جدار   تكره العين أن تراه جِدارا
لجدار عال وفي الجنب منه   متدانٍ تقيسه أشبارا

(١) مجرب : بصيغة الفاعل . باعتبار أنه اختبر الأمور . والمحنك أيضا بصيغة المفعول : الذى أحكمته التجارب .

(٢) الجذيل المحكك : الذى يشتفى برأيه . و الجذيل : تصغير جذل . وهو عود كانوا ينصبونه فى العطن لتحتك به الإبل الجربى . ثم صار يضرب مثلا للذى يستشفى برأيه . ويعتمد عليه . كما قال الحباب بن المنذر لما خطب يوم السقيفة : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » .

ودكاكينُ كالأفاحيص تمتـــدُّ يميناً بطوله ويَسارَا
أين هذا من الشوارع في الأمصـــار زانت بحسنها الأمصارَا.
عبَّدُوها ومهدوها فجاءت لا اعوجاجًا بها ولا ازوِرارَا
وأعدُّوا بهن كل رصيف يَحمَدَ السيرَ فوقه من سارَا
وأقاموا لهم بها كل صَرْحٍ مشمخرٍّ بناؤه اشمخرارَا
فعلى الجانبين كل بناء خِيل في الحسن كوكبا قد أنارَا
ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضِفافها الأشجارَا
فَوَقَتْهمْ ظلالُها وَهَجَ الشمـــس وسَرَّ اخضرارها الأنظارَا
هكذا فلتكن شوارعنا اليو م وإلَّا فما عمرنا الديارَا

على الخوان

أكبَّ على الخوان وكان خِفًّا فلما قام أثقله القيام[1]
ووالى بينها لُقَمًا ضِخامًا فما مَرِئت له اللُّقم الضخام[2]
وعاجل بَلْعهنَّ بغير مضغ فهنَّ بفيه وضع فالتهام[3]
فضاقت بطنه شِبَعًا وشالت إلى أنْ كاد ينقطع الحزام[4]
فأرسلتُ اللحاظ إليه شَزْرًا وقلت له رُوَيْدك يا غلام[5]

(١) الخوان : بالكسر وبالضم : مايوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفا بالكسر : أي خفيفا . وأثقله القيام : جعله ثقيلا .

(٢) ولى بينها . أي تابع بين اللقم . فما مرئت له : أي ماساغت . وكانت مريئة : أي حميدة المغبة . ولقما : تمييز للضمير المضاف إليه في قوله بينها .

(٣) الالتهام : الابتلاع بمرة ، وفي التعبير بالمصدر مبالغة في المعنى المراد . أي هن بفيه موضوعة فلتهمة بلا فاصل .

(٤) البطن : مذكر . وتأنيثه لغة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعا : مفعول مطلق على حذف مضاف . أي ضيق شبع ؛ أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أي ارتفعت .

(٥) فأرسلت اللحاظ : أي النظر . فهو هنا مصدر لاحظه : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزرا : أي أشزره شزرا . وهو النظر بجانب العين . نظر الغضبان . رويدك : أي أمهل نفسك .

أرى القمات تأخذها حلالا ... فتدخل فاك وهى به حرام
قد انتضدت بجوفك مفردات ... تخلل بينها الداء العقام(١)
أتزدرد الطعامَ بغير مضغ ... على أيام صحتك السلام(٢)
فلا تأكل طعامك بازدراد ... معاجلةً فيأكلك الطعام
ألا إنّ الطعام دواء داء ... به ابتليت من القدم الأنام
فداو سقام جوعك عن كفاف ... فإكثار الدواء هو السقام
وما أكل المطاعم لالتذاذ ... ولكن للحياة بها دوام
طعام الناس أعجب ما أحبّوا ... فمنه حياتهم وبه الحِمام
يقودهمُ الزمان إلى المنايا ... وما غير الطعام لهم زمام
وأعجب منه أنّ الناس راموا ... تنوّعه ألا بئس المَرام
إذا استعصى القَفار عليك أكلًا ... كفاك من القَراح له إدام(٣)
حَذارِ حَذارِ من جَشَعٍ فإنّى ... رأيت الناس أجشعها اللئام(٤)
وأغبى العالمين فتًى أكولٌ ... لفطنته ببطنته انهزام
ولو أنى استطعت صيام دهرى ... لصمتُ فكان دَيدَنىَ الصيام(٥)
ولكن لا أصوم صيام قوم ... تكاثر فى فَطورهم الطعام(٦)
فإن وضح النهار طوَوْا جياعاً ... وقد نهموا إذا اختلط الظلام(٧)

(١) قوله « قد انتضدت » : أى قد تراكبت فى جوفك . بعضها فوق بعض . وكل منها مفردة عن أختها . كما كانت عند دخولها . وقد تخلل بينها : أى دخل فى خلالها الداء العقام . الذى لا يرجى له برء .

(٢) أتزدرد الطعام : أى أتبتلع الطعام .

(٣) القفار . بالفتح : صفة لمحذوف . أى الخبز القفار . ويقال خبز قفار : أى غير مأدوم . وأكلا : تمييز للنسبة . محول عن الفاعل . والقراح بالفتح : الماء الخالص . الذى لم يخالطه شىء يطيب به . من عسل أو زبيب أو غير ذلك . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) حذار : اسم فعل بمعنى احذر . وتكراره هنا للتأكيد . والجشع بفتحتين : أشد الحرص على الطعام وأسوؤه .

(٥) ديدنى : أى دأبى وعادتى .

(٦) تكاثر هنا : بمعنى كثر .

(٧) وضح النهار : بان وانجلى . وقوله « وقد نهموا » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه . وكانوا لا تمتلىء أعينهم ولا يشبعون . ويجوز أن يقرأ : نهموا ، بالبناء للمفعول . واختلط الظلام : اعتكر .

وقالوا يا نهار لئن تُجِعْنا فإنَّ الليل منك لنا انتقام
وناموا مُتْخَمين على امتلاء وقد يتجشئون وهم نيام(١)
فقل للصائمين أداء فرضٍ ألا ما هكذا فُرِض الصيام!

تحية سركيس

أنشدها فى حفلة أقيمت فى القدس لتكريم الكاتب الشهير سليم سركيس . عند قدومه إليها زائرا .

كم فاضلٍ أكبرتُه قبْـل اللِّقا فسجرتُ فيه من الثناء وَطيساَ
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما يُعزَى إليه العُلَى معكوساَ
إلَّا الفتى سَرْكيسَ أىْ وتشرّفى بلقائه ، إلَّا الفتى سَرْكيساَ
جالسته فى القدس أولَ مرَّةٍ فأحسَّ قلبى من هواه رَسيساَ
فى مجلس نظم الزمانُ بصدره عِقْداً من الصِّيد الكرام نفيساَ
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه فيُدير منه على الجلوس كئوساَ
يُحيى السرور الميتَ منك بنكتةٍ فيُريك معجزة ابن مريم عيسى
وإذا أفاض من الحديث بحكمةٍ خِلْنا محدِّثنا أرسطاليساَ
وإذا تحدَّث مازحاً فنكاته بالضِّحك تصفَع من تراه عَبوساَ
لو يستدرّ يد الشحيح بظرفِهِ يوماً لجاد له وحَلَّ الكيساَ
جالستهُ فَـكِهَ الكلام منافثاً أكرِمْ بمثلك يا سَليم جليساَ
فمجالس الأدباء أنت رئيسها أخاقٍ بمثلك أن يكون رئيساَ
أوَلستَ رَبَّ مَجَلّة أدبية تُزْرى بأزهار الرياض طُروساَ
فى كل شهر بالفنون تزفُّها عذراءَ باهرة الجمال عَروساَ
قد جئتَ فى تحبيرها متنطساً تشفِى بنفْث يَراعك المألوسا

(١) ناموا متخمين : أى لهم تخمة كطلمة . وهى داء يصيب الانسان من أكل الطعام الوخيم . وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مع ريح من الفم عند الشبع .

تبدو الحقائق من خلال سطورها　　فتضيء في ليل الشكوك شموساً
لما قدمتَ القدسَ قصدَ زيارة　　فنحتَ وحشة أهلها تأنيساً
قمنا لفضلك ياسليم تجلةً　　نحني الظهور مطأطئين رءوساً

إلى البـــــلاغ

أرسلها وهو في الآستانة إلى محمد باقر . لما أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أباقرُ لم تدَعْ للقوم عذراً　　بما أصدرت من حُجَج البلاغ
فقد صُغتَ النصائح خالصات　　فجاءتْ وهي فائقة المَصاغ
وأوضحت الحقائق رائقات　　لدى الأذواق طيّبة المَساغ
ولكن أين من يُصغي ومَنْ ذا　　نحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حلِم الأديم فليت شعري　　أينفع ما تُريد من الدباغ
ألست ترى بني الإسلام أمسَوا　　حيارَى بين منتصِف وباغ
فقوم في مقاصِفهم وقوم　　يلوكون القفار بلا صِباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا »　　وما هو في « الحقيقة » غير لاغ
وكم صُحُفٍ لهم فغرتْ حلوقا　　لتمضغهم بأسنان شَواغ
وما أخذتهم نفثاً ولكن　　تضجّ كأنها الإبل الرّواغي
على أني وإن أبديت سُخْطا　　فما أدعوك فيه إلى الفراغ
فلا تترك بلاغك عن مَلال　　فيفرحَ من مَلالك كل طاغ
فقم في القوم منتضياً يراعًا　　يفلّق هام أرباب الرّواغ
وخاطبهمْ بشقشقة المنادِي　　وآونةً بدَندنة المُناغي
فأنتَ فتًى إذا بلّغتَ أمراً　　تؤيّدك البلاغة في البلاغ
وأنت وإن خُلقت نحيفَ جسم　　تفوق سواكَ في كِبر الدّماغ

فى حفلة الزهاوى

أرى بغداد من بعد اغبرار زَهَتْ بقدوم شاعرها الزَّهَاوِى
زهت بكبيرها أدبا وعلما زهتْ بطبيب عِلتها المداوِى
وكادت مصر تسبقنا فخاراً به لو ظل وهو هناك ثاوى
ولكن عاد محتقبا إليها فخار الأرض والشرف السَّماوى
فأهلًا بالحكيم وألفَ أهل بمن لا زال مُرشدَ كل غاوى
وما الآداب فى بغداد لولا يراع جميلها إلا دَعاوِى
إذا ما قال فى بغداد شعراً رواه له بأقصى الأرض راوِى
تفرَّد فى بديع الشِّعرِ من مَعنًى فجلَّ عن المُعادِل والمُساوِى
أُعيذُكَ يا جميلَ الشِّعرِ من أن يسوءك نقدُ أرباب المَسَاوِى
يداوون السقيم من المعانى بفهم كان أجدر بالتداوى
ألا لَا تعجبنَّ وهمْ ذئاب إذا هم أفزعوك بصوت عاوِى
لقد نقدوا قريضك نقد أعمَى يدل على الضغائن فى المطاوِى
فأَحمِ لهم حديد الشعْر حتى تُذِيقَ نفوسَهم حرَّ المَكاوِى
فهم قوم يَرَوْن الحلم عَجْزا إذا ما ناوءوك ولم تُنَاوِ
ولا تضربْهمُ إن شئت إلّا بضِغْث من نبات الشعر ذاوِى
فهم مثل الذباب يطير ذعرًا بهزِّ مِذبةٍ وهُوِىّ هاوِى
وليسوا مُحْوجيك إلى معين وهم ما بين مهزول وضاوِى
فنفخٌ منك يجعلهم هَباء ويُسقطهمْ إلى سُفْل المَهَاوِى
وما احتاج القوىّ إلى مُعين إذا كان الضعيف هو المُقاوِى

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نسعَى　　إلى حياةٍ سعيدَهْ
فإن فينا افتقارًا　　إلى أُمورٍ عديدهْ
إلى اتحادٍ وسعيٍ　　إلى المساعي المُفيدَهْ
إلى عزائمَ نرمي　　بها المرامِي البعيدَهْ
إلى معاهدَ نفْني　　بها الشرورُ المبيدهْ
إلى مدارس تعلو　　على القصور المَشيدَهْ
إلى عقولٍ كبارٍ　　إلى نفوس رَشيدهْ
إلى جسوم تُقَاوِي　　بها الخُطوبَ الشديدهْ
إلى صلاح نداوِي　　به فساد العقيدَهْ
وإن أريد اكتفاءً　　بكِلْمَةٍ عن قصيدهْ
فكل ما نبتغيه　　هو الحياة الجديدهْ
هو الذى تدعيه　　حبُّوبةٌ فى الجريدهْ
تلك الصحيفةُ تأتِي　　لنا بكلِّ شَريدهْ
تلك المجلة تحوِي　　من كل عِقد فريدَهْ
حبُّوبةُ استنشديني　　إن شئت كل نشيدهْ
فأنتِ خير فتاةٍ　　حميــدةٌ ومَجيدهْ
الشرق فيه قيود　　وقد فككْتِ قيودهْ
وفيه داء جمودٍ　　وقد شفَيْتِ جُمُودَهْ
آراؤكِ الغُرُّ فيه　　صحيحة وسديدهْ
مَن لا يُريد أمورًا　　لمَن أنت مُريدَهْ
إلّا الذى عاش غِرًّا　　وطوَّق الأسْرُ جيدَهْ
فذاك ما عاش إلا　　لقصعــةٍ وثَريدَهْ

إلى المتعلم

أَخْصِ في العلم إن أردت كمالا   ووصولا إلى الفخار الأتمّ (١)
وإذا رُمْتَ في التعلُّم حِذْقا   فاترك النفس والذى هى ترمِى (٢)
واجتنب قسرها على ما أبته   إنَّ قَسْر الطباع أكبر ظلم
إنما الميل فى الغرائز تيّا   رٌ ومن ذا يردّ تيّار يمّ
أَطْعِمِ العقل ما اشتهاه من العلـ   ـم وإلّا استقاءَ من سُوءِ هَضْمِ
ليس فى أرؤُس الرجال دماغ   هاضم فى ذكائه كلَّ علم
فمن النقص أنْ تحاول أنْ تضـ   ـرب فى كلِّ ذى العلوم بسهم (٣)
حُسن فهم الأخصِّ أكثر نفعًا   لذويه من قبح فهم الأعمّ
وبُغاة العلوم مثل رُماة الصَّـ   ـيد فاعلم وليس مُنمٍ كمُصمِى (٤)
وإذا ما اشتغلت بالجدّ ساعا   ت فهازِلْ سُويعةً واستجِمّ (٥)
وترَفقْ إذا جُهِدْتَ فإنَّ الر   فْقَ يُذْكِى الفؤاد والعنف يُعمى
ولقد يبلغ العجول مَداه   بالتأنى بلوغ خَضْم بقَضْم (٦)

---

(١) قوله أخص : فعل أمر من أخصى طالب العلم . إذا تعلم علما واحدا وطريقة الاخصاء فى العلوم هى التى وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه .

(٢) الواو فى قوله «والذى هى ترمى» : واو المعية . واسم الموصول مفعول معه . وترمى : تقصد . من رمى المكان إذا قصده . وعائد الموصول محذوف . أى والذى هى ترميه .

(٣) قوله «فمن النقص» : الجار والمجرور خبر مقدم . «وأن تحاول» مبتدأ مؤخر . «وأن تضرب» : مفعول لتحاول . والمحاولة الارادة . وقوله «أن تضرب فى كل ذى العلوم بسهم» : معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً ؛ يقال ضرب فى كذا بسهم ؛ إذا أخذ منه نصيبا .

(٤) قوله «وليس منمٍ كمصمٍ» المنمى : اسم فاعل . من قولهم أنمى الصياد الصيد : إذا رماه فأصابه ولم يقتله . ثم ذهب عنه فمات : والمصمى : اسم : فاعل من قولهم أصمى الصيد . إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه . وفى الحديث كل ما أصميت . ودع ما أنميت . والمعنى : أن طالب العلم كرامى الصيد . فاذا أخصى فى العلم وأتقنه كل الاتقان . كان كالمصمى الذى ينتفع بصيده . وإلا كان كالمنمى الذى رمى الصيد وأصابه ولم ينتفع به شيئا . فهذا هو معنى قوله «وليس منمٍ كمصمٍ» .

(٥) الجد بالكسر : ضد الهزل . وقوله استجم : أى استرح .

(٦) المراد بالخضم هنا : الأكل مل‍ء الفم . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان قليلا قليلا . ==

كل من كانت العلوم لديه   جَمَّة كان نفعه غيرَ جَمِّ (١)
أىُّ فضل لعالِم غير بدْع   ليس فى العلم يُرتجى للمُهِمِّ
سار شوطا لكلِّ علم ولكن   لم ينَل فيه غاية المستَتِمِّ (٢)
هبه أبدى من العلوم نجوما   فى ليالٍ من المشاكل دُهْمِ
أوَ ليس البدر التَّام وإنْ كا   ن وحيداً يربو على ألف نجم
كن قويًا فى كل ما تدعيه   إنَّما الفوز للقوىّ المِلَمِّ (٣)
أيُّها العاجز الضعيف رُوَيداً   أقْرَنُ الضأن فاتكٌ بالأجَمِّ (٤)

اليتيم المخدوع (*)

قضى والليلُ مُعتكرٌ بهيمُ   ولا أهل لديه ولا حَميمُ
قضى فى غير موطنه قتيلا   تَمُجُّ دمَ الحياة به الكُلُوم (٥)
قضى من غير باكية وباكٍ   ومن يبكى إذا قتل اليتيم
قضى غَضّ الشبيبة وهو عَفٌّ   مُطهَّرة مآزره كريم

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يبلغ الخضم بالقضم » . أى الشبعة تبلغ بالأكل بأطراف الفم . أى الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمة : كثيرة . وغير جم : غير كثير .

(٢) شوطا : مفعول مطلق . والشوط : هو الجرى مرة إلى الغاية .

(٣) الملم . بكسر الميم وفتح اللام . وفى آخره ميم مشددة : هو الشديد من كل شىء . يقال : رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذى له قرنان . والأجم : الذى لاقرن له . والمعنى : أن القوى فاتك بالضعيف لاعالة .

(*) من الجزء الأول .

السبب الذى دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلا يهوديا مطربا من حلب اسمه (سطيم) . خدع غلاما مسيحيا يتيما من أهلها ، وأتى به بغداد ، فأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام الزكية الطاهرة ذلك ، فجاءه يوم وهو سكران والغلام فى نادى طرب يضم المئات من الناس ، وأطلق عليه الرصاص . فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض . فحمل الى مستشفى الغرباء هناك ؛ وقبض على الجانى . وزج به فى السجن . فنظم معروف أفندى هذه القصيدة حاكيا بها هذه الحادثة المؤلمة .

(٥) الكلوم : الجروح .

سقاه من الردى كأسًا دهاقا ... عفافُ النفس والعِرضُ السليم (١)
تجرّعها على طرَبٍ ولكن ... بكفٍّ اليمّ ليس له نديم
على حينَ الرّبابة فى نواحٍ ... يساجلها به العُود الرخيم
بحيث رقائق الألحان كانتْ ... بها الأشجانُ طافية تعوم
كأن ترنم الأوتار نعيٌ ... وصمت السامعين لها وُجوم (٢)
فجاء الموتُ ملتفعًا بخزْيٍ ... وملء إهابه سَفَهٌ ولوم (٣)
فأطلق من مُسَدَّسه رَصاصًا ... به فى الرمى تنخرق الجسوم
فخرّ إلى الجبين به « نعيمٌ » ... كما انقضّت من الشُّهْب الرّجوم (٤)
فبانَ مُوَدِّعًا بعد ارتثاثٍ ... حياةً لا تناط بها الوُصوم (٥)
لئن لم تبكِ من أسفٍ عليه ... سَفاهتُنا فقد بكت الحُلوم (٦)
ولو دَرَتِ النجوم له مُصابًا ... بكتْه على ترفّعها النجوم
عَسَى الشهباء تَثْأَرُه فتبدِى ... إلى الزوراء ما يبدِى الخصيم (٧)
ولم يقتله « إبراهيم » فيما ... أرى بلْ إن قاتله « سَليم »
أليس « سليمٌ » الملعون أغوى ... « نعيمًا » فهو شيطان رجيم
وأخرجَه من الشهباء غِرًّا ... يتيمًا ما له أبداً زعيم
وجاء به إلى بغداد حتى ... تخرّمه بها قتلٌ أليم
سأبكيه ولم أعبأ بلاحٍ ... وأندبُه وإن سَخِط العُموم
ولمّا أن ثوى ناديت أرخْ ... ثوَى قَتْلًا بلا مَهَل « نَعيمُ »

---

(١) دهاقا : ممتلئة .
(٢) الوجوم : الاطراق لشدة الحزن أو الغيظ .
(٣) الاهاب : الجلد قبل أن يدبغ .
(٤) الرجوم : ما يرجم به . مفردها رجم .
(٥) ارتث ارتثاثا . بالبناء للمجهول : حمل من المعركة جريحا : الوصوم : العيوب .
(٦) الحلوم : العقول .
(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثأره : تطالب بدمه .

ميت الأحياء وحي الأموات(*)

تيقَّظْ فما أنت بالخـــالدِ ولا حادث الدهر بالراقدِ(١)
فخـلِّدْ بسعيك مجدًا يدومُ دوام النجوم بلا جاحد
وأبق لك الذكر بالصالحات وخلِّ النزوع إلى الفاسد(٢)
ورِدْ ما يناديك عنه الصدورُ ألا دَرَّ درُّك من وارد(٣)
وسِرْ بين قومك فى سِيرةٍ تميت الُحقود من الحاقد
فإن فتى الدهر من يدَّعى فتأتى أعاديه بالشـــاهد
ولا تكُ مُرْمًى بداء السكون فتصـبح كالحجر الجـامد
وكن رجلًا فى العُلى حُوَّلًا تَفَنَّنَ فى سـيره الراشد(٤)
إذا أُطَّردتْ حركات الحياةِ ومرَّت على نسَقٍ واحد
ولم تتنوَّع أفانينهـــا ودامت بوجه لها بارد(٥)
ولم تتجدَّد لهـا شَمْـلة من السعى فى الشرف الخالد
فما هى إلا حياة السَّوام تجول من العيش فى نافد(٦)

***

وما يرتجى من حياةِ امرىء كماء على سَبْخةٍ راكد(٧)
وليس له فى غصون الحياة سوى النفَس النازل الصاعد
يَغُضُّ على الجهل أجفانه ويَرْضَى من العيش بالكاسد .
فذاك هو الميْت فى قومه وإن كان فى المجلس الحاشد

(*) من الجزء الأول .
(١) الراقد : النائم .
(٢) النزوع : الميل .
(٣) الصدور عن الأمر : الرجوع عنه . در درك : أى كثر خيرك . وأصل معنى الدر : اللبن .
(٤) الحول : هو الشديد الاحتيال .
(٥) أفانينها : أنواعها . والأفانين فى الأصل : الأغصان .
(٦) السوام : الحيوانات السائمة .
(٧) السبخة : الأرض ذات النز والملح .

وما المرء إلّا فتًى يغتدِى إلى العلم فى شَرَكٍ صائد
سعى للمعارف فاحتازها وصاد الأنيسَ مع الآبد[1]
وطالع أوجـــه أقمـارها بعين بصيرٍ لهـا ناقد
فأبدى الحقائق من طيِّها وألقى القُيود على الشارد
إذا هو أصبح نادَى : البدارَ وشمَّر للسعى عن ساعد
فـكان المجلِّىَ فى شأوه بعزمٍ يشُق على الحاسد[2]
وإن بات بات على يَقْظَةٍ بطَرفٍ لنجم العُلى راصد
وأحدثَ مجدًا طريفاً له وأضْرب عن مجده التالد[3]
وما الحقُ إلا هو الإتـكالُ على شرَفٍ جاء من والد
فذاك هو الحىُّ حىُّ الفخار وإن لحدَتْهُ يد اللّاحد

نحن فى بغداد (*)

أيا سائلاً عنّا ببغدادَ إننا بهائم فى بغداد أعوزها النَّبْتُ[4]
علتْ أمّةَ الغرب السماءَ وأشرقتْ علينا فظَلْنَا ننظر القوم من تحتُ
وهم ركضوا خيلَ المساعى وقد كبا بنا فرَس عن مِقْنَب السعىِ مُنْبَتُّ[5]
فنحن أناس لم نزل فى بَطالة كأنّا يهود كلُّ أيامنا سبتُ
خضعنا لحـكام تجور وقد حلا بأفواهها من مالنا مأكل سُحْتُ[6]

(١) الآبد : النافر .
(٢) المجلى : السابق الأول فى حلبة الرهان . الشأو : الغاية .
(٣) المجد الطريف : الجديد الحادث . والتالد : القديم الموروث .
(*) من الجزء الأول .
(٤) أعوزها النبت : أى افتقرت إليه .
(٥) ركض فرسه : غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا : عثر . المقنب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة . منبت : منقطع .
(٦) السحت : المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً ... فتم علينا بالخداع لها الدستُ[1]
لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم ... إلى الذَّب عنا من أمور هى الموت[2]
إذا كنتُ لا ألقى من الموت موئلاً ... فهل نافعى أن خِفته أو تهيَّبتُ[3]
ولَلموت خير من حياة تشوبها ... شوائب منها الظلم والذل والمقتُ[4]

رقية الصريع(*)

يا عدلُ طال الإنتظار فعجِّلِ ... يا عدلُ ضاق الصبر عنك فأَقبِلِ
يا عدلُ ليس على سواكَ مُعوَّل ... هلَّا عطفتَ على الصَّريخ المُعْوِل[5]
كيف القَرار على أمور حكومة ... حادت بهنَّ على الطريق الأمثل
فى الملك تفعل فظائع جَوْرها ... ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل
ملأت قراطيسَ الزمان كتابةً ... للعدل وهى بحكمها لم تعدِلِ
أصحتْ مناصبها تُباع وتُشْتَرَى ... فغدت تُفَوَّض للغنيِّ الأَجْهل
تُعطَى مؤجلة لمن يبتاعها ... ومتى انقضى الأجلُ المسمى يُعزَل
فيروح يشْرِى ثانيا وبما أُرتشى ... قد عاد من أهل الثراء الأجزل
فيظلّ فى دار الخلافة راشيا ... حتى يعود بمنصِب كالأوَّل
سوقٌ تباع بها المراتبُ سُميت ... دار الخلافة عند من لم يعقِل
أبت السياسة أن تدوم حكومة ... خُصت برأى مقدَّسٍ لم يُسأَلِ
مَثَل الحكومة تستبدُّ بحكمها ... مَثَل البناء على نقا متهيِّل[6]

(١) الدست صدر البيت . والخديعة ، والدست أيضا : هو الذى يكون فيه الغلب فى الشطرنج وهذا المعنى أقرب المعانى ليناسب معنى المقامرة .
(٢) الذب : المدافعة . (٣) موئلا : ملجأ .
(٤) تشوبها : تخالطها . شوائب : أخلاط .
(*) من الجزء الأول .
(٥) الصريخ : المستغيث . والمعول : الذى يرفع صوته بالبكاء أو الصياح .
(٦) القطعه من الرمل . متهيل : متصبب .

يا أمَّةً رقــدت فطال رُقادُها ... هبّى وفى أمر الملوك تأملى
أيكون ظل الله تاركَ حكمه الـ ... ـمنصوص فى آى الـكتاب المنزل
أم هل يكون خليفة لرسوله ... من حاد عن هَدْى النبىّ المرسَل
كم جاء من مَلِك دهاكِ بجَوره ... ولواكِ عن قصد السبيل الأفضل(١)
يقضى هواه بما يسومُك فى الورى ... خَسْفا وينقم منك أن لم تقبَلى(٢)
ويروم صبركِ وهو يسقيك الردى ... ويريد شكرك وهو لم يتفضَّل
وقد أستكنْتِ له وأنت مُهانة ... حتى صَبَرتِ لفتكه المستأصل(٣)
بات السعيدَ وبتِّ فيه شقيَّةً ... تستخدمين لغيِّه المسترسِل
تلك الحماقة لا حماقَةَ مثلها ... حُمْقا فهل هو من صحيح تعقُّل
إن الحكومة وهْى جُمهورية ... كشفتْ عمايَةَ قلب كلِّ مُضلِّل
سارت إلى نُجح العباد بسيرةٍ ... أبدتْ لهم حُمْق الزمان الأول
فسَمَوا إلى أوج العلاء ونحن لم ... نبرحْ نسوخ إلى الحضيض الأسفل(٤)
حتى استقلّوا كالكواكب فوقنا ... تجلو الظلامَ بنورها المتهلّل(٥)
وعَلَوا بحيث إذا شَخَصنا نحوهم ... من تحتهم ضحكوا علينا من عَلِ
لبسوا ثياب فخارهم مَوْشيّةً ... بالعز وهْىَ من الطراز الأكمل(٦)
نالوا وصالَ مُنَى النفوس وإنها ... حُرّية العيش الرغيد المُخضَل(٧)
حتى أُقيم مجسَّما تمثالُها ... بين الشعوب على بناء هيْكل(٨)
تمثال ناعمة الشمائل وجهُها ... تزداد نورا منه عينُ المجتلى(٩)

---

(١) لواك : صرفك . قصد السبيل : أى السبيل المستقيمة .
(٢) سامه الخسف : أى أذله . (٣) استكنت له : أى خضعت .
(٤) نسوخ . نغوص . وهى هنا بمعنى : نهوى ؛ ولذا عداها بإلى .
(٥) استقلوا : ارتفعوا . (٦) موشية : محسنة مزينة .
(٧) منى جمع منية : وهى مايتمناه الانسان . المخضل : الندى . مأخوذ من اخضل الشىء بمعنى ابتل .
(٨) الهيكل : البناء المرتفع . (٩) اجتلى الشىء : نظر إليه .

أفبعد هذا يا سَراةَ مَواطني ... نرضَى ونقنع بالمعاش الأرذل
الغوثَ من هذا الجمود فإنه ... تالله أهونُ منه صُمُّ الجندل(١)
قد أبحرت شمُّ الجبال وأجبلت ... لُجج البحار ونحن لم نتبدَّلِ(٢)
ما ضرَّكم لو تسمعون لناصحٍ ... لم يأت من نسج الكلام بهَلهَل(٣)
حتَّامَ نبقَى لُعبــة لحــكومةٍ ... دامت تجرّعنا نَقيع الحنظل
تنحو بنا طرق البَوار تحيُّفا ... وتسومنا سوء العذاب الأهول(٤)
هــذا ونحن مُجدَّلون تجاهها ... كالفأر مرتعِداً تُجاه الخَيطَل(٥)
ما بالُنا منها نخاف القتل إن ... قُمنا أمَا سنموت إن لم نُقتَل ؟
يا عاذلا فيما نَفَثْتُ من الرُّقَى ... وعزمت فيه على الصريع المهمَل(٦)
أنظر لصَرْعة من رَقَيْت وطولها ... فإذا نظرت فعند ذلك فاُعذُل(٧)

مثنيات شعرية(*)

أشرُّ فعلِ البرايا فعلُ منتحرٍ ... وأخش القول منهم قول مفتَخِرِ
إن التمدح من عُجْبٍ ومن أشَرٍ ... والمرء في العُجْب ممقوت وفى الأشَر(٨)

✡ ✡ ✡

يا راجى الأمر لم يطلب له سببا ... كيف الرماية عن قوس بلا وَتَر
ليس التسبُّب من عجز ولا خَوَرٍ ... وإنما العجز تفويض إلى القدَر(٩)

✡ ✡ ✡

(١) الجندل : الحجارة . مفردها جندلة .
(٢) أبحرت : صارت بحرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .
(٣) الهلهل : الثوب الردىء النسج . (٤) البوار : الهلاك . تحيفا : تظلما .
(٥) مجدلون : مطرحون أرضا . الخيطل : السنور . ويطلق على الكلاب أيضا .
(٦) الرقى : جمع رقية . وهى العوذة التى يتحفظ بها . نفث الراقى فى العقدة عند الرقية : أى بزق بزاقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) اعذل : لم .
(*) من الجزء الأول . (٨) الأشر : البطر .
(٩) التسبب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسىَّ وأنسبنى لغيرهمِ إن شئتَ للشاء أو إن شئت للبقرِ (١)
فإن للبشر الراقى بخلقته مَن قد أنِفت به أنى من البَشَر

* * *

أَلْبِس حياتَك أحوال المحيط وكُنْ كالماء يَلْبس ما للظروف من جَذَر
وإن أبيت فلا تجزَع وأنت بها عارٍ من الأُنس أو كاسٍ من الضجر

* * *

إن رمت عزًّا على فقر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسةٌ بين ناب الذل والظفر

* * *

إذا نظرت إلى الجزئىّ تُصلحهُ فارقبه من مَرقب الكُلّىّ فى النظر
فإن نفعك شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس فى الضرر

* * *

قد يقبُح الشىء وضعاً وهو من حسن كالنعش يُدْهِش مرآى وهو من شجر
فالقبح كالحسن فى حكم النُّهى عَرَضٌ وليس يثبت إلّا عند معتبر (٢)

* * *

لا تعجبنَّ لذى عقل يروح به ليُنتج الشرَّ خيرًا غير مُنتظَر
فإنما لَمعات الخير كامنة بين الشرور كَون النار فى الحجر

* * *

سبحان من أوجد الأشياء واحدة وإنما كثرة الأشياء بالصُّوَر (٣)

(١) الأناسى : البشر . الشاء : جمع شاة .

(٢) النهى : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص مايستقبحه الآخر ، وقد يحسن الشىء فى موضع ، ويستقبح فى موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أن الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يميل إلى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ منشأ القوم يبقى مبهماً أبدا   فهل ترى فيه عقلًا غيرَ مُنبهِرِ

* * *

الحب والبغضُ لا تأمن خِداعهما   فكم هما أخذا قوما على غُرَرِ (١)
فالبغض يبدى كدورا فى الصفاء كما   أن المحبة تبدِى الصفو فى الكدرِ

* * *

وأشنع الكذب عندى ما يمازجه   شىء من الصدق تمويها على الفكرِ
فإن إبطال هذا فى النُّهى عَسِرٌ   وليس إبطال مَحْض الكِذب بالعَسِرِ

* * *

قالوا عشقتَ مَعيبَ الحسن قلت لهم   كُفُّوا الملامَ فما قلبى بمنزجرِ
ما العشق إلَّا العمى عن عيب مَنْ عشِقَتْ
هذى القلوبُ ولا أعنِى عَمى البصرِ

* * *

قالوا أُبْنُ مَنْ أنت ياهذا فقلت لهم   أبى أمروٌ جدُّه الأعلى أبو البشرِ
قالوا فهل نال مجداً قلت واعجبى   أتسألونى بمجدٍ ليس من ثمرى!

* * *

لا دَرَّ درُّ قصيدٍ راح ينظمه   من ليس يعرف معنى الدَّرّ والدُّرَرِ (٢)
يبكى الشعورُ لشعر ظل ينقده   من لا يفرق بين الشِّعر والشَّعَرِ

* * *

قالت « نَوار » وقد أنشدتها سَحَراً   ممن تعلمت نَفْثَ السِّحر فى السَّحَرِ
فقلت من سحر عينيك الذى سُحرت   به المشاعر من سمع ومن بصرِ

---

(١) غرر جمع غرة ، بالكسر : وهى الغفلة .
(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعـــدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجرِبة ، وجِدٌّ زائدُ ... هذى صفات حازها المتقاعدُ
جعلوا التقاعد للجنود كرامة ... كى يستريح من الجهاد مجاهد
ليس التقاعد للرجال بطالةً ... إن البطالة للرجال مفاسد
لـكنه عمـل جديد نافع ... عما تقوم به الحـكومة حائد
بالسعى تزدهر الحياة وإنمـا ... لون الحياة بغير سعى كامد
إن الحيــاة لَيَقْظَةٌ فعَّالة ... فالراقد الـكسلان فيها بائد
لن تبلغ العلياء فى ساحاتها ... هِمَمٌ مثبَّطةٌ وعزمٌ راقــد
أنظر تجد شُعَب الحياة كثيرة ... فيها من السعى الحثيث مَشاهد
فـكأن أشغال الحياة مَراجل ... والسعى نار والبلاد مواقد
يأيها المتقاعدون ألا اتقــوا ... نقداً يصول به عليكم ناقد
علمت تجاربكم وأيقن رأيكم ... أن الحياة تعاوُن وتعاضُد
فاستمسكوا بعُرا المودة بينكم ... كيلا يكون تباغض وتحاسد
كونوا جميعا فى الحياة كأنكم ... رجل إذا دهت الدواهى واحد
فى الحرب طاب لكم جِلادٌ فلتطب ... فى السلم أعمال لـكم ومقاصد
تركت أكفكُمُ السيوف وعندها ... منكم أشدُّ من السيوف سواعد
كل الحياة معارك لـكنما ... فيها سلاح المرءِ جُهدٌ جاهد
ولربما كانت سلاحا نافذا ... عند اللئـام دسائس ومكايد
فأتوا من الأعمال ما هو صالح ... للناس فيه مصالح وفوائد
وتتبعوا سُبُل الحياة ولا يكن ... منـكم إلى غير المـكارم قاصد
وتصرّفوا فى أمرها بمهارة ... وذروا السيوف فإنهن جوامد
ما عاب من سَلّ المهند أنه ... للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أىُّ قُدْسٍ يضمّ هــذا البناء   حَسدتْ أرضَه عليــه السماء
إن يكن فوق هذه الأرض شئ   فيه قُدْسِية فهـــذا البناء
هو من هذه البَنيَّات لــكن   شَرُفت بالمقاصـــد الأشياء
كلما قد رأيتــه تتجلّى   لى من تحت أسّــه العلياء
هو بكر فى ذى البلاد وللأطـــفال   فيه حماية عَذراء
لم نــكن قبل ذا نفَــكر فيما   فــكَّرت فيه قبلنــا الرُّحماء
كان للبؤس فى المواطن لَفْح   من سَموم تَذْوى به الرُّضعاء
رُبَّ طفل أودتْ به قِلة الدَّر   على أنـــ أمه ثَدْياء
أمّه من أبيه آمتْ فأمست   ينهك البؤسُ جسمها والشقاء
فحــكى شخصها الخيــالَة إذ لا   حَ ذبول بجسمها وارتخاء
فهو إن لم يَعش فموت مُريحٌ   وهو إن عاش عاش فيه الداء
هكذا كانت المواليد تحيــا   ولها من حياتهـــا إفناء
ومن اللؤم أن ترى عندنا الأطـــفال   تفَنى لأنهم فقراء
لا غــذاء فى جوفهم لا كساء   لا وِطاء من تحتهم لا غِطاء
إنهم غير مُعْرِبين ومن حســـن   السجايا أن تُرحَم العَجْماء
عَلَّ من لو يعيش منهم لأضحى   فيـــه للناس مأمل ورجاء
رب من مات منهمُ مات معه   شرف باذخ لنــا وعلاء
ليس موت الأطفال هَيْنا فقد يَنْـــبغ   منهم نوابغ أذكياء
إنما هُمْ كمثل أصداف بحر   لستَ تدرى : دُرٌّ بها أم خَلاء
ولعل الطفل الذى مات منهم   مات عَقل بموته ودهاء
شأن هذا البناء شأن عظيم   لم تطاوله فى العُلَى الجوزاء
كلما قد رأيتهُ لمعتْ لى   فيه من تحت أسّــه العَلياء

ولقد دلّ أن من شيدوه ... سادة فى طباعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال ... بلغوا من فخارهم ما شاءوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ ... فيه حمـــد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهرَ لا يألو بستر الحقائق ... إذا افترّهن صُبح تلاه بغاسقِ
يجرِّر أذيالَ الخطوب بطُرْقِها ... ليعفو منها ما بها من ملائق
ولو لم يجئنا كلّ يوم مُوَاربًا ... لما كان فجرٌ كاذب قبل صادق
كأن ليالى الدَّهر غَضْبَى على الورَى ... فتنظرُ شَزْرا بالنجوم الشَّوارق
وما طلعتْ كىْ تَهْدِىَ القومَ شمسُه ... ولـكنْ لتُصْلِيهمْ جحيمَ الْودائقِ
وكَمْ مُدَّعٍ فضـل التمـدّن ماله ... من الفضل إلا أكلُه بالملاعِق
وكم عاقلٍ قد عُدَّ فى الناس أحمقا ... وما هو لو يُبْلَى سوى متحامق
وربَّ ذكىّ لم يكن من ذكائه ... سوى ما رَوَوْه من ذكاء اللَّقالق
وقد تُعْرِض الأسماع عن ذى فصاحةٍ ... وتُصْغِى إلى ذى اللُّكْنة المتشادِق
ومن شِيم الأيام فى الناس أنها ... تجور عليهم باقتطاع العلائق
وألطف جَوْر الدهر جَوْر يُرَى به ... تذلُّلُ مَعْشوق وذِلّة عاشق
وما كان كِذب القوم فى القول وَحْدَهُ ... ولكنَّه فى كُتْبهم والمَهارق
وأقبح مَيْنٍ فى الزمان خُرافة ... تخُطُّ بها طِرْسا يَرَاعة نامق
ضلال على مر الجديدين لم تزل ... مغاربنا من أمره كالمشارق

• • •

فصَدٌّ عن الأيام إذ لم تجدْ بها ... سوى لَغَطٍ يُزْرِى بفضل المناطق
نفضت من الدنيا يَدَىَّ لأننى ... تعرَّفت منها ما بها من خلائق.

فما أنا وقّاف بها عند منزل ... ولا أنا باكٍ من حبيب مفارق
ولا عـذبتني في العُذَيْب صبابة ... ولا شاقني برْق لربع ببـارق
تعشقت منها حسن كل حقيقة
وأعرضت عن حسن الحِسان الغرَانق
ولي عنـد إخوان الصفا أريَحيَّةٌ ... إلى كلّ خِلّ في الزمان موافق
إذا ماعقَدنا مجلس الأنس بالطِّلا ... فبيني و بين السُّـكر خمس دقائق
أقوم إلى كُبرى الزُّجاجات مُدهِمًا ... بمستقطَر من خالص التِّبر رائق
فأقرع بالـكأس الروية جَبْهتي ... بشربٍ كما عَبَّ القَطَا متلاحق
أسابق نُدْماني إلى السكر طائرا ... بجنحٍ من الأنس المضاعف خالق
فنادمت أصحابي على غير حشْمة ... وقلتْ لهم ما قلت غير مُنافق
وأغنيتهم عن نقْلهم في شرابهم ... بَمزّ طَرِيّ من نقول الحقائق
ولم يُبْدِ قِيّ السكر عند اشتداده ... سوى شكر خِلّي أو سِوى حمد خالقي
تعودتُ سَبْقى في الفخار فلم أُرِد ... من السكر أن أحظى به غيرَ سابق
كما اعتادَ سبقاً في المكارم خَزْعلٌ ... بلا سابق فيها عليه ولاحق
أمير نَمَتْه للمـكارم والعـلى ... جَحاجح من كَعْب كِرام المَعارق
كذلك أعلَى اللهُ في الناس كعبَهُ ... بحظ من المجـد المؤثَّل فائق
إذا سار سار المجدُ في طيّ بُرْدهِ ... يرافقه أكرمْ مِنْ مُرافق
فيرحلُ من أنسابه في مواكبٍ ... وينزلُ من إحسابه في سُرادق
وإن جاء أغضيء من رآه تهيُّبا ... سوى نظرٍ منهم بعينيْ مسارق
جوادٌ إذا استمطرتَه جاد كفُّه ... بأغزر من وبْل الغيوم الدوافق
أحاطتْ به من كل صوبٍ حدائق ... كوجهك حُسْناً في العيون الروامق
وفاحتْ به للناشقين أزاهرٌ ... كأخلاقك الغرّاء طيبا لناشق
وزان الخليجُ الفارسيُّ بناءه ... فكان كعِقْدٍ لبّة عاتِق

أناف على أعلى السحاب معارضا ... بجودك للعافين جودَ البوارق
حَوَى منك قَرْمًا بأسه ضامن له ... بذلّ أعاديه وعزّ الأصادق
فلا غَرْو أن ينْتابه كلّ خائف ... فيأمنَ من وقع الخطوب الطوارق
ويرجع عنه من يوافيك راجلا ... على لاحق الآطال من نَسل لاحق
فِدَى كلُّ قصرٍ فى العراق ومن حوى ... لقصرٍ زها منكم بحامى الحقائق
هنيئاً لك العيد الذى أنت مثله ... لدى الناس عيدٌ غير أن لم تفارِق
أبا الأمراء الصِّيدَ جئتك شاكيا ... إليك جنايات الزمان المُاذق
أجرنى رعاك الله منها فإنهـا ... رمتْ كل عظمٍ فىَّ منها بعارق
أترضَى وإنى صقر بغدادَ أننى ... تَقَدَّمنى فيها فِراخ العَقاعق
لئن أنكروا حقّى فسوف تَحُقُّه ... شواهدُ أقلامى بكفى نوامق
أصوغ بها حُرَّ الكلام لخزعل ... مديحا كسمط اللؤلؤ المتناسِق

خزانة الاوقاف

للمسلمينَ على تُزُورة وَفْرِهمْ ... كنز يَفيض غِنًى من الأوقاف
كنزٌ لو استشفَوْا به من دائهم ... لتوجرّوا منه الدواء الشـافى
ولو ابتغَوْا للنشْء فيه ثقافة ... لتثقفوا منـه بخـير ثِقاف
ولو ارتقَوْا بجناحه فى عصرهم ... لأطارهم بقـوادم وخوافى
لكنهم قد أهملوه وأعملوا ... فى جانبيه عوامل الإتلاف
فإذا نظرت رأيت ثمة أرضه ... تجرى الرياح بهـا وهن سوافى
قد تابعوا الموتى عليه وما وَقَوا ... أهل الحياة به من الإجحاف
وقفوا به عند الشروط لواقف ... وتغافلوا عن حكمة الإيقاف
تركوا له فى العصر نفعاً ظاهرًا ... وتعاملوا فيـه بنفع خافى
لم يستجدوا فيه شيئاً واكتفَوا ... فى كل حال منه بالسفساف

قل للذين تقيَّدوا بشروطه ماذا التوقفُ عند رسم عافِ
غرسوه غرساً مثمرًا لـكن جرت غِيَر الزمان فعاد كالصَّفصاف
هل بين شرط الواقفين و بين ما نفَع العمومَ تناقض وتنافى
أريد أن يقفوا الزمان أمورنا وأمورنا هي للزمان قوافى
الأرض مسجدنا ففيم مساجد أمست تعدّ اليوم بالآلاف
كان الصلاة بمسجد و بغيره فى الحـكم واحدةً لدى الأسلاف
هلّا جُعلْنَ مدارسا فياضة من كل علم بالزلال الصافى
ينتابها أبناؤكم كى يأخذوا من كل فن بالنصيب الوافى
فَيفيض فيض العلم حتى يرتوى منه بنو الأمصار والأرياف
إن لم يكن شرف البلاد محصَّنًا بالعلم كان مهدَّدَ الأطراف
و إذا النفوس تسافلت من جهلها لم يُعلِها شَمَم على الآناف
هذى الخِزانة أُنشئت فبناؤها للأمر فيه تدارك وتلافى
يظن ذو عقل بأن بناءها أمر لشرط الواقفين منافى
تالله ليس بمنـكِر تشييدها إلا امرؤ خال من الإنصاف
أحيُوا بها عصرَ العلوم لدولة خلفاؤها من آل عبد مناف
عصر الرشيد أبى الخلائف إذ غدت بغدادُ رافلةً بمجد ضـــــافى
فى عهد فيصلنا المعظم أُنشئت عَلَمًا يشير لأشرف الأهداف
فإذا هتفتُ بحمده و بشكره ردّ الصدَى بنيانُها لِهُتافى
ناديت طلاب العلوم مؤرخا حُجُّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

مِن جَوْر مصر عن العُروبة أنَّها ... تتعمَّدُ التمصيرَ في آدابها
وتَحِيد عن آداب كلِّ قَبيلة ... لم تنتحلْها مصرُ في أنسابها[1]
فترى بمصر تعصُّبا لأديبها ... متوالىَ النَّزَغاتِ في أعصابها[2]
فاذكر أُولِى الأداب من غير الأُلى ... في مصر يغضب منك أهل جنَابها
وأشدِ بمن في غير مصرَ مُنَوِّهاً ... ما إن ترى فيها لقولك آبِها[3]
تَخْنَى بمنشدها القريب وتدعى ... أن لن يكون له البعيد مشابها
فالشاعر المصريّ فيها فاضل ... وسواه مفضول وإن يكُ نابها
وكأنما أمستْ مواهب ربنا ... مقصورة فيها على كُتَّابها
هذا لعمر الله جَوْرٌ عَدَّهُ ... من فَرْط ضَلتها أولوا ألبابها[4]
آدابُ كل مَعاشر كعلومهم ... جَلت عن الأَوْطان في استنسابها
للعلم والآداب في كل الورى ... دارٌ محرَّمةٌ إجافةُ بابها[5]
من أين كانت مصرُ في أقباطها ... كمواطن الأَعراب في إعرابها
أبت العروبةُ أن يفوق هَزارَها ... صُرَدٌ زَقى في مصر زَقْيَ غرابها[6]

عتاب وولاء

أقيم رَاية تحميدي وشكراني ... للشاعر الصادق الاحساس نعمان
أقيمها رمز تعظيم على نشز ... من القريض رفيع ليس بالداني
للشهم ذي الأدب الزاكي بمحتده ... فرع الذؤابة من علياء عدنان

---

(١) تحيد : تميل . وتنتحلها : تدعيها .
(٢) النزغات : جمع نزغة ، وهي الميل مع الهوى .
(٣) نوهت بفلان : أشدت بذكره وأبه فلان بفلان : فطن له ، واحتفى به .
(٤) ضلتها : ضلالها . (٥) إجافة الباب : إغلاقه .
(٦) الصرد : طائر . وزقى : صاح وصوت .

من جاءنى بقواف جد زاهية ... كمثل أزهار روض ذات ألوان
قد زانهن بوشى من بدائعه ... حتى اتسقن بأنغام وأوزان
لما شدون بموسيقى براعته ... مازجن فى الشدو ألحانا بألحان
ينوط بالسمع من ألفاظها دررا ... ويزدهيك من المعنى بأفنان
لقد فعلن بنفسى حين أنشدها ... ما يفعل الماء فى أحشاء ظمآن
فقلت والنفس تطفو فى مسرتها ... حينا وترسب أحيانا بأحزان
يا شاعراً تطرب الدنيا نشائده ... كيف ابتدعت نشيداً هاج أشجانى
أنشدتنيه رقى تحكى بروعتها ... حسن الفرائد فى أسلاك عقيان
شعر يفيض شعوراً قد نكأت به ... قرحا بقلبى قديما كان أدمانى
إن كان بالشجن الماضى يذكرنى ... فإنه عن شجون اليوم سلانى
هذا لعمرك شعر قد سررت به ... وإن يكن هاج بى شجواً فأبكانى

* * *

إليك أرسل يا نعمان قافية ... تنبيك عن شغفى فى حب أوطانى
أشربت حب بلاد ما نشأت بها ... إلا لأدفع عنها كل عدوان
أخلصت حبى لها حتى نسيت به ... نفسى وأهلى وأحبابى وخلانى
يا موطنا لست منه فى موادعة ... عش بعد موتى عيش الوداع الهانى
فكل من فيك تغنينى سعادتهم ... وكل أبنائك الأعداء إخوانى
إن سرك الدهر يوما سرنى وإذا ... آذاك بالمزعجات الدهر آذانى
ما ضرنى أن كل الناس تحقرنى ... إن كنت أنت جليل القدر والشان
وليس ينفعنى عز ولا شرف ... إن لم تكن أنت ذا عز وسلطان
لو ملكونيك عن قهر بلا ثقة ... ما كنت غير ظلوم فيك خوان
آليت منذ بلغت الحلم فى وطنى ... أن لا أقابل نعماه بكفران

وأن أكون له عونا أو آزره ... بالنصر أول أنصار وأعوان
إنى وإن لم أوفق فى تحرره ... بنيت للمجد فيه خير بنيان
لولا التعاون بين الناس ماشرفت ... نفس ولا ازدهرت أرض بعمران
لولا التعادى الذى تشقى الوحوش به ... ما كان أفضل منها كل إنسان
يا قوم إنى من الدنيا ضحيتكم ... فقربوا من حياتى كل قربان
واستنصروا الله وادعوه لينقذكم ... مما بكم حل من هون وخسران
لا تحسبونى منكم جازعا ضجرا ... وإن يكن شظفى فى العيش أصوانى
إنى ألفت على الأيام محصمتى ... فالنعم والبؤس عندى اليوم سيان
تختار نفسى الطوى بالعز قانعة ... وتترك القصف فى ذل لمبطان
أعيش عيشة (غندى) وهو ذو جدة ... فى الهند يمشى وئيدا شبه عريان
العز أعظم للإنسان من شبع ... والذل أقتل من جوع لجوعان
فالذل يقتل نفسا منه باقية ... والجوع يقتل منه جسمه ألفانى
وما الطعام بمأكول للذته ... وإنما هو تقويم لأبدان
وفى القفار غنى للمستقيت به ... عن المطاعم تخليطا بألوان
وكل ما تملك الإنسان عارية ... يزول عنه ولو من بعد أحيان
وأن ذكر الفتى بعد الممات بما ... يحيى الثناء عليه عمره الثانى

* * *

يا لاهجين بشتمى فى مجالسهم ... ناموا على الأمن فى أحضان غفرانى
لولا ترفع نفسى فى سفاهتكم ... أحرقتم من لظى هجوى بنيران
جادلتمونى فما أحسنتموا جدلى ... حتى بذيتم بذاء الماجن الخالى
وخضتم الباطل المبدى بنعرته ... شتى الأقاويل من زور وبهتان
ومن عناء الليالى أن يجادلنى ... من ليس يقرع بالبرهان برهانى

بل يترك القول من عجز ومن خور ... إلى التقول عن زهو وطغيان
تأبى المروءة إلا أن أخالفكم ... فالغش ديدانكم والنصح ديدانى
وأن لى فى إبائى كل شائنة ... عزما يؤيده بالله إيمانى
ولا أريد قصاصا من شتائمكم ... بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
تلكم سجية حر النفس يذكرها ... عنى الأخلاء من شيب وشبان
يا منتمين إلى عرب وهم عجم ... من كل أحمر هيان بن بيان
سمج الملامح فى عثنونه صهب ... مستعجم القول جافى الطبع مرطان
كيف استويتم صقورا فى مجاثمكم ... ولستمو فى السجايا غير غربان
وما بكم غير فرد فى جبلته ... وأن يكن جاء فى مسلاخ إنسان
إذا تسميتمو عربا فلا عجب ... فى أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
تستنثرون صغاراً فى معاطسكم ... وتشمخون إلى آفاق كيوان
ورب مستكبر منكم تتلتله ... أيدى الأجانب تل الجارم الجانى
فيستكين لهم حتى يكلمهم ... فى رعدة بلسان الخائف العانى
كم تظهرون عفافا فى تدينكم ... وتضمرون ضمير الفاجر الزانى
لو كان فى الجن شىء من خباثتكم ... لعاذ بالله منها كل شيطان
هذى قواف دعانى أن أبوح بها ... شعر أتى من زكى النفس نعمان
ذاك الأديب الذى باهى بسيرته ... كل الكواكب من قاص ومن دان
وباهرت فى مساعيه مكارمه ... أهل المكارم من أبناء عدنان
أكرم به يافعا شرخ الشباب به ... ريان من شرف بالمجد مزدان

مناجاة وشكوى

أقول لربِّ الشعر مُهْدِى الجواهرِ ... إلى كم تناغِى بالقوافى السواحرِ
فترسلَها غُرًّا هواتفَ بالعُــلَى ... يُزَوِّدُ منها سمْعَه كلُّ شاعر
وتشدو بها والقومُ صُمٌّ عن العُلَى ... فلم تَلْقَ إلّا غــير وَاعٍ وذاكر
أترجو من الحسَّاد عونا وناصراً ... فتدعوَ منهم خاذلًا غير ناصرَ
كأنك لم تبصرْ سوادَ قلوبهمْ ... فهل أنت مغرور ببيض المَسَافِرِ
رُوَيْدَكَ إن القومَ ليسوا كما ترى ... لدى كل ذى علم بمــا فى السرائر
فلا تغـــترر منهم ببادِ فإنمــا ... ظواهرهم منقوضـــــة بالضمائر
رمتهم يد الأيام من جَشَعٍ بهمْ ... ومن بطَر فيهم بداء الضرائر
بداءين قتَّالين حُمَّت نفوسُهُمْ ... بفسادِ السجايا وانمساخ العناصر
وقد فرَّقتْ أهواءهُمْ فى بلادهم ... أنانية حَلَّتْ عقود الأواصر
لذاكَ ترى كُلًّا يعيش لنفسه ... على عكس عيش عند أهل الحواضر
إذا جئتهم أبدوا إليــك بشاشــةً ... وحسنَ ابتسام من ثغورٍ مَواكر
و إن غِبتَ عنهم أوسعوكَ مَذَمَّةً ... كأنْ لَمْ يَبَشُّوا منك قِبلا لزائر
وقد ينـكرن العارَ فيهم تجاهلا ... فَيَلْقونهـــم بالمنظَر المتخازِر
فدَعْهُمْ وما هم فيه من جاهليةٍ ... يَدِجُّون منها فى الدَّياجى الـكوافر
فسوف تراهم من تمادِى ضلالهم ... يعودون فى العُقْبَى بصفقة خاسر
ونزِّهْ بليغ الشــعر عنهم بتركه ... لـكل كذوب بينهم متشـــاعر
سكبتُ بحورَ الشعر قبلك خائضًا ... لعمرُكَ منهــا كلَّ طامٍ وزاخر
وسَيَّرتُ من غُرِّ القوافى بلُجِّها ... قصائدَ سارت كالسفِين المواخر
بكيت بهــا المجدَ المضاعَ بأدمع ... من الشــعر شرْوَى اللؤلؤ المتناثر

ونحت على الماضى الذى كان زاهرًا ... مَناحة رَبَّات الِحجال الحرائر
فلم ألفِ إلَّا مُنكرين مكانتى ... يَحيدون عنِّى كالوحوش النوافر
وكم راعنى منهم تماسيحُ خِسَّةٍ ... تريدُ ازدرادى بالحلوق الفواغر
فقابلتُهمْ بالصفح عنهم ترفعا ... وأعرضت عن شتم السَّفيه المُهاتِر
أنا اليومَ من هذى الحياة على شَفًا ... أشارف منه مَرْقَدِى فى المقابر
سأرحل عنهــم عائذا من شرورهم ... برب كريم قابِلِ التوب غافر

فى حفلة الميلاد النبوى

وضح الحق واستقام السبيل ... بعظيم هو النبى الرسول
قام يدعو إلى الهدى بكتاب ... عربى قرآنه ترتيـــل
طالبا من المجد غاية قصوى ... صده عن بلوغها مستحيل
ووصولا إلى مقـــام رفيع ... عز من قبله إليــه الوصول
همة دونها الكواكب نورا ... واعتلاء يعـلو به ويطول

• • •

جرد الله منــه للحق سيفا ... كان ضـدين حده والفلول
فيه عزم للمهلـكات قحوم ... واصطبار للنائبات حمول
ودهاء لو ماكرته دواهى ... الدهر طرا لاغتالها منه غول
تدلهم الخطوب والرأى منه ... فى دجاها كأنه قنــديل
كل أوصافه الجليــلة بدع ... فهو من عبقرية مجبول

• • •

أطلق الناس من تقاليد جهل ... كل فرد منهــم بها مغلول

وشفاهم بهديه من ضلال　　كل فرد منهم به مصلول
أنهض القوم للعلاء وكانت　　فى دنى القوم رقدة وخمول
فاستقالت به على الدهر يقضى　　همم يعربيــة وعقــول
تلك فى الدين نهضة هى　　للعقل انتباه وللهدى تأثيل
نهضــة عاليـــة فى وغاها　　من أمام البعـير فر الفيــل
هى كالبرق سرعة والتمـاعا　　كل أفق بفضلها مشمول
خضعت فارس لها عن صغار　　وتداعى إيوانهـا المستطيل
وإلى اليوم قائم فى الهند منها　　أثر مثل طودها لا يزول
يعرف النيل فضلها وعلاها　　من قديم ويشهد الدردنيل
وبها الأرض والسموات ترضى　　وتقر التوراة والإنجيــل

* * *

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا　　واستحلنا وكل حال تحول
حيث عدنا وفى النهوض قعود　　ورجعنا وفى الصعود نزول
واختلفنا فى الدين حتى افترقنا　　فرقا لا يسيغها المعقول
والتزمنا الفروع منه فضاعت　　بالتزام الفروع منه الأصول
كل حزب بمـا لديه فخور　　ولمن هم مخالفوه خـذول
بدع فى حياتنا منـكرات　　غضب الله فوقها مسـدول

* * *

حالة ساءت الرسول وساءت　　كل آى بهـا أتانا الرسول
لو رآنا والشر فينا كثير　　مستفيض والخير نزر قليل
وثغور الضــلال مبتسمات　　ووجوه الهدى عليها محول
والدعاوى فى الحق منا كبار　　طال فيها التزمير والتطبيل

نعبــد الله والعبادة لحن   عند بعض وعند بعض عويل
ونحج القبور كالبيت حجا   يكثر المسح فيــه والتقبيل
ونعـد الركوع للقـبر حلا   وهو فى الدين ما له تحليل
ونزجى إلى القبور نذورا   فضحايا مسوقة وحمول
ونقول التوحيد قولا وكل   هو للشرك عامد وفعول
قال مستنكراً لما نحن فيه :   ما بهذا قد جاءنى جبريل
أين دين التوحيد منكم وأين   الأوب لله وحده والقفول
أنا حرمت كل ما كان فيه   شبه للأصـنام أو تمثيـل
كل من قال منكم إن هذا   هو دين الإسلام فهو جهول
لِمَ لَمْ تحفظون إخوة دين   جاءكم ناطقاً به التـنزيل
كان حبل الإخاء فيكم وثيقاً   كيف أمسى وعقـده محلول
لست منكم بيائس بل نهوض   منـكم بعـد فترة مأمول
فأجمعوا الشمل ناهضين فإن   الـكفر فى الدين عجزكم والخمول

إلى العمال

كل ما فى البلاد من أموال   ليس إلا نتيجة الأعمال
إن يطب فى حياتنا الاجتماعيـــة عيش فالفضل للعمال
وإذا كان فى البلاد ثراء   فبفضل الإنتاج والابدال
نحن خلق المقـدرات وفيها   لا حياة للعاطل المكسال
عندنا اليوم فى الحياة نظام   قد حوى كل باطل ومحال
حيث يسعى الفقير سعى أجير   لغنى مستأثر بالغــلال
فترى المكثرين فى طيب عيش   أرغدته لهم يد الاقلال

وترى الغائصين فى البحر أمسى   لسواهم ما أخرجوا من لآلى
وترى المعسرين فى كل أرض   كعبيـد والموسرين موالى
أكثر الناس يكدحون لقوم   قعـدوا فى قصورهم والعلالى
واحد فى النعيم يلهو وألف   فى شقاء وأبؤس واعتـلال
حالة فى معاشنا أسلكتنا   طرقات الخاتل المحتـــال
فترانا بعضا لبعض لبسنا   من خياناتنا مسوح الثعال
تلك عاد مستهجنات ورثناها   قديما من العصور الخوالى
فإلى كم نشقى وحتى م نبقى   هكذا فى عماية وضـلال
إنما الحق مذهب الاشتراكية   فيما يختص فى الأموال
مذهب قد نحى إليه أبو ذر   قديما فى غابر الأجيـــال
ليس فضل الزكاة فى الشرع إلا   خطوة نحو مبتغاه العالى
مبدأ ذو مقاصد ضامنات   ما لأهل الحياة من آمـال
موصلات إلى السعادة فى العيش   هواد إلى طريق التعالى
ليس للمرء أن يعيش بلا كد   وإن كان من عظام الرجال
كل مجد يبنى على غير سعى   فهو مجد مهـدد بالزوال
ليس قدر الفتى من العيش إلا   قدر إنتاج سعيه المتوالى
ما رءوس الأموال إلا أداة   للمساعى كالحبل للأحمال
مثل شد الأحمال شد المساعى   ودنانيرها لهـا كالحبال
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا   همم الدائبين فى الأشغال
أفتأتى من الطعام بديلا   أفتغنى عن كسوة ونعال
حاجة المرء أكلة وكساء   وسوى ذاك بسطة فى الكمال
إن للعيش حومة فى وغاها   لا تحق الحيـــاة للبطال

إنها مثل حومة الحرب ما دارت رحاها إلا على الأبطـــــال
وسوى الحذق ما بها من سلاح وسوى الكد ما بهــا من قتال
بطل الحرب مثـله بطل السعى ومنه الأعمال مثـــل الصيال
ونشاط منه ببيض المساعى مثل إشراعه لسل العوالى
أيهــا العاملون إن اتحاداً بينكم مُرخص لكم كل غال
ما لعيش تشقون فيه سقاما بسوى الاتحاد من إبلال
فليكن بعضكم لبعض نصيرا ومعيناً له على كل حال
و إذا قلت أنكم أنتم الناس جميعا فلا أكون مغـــال
فاعملوا دائبين غير كسالى وارقبوا ما به ستأتى الليالى
ثم قولوا معى مقالا رفيع الصـــوت فلتحيي زمرة العمال


الفلسفيات

خواطر شــــاعر

تجاه شاعرية الريحانى

لعمرُك ما كلُّ انكسار له جَبْرُ ... ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجَهْرُ
لقد ضَربتْ كفُّ الحياة على الحِجا ... سِتارًا فعلم القوم فى كنهها نَزْرُ (١)
فقمنا جميعاً من وراء سِتارها ... نقول بشوق : ما وراءك يا سِتْرُ ؟
حكتْ سَرْحةً فَنْواء نبصر فَرْعَها ... ولم ندرِ منها ما الأنابيشُ والجِذْرُ (٢)
وقد قال بعضُ القوم إن حياتنا ... كَلَيْلٍ وإن الفجرَ مَطلَعُه القبْرُ
فإن كان هذا القولُ فيها حقيقةً ... فياشدَّ ما قد شاقنى ذلك الفجْرُ
ورُوح الفتى بعد الردَى إن يكُن لها ... بقاءٌ وحِسٌّ فالحياة هى الخُسْرُ
وإن رَقِيَتْ نحو السماء فحبَّذا ... إذا أصبحتْ مأوًى لها الأنجمُ الزهْرُ

* * *

وأعجب شأن فى الحياة شعورُنا ... وأعجب شأن فى الشعور هو الحِجْرُ (٣)
وللنفس فى أُفق الشعور مخايلٌ ... إذا بَرَقَتْ فالفكر فى بَرْقها قَطْرُ
وما كلُّ مشعورٍ به من شئونها ... قديرٌ على إيضاحه المَنْطِقُ الحرُّ
ففى النفس ما أعيا العبارةَ كشْفُهُ ... وقصّر عن تبيانه النظمُ والنثرُ
ومن خاطرات النفس ما لم تقم به ... بيانٌ ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

---

(١) يقول بهذا البيت والذى بعده : إن لنا من حياتنا ستراً مسدولا على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلا منا قائم عند الستار وهو يسأل قائلا : ما وراءك يا ستر ؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفنواء : كثيرة الأفنان ، واسعة الظل . وأنابيش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . يعنى فى البيتين السابقين جهلنا بما بعد الحياة . أى بمنتهاها ، ويعنى بهذا البيت جهلنا بما قبلها : أى بمبتداها .

(٣) الحجر ، بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشىء علم حس ؛ والعقل جوهر تدرك به النفس الكليات من العلوم الضرورية والنظرية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شئون الحياة ، فإنها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعميات .

ويارُبَّ فكرٍ حاكَ فى صدر ناطق   فضاق من النطق الفسيح به الصدر
ويارُبَّ معنًى دقَّ حتى تخاوَصَتْ   إليه من الألفاظ أعينُها الْخُزْرُ (١)
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه   كِفَايَة معنًى فاته العدّ والحصر (٢)
وأفْق المعانى فى التصوّر واسع   يتيه إذا ما طار فى جوّه الفكر (٣)
ولولا قصور فى اللُّغَا عن مرامنا   لما كان فى قول المجاز لنا عُذْرُ (٤)
ولست أخصّ الشعر بالكلِم التى   تُنْظَمِ أبياتاً كما تُنظَمَ الدُّرّ
وذاك لأن الشعر أوسع من لُغاً   يكون على فعل اللسان لها قصر
وما الشعر إلَّا كل ما رَنّحَ الفتى   كما رنحت أعطافَ شاربِها الخمر (٥)
وحرّكَ فيه ساكِنَ الوجْد فاغتدى   مَهِيجاً كما يَسْتَنُّ فى الْمَرَحِ الْمُهْرُ (٦)
فمن نَفَثَاتِ الشعر سجعُ حمامةٍ   على أيْكَةٍ يُشْجِى المشوقَ لها هَدْرُ (٧)
ومن شَذَرات الشعر حومُ فَراشةٍ   على الزّهر فى روض به ابتسم الزهر
ومن ضَحَكات الشعر دَمعة عاشق   بها قد شكا لْلوصل ما فعل الهجْر

---

(١) تخاوصت : أى غضت من بصرها شيئاً . يقال : تخاوص : إذا غض من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شىء دقيق . والخزر : جمع خزراء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعانى ما يدق حتى تقصر عن بيانه الألفاظ .

(٢) أسومه : أى أكلفه . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعانى غير متناهية ، فكيف يحيط المتناهى بغير المتناهى .

الفكر : ترتيب أمور معلومة للتأدى إلى مجهول ، فالفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة المخايل للنفس . والمخايل : هى السحب المنذرة بالمطر ، فإذا برقت فى النفس مخايلها ، كان قطرها الفكر .

(٤) يقول : إن البلغاء لا عذر لهم فى استعمال المجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعانى المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمنثور ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين فى الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر فى المرء ورنحه كما ترنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فمن نفثات الشعر » الخ . . .

(٦) مهيجا : منفعلا ثائر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لَمَحاتِ الشعر نظرة غادةٍ ... بنجلاء تسبي القلب في طرفها فَتْر (١)
ومن جَمَرات الشعر رنَّةُ ثاكلٍ ... مُفجَّعة أودَى بواحدها الدهر
ومن نَفَحات الشعر ترجيعُ مُطرِبٍ ... تعاورَ مَجْرى صوته الخفضُ والنَّبْر (٢)
وإن من الشعر ائتلاقَ كواكبٍ ... بجُنح الدُّجَى باتت يضاحكها البدر (٣)
وإن لريحانيِّنا شـــاعريةً ... من الشعر فيها يقال هي الشعر
وما الشعر إلَّا الروضُ أماً أميننا ... فريحانةٌ ، والخُلق منه هو النَّشْر (٤)
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن ... لعَمْرُ النُّهَى للشعر عند النُّهَى قَدْر (٥)

وجه ابن آدم

لله سِرٌّ في الأنام مُطَلْسَمُ ... حار الفصيحُ بوصفه والأعجم (٦)
برأ ابنَ آدمَ وهو إن لم تلقَه ... في الخَلْق أقدمَ فهو فيه مُقَدَّم
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً ... ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
أمَّا العجيبُ من ابن آدم فهو ما ... نسق الـكلام به إذا نطق الفم (٧)
والوجه أعجب ما رأيت وإنه ... ليَحار في سَحْنائه المتوسِّم (٨)
هو من طِرَاز الله إلَّا أنه ... بسرائر النفس الحديثة مُعلَمَ (٩)
أما الحواجبِ فهي فيه كواشفٌ ... والعين فيه عن الضمير تترجم

(١) نجلاء : عين واسعة .
(٢) تعاور : تداول . النبر : رفع الصوت بالـكلام والغناء ونحوهما. (٣) ائتلاق : لمعان .
(٤) النشر : الرائحة الطيبة . (٥) النهى : جمع نهية ، وهي العقل .
(٦) المطلسم ، بصيغة المفعول : من طلسم الساحر إذا كتب الطلاسم ، والمراد بكون السر مطلسما أنه كتب عليه طلسم بألا يصل إليه أحد .
(٧) أي أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التي إذا تـكلم نسق بواسطتها الـكلام .
(٨) السحناء : محركة وكصحراء : الهيئة واللون . والمتوسم : الناظر إليه المتفرس ، الذي يطلب سمته ، أي علامته .
(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب في طراز فلان ، ومن المجاز قولهم للوجه المليح « هو مما عمل في طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول : المجعول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولربَّ خافيةٍ يكتّمها الفتى ... والوجه منه بسرّها يتكلّم
كلٌّ يشير إلى السريرة وجهُهُ ... فكأنه بضميره متَلثّم
فالوجه فيه من القَرُونة مَسْحَةٌ ... الخافيات بها وُضوحٌ مُبهَم(١)
صَرَعَ النُّهى فالوهم فيه تيقّن ... تحت الملامح واليقين توهُّم(٢)
ولربَّ وجه في تبسمه البُكا ... ولربَّ وجهٍ في بكاه تبسّم
والأنفُ في وجه ابن آدم زينة ... فالوجه لولا أنفه متجهِّم
كالهُدْب في شُفْرِ العيون فإنه ... لولاه تَنْشَتِر العيون وتسجُم(٣)

* * *

إن الوجوه صحائف مطموسة ... يمحو كتابتها ويثبتها الدم(٤)
بيناك تقرأ حرفها متفهِّماً ... يبدو تحرفها فلا تتفهَّم
فالعقل فيها عالم متجاهل ... طوراً وطوراً جاهل متعلِّم
إني أرى هذي الوجوه نواطقاً ... بالسرّ لكن نطقهنّ مُجمجَم(٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً ... عنها ولكنّ الحديث مرجَّم
فكأنني البدويُّ يسمع راطناً ... وكأنما هي أعجميّ طِمْطِم(٦)

* * *

(١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً في وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهما عندك ، إذ لا تعلمه يقينا .

(٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير في صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهية ، وهي العقل . والملامح : ما بدا من محاسن الوجه ومساوئه ، جمع لمحة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : في فلان ملامح من أبيه : أي مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .

(٣) الهدب : شعر أشفار العينين . وتنشتر : أي تكون شتراء ، أي ذات شتر ، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل ، أو انشقاقه ، أو استرخاؤه . وتسجم : أي تسيل الدمع .

(٤) مطموسة : ممحوة . والمراد بمحو الدم كتابتها : عدم فهم شيء منها ، وبإثباته إياها : فهم شيء منها ، أي أن الناظر فيها بين فاهم وغير فاهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذي بعده .

(٥) مجمجم ، بصيغة المفعول : أي غير بين ، من جمجم الكلام : إذا لم يبينه .

(٦) راطنا : متكلما بالأعجمية . وأعجمي طمطم : في لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وجهٍ يستبيك بحسنه ... فتروحُ منه وأنت صَبٌّ مُغرَم
يبدو إليكَ وأنت خِلْوٌ من هوًى ... ويصدّ عنكَ وأنت فيه مُتَيَّم
وإذا تغيَّب فالبـدور مضيئة ... وإذا أضاء فكلّ بدر مظلم
لله فى وجـه ابن آدم حِكمة ... يعنو السفيهُ لهـا ومن يتحلَّم

ما وراء القبر

مَتَى تُطلقُ الأيامُ حرّيةَ الفِـكْرِ ... فينشَطَ فيها العقلُ من عُقْلَةِ الأسْرِ (١)
ويصدعَ كلٌّ بالحقيقة ناطقاً ... ويترك ما لم يدرِ منها لمن يدرى (٢)
أرانا إذا رُمنا بيان حقيقـة ... عَزِينا مَعاذَ الله فيها إلى الـكفر (٣)
جَهِلْنَا أشد الجهل آخر عُمُرِنَا ... كما قد جهلنا قبله أولَ العُمْر
هما ساحلا بحرٍ من العيش مائج ... ففى أىّ أمرٍ نحن بينهما نجرى
ومن أين جئنا أم إلى أين قَصْدُنا ؟ ... وفى أىّ ليل من تشكّكنا نسرى؟
كأنا أتينا والمعيشةُ لُجّـة ... لنعبُرَ والأعمار جِسْرٌ إلى القبر (٤)
وما ذا وراء القَبْر ممـا نُريده ... وهل من مَدًى بعد العُبور على الجسر (٥)
تسائلنى نفسى وللموت صَوْلَةٌ ... ألا هل لكسر الموت وَيْحَكَ عن جَبْر (٦)
لعلّ حياة المرء ليلٌ ستنجلى ... غياهبه من سكرة الموت بالفجر (٧)
فإنْ كان ذا حقا فإن حياتنا ... كما قيل سِتْرٌ والردى كاشف السِّتْر
وقد قيل إن الرّوحَ تبقَى فهل لها ... عُروج إلى الأعلى إلى الأنجمِ الزُّهُر
وهل تَعرِف الجثمان بعد عُروجها ... فتمكثَ منه فى السماء على ذِكْر

(١) عقلة : ما تعقل به الرجل وتقيد .
(٢) يصدع : يجهر .
(٣) عزينا : نسبنا .
(٤) اللجة : الماء الكثير .
(٥) المدى : الغاية .
(٦) صولة : قوة . ويحك : رحمة لك .
(٧) غياهب . جمع غيهب ، وهو الظلمة .

إذا أرضنا كانتْ سماء لغيرها ... فما من عُروج بل نزول إلى القعْر
وهل عَرَجَتْ أرواح مَنْ في عُطاردٍ ... إلى الأرض أم هذا الكَلامُ من الهذْر (١)
خيالٌ به رُحْنا نعلِّل أنفُسًا ... هَزَأْنَ به لَمّا رَجعْنَ إلى الحِجْر (٢)
وشبّه بالنهر الحياةَ معاشرٌ ... فمنبعُه في رأيهم قِدَم الدهر
ولكنّهمْ أعيا عليهم مَصَبُّه ... وإن رَجَّمُوا بالظنّ في مَنبع النهر
فياليت شعرى أين ينصبّ جارياً ... أعَوْداً لبدء أم إلى غايةٍ يجرى
لعمرُكَ ما هذى الحياة وما الذى ... يُراد بنا فيها من الخير والشر؟
نحاول علماً بالحياة وإنّ ذا ... مَنوط إلى ما ليس يُدرَك بالفكر
ونسلُك منها في تجاهلَ قفرةٍ ... فنخرج من قفْر وندخل في قفر
على أننا نمضى إلى أمر ربّنا ... كما أننا آتون من ذلك الأمر

لو

لو أسكرَ الإنسانَ باطلُ أمره ... لم تلق غير مُعَرْبِدٍ سَكْرانِ (٣)
لو قاس كلٌّ فتًى سواه بنفسه ... فيما أراد لمَا تعادَى اثنان
لو أنصف الخصمان ما اصطاد الرُّشَا ... أهلُ القضاء بما ادّعى الخَصمان (٤)
لو أخلص الإنسان في إحسانه ... لم يرْجُ أن يُجزى على الإحسان (٥)
لو لم يَشُكَّ بربّه متفلسِفٌ ... في الدين لم يحتجَّ بالبرهان (٦)

---

(١) الهذر، بفتح الهاء: الهذيان والكلام الذى لا يعبأ به.
(٢) نعلل: نلهى ونسلى. والحجر: العقل.
(٣) يريد: لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى.
(٤) هذا البيت قريب فى معناه من القول المشهور: «لو أنصف الناس استراح القاضى» غير أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشا.
(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المكافأة على إحسانه لم يكن محسنا فى الحقيقة إلا إلى نفسه، فهو لذلك غير مخلص فى إحسانه.
(٦) أى لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ماخامره من الشك.

لو أن عقل المرء يغلب حبَّه … النفس لم يلجأ إلى الأديان[1]
لولا جمود فى الشرائع مُهْلِكٌ … لتغيَّرت بتغيُّرِ الأزمان
لو كان قصد الدين غير سعادة الدُّ … نيا لـكان الـكفر كالإيمان[2]
لو أخلص الرجل التقىّ بدينه … ما كان ذا طمعٍ بحُورِ جِنان
لا خير فى تقوى امرىء لو لم يخَفْ … نار الجحيم لَلَجَّ فى العِصْيان
لو كان أمر الحج معقولا لَمَا … كان استلام القوم للأَركانِ
لو حكَّمَ العقلَ الحجيجُ بحَجِّهم … أَبَوُا الطواف بتلـكم الجُدْران
لو أخلص الفُزَّى بنُصْرة دينهم … ما حلَّ سبيُ حرائرِ النِّسوان
كذبتْ قريش لو تقادم عهدُها … فى المجـد ما خدعتْ أبا غَبَشان[3]
لو كان للشيطان مَعْنًى غير ما الْ … إنســانِ ما آمنتُ بالشيطان
لو يجعل الناس التعاون دأبهم … لتمتَّعوا بســــــعادة العُمْران
لو أن أخلاق الرجال تهذَّبتْ … لتكشفت حُجُبٌ عن النِّسوان[4]
ومحبــة الأوطان لولاها لمَا … عرف الأنامُ عداوة الأوطان[5]

---

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذى يمكن الرجوع إليه فى تعليل أعمال الانسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذى يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفنى وتذهب سدى بعد الموت .

(٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قنطرة الآخرة ، وإذا كانت القنطرة غير صالحة للعبور تعذر الوصول إلى المطلوب . فمعنى البيت : أنه لو صح مايقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الـكفر والإيمان فى الدنيا ؛ ولـكنهما غير متساويين فى الدنيا ، لأن البداهة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدى فى أمور دنياه من صاحب الـكفر .

(٣) قوله أباغبشان : هو رجل من خزاعة كان يلى سدانة الـكعبة قبل قريش ، فأسكره قصى ، واشترى منه مفاتيح الـكعبة بزق خمر ، ثم أفاق نادما ، فضرب به المثل فى الحمق والندم وخسارة الصفقة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تحجب النساء عندنا معاشر الشرقيين لم يكن إلا من فساد أخلاق الرجال ، فلو تهذبت أخلاقهم لارتفع الحجاب .

(٥) أراد بمحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التى يتخذها صاحب السياسة ذريعة للتهييج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هى أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير فى المجرّة لم يكن فى الأرض شرّ دائم الغليان[1]
لو تمّ فى فلك الثريا سعدُها لم تُمنَ بالعيُّوق والدبَرَان
لولم يكن فزِعاً سُهَيلٌ لم يَبِت فى أُفْقِه متتابع الخفَقان

حقيقتى السلبية

أحب صَراحتى قولًا وفعلًا وأكره أن أميل إلى الرياءِ
فما خادعتُ من أحَدٍ بأمر ولا أضمرتُ حَسْوًا فى ارتغاءِ
ولست من الذين يَرون خيرا بإبقاء الحقيقة فى الخفاءِ
ولا ممن يرى الأديان قامتْ بوحْيٍ مُنزَلٍ للأنبياءِ
ولكنْ هنَّ وضع وابتداعٌ من العُقَلاء أرباب الدَّهاء[2]
ولست من الأُلَى وَهَمُوا وقالوا بأنّ الروح تَعرُج[3]
لأن الأرض تسبَح فى فضاء وما تلك السماء سوى الفضاء
ولست من الذين يرون فخرا لمفتخر بإهراق الدماء[4]
ولا ممن قد ارتبطو بماض فعاشوا ينظرون إلى الوراء
ولا ممن يرى للناس حُكمًا سوى الحُكّام أرباب القضاء
ولا ممن تودَّد فى حضور وعند الغيب جاهرَ بالعداء
ولا ممن يرى الأنسابَ مِمًّا يَمُتُّ به الأنام إلى العَلاء[5]

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما فى الأرض على مافى المجرة ، لأنها أى الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى فى الأرض شرا دائم الغليان ، فى المجرة شر أيضا دائم الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) هذا البيت ينظر إلى بيت المعرى فى اللزوميات :

أفيقوا أفيقوا ياغواة فإنما دياناتكم مكر من القدماء

(٣) تعرج : تصعد . (٤) إهراق الدماء : إسالتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدى .

(٥) يمت إلى الشىء : يتصل به بسبب .

ولا مِمَّنْ إذا وُبِئوا استعاذوا ... بتمتمة الدعاء من الوَباء [1]

ولا من معشر صَلَّوا وصاموا ... لِمَا وُعِدُوه من حسن الجزاء

ولا مِمَّنْ يرون الله يجزى ... على الصلوات بالحُور الوِضاء [2]

ولا مِمَّن يرى الأشياء تفنى ... بحيث تكون من عَدَمٍ هواء

ولكن هُنَّ فى جمع وفَرْق ... تبدَّلُ منهما صوَرُ البقاء

ولست من الذين يَرَوْن فضلًا ... كبيراً للرجال على النساء

ولكن دالت الأيامُ حتى ... يهاوَن هَؤلاء بهؤلاء

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَديدٌ وإنما ... عليه الورَى يمشُون مِشْيةَ عابر

وموت نشر ليس يمكن جَبْره ... بلَفِّ ضِمادٍ أو بشدِّ الجبائر [3]

وقتل الردى قتلٌ جُبار فلم تكن ... لِتُدْرِك فيه ثأْرَها نفس ثائر [4]

فإن مَنايانا سهام عوائر ... وكيف اثِّئارٌ فى السهام العوائر [5]

أرى الناس طُرًّا فى الردى غير آبهم ... ثَوَوا بين مقبور هناك وقابر

وما الموت إلَّا هُوَّة أدلجَ الورَى ... إليها بمسود الدُّجنَّة كافر [6]

فهم أبداً يسَّاقطون لقعرها ... تَساقُطَ عُمْيٍ فى عِماق الحفائر

أرى كل حى فى الحياة ممثِّلًا ... رواية رُؤْيا من كتاب المقادر

---

(١) وبئوا: أصيبوا بالوباء.

(٢) الحور: جمع حوراء، وهى التى اشتد سواد عينها وبياضها، وهذا من الجمال عند العرب. والوضاء: جمع وضيئة، وهى الجميلة، النقية البشرة.

(٣) الضماد: الخرقة تلف على العضو الكسير أو الجريح. والجبائر: جمع جبيرة، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يصلب ويشتد.

(٤) القتل الجبار: الذى لادية معه. (٥) السهم العائر: الذى لايعلم من رماه.

(٦) الإدلاج: السير فى الدلجة، وهى الليل كله، أو وقت السحر.

روايةُ رؤيا قد جرت فى ديارنا   فجائِعُهَا حتَّى انتهت فى المقابر
لقد قدَّم الموتُ الحياةَ أمامه   نذيراً ومن يُنْذِر فليس بغادر
فلا عَجَبٌ أنَّا نرى كل ساعةٍ   أكفَّ المنايا داميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنجلاَ نَجْلا أبى اللَّمْع إنى   عاشقٌ نورَ فجرِها الوضَّاحِ
هو العلم خير فجر تجلَّى   مستنيراً بأشهر الأوضاح
وصرير الأقلام فى الطِّرْس منه   كصياح الديوك فى الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات   عَطرتنِى بنشرها الفيَّاح
فكأنى فى النِّقْش والطِرْس منها   ناظر فى بنفسَج وأقاحِى
ثم إنى قرأت فيه لأسْمَا   كلماتٍ بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أنَّ فى النَّو   م ارتياحاً لنا وأىُّ ارتياح
صدقت فى الذى تقولُ ففحْوَى   قولها فى غِنًى عن الإيضاح

• • •

حَبَّـذا النومُ فهو للرُّوح رَوْح   من عناء الهموم والأتراح
وهو تجديد قوَّة ونَشَـــاط   لحسوم رَوازِحٍ أطلاح
حبذا النومُ ترتقى النفس فيه   عالمًا فوق عالمِ الأشـــباح
« تِلِفُونٌ » به إلى الغيب نُصْغى   و « تلسكوبُنا » إلى الأرواح
حَبَّـذا النومُ إنه شَرَكٌ يَمْـــتَدّ فى الجسم لاصطياد ارتياح
فهو للنفس من مَرَاقى المعالى   وهو للجسم من دواعى الصلاح

حبذا النومُ فهو كالزيت للرُّو ح به تضىء كالمِصباح
وهو مِعْراجنا إلى أُفْق غيْبٍ لن تَنَاهَى أبعادُه والنواحى
حَبَّذا النومُ واصلًا بين حيّ ذى ثَواء وميت ذى بَراح
حبذا لنوم جامعا بين معشو ق مقيم وعاشق ذى انتزاح
إن للنوم لَذةً هى فى الأنفـــس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغــنت بإدراكها عن الإيضاح
أيُّها القومُ إن للنوم سلطا نا قويا لا يُتَّقَى بسلاح
نافذ الحكم فى القضاء على الإنســان فى حُزنه وفى الأفراح
وعلى الأسْد وهى فى الغاب تَدْأى وعلى الطير وهى فى الأدواح(١)

بين الروح والجسد

أرى للرُّوح بالبدَن اتصالًا خَفياً لا تبينُ له رُسومُ
تُطيف به الهواجسُ شاعرات وتعجِز عن حقيقته الفهوم
فإن الروح للجثمان تِــلْوٌ به منها ومنه بها وُسوم
يَتِمُّ كلاهما هــــذا بهذا كذلك تم أمرهما القويم
فلا جسد يقوم بغير رُوح ولا رُوح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لــكل بغير قرينـــه أبداً لزوم
لذلك كانت الأرواح منا بحيث تَهِى إذا وهت الجسوم
ولست أظن أن الروح تبقى إذا محيت من الجسد الرسوم
ورُبّتما يكون لها دوام ولــكن غيرَ شاعرة تدوم

(١) دأى له يدأى دأيا ودأوا : إذا ختله . والذئب يدأى للغزال ، وهى مشية شبيهة بالختل .
والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة الوارفة الأغصان ، الواسعة الظلال .

وماهبطت من الخضراء ولكن ... من الغَبْراء أنبتها الحكيم (١)

* * *

وأما هذه الأجسام منا ... فتبنيها المآكل والطعوم
وتُرْويها المشارب والمحاسي ... وتُذويها اللوافح والسُّموم
ويُوهِنها التقشُّفُ والتضنّى ... ويُحْسنها التَّرَفُّ والنعيم (٢)
وبعض من مطاعمنا غذاء ... تُحاك على العظام به اللحوم
وبعض من مطاعمنا وَقودٌ ... تديم به حرارتها الجسوم
له فى جوف آكله احتراق ... تكون رمادَه فيها الشحوم

* * *

وللأرواح كالأجساد زاد ... به تنمو المشاعر والحُلوم
هو النغَم الرقيق من المَثانى ... هو الأدب الرفيع ، هو العلوم (٣)
فإن الرُّوح تغذوها الأغانى ... ويجلو همَّها الصوتُ الرخيم (٤)
ويصقُلها الجمالُ إذا رأته ... وتُصْدِئها القبائح والهُموم
فلا تَنفِر بسمعك من غناء ... به غنتك شادية بَغوم (٥)
ولا ترفضنَّ عن المَلاهى ... ولو شَهِدت برفضتك النُّجوم
وكن فى المُطْربات فتًى طروباً ... فإن الناس أطربُها الكريم
وقِف عند الحدود بلا تعدٍّ ... إلى ما ليس يَحمده الحليم
ولا تشتطَّ فى طَرَب ولهوٍ ... فكل مُقارف شَطَطاً ذميم
فإنْ وافقتنى وجريت جَرْيى ... وإلا فاتَكَ الطبعُ السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .
(٢) يوهنها : يضعفها . والتقشف : التخشن فى المعيشة . والتضنى : تفعل من الضنى ، وهو الهزل والجهد . والترف : التنعم . يقال ترف الرجل وترفه : دلله وملكه . وترف : مطاوع يرفه ، بالتضعيف .
(٣) المثال : جمع مثنى ، بوزن مفعل ، وهو مايثنى ويكرر من الكلام ، فى الغناء أو الإنشاد .
(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذى ليس غليظاً ولا أجش .
(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغام ، وهو صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات　　كل شيء فى كونه كالنبات
كل شيء فى بدئه من صغير　　ثم ينمو فى ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى　　فى نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعا　　عاليات يأتين بالثمـــرات

* * *

إن للفلس فى الثراء محلا　　كمحل الجذور فى الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول　　إلا من القطرات
هو فى قدره حقير ولـكن　　جمعه موصـل إلى العظمات
يتساوى فيه السخى وذو البخـــل　　ورب الأقلال والمثراة
هو هين على الذى قال هاكم　　حين يعطيه للذى قال هاتِ

* * *

إن ترد غرس نخلة من ثراء　　فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد فى موارد العيش فلسا　　كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده　　مسعداً مسعفا على الخيرات
واقصد الخير فى اقتصادك حتى　　لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال فى الناس إلا　　حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان ـ حميداً　　أو ذميما ـ وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات　　عموم ضرب من السيآت
يا شباب العراق هبُّوا إليه　　وتوخُّوا بجمعـه البركات
إن تكونوا اعتزمتم الأمر فيه　　فالبدار البدار قبل الفوات


الوصفيات

أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يَجِيش بخاطرى ويَبذُل ما قد عزَّ لى من مَصُونِهِ (١)
ويسكن أحياناً فأشجَى وإنَّمَا تحرُّكُ شَجوى ناشئٌ من سكونه (٢)
وقد أتوخَّى الهزلَ منه مُجَارِياً لدهر أراه مُوغِلًا فى مُجونه (٣)
ولكنَّ نفسى وهْى نفس حزينة تَميل إلى المُشجِى لها من حزينه
وقد علِم الراوون شعرى بأنهم إذا أنشدوه أطرَبوا بلحُونه
وإنى إذا استنبطتُه من قريحتى شَفَيت صَدَى الراوى ببَرْد مَعِينه (٤)
وإنى على علم طَويت سهولَه ولم أتحيّر خابطاً فى حزُونه
وإنى لَمَحّاصٌ له بسليقة أبتْ غَثَّه واستوثقتْ من سَمينه (٥)
وهل يخطُر الشعر الركيك بخاطرى إذا كان فى طوعى اختشاب مَتينه (٦)
ألا لا اهتدت للشعر يوماً هواجسى إذا هى لم تَنزع إلى مستبينه (٧)
ولا غُصْت فى بحر القريض مخاطراً إذا لم أفز من دُرِّه بثمينه
على أنَّ لى طبعاً لَبيقاً بوشيه نَزُوعاً إلى أبكاره دون عُونه (٨)
إذا انتظمت أبياته فى قصائدى ترى كل بيت ممسكاً بقرينه

(١) يجيش : يضطرب ويتحرك ، كما تجيش القدر عند الغليان .
(٢) أشجى : من الشجو ، وهو الحزن .
(٣) أتوخى : أقصد . موغلا : ذاهبا بعيداً .
(٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العطش . والمعين : الماء الظاهر ، تراه العين جاريا على وجه الأرض .
(٥) الغث : المهزول ، ضد السمين .
(٦) الاختشاب : افتعال من خشب الشعر يخشبه . (من باب ضرب) أى يمره كما يجيئه ، ولم يتأنق فيه ، ولا تعمل له .
(٧) هجس الأمر بالقلب هجسا ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .
(٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطا فى السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوحُ الشعر يوماً لتُجتَنَى ... بغير اليد الطُّولَى ثمار غصونه
ولم يستقِد - إلا لذى ألمعيَّةٍ ... يكون كرأى العين رَجْمُ ظنونه(١)
وإنِّىَ قد مارسته بفَطانةٍ ... يلوح سناها غُرَّةً فى جبينه

* * *

لعمرُكَ إنَّ الشعر صَمصام حِكمةٍ ... وإن النهى معدودة من قُيونه(٢)
إذا جنَّنى ليل الشكوك سَلَلْته ... عليه فَفرَّاه بفجـــر يقينه(٣)
وما الشعر إلَّا مؤنسى عند وحشتى ... ومُسلِى فؤادى عند وَرْىِ شُجونه
تقوم مَقامَ الدمع لى نَفَثاته ... إذا الدهرُ أبكانى بريْب مَنونه(٤)
وأجعله للكون مِرآةَ عِبرةٍ ... فيظهر لى فيها خيال شئونه
فأبصرُ أسرار الزمان التى انطوت ... عما دار فى الأحقاب من مَنْجَنونه(٥)
وللشعر عين لو نظرت بنورها ... إلى الغيب لاستشفَفْت ما فى بطونه
وأذْنٌ لو استصغيتها نحو كاتم ... سمعت بها منه حديث قَرُونه(٦)

* * *

وليلٍ إلى شِعراه أرسلت فكرتى ... رسولاً بشعرى حاملًا لرَقينه(٧)
سلِ الليل عنى نَسرَه وسِماكَهُ ... ونجمَ سُهاه والجُدَىَّ خَدينِه(٨)

---

(١) استقاد له الأمر: ذل وانقاد. الألمعية: مصدر صناعى من الألمع. والألمع والألمعى، واليلمع واليلمعى: الداهى الذى يتظنن الأمور فلا يخطىء، وإذا لم له أول الأمر عرف آخره، يكتفى بطله دون يقينه، مشتق من اللمع، وهو الإشارة الخفية، والنظر الخفى.

(٢) الصمصام: السيف. والنهى: جمع نهية، وهى العقل.

(٣) فراه بتخفيف الراء وتشديدها: مزقه.

(٤) النفثات: جمع نفثة، وهى مايلفظه الانسان من فيه من بصاق ونحوه. شبه خواطره ومعانيه بالنفثات.

(٥) المنجنون: الدولاب، يستقى به الماء لإرواء الأرض.

(٦) القرون: النفس. (٧) الرقين: الكتاب المزين.

(٨) النسر والسماك والسها والجدى (تصغير جدى): أسماء نجوم. يريد بسؤالها عنه أنه طالما سهر فى صنع الشعر مراعيا هذه النجوم، فبينها وبينه ألفة وصحبة.

فكم بتّ في نهر المجرّة في الدجى | من الشعر أجرى مُنشئات سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه بغيره | ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
ولو سَلبتْنيه الحوادث في الدُنا | لَمَا عشت أو ما رُمتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقُهُ | فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده
في الأعظمية عيانا من منظر الغروب

نزلتْ تجرّ إلى الغروب ذيولا | صفراء تشبه عاشقا مَبتولا (١)
تهتز بين يد المغيب كأنها | صبّ تململ في الفراش عليلا (٢)
ضحِكت مشارقها بوجهك بُكرةً | وبكت مغاربُها الدماء أصيلا
مذ حان في نصف النهار دلوكها | هبطت تزيد على النزول نزولا (٣)
قد غادرت كبدَ السماءِ منيرةً | تدنو قليلًا للأفول قليلا (٤)
حتى دنت نحو المغيب ووجهها | كالوَرْس حال به الضياء حئُولا (٥)
وغدت بأقصى الأفق مثلَ عَرارةٍ | عطِشت فأبدت صفرةً وذبولا (٦)
غَرَبت فأبقت كالشُواظ عَقيبها | شَفَقاً بحاشية السماء طويلا (٧)
شفقٌ يروع القلبَ شاحبُ لونه | كالسيف ضُمِّخ بالدما مسلولا (٨)

(*) من الديوان الأول .
(١) الضمير في نزلت : يعود إلى الشمس بقرينه المقام الذي هو وصف غروبها .
(٢) الصب : وصف من الصبابة ، وهي العشق . وتململ : تقلب في فراشه من الأرق أو المرض .
(٣) دلوك الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل في الغروب أيضا .
(٤) الأفول : الغروب .
(٥) الورس : نبت أصفر ، يزرع باليمن ويصبغ به . أو هو صنف من الكركم .
(٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو النرجس البري .
(٧) الشواظ : بضم الشين وكسرها : اللهب الذي لادخان فيه .
(٨) الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازَجَ أدمعاً هَمَلت بها عين اليتيم همولا [١]
رقَّت أعاليه وأسفله الذى فى الأُفق أشبع عُصْفُرًا محلولا [٢]
شَفَقٌ كأن الشمس قد رفعت به رُدْنًا بذوب ضيائها مبلولا [٣]
كالخود ظلَّت يوم ودَّع إلفَها ترنو وترفع خلفَه المِنديلا [٤]
حتى توارتْ بالحِجاب وغادرتْ وجه البسيطة كاسفاً مخذولا
فكأنها رَجُلٌ تَخَرَّم عِزَّه قرعُ الخُطوبَ له فعاد ذليلا
وانحطَّ من غُرف النباهة صاغراً وأقام فى غار الهوان خمولا

* * *

لم أنسَ قُرْب (الأعظميَّة) موقفى والشمس دانية تريد أُفولا
وعن اليمين أرى مُروج مَزارع وعن الشمال حدائقاً ونخيلا
وتروع قلبى للدَّوالى نَعرةٌ فى البَين يحسبها الحزين عَويلا [٥]
ووراء ذاك الزرع راعَى ثلةٍ رجعت تؤمُّ إلى المَراح قُفولا [٦]
وهناك ذو بِرْذونتين قد انثنى بهما العشىَّ من السِكراب نحيلا [٧]
وبمنتهى نظرى دخان صاعد يعلو كثيراً تارةً وقليلا
مدَّ الفروع إلى السماء ولم يزل بالأرض متصلا يمُد أصولا
وتراكبت فى الجوِّ سُود طباقه تحكى تلولا قد حملن تلولا
فوقفتُ أرسل فى المحيط إلى المدَى نظراً كما نظر السقيمُ كَليلا

---

(١) الضمير فى يحكى : يعود إلى الشفق فى البيت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم مازجته دموع يتيم ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه قاتما وهو مع ذلك مشعر بالحزن .

(٢) العصفر : نبت أصفر ، يصبغ به .   (٣) الردن : أصل الكم .

(٤) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء فى الأخير .

(٥) الدوالى : جمع دالية ، وهى الناعورة تديرها البقرة . والنعرة ، بالفتح : المرة من نعر إذا صوت .

(٦) الثلة : القطيع من الغنم . والمراح : المكان تروح إليه الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى

(٧) السكراب مصدر كرب الأرض كربا وكرابا : قلبها للحرث ، وأثارها للزرع .

والشمس قد غَرَبت ولما وَدَّعَتْ … أبكت حزُوناً بعدها وسُهولا
غابتْ فأوحشتِ الفضاء بكُدْرة … سَقِمِ الضياء بها فزاد نحولا
حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن … غير الظلام هناك عِزرائيلا
وأتى الظلامُ دُجُنَّةً فَدُجُنَّةً … يُرخى سُدولًا جَمَّةً فسدولا(١)
ليل بغَيهبه الشُّخوصُ تلفَّعتْ … فظَلِلْت أحسِب كل شخص غُولا(٢)
ثم انثنيت أخوض غَمْرَ ظلامه … وتخِذت نجم القطب فيه دليلا
إن كان أوحشنى الدجَى فنجومه … بعثَتْ لتؤنسنى الضياء رسولا
سبحان من جعل العوالم أنجما … يَسْبَحْنَ عَرْضاً فى الأثير وطُولا
كم قد تصادمتِ العقول بشأنها … وسعت لتكشف سرها المجهولا
لا تحتقرْ صِغَر النجوم فإنما … أرقى الكواكب ما استبان ضئيلا
دارت قديماً فى الفضاء رَحَى القُوى … فغدا الأثير دقيقها المنخولا
فاقرأ كتاب الكون تلق بمتنه … آياتِ ربك فُصِّلتْ تفصيلا
ودع الظُّنون فلا وربك إنها … لم تغن من علم اليقين فَتيلا

---

(١) الدجنة : الظلمة . والسدول : جمع سدل ، وهو الستر .
(٢) الغيهب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه .

ليـــلة فى ملهى (*)

لمـا كان الرصافى فى الآستانة سنة ١٨٩٨ أخذ جماعة من فضلاء فلسطين ، منهم الأستاذ خليل السكاكينى إلى مرقص من مراقص الآستانة فى إحدى الليـالى ، واقترحوا عليه أن يصفه ، فقال هذه القصيدة :

طَرِب الشعر أن يكون نَسيباً　　مُذْ أجالت لنا القَوامَ الرَّطيبا
وتجلتْ فى مَسْرح الرَّقص حتى　　أرقصت بالغرام منا القـلوبا (١)
أقبلت تنثنى بِقَـدٍّ رَشيق　　ألبسته البُردَ القصـير قشيبا (٢)
قصَّرَتْ منه كُمَّه عن يديهـا　　وأطالت إلى النهود الجيوبا (٣)
حبَسَ الخصرَ حيث ضاق ولـكن　　أطلق النحرَ باديا والتَّريبا
هو زِىٌ يزيد فى الحسن حسنا　　مَن تزيَّا به ، وفى الطيب طيبا
خطرتْ والجمال يخطر منها　　فى حشا القوم جَيْئةً وذُهُوبا
وعلى أرؤس الأصابع قامتْ　　تتخطَّى تبخـتُرا ووثوبا
يعبِس الأنس أنْ تروح ذهابا　　ويعيـد ابتسامه أن تثوبا
فهْى إن أقبلت رأيت ابتساما　　وهْى إن أدبرت رأيت قُطوبا
نحن منها فى الحالتين ترانا　　نرقب الشمس مَطلِعا ومَغيبا
تُضْحِك الجَوَّ فى الصباح طلوعا　　ثم تُبكيه فى المساء غروبا
أظهرتْ فى الجمال من كل عضو　　لعبا كان بالقلوب لَعُوبا
حـيَّرتنا لمـا أرتنا عجيبا　　فعجيبا من رقصها فعجيبا

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تسرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون للمكان الذى يلعب فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكاتبين يقدم الراء فيه على السين (مرسح) وهو خطأ وقد جرى عليه الشاعر فى الأصل .

(٢) القشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الثديين ، وليس المراد الفتحة التى يوضع فيها المنديل والـكيس ونحوهما .

شابهتْ عَطْفَةَ الغصون انثناء … وحكتْ خَطرةَ النسيم هبوبا

تلفتُ الجيدَ للرجوع انصياعا … كفطيم رأى على البعد ذِيبا(١)

تثب الوثبة الخفيفةَ كالبر … ق صُعودا فى رقصها وصُبوبا(٢)

حركاتٌ خلالها سَكَنات … يقف العقل بينهنَّ سليبا

وخُطًا تفضح العُقودَ اتساقًا … نظمتها تسرُّعاً ودبيبا(٣)

بَسَمَتْ كوكبا ومرَّت نسيما … وشَدَتْ بلبلا وفاحت خطيبا

لو غدا الشعر ناطقا بلسان … لتغنَّى بوصـــفها عنـدليبا(٤)

أو غدا الحسن شاعراً ينظم الحبّ … قريضا أبدى بها التشبيبا

هى كالشمس فى البعاد وإن كا … ن إلينا منها الشعاع قَريبا

عمّتِ الناسَ بالغرام فكلٌّ … قد غدا عاشقا لها ورقيبا

زَهرة تُبهج النواظر حسنا … ورُواءً وتُنعش الرُّوح طيبا

هى دائى إذا شكوت من الدا … ء وطِبّى إذا أردت طبيبا

وأتتْ بعدها من الغِيد أخرى … يقتفى إثرَها الجمالُ جَنيبا

فأرتنا من الجبين صباحا … ومن الخدّ كوكبا مَشبوبا(٥)

حملتْ بُنْدُقيةً صَوَّبتها … نحو مُستَهْدَفٍ لها تصويبا(٦)

واستمرت رمْيا بها عن بَنانٍ … لطفه ضامن له أن يصيبا

تحسن الرمى تارة مستقيما … وإلى الخلف تارةً مقلوبا

وانكبابا إلى الأمام وإقعا … ءً كثيراً إلى الوراءِ عجيبا

---

(١) الجيد : العنق . والانصياع . النكوص والرجوع بسرعة .

(٢) صبوبا : انحدر .

(٣) الدبيب : المشى الثقيل ، كمشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المغردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمى فى الحرب . عرفت فى القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بها حصيات فى قدر البندق الذى يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرمى بها قذائف من الرصاص تنفذ فى الجسم ، فترديه . والمستهدف ، بصيغه اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وهيَ في كل ذا تصيب الرمايا مثلما طرفُها يُصيب القلوبا
لو أرادت رمى الغيوب وأغضتْ لأصابت خفيها المحجوبا

* * *

مَشْهدٌ فيه للحياة حياة تترك الوالهَ الحزين طَروبا[1]
قد شهدناه ليلةً جعلتنا نحمَد الدهر غافرين الذنوبا
بين رهط شُمّ العَرانين ينفى الـ ـهمّ عنى حديثُهم والكروبا[2]
كرُموا أنفسا وطابوا فِعالا وسَمَوْا مَحتِداً وعفوا جُيوبا
كل ذي نجدة تراه لدى الفصـ ـل كريما فى المقال أديبا
تلك والله ليلة لست أدرِى فى بلادى قضيتها أم غريبا
كِدْت أنسى بها العراقَ وإن أبـ ـقى ندوبا بمهجتى فندوبا[3]
يا سواد العراق بيّضك الدهْـ ـر فأشبهت مقلتىْ يعقوبا
شمَلت ريحك العقيمُ وقد كا نت لَقُوحاً تهُب فيك جَنوبا
أين أنهارُك التى تملأ الأر ض غِلالًا بسَيْحِها وحبوباً[4]
إذا حكت أرضك السماء نجوما ماحيات أنوارُهن الجدوبا
لهْفَ نفسى على نضارة بغدا دَ استحالتْ كدورة وشحوبا
أين بغدادُ وهى تزهو علوما وزروعا وأربعا ودروبا
أقفرتْ أرضها وحاق بها الجهْـ ـل فجاشت دواهيا وخطوبا[5]

---

(١) المراد بالطروب هنا : المسرور . وقد يكون المحزون أيضا فى غير هذا الموضع .
(٢) أشم العرنين : مرتفع قصبة الانف ، كناية عن الاباء والشمم وعلو النفس .
(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .
(٤) السيح : النهر يسيح ماؤه على وجه الأرض ، أى يسيل .
(٥) « جاشت دواهيا وخطوبا » : اضطربت من كثرة الدواهى والخطوب .

فى القطار (*)

قالها لما ركب القطار من الآستانة إلى سلانيك سنة ١٨٩٨

تذكرت فى أوطانىَ الأهلَ والصحبا
فأرسلت دمعاً فاض وابلُهُ سكبا
وبتُّ طريدَ النوم أختلس الكرَى
بشاخص طرْف فى الدُّجَى يرقُب الشُّهبا

كئيب كأن الدهرَ لم يلْقَ غيره ... عَدُوًّا فآلى أن يهادنه حَرْبا (١)
يقل كُروباً بعضها فوق بعضها ... إذا ما رمَى كَرباً رأى تحته كربا
وإنى إذا ما الدهرُ جَرَّ جريرةً ... لتأنفُ نفسى أن أكلِّمه عَتباً
وقد علِم القوم الكرام بأننى ... غلام على حب المكارم قد شَبَّا
وأنى أخو عزم إذا ما انتضيتُه ... نبا كل عضْبٍ عنه أو أنكر الضربا (٢)
وأنى أعاف الماء فى صفوه القذَى ... وإن كان فى أحواضه بارداً عذبا
ولكنّ لى فى موقف الشوق عَبرةً ... تُساقِط من أجفانىَ اللؤلؤ الرَّطبا (٣)
إذا ضربت أوتارَ قلبى شُجُونُه ... بدت نغماتٌ ترقُص الدمع مُنصبَّا

° ° °

وقاطرةٍ ترمِى الفضا بدُخانها ... وتملأ صدر الأرض فى سيرها رُعْبا
لها مَنخِرٌ يبدى الشُّواظَ تنفُّساً ... وجوفٌ به صار البُخار لها قلْباً
تمشَّت بنا ليلًا تجرُّ وراءها ... قِطارا كصفّ الدَّوحِ تسحبه سحبا (٤)

(*) من الديوان الأول .

(١) « آلى أن يهادنه » أقسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه فى القرآن : « تالله تفتأ تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيفه : إذا سله من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . ونبا السيف عن الضريبة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبه دموعه باللآلىء ، ولكنه جعلها لآلىء رطبة .

(٤) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة الواسعة الظلال .

فطوراً كعصف الريح تجرى شديدةً   وطورا رُخاءً كالنسيم إذا هبّا(١)

تَساوَى لديها السهلُ والصعبُ فى السُّرَى

فما استسهلت سهلًا ولا استصعبت صعبا(٢)

تدكُّ مُتون الحَزْن دكًّا وإنها   لتنهب سهل الأرض فى سيرها نهبا(٣)

يمرّ بها العالى فتعلو تسنّقا   ويعترض الوادى فتجتازه وَثْبا

وتخترق الطودَ الأشمّ إذا انبرى   وقد وجدت من تحت قُنته نقْبا(٤)

يرنّ بجوف الطّود صوت دَويّها   إذا وَلَجَت فى جوفه النَّفَق الرحبا(٥)

لها صيحة عند الوُلوج كأنها   تقول بها يا طودُ خلِّ لِىَ الدَّرْبا(٦)

وتمضى مُضِىّ السهم فيـه كأنما   ترى أفعوانًا هائجًا دخل الثقبا

تُغالِب فعل الجذب وهْىَ ثقيلة   فتغلبُ بالدفع الذى عندها الجذبا

طوت بالمسير الأرض طيًّا كأنها

تسابق قُرْصَ الشمس أن يُدرِكَ الغربا

وما إنْ شكت أينا ولا سَئِمت سُرًى

ولا استهجنت بعدا ولا استحسنت قربا(٧)

عشية سارت من فروق تُقِلُّنا   وتقذِف من فيها بوجه الدّجَى شُهْبا(٨)

فمـا هى إلا ليلة ونهارُها   وما قد دعونا من سلانيك قد لَبَّى(٩)

فجئنا ولم يُعْيِ السِّفارُ مَطِينا   كأن لم نكن سَفْرا على ظهرها رَكْبا(١٠)

* * *

تعاليتَ ياعصرَ البخار مفضَّلًا   على كل عصرٍ قد قضى أهله نَحْبا

---

(١) رخاء : هادئة لينة .   (٢) السرى : السفر بالليل .

(٣) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالهضبة ونحوها .

(٤) الطود : الجبل العالى .   (٥) الدوى : السرب فى الأرض .

(٦) الدرب : الطريق بين جبلين   (٧) الأين : التعب والكلال .

(٨) فروق : اسم القسطنطينية . وتقلنا : تحملنا

(٩) سلانيك : بلد باليونان .   (١٠) السفار : السفر .

فكم ظهرتْ للعلم فيك مَعاجِز ... بها آمن السيفُ الذى كذَّبَ الكُتْبا
تظاهرتَ من فعل البخار بقوة ... يذلِّل أدنى فعلِها المَطلبَ الصعبا (١)
واقسمُ لو لا الـكهرباءة فوقَهَ ... لقلت على كل القوى تِه به عَجبا (٢)
هو العـلم يعلو بالحياة سعادةً ... ونجعلُها كالعـلم محمودة العُقبى
فكل بلادٍ جادها العلمُ أمرعت ... رُباها وصارت تَنبتُ العز لا العُشبا (٣)
متى ينشىء الشرقُ الذى اغبرَّ أفْقُهُ ... سَحابة علم تمطر الشرف العذبا
فإن دَبور الذل ألوتْ بعزه ... وكادت سَموم الجهل تُحْرقه جدبا (٤)
تبصرْ إذا دارت رَحى الشرق هل ترى ... سوى الجهل فى أثناء دورَتها قُطبا

الأرملة المرضعة

لقيتها ليتنى ما كنت ألقاها ... تمشى وقد أثقل الإملاق مَمشاها
أثوابها رَثة والرجل حافية ... والدمع تذرُفه فى الخد عيناها
بكَت من الفقر فاحمرَّت مدامعها ... واصفر كالوَرْس من جوع مُحياها (٥)
مات الذى كان يحميها و يسعدها ... فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
الموت أفجعها والفقر أوجعها ... والهم أنحلها والغم أضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها ... والبؤس مَرْآه مقرون بمَرآها
كرُّ الجديدين قد أبلى عَباءتها ... فانشق أسفلها وانشق أعلاها
ومزَّق الدهرَ ويلَ الدَّهرِ مِئزرَها ... حتى بدا من شقوق الثوب جنباها

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت

(٢) الـكهرباءة : يريد الـكهربا ، والـكلمة مقصورة ، ولـكن المؤلف جرى على استعمالها ممدودة هنا وفى مواضع أخرى من شعره .

(٣) أمرعت : أخصبت .

(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهى حارة . والسموم : الريح الحارة تحمـل التراب والحصى ونحوه ، وفى الـكلام تشبيه الذل بريح الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلـكة .

(٥) الورس : نبت أصفر يصبغ به . والمحيا : الوجه .

تمشى بأطمارها والبردَ يلْسَعها ⠀⠀ كأنه عقرب شالت زُباناها(١)
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا ⠀⠀ كالغصن فى الريح واصطكت ثناياها

* * *

تمشى وتحمل باليسرى وَليدَتَها ⠀⠀ حَملًا على الصدر مدعوماً بيُمناها
قد قمَّطتها بأهدام ممزقة ⠀⠀ فى العين مَنْشرها سَمْجٌ ومَطواها
ما أنس لا أنس أنى كنت أسمعها ⠀⠀ تشكو إلى ربها أوصاب دنياها
تقول : يا ربُّ لا تترك بلا لبَن ⠀⠀ هذى الرضيعةَ وارحمنى وإياها
ما تصنع الأم فى تربيب طفلتها ⠀⠀ إن مسَّها الضُر حتى جَفَّ ثدياها(٢)
يا ربُّ ما حيلتى فيها وقد ذَبَلت ⠀⠀ كزهرة الروض فقدُ الغيث أظماها
ما بالها وهى طول الليل باكية ⠀⠀ والأمّ ساهرة تبكى لمبكاها
يكاد ينقدّ قلبى حين أنظرها ⠀⠀ تبكى وتفتح لى من جوعها فاها(٣)
ويلُمِّها طفلةً باتت مروّعة ⠀⠀ وبتُّ من حولها فى الليل أرعاها(٤)
تبكى لتشكو من داء ألمَّ بها ⠀⠀ ولست أفهم منها كنه شكواها
قد فاتها النطق كالعجماء أرحمها ⠀⠀ ولست أعلم أىَّ السقم آذاها
ويحَ ابنتى إن ريب الدهر روّعها ⠀⠀ بالفقر واليتم آها منهما آها(٥)
كانت مصيبتها بالفقر واحدة ⠀⠀ وموت والدها باليُتْم ثنَّاها

* * *

هذا الذى فى طريقى كنت أسمعه ⠀⠀ منها فأثَّر فى نفسى وأشجاها
حتى دنوت إليها وهى ماشية ⠀⠀ وأدمعى أوسعت فى الخد مجراها
وقلت : ياأختُ مَهلًا إننى رجلٌ ⠀⠀ أشارك الناس طُرًّا فى بَلاياها(٦)

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .
(٢) تربيب : تربية . ⠀⠀ (٣) ينقد : ينشق .
(٤) ويلمها : أصله ويل لأمها ، حذفت اللام ثم أضيف الأول إلى الثانى ، والويل العذاب .
(٥) وويح ابنتى : بنصب ويح ، أى رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، بفعل من معناه . أى أرحم ابنتى رحمة .
(٦) بلاياها : جمع بلية ، بمعنى البلوى والمصيبة .

سمعت ياأختُ شكْوى تهمسين بها في قالةٍ أوجعت قلبي بفحْواها(١)
هل تسمح الأختُ لي أنّي أشاطرُها ما في يدي الآن أسترضى به اللهَ
ثم اجتذبت لها من جيب مِلحفتي دراهما كنت أستبقي بقاياها(٢)
وقلت يا أختُ أرجو منك تكرِمتي
بأخـــذها دون ما مَنٍّ تغشّاها(٣)
فأرسلَتْ نظرةً رعشاء راجفةً ترمي السهام وقلبي من رماياها
وأخرجت زَفَرات من جوانحها كالنار تصعَد من أعماق أحشاها
وأجهشت ثم قالت وهي باكية واهاً لمثلك من ذي رِقّةٍ واها(٤)
لوعمَّ في الناس حِسٌّ مثل حسِّك لي ما تاه في فَلَوات الفقر من تاها
و كان في الناس إنصاف ومرحمة لم تشكُ أرملة ضَنكا بدنياها

° ° °

هذي حكاية حال جئت أذكرها وليس يخفى على الأحرار مَغزاها
أولى الأنام بعطف الناس أرملة وأشرف الناس مَن في المال واساها

عهـــد الصبا

أو نهر الحياة

عهدُ الصِّبا سَقيا لأيّام الصبا أشْبَهُ شيء بأزاهير الرُّبَا
إنّ الصِّبا كالورد في نَضْرته وعُمْرِه واللونِ منـه والشَّذَا
واها على شَرْخ الشباب المشتَهى خلَّفَ ذِكراه بقلبي ومضى(٥)

---

(١) فحواها : معناها .
(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسي .
(٣) المن : إفساد الصنيعة بالفخر ونحوه من الأذى .
(٤) أجهشت : أي تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .
(٥) شرخ الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذَوَى غصن حياتى بعده   وكان ريَّان التصابى والمُنَى
أطيب عيش المرء فى شبابه   فإن تولَّى فهو هيشٌ مُزدَرَى

* * *

إنَّ حياة المرء ما عاش تُرى   أحوالُها مختلفاتٍ فى الرُّؤَى(١)
كالنَّهرِ الجارى الذى تغيَّرتْ   أوضاعه فى الأرض كلَّمَا جرى
فهو لدى المنبَع ضَحْضَاح وفى   مَصَبِّهِ تلقاه بحْرًا قد طمَا(٢)
بيناه يجرى فى الثَّرَى مُنعطفاً   إذا بواديه تَمَطَّى واستوى(٣)
طَوراً كأَسياف الوغَى منحنياً   فى الأرض ينساب وطوراً كالقَنا
وربمَا عادت مجاريه به   راجعةً من حيث جاءَ القَهقَرَى(٤)
وربمـا صادف غَوْطاً فانهوى   فيـــه وقد خرَّ خريراً ورغَا(٥)
والمـاء فيه قد يُرَى منبسطاً   وتارةً منزوياً فوق الثرى .
وتارةً تلقـــاه فى مَشْجَرَة   يجرى وأخرى بين أصلاد الصفا(٦)
حتى إذا أبحر مجراه به   كان إلى الدأْماء منه المنتهى(٧)
وهكذا أنهار أعمار الورى   تجرى فتنصبُّ إلى بحر الرَّدَى

* * *

وإنمـا العمر شـــباب فإذا   زال فحزنٌ وشقاء وضنَى
ما كان أحلى العيشَ لو أنَّ الفتَى   لم يجد الشيبُ إليه مختَطَى(٨)

---

(١) الرؤى : جمع رؤية ، أى النظر .
(٢) ضحضاح : ليس عميقا .   (٣) تمطى : امتد واستقام .
(٤) القهقرى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .
(٥) غوطا : أرضا منخفضة . ورغا البعير : صوت .
(٦) مشجرة : أرض كثيرة الشجر . وأصلاد جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الأملس .
(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدأماء : البحر .
(٨) مختطى : مصدر ميمى من اختطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دام الشباب ولم تجد الشيب إلى المرء سبيلا .

ليت الفتى كالبدر فى النشأة إذ عاد هلالًا كلّ شهر فنما
أو ليته كالشجر النابت إذ يُورِق فى الصيف ويَعرَى فى الشتا
أو ليت هذا الشيب إن كان ولا بُدَّ من الشيب أتى قبل الصِّبا
شبيبة الإنسان مِرآة المُنَى بدائعُ الآمال فيها تُجتَلى
والمرء فيها إنْ تمرأى راجياً أبدت له مبتسما ثغر الرَّجا
ويحَ شباب فتك الشيب به إذ لاح كالسيف عليه مُنتضَى
بُردانِ هذا من وقارٍ ونُهًى حِيك وهذا من تصابٍ وهوَى
لكنْ وقارُ الشيب لا يعدِل ما فى طيِّه من لُوثة ومن وَنَى[1]

* * *

يا مُسْلِياً ذا الشيب عن شبابِهِ بأنَّ وَخط الشيب أزهارُ النُّهى
أقصِرْ هَذا ذيكَ عن القول فلا يُقاس ذَيَالِكَ تالله بذا[2]
وما الصِّبا بمانع من الحِجاَ بل هو فى الشيخ يكون والفتى
وليس من أصبح يمشى الخَيْزَلَى فى مَعْرِض السبق كماشى الهَيذَبى[3]
وما إياة الشمس فى تطفيلها مثلَ إياة الشمس فى رَأْد الضُّحَى[4]
وهل يطيب العيش للهِمّ الذى إن همَّ بالنهضة خانته القُوَى[5]
يبيت طول الليل فى مَضجَعِه مستأنس السُّعلة وحشىّ الكَرَى[6]
وإنَّ ظهر الأرض يستثقل من أمسي يَدِبّ فوقها على العَصا

(١) لوثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثنى هذاذ ، أى هذا بعد هذ . والهذ . القطع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تخاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهيذبى ، والهيدبى : ضرب من مشية الخيل سريعة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتطفيل : وقت الأصيل . ورأد الضحى : ارتفاعه ورونقه حين يعلو النهار .

(٥) الهم : الرجل المسن البالى ، جمعه أهمام .

(٦) أى حاضر السعال ، نائى الكرى .

السفر فى التوميل

وقَذْفَدٍ قاتِمِ الأعماق متَّسعٍ ... طَوَيت أجوازه طَيَّ المكاتيب(١)
بتُومُبيل جرى فى الأرض منسرِحاً ... كما جرى الماء فى سفح الأهاضيب
ينساب مثل انسياب الأَيْم تحمله ... عواملٌ عَجِلات من دَواليب(٢)
كأنّها وهى بالمطّاط مُنْعَلَة ... تمشى بأخفاف أنواق مَطاريب
يمرُّ كالريح لم تسمع لأرجله ... سوى حفيف كنفخ فى الأنابيب
وتنكر الخيل إن جارته فى سَنَن ... ماتعرف الخيلُ من حُضْر وتقريب(٣)
تُظِلّه قُبَّةٌ فيـــه مُنَجَّدة ... قد زانها حسنُ تنجيد وتقبيب
يَخال من حلّ فيها نفسه ملكاً ... يُزهَى بتاج على الفَوْدين معصوب
ركِبته وبياض الصبح تحسِبه ... صدر المليحة مكشوفَ التّلابيب(٤)
والبدر فى الأُفُق الغربىّ مُمْتَقِع ... يرنو إلى الفجر فى ألحاظ مرعوب(٥)
وللنجوم بقايا فى جوانبـــه ... كالعِقد منفرطاً من جيد رُعبوب(٦)
وللنسيم هُبوب فى مَدارجِه ... ماينَعَش الروحَ من نَشْر ومن طيب(٧)
فطار من غير تحليق براكبه ... بل مرّ يمطر مَطْراً فوق مَلْحوب(٨)
وسار سيراً دِراكا ملءَ مَهْيَعِه ... كالوبْل يتبع شُؤبوبا بشؤبوب(٩)

---

(١) القدفد : الفلاة الواسعة لاشىء بها ، أو الأرض الغليظة ذات الحصى ، أو المكان الصلب . والعمق : مابعد من أطراف المفاوز . أو المطمئن من الأرض . والأجواز : جمع جوز ، وهو وسط الشىء .

(٢) الأيم : الحية .

(٣) الحضر : السير السريع . والتقريب : ضرب من السير بطىء .

(٤) التلابيب : جمع تلبيب ، وهو من الثوب ما كان على أعلى الصدر والرقبة ، يقال : أمسك بتلابيبه

(٥) ممتقع ، ومنتقع : مصفر اللون .

(٦) منفرطا : يريد منتثرا ، ولم يسمع فى اللغة انفرط بمعنى انتثر . والرعبوب : الشابة الممتلئة الحسنة الناعمة .

(٧) مدارجه : مسالكه وطرقه . والنشر : الرائحة الطيبة .

(٨) الملحوب : الطريق الواسع .

(٩) دراكا : متتابعا . والمهيع الطريق . والشؤبوب : الدفعة من المطر .

فكنتُ أبصر حولي الأرض جارية ... كمثل تيّار بحر وهو يجرى بى
يلوح فصلُ الرُبا وصلًا فأحسبها ... من سرعة المرّ قد صُفَّت بترتيب[١]
ما زال يجتاز بى ما فى البسيطة من ... سهل ومن جَبَل عالى الشَّناخيب[٢]
حتى بلغت به أقصى مَدًى عجزت ... عنه العِتاق من الجُرْد السَّراحيب[٣]
وكم علا بىَ أنشازاً تسلَّقها ... وشابَ فى السير تصعيداً بتصويب[٤]
لا يعرف الأينُ منه أينَ موقِعُهُ ... ولو يواصَل إدلاجاً بتأويب[٥]
وكيف يتعب ما لا حِسّ يتبعه ... ولا يسير على ساق وظُنْبوب[٦]
وإنما هو يجرى فى مسالكه ... دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

• • •

جرّبته هابطا أجزاع أودية ... وطالعا فى الثنايا والعراقيب[٧]
ومُلهِبا فى سهول الأرض ينهبها ... نهبــا ويخلط ألهوبا بألهوب[٨]
فكان أسبق مركوب لغايته ... وكنت أقرب طلّاب لمطلوب
تلك المطيَّة لا ما كان يذكرها ... أديب ذُبيان من عَيرانة النِّيب[٩]
لو امتطاها لَبيدٌ قبلُ تاه بها ... على الحواضر قِدْما والأعاريب

---

(١) يقول : يخيل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو العين كأنها متصلة .

(٢) الشناخيب : جمع شنخوب وشنخابة وشنخاب ، وهو رأس الجبل .

(٣) الجرد : التى انجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العتاق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهى الفرس الطويلة الجسم .

(٤) أنشازا جمع نشز ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .

(٥) الإدلاج : سير الدلجة فى الليل ، والتأويب : السير بالنهار .

(٦) الظنبوب : مقدم عظم الساق .

(٧) الأجزاع ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينجزع الواد والطريق ، أى ينعطف .

(٨) الألهوب : العدو الشديد تلتهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .

(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبيانى ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، فى وثاقة خلقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

ولم يَهِم لو رأى ابن العبد منظرها من وصف عَوجائه فى كل أسلوب (١)
ولا أطال ابن حُجْرٍ وصف مُنجَرِدٍ عالى السَّراة كُميت اللون يَعبوب (٢)

من ويلات الحرب

مرّت تقول ألا ياربِّ خُذْ روحى كى أستريحَ بموتى من تَباريحى (٣)
مهزولةَ الجسم من فقرٍ ومن نَكَدٍ مُصْفرَّةَ الوجه من هَمٍّ وتتريح
باتت بغير عَشاء وهى طاوية وأصبحت وهى غَرْثَى دون تصبيح (٤)
ضنكُ المعيشة أضوَى جسمَها فبدتْ شَرَوَى خيالٍ بطرف العين ملموح (٥)
وأذبلتْها هموم النفس ناصبةً فصوّحتْ وجنتيها أىّ تصويح (٦)
وَبلْمُتّها عيشةٌ نكداءُ يابسةٌ لم تُبق من جسمها غير الألاويح (٧)
فى طَرْفها نظرٌ وانٍ تُردِّده لمحَ المريض إذا ما جاد بالروح
تلفّعت بدريسٍ من تخرُّقِهِ تخال طرَّته بعضَ التقازيح (٨)
فكم تَرَى العينُ خَرقاً غير مرتقع فى جانبيه وفتقاً غير منصوح (٩)

(١) ابن العبد : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكرى . وعوجاؤه : ناقته التى وصفها فى معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتغتدى » والعوجاء : المعوجة من شدة الضمر ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هى لا تستقيم فى سيرها ، من فرط نشاطها .

(٢) ابن حجر : هو امرؤ القيس بن حجر الكندى . والمنجرد : القصير الشعر . والسراة : الظهر . والكميت : الأحمر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية فى الجرى .

(٣) التباريح : كلف المعيشة فى مشقة ، وهو من الجموع التى لامفرد لها .

(٤) التصبيح : هنا بمعنى الغداء ، أى مابؤكل صباحا ، وهو اسم بنى على تفعيل ، لامصدر .

(٥) شروى : بمعنى مثل ، أى مثل خيال .

(٦) التصويح : التجفيف ، أى جففت وجنتيها .

(٧) الألاويح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العراض . والمعنى : لم يبق فى جسمها غير العظام ؛ يقال للمهزول : لم يبق منه إلا الألواح .

(٨) تلفعت : تلحفت وتغطت . والتقازيح : جمع التقزيح ، وهو رأس نبت أو شجرة يتشعب كبرثن الكلب . أى تخال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المتشعب شعبا .

(٩) منصوح : أى مخيط ، من نصح الثوب : إذا خاطه .

تمشى انخزالًا بعبء الفقر مُثقَلةً ... كظالعٍ فى الطريق الوَعْرِ مَكْسوحِ (١)
خارتْ قواها فمارَتْ فى تخزّلها ... يكاد يُسقِطها هَبٌّ من الريحِ (٢)

* * *

لمَّا دنوتُ إليها كىْ أسائلَها ... والقلب فى خطَرانٍ كالأراجيحِ
تأوَّهتْ آهةً حمـراءَ داميةً ... تشِفُّ عن كَبِدٍ بالهمّ مجروحِ
وأجْهشتْ ثم أرختْ من محاجرها ... عِنانَ دمعٍ على الخدّين منضوحِ (٣)
وأعرضتْ وهْى لم تنبِس سِوى نَظَرٍ
يُغنِي الألبَّـاءَ عن نطقٍ وتصريحِ (٤)
فرُحتُ من عَجَبى منها ومن جَزَعى ... أبْكى لها بين ترجيعٍ وتسبيحِ (٥)
من ليس يُبكيه من أبناء جِلدته ... بكاؤهم فهو من جنس التماسيحِ
ولا يقوم بعبء المجد مضطلعا ... من لا يقوم إلى إنهاض مفدوحِ (٦)
وما السعادة فى الدنيا بحاصلةٍ ... إلّا بإسعادِ أطلاحٍ مرازيحِ (٧)
إنّ المروءة شىء لا تَنَاوَشُه ... إلّا سواعدُ أجوادٍ مساميحِ
أرى كنوزَ المعالى ما لأقفالها ... غيرُ السماح لعمرى من مفاتيحِ
والعيش غيهبُ آمالٍ وليس لنا ... سوى التعاوُن فيه من مصابيحِ

* * *

---

(١) الانخزال ، كالتخزل : هو المشى فى تثاقل ؛ يقال : انخزل وتخزل : إذا مشى متثاقلا . والظالع : الذى يغمز فى مشيه ، أى يميل من رجله ، وكذلك المكسوح ، يقال : جمل مكسوح : إذا كان به ظلع شديد .

(٢) خارت : سقطت ، يقال : خارت قوة المريض : إذا سقطت قوته . ومارت : أى اضطربت

(٣) أجهشت : همت بالبكاء ، وتهيأت له . ومنضوح : مرشوش .

(٤) لم تنبس : أى لم تتكلم ، ولم يستعمل هذا الفعل إلا منفيا .

(٥) الترجيع : هو قول المصاب بمصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . والتسبيح : هو قول المتعجب : « سبحان الله » ! ففى الكلام لف ونشر غير مرتب .

(٦) المفدوح : المثقل ، يقال : فدحه الحمل والدين : إذا أثقله وبهظه .

(٧) أطلاح : جمع طلح ، وهو المعى والمهزول . وكذلك مرازيح ، يقال : إبل مرازيح ، أى مهزولة ساقطة .

قامتْ قيامةُ أهل الغَرب فانبعثتْ هَزاهِزٌ بينهمْ عمّتْ بنى نُوح[(١)]
واستفحلتْ فتنــة عمياء جائحة تمخضتْ فى دم الأرض مسنوح
وقامتِ الحرب باللأْواء شاملةً كلَّ البسيطة حتى الأبحر الفِيح[(٢)]
والأرض قد أصبحتْ من مكر ساكنها
مُحَرّة اللُّوحِ أو مُغْـــبرة السُّوح[(٣)]
ضاقت على الناس وانسدّت مسالكها
فعاد كلُّ طريق غــــير مفتوح
والحرب أغنت أناسا غِنيةً عَجَبا وآخرين رَمتهمْ بالجـاليح[(٤)]
ومعشراً أسكنتهم فى الذُّرا غُرَفا ومعشراً بطنَ ملحود ومضروح[(٥)]

* * *

أمَّا التى أوجعتْ قلبى بمنظرها وأوهنتْه بتبضـــيع وتقريح
فعادة عضَّت الحربُ الضَّرُوسُ بها عضًا بناب حديد غير مرضوح[(٦)]
أمست تكابدُ من فقر ألم بها آلامَ عيش بَشِيع الطعم مذروح[(٧)]
ترنو إلى الناس بالشكوى فتحسبها ظمآن يشـكو لآل حُرقة اللُّوح[(٨)]

---

(١) الهزاهز : الفتن التى تهز الناس . والمراد ببنى نوح : البشر كلهم . لأن نوحا هو آدم الثانى.

(٢) اللأْواء : الشدة والمجاعة . والفيح و جمع أفيح ، يقال : بحر أفيح ، أى واسع .

(٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، احمرار اللوح ، واغبرار السوح : كناية عن وقوع القحط والجدب .

(٤) الجاليح : السنون التى تذهب بالمال ، وهى ذات القحط والجدب .

(٥) الملحود والمضروح : القبر .

(٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .

(٧) مذروح : مسموم .

(٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس بلا فائدة . كشكوى الظمآن ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها يصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لاتبك أربعهمْ ولا الأطلالا　　واربأ بحبك أن يكون خبالا(١)
واترك سؤالك للرسوم فإنها　　مما يزيدك بالسؤال ضلالا
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه　　حُسنٌ يفيدك فى الحياة كمالا
حسنٌ يقيِّد من رآه بحبه　　وَيفكّ من أفكاره الأغلالا
ويطير فى جوّ السرور مُرَفرِفاً　　بالمشتكين كآبةً ومَلالا
أوَ ما ترى البدرَ المنير إذا بدا　　يكسو الدُّجَى من نُوره سربالا(٢)

＊＊＊

ولقد وقفت بجسر مُودَ عشيةً　　والبدر فى أُفْقِ العُلَى يتلالا
والليل يلبَس من سناه مَطارفا　　منها يَجُرُّ بدجلةٍ أذيالا
أمّا النسيم فقد جرى متعطرا　　وحكى بطيب هُبوبه الآمالا
وجبين دجلة قد صفا متألقا　　فحكى السماء مَحاسنا وجمالا
فحسبت نفسى فى السماء مُشاهدا　　تحتى بدِجلة للسماء مِثالا
ورأيت من فوق السماء حقيقة　　ورأيت من تحتى السماء خَيالا
فكأنما الجسر الذى أنا فوقه　　قد مد فى جوّ السماء مثالا
وكأنما أنا فى السماء محلِّق　　طورا أسِفُّ وتارة أتعالى(٣)

＊＊＊

لله ما شاهدتُه من مَنظر　　يدع الكئيب كشارب جريالا(٤)
حُفَّت جوانبه بكل بديعة　　فزها جمالا واستقلّ جلالا
حتى نَخيلُ الجانبين جميعها　　قامت له بحفاوة إجلالا

(١) الخبال : ضرب من الجنون .
(٢) السربال : القميص .
(٣) أسف الطائر : دنا من الأرض
(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

على البسفور

وقفتُ على البُسفور والريحُ عاصفٌ ... وللدَّوْح ظِلّ دونه متقلِّص

وفى البحر تجرى موجة إثرَ موجةٍ ... كجرى طموح الخيل إذ يتوقَّص(١)

ويُزبِد أعلى الموج حتى كأنه ... هِضاب إلى أطرافها الثلج يخلُص

كأن رياح الجوّ عند هبوبها ... تَغَنّى وهذا الموج فى البحر يرقص

كذا حادثات الدهر تمضى رواقصًا ... بها العيش يصفو أو بها يتنغَّص

وفى كل يوم للزمان عجائب ... بها الناس تغلو أو بها الناس ترخُص

وأعجب ما فى الدهر أن هِباته ... تزيد لمن فيه المروءة تنقُص

وربَّ أفيكٍ جاء يمذق وُدَّه ... ويُظهر إخلاصًا وما هو مخلص(٢)

ولكنه فى ودّه الثعلبُ الذى ... يروغ أو الكلب الذى يَتَبصبص(٣)

تعاليتُ عن تبكيته إذ رأيتُه ... جهولًا على عِلّاته يَتَعنْفَص(٤)

وقلت له لا تدنُ منى فإننى ... بغيضٌ إلىَّ الكاذب المتخرّص(٥)

وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد ... فإنى بأثواب العلى متقمّص

حَرَصت على تكريم محض صاحبى ... وإنى على ذا فى المَغيب لأحرص

وما غرّنى ذو ظاهر متودِّدٍ ... إذا كان فيه باطن متلصِّص(٦)

ويا رُبَّ وجهٍ لم يَرُقنى بياضُه ... فلما دنا منى إذا هو أبرص

---

(١) يتوقص : يثب فى عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفيك : كاذب . ويمذق : يخلط . يقال : هو يمذق اللبن بالماء .

(٣) بصبص الكلب بذنبه : حركه تملقا لصاحبه ، وتبصبص الذنب تحرك ، مطاوع بصبص ، وقد ضمن الشاعر الفعل بتبصبص معنى يتملق .

(٤) العنفص : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل يعنفص

(٥) المتخرص : الكاذب . (٦) متلصص : خائن .

فيا شعراء القوم كفُّوا وَغاَكُمُ فشرح العُلَى فى بعض شعرى مُلخَّصُ
دَعُوا كشف مكنون الصدور لِفطنتى
فإنى بذا من دونكم متخصِّص
ذكاء لو اجتزتُ الجِدار بنوره لَشفَّ اعينَّ الجدار المجصَّصُ
ولست على الأعقاب فى الرأى ناكصًا
إذا كان للمستضعَفِ الرَّأْيِ مَنكَصُ[1]
على أنّ لى فى معرِض الشك رَبْصةً ورُبَّ يقين ناله المتربّص[2]
إذا أنا لم أنكر على الدهر جَوْرَهُ فلا وطِئت بى مَوطئَ العزّ أخمص

إلى غرة آل سعدون

أعبدَ المحسن السعدونَ إنِّى أراكَ مَناطَ أسباب الرجاء[3]
وأبصر من فَعالك بدر تِمّ يُلألِئ من فخارك فى سماء
لذلك قد أتيتُ إليك أشكو رَثاثة بِزَّتى وبِلَى كسائى[4]
فقد رقتْ ثيابى اليوم حتّى تكاد تذوب من مسّ الهواءِ
غدت شفافة حتى كأنى لبست بهنّ أثواب الرياءِ
وليس العُرْى من ثوب مَعيبًا لكاسى النفس من حُلَل الإباءِ
وما ضرّ المهندَ قدُّ جفن إذا ما كان محمود المَضاءِ[5]
فإن لم تدرك الأيامُ عُريى بثوب منك يا غَمْرَ الرِّداءِ[6]
لبستُ قرار بيتى فى نهارى ولم أخلعه إلّا فى المساءِ

---

(١) منكص مصدر ميمى : بمعنى النكوص ، وهو الرجوع .
(٢) ربصة : وقفه وانتظار . (٣) مناط الشىء : موضع تعليقه .
(٤) بزتى : ثيابى .
(٥) المهند : السيف المصنوع فى الهند . والجفن : قراب السيف .
(٦) غمر الرداء : واسع العطاء .

فإن جاء المساء لبست منه ظلامًا ما تمزّق بالضياء
وصرت أجول كالخُفَاش ليلًا وألجأُ فى النهار إلى الضَّرَاء[1]
ولست أريد ثوبًا أتحميًا ولا من زىّ أرباب الثَّراء[2]
ولكن بِزَّةَ البَدَوىّ أبغى فمن ثوب علىّ ومن عَباء
ومن كُوفيَّة صَحِبت عِقالا يكون الرَّأس منها فى غطاء
فذا زىّ يتم به رجوعى إلى عيش بسيط ذى هَناء
وما صيّرتُ ملبوسى خفيفاً لأنى خفت من ثِقَل العَطاء
وكيف وأنت أكرم من حَبانى بأكرم ما رجوتُ من الحِباء
ولكنى رغبتُ عن اكتساء يطول به من الدنيا عَنائى
وكيف يكون مطلوبى حقيرًا وأنت أجلّ مَنْ تحتَ السماء
وهل أنا غيرُ عبدٍ أنت منه خَصَصْت أبا علىٍّ بالولاء
لأَتخذنّ إخلاصى وصدق لكم من كل مُوبقة وِقائى[3]
وأجعل ما حييت جميلَ شكرى لما أسديت من نعم غذائى
ولست أرى الحياة تطيب إلا بحسن تحمُّدى لك والثناء
وأعلم أن ما أشكو إليكم يسرّ الماردين على عدائى
ويُشمِت بى الذين لهم نفوس مَرِضن من العيوب بكل داء
ولم يشمَت بأحرار البرايا سوى لؤمائهم والأدنياء
ولكن هوَّنَ البُرَحاءَ أنّى شكوت إلى جدير باشتكائى
شكوتُ إلى فتًى جَمٍّ المزايا كبير النفس منفرد السناء
فتًى يُوليك عند البؤس خيرًا ولا ينساك فى حال الرخاء
رحيبُ الباع مؤتلِق المحيَّا أصيلُ الرأى وقَّاد الذكاء

(١) الضراء : الشجر الملتف فى الوادى. يقال: توارى الصيد منه فى الضراء. أوهو ماواراك من أرض
(٢) الأتحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج . (٣) موبقة : مهلكة .

صريحٌ في مقاصده إذا ما أسرّ القومُ حَسْوًا في ارتغاءِ(١)
زكتْ أخلاقه فصفتْ ورقّتْ فهنّ لكل مكرُمةٍ مرائي(٢)
يلاقي الزائرين ببشر وجهٍ تجلّل بالمروءة والحياءِ
إذا رأسَ البلادَ أبو عليٍّ فقد وضحتْ بها طرق العلاءِ
وإن وَلِيَ الوزارة وهو أهل فيا حسن السياسة والدّهاءِ

الوسام

وفخامة رئيس الوزراء

حَسُنَ الوسامُ بصدْرِ عبد المحسنِ وبدا عليه كزهْرة من سَوْسَنِ
صدر به كمنتْ سرائر مجدِهِ فاستعصمت منه بأشرف مَكْمَنِ
واستأمنته المكْرُمات فأصبحتْ من كل شائنة بأكرم مأْمَنِ
لاح الوسام بأفْق صدرك لامعا كالنجم في الأُفْق السعيد الأيْمَنِ
هو للعُلَى من فوق صدرك شارةٌ أكرم بصدرك للعُلى من معدِنِ
شرفٌ حُبيتَ به فكان مَسرّةً للمخلصين وحسرةَ المتحوّنِ(٣)
جعلته لَنْدَنُ للعراق كرامةً إذ أكرمتك به سياسةُ لَندَنِ
ليكون فيك علامةً منها على ما تبتغيه من اعتزاز الموطنِ
فافخرْ به كل الفخار وسِرْ بنا ما شئت سيرَ حضارة وتمدّنِ
تتناسبُ الأشياء معْ أصحابها شرفا فيعظم حسنها في الأعينِ
وكذاك صدرك والوسامَ كلاهما ذو نسبة في المجد ذات تفنّنِ
فكلاهما عنوان مجد قرينه فاعجبْ لحسن معنْون بمعنونِ

---

(١) الحسو : الشرب . والارتغاء : شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه . وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة ، وهو يحسو اللبن الذي تحتها . يضرب لمن يظهر غير ما يبطن .

(٢) مرائي : جمع مراءة . (٣) المتخون : المتنقص .

يا أصدق الوُزراء معرفة بما يَهْدِى البلادَ إلى المآب الأحسن
سِرْ بالبلاد إلى معالم عزّها وابلُغْ بهن مَدَى الرقىّ الممكن
إنّا لنرجو للعـــراق وأهله بك يا أصيلَ الرأى فضلَ تحسّن

نحن

فى يوم حادثة الرئيس

شاعَ كالبرق فى العراقين يومًا خَـبَرٌ أترعَ القلوب كآبه(١)
خَـبَرٌ قُطْرنا العراقىُّ قد زُلْــزل منه حتى خشينا انقلابه
شاع أن الرئيس أهوى إليه ذو اعتـداء بمُدية فأصابه
إذ رماه بطعنة منه فى الزّنـــد وأخرى فى رأسه والذّؤابه
فهوَى يخبِط الصعيد صَريعًا بدماء قــد ضَرَّجتْ أثوابه(٢)
خبرٌ صاح عنده الناسُ يا لَلّـــهِ للمجد والندَى والنجابه
واستمر الكرام يرجون أن لو حَقّق الله خُلْفَه وكِذابه
ويقولون من أصيب ؟ أعبدُ الْــمحسن العبقرىُّ ليثُ الغابه
أسليلُ الداودىّ من آل سعـــدونَ أربُّ الشمائل المستطابهْ
ويَحكُمْ ما الذى تقولون للنا س أجِدٌّ مقالكم أم دُعابه
إن يكن صَحّ ما تقولون لاصـــحّ فقدْنا من العَلاء لُبابه

* * *

ثم مرّت سُوَيْعة فتولّتْ سُحُب الغم والأسَى مُنْجَابه(٣)
إذ علمنا أن الرئيس بحال غـير قتّـالة ولا ريّابه
وعلمنا الخطب الذى أكبروه غيرَ خطب وإن يكن ذا غَرابه

---

(١) أترعه : ملأه ، وإناء مترع : ملآن .
(٢) ضرجت أثوابه : لطختها بالدماء .
(٣) انجاب : انكشف .

بيدَ أن الذين هم أكبروه أرجفوا نافخين فى الشَّبابه[1]
فإذا كل ما جرى هو هذا أسَدٌ قد عدتْ عليه ذبابه
فهنيئا لا للرئيس ولكنْ للمعالِى ، وللنُهى ، والنّجابه

فى ملعب كرة القدم

قصدوا الرياضةَ لاعبين وبينهمْ كرة تُراض بلعِبها الأجسامُ
وقفوا لهـا متشمِّرين فألقيت فتعاورتها منهـم الأقدام[2]
يتراكضون وراءها فى ساحةٍ للسُّوق مُعترك بها وصِدام[3]
رَفساً بأرجلهم تُساق وضربُها بالكف عند اللاعبين حَرام
ولقد تُحلِّق فى الهواء وإن هوت شرعوا الرءوس فناطحتها الهام
وتخالها حينا قذيفة مِدْفَع فتمر صائتةً لهـا إرزام
ولربّما سقطتْ فقام حِيالها للضرب عَبْل الساعدين هُمام
فتخالها وتخاله كفريسةٍ سقطت فزمجر دونها الضِّرغام
لا تستقرّ بحالة فكأنها أمَلٌ به تتقاذف الأوهام
تنحو الشِّمالَ بضربة فيردّها نحو الجنوب مُلاعِب لطّام
وتمر واثبةً على وجه الثّرى مَـرًّا كما تتواثب الآرام
وتدور بين اللاعبين فمُحْجِم عنها وآخر ضارب مِقدام
وكأنهـا والقوم يحتَوِشونها قَلْبٌ عليه تَهاجَمُ الآلام
راضوا بها الأبدان بعد طِلابهم علماً تُراض بدرسه الأفهام
أبناء مدرسة أولاء وكلهم يَفَع مَرير المِرفقين غلام

* * *

(١) الشباية : نوع من المزامير مولدة . (٢) تعاورتها : تداولتها .
(٣) يتراكضون : يتسابقون فى العدو وراء الكرة .

لا بدّ من هَزْل النفوس لجِدّها   تعَبٌ و بعضُ مُزاجها استجمام
فإذا شغلت العقل فآلهُ سُويعةً   فاللهو من تعب العقول جِمام(1)
والفكر مَنْهكة فباستمراره   تَهِنُ العقولُ وتَهْزَل الأجسام
إن الجسوم إذا تكون نَشيطة   تقوى بفضل نشاطها الأحلام
هذى ملاعبهم فجسمكَ رُض بها   واسلك مسالكهم عَداك الذّام(2)

الاحسان

أنشدت فى حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التى أسستها الجمعية الخيرية الاسلامية فى بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن الكبير مناحيم صالح دانيل من أشراف الملة الموسوية وأغنيائها فى بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبُد فانياً فى ذى الدُّنا   لعبدتُ من دون الإلٰه المُحْسِنا
وجعلت قلبى مسجدا لتعبُّدى   سِرًّا وفُهت له بشكْرى مُعلِنا
كى لا أكون مرائيا بعبادتى   ولكى أكونَ بشكره متفنِّنا
فى مُجتنَى غَرس الخليقة لم أجد
غَرسا سوى الإحسان حُلْوَ المُجْتَنَى
هو فى الخليقة ذو عجائب سِرُّها   أعيا اللبيب وأعجز المتفطِّنا
بيناه يغدو للنفوس مُقيِّدا   بالحب يطلق بالثناء الألسنا
يستعبد الأحرار وهو صنيعهم   ويرد بغض المبغضين تحنُّنا
كم بلّ نائرة فأطفأ نارَها   من بين مُشترك الصوارم والقنا
ما لاح كوكبه بمَوْهِن غُمّةٍ   إلّا أعاد ضُحًى سناهُ المَوْهِنا(3)
ما إن تَظَلَّل موطن بظلاله   إلّا أعزَّ الله. ذاك الموطِنا

(١) جام : راحة .   (٢) الذام : العيب .
(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نَفَحاته تمحو معايبَ أهـله   من حيث تُعْمِي عن رُؤاها الأعينا
لم أدرِ والآثار منه كثيرة   في الغرب لِمْ نَزُرَت وقَلّت عندنا
أفنحن نجهله وقـــد علم الورى   في الشرق نشأته ربيبا بيننا
أوَ ما أُمرنا في عظات كتابنا   بالعدل والإحسان أن نتديّنا

* * *

ويسرُّني أني أُشاهد موطني   قد نال من بركاته بعضَ المُنَى
وإذا استُريب بما أقول فشاهدي   هذا البناءُ ومَن حَماه ومَن بنى
قد شِيدَ للأيتام مأوًى واهيا   يُهتَمّ بالأيتام فيـــه ويُعتَنى
ليـكون فيـه شفاؤهم من جهلهم
ومن الظّما ومن الطَّوَى ومن الضَّنَى
جاد ابن «دانيلَ» الكريمُ لذا البنا   بالمال مشتريا به كل الثنا
فاستوجب الحمدَ الذي كلماته   مستغرِقاتٌ بالثناء الأزمنا
فلنَكْنِه بأبي اليتامى بعد ذا   إذ لا يخاطب مثله بسوى الكُنَى
رجلٌ علمنا اليوم من إحسانه   أن ليس للإحسانِ دين في الدُّنا
لا يَحسُن الإحسان إلّا هكذا   قد صار طبعا للنفوس وديدنا
والمال إن جادت به يدُ محسنٍ   حَسَنٌ وإلّا فهو بئس المُقْتَنى
سَعِد امرؤٌ بذل الفواضلَ للوَرى   عَفْوا وعوّد نفسه أن يُحسِنا
والجهدُ مني ههنا هو أنني   أدعو إلى الإحسان من حضروا هنا

الجـــــرائد(*)

وما كانت عليه فى الآستانة

إذاشئت أن تسرى بكافرة الصُّوَى ... يدَوِّى بقطريها هَزيمُ الرواعدِ(١)
وتذهبَ مِحيار الظلام تخبُّطًا ... وتَعْثُر فى ظلمائها بالجلامد(٢)
وتمشى فما تدرى إلى قعر هُوَّة ... تروح بها أم للمَدَى المتباعد
فطالعْ أراجيف الجرائد إننى ... أرى الويْل كلالويل بين الجرائد
جرائد فى دار الخلافة أضرمتْ ... لهيب خلاف بينها غير خامد
ولم يكفها هـذا الخلاف وإنما ... أطافتْ بنقص فى الحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب ... وما بين مجحود عليه وجاحد
ترى فى فروقَ اليومَ قراء صُحْفِها ... فريقين من ذى حُجَّـة ومعاند
جِدال على مَرِّ الجديدين دائمٌ ... بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد(٣)
فذائد سهم عن رَمِىّ يردُّه ... وآخر رامٍ سهمَه نحو ذائد(٤)
وهذا إلى هذى وذاك لغيرها ... من الصحْف يدعو آتيا بالشواهد
وما هى إلا ضَجَّة كل صائت ... بها مدّ للدنيا حِبالة صائد(٥)
أضاعوا علينا الحق فيها تعمدا ... وعُقْبَى ضياع الحق سُود الشدائد
ولم أر شيئا كالجرائد عنـدهم ... مبادئه منقوضة بالمقاصـــد

(* من الجزء الأول .

(١) كافرة الصوى : كناية عن الصحراء التى لاعلم فيها يهتدى به . ويدوى : يكون له دوى . وهزيم الرواعد : صوت السحب ذوات الرعد .

(٢) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر .

(٣) تفنيد الرأى : نسبته إلى الفند ، بالتحريك ، وهوالـكذب . وتزييف النقد : نسبته إلى الزيف ، وهو فى الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد إبطال كلامه واعتباره لغوا .

(٤) الذائد : المدافع عن الشىء والرمى : المرمى ، فعيل بمعنى مفعول .

(٥) حبالة الصائد : مايستعين به من الحبال لصيد الحيوان .

يقولون نحن المصلحون ولم أجد	لهم فى مجال القول غيرَ المفاسد
وكيف يَبين الحقُّ من نَفَثَاتهم	وكل له فى الحق نَفْثَة مارد
فإياك أن تغترَّ فيهم فكلُّهم	يَجُرُّ إلى قُرْصَيه نار المواقد
وكن حائدا عنهم جميعا فإنما	يضِل امروٌ عن غَيِّهم غيرُ حائد

* * *

على رِسْلكم يا قومُ كم تُسْمعوننا	مقالةَ محقود عليه وحاقد[1]
ألا فارحموا بالصفح عن نهج صُحفكم
فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
وما الصُّحْف إلا أن تدور بنهجها	مع الحق أنَّى دار بين المعاهد
وأن تنشرَ الأقوالَ لا عن طَماعة	فتأتى بها مشحونة بالفوائد
وألّا تعانىَ غير نشر حقائق	وتنوير أفكار وإنهاض قاعد
أتبغون فى تلفيقها نفع واحد
وتُغْضون عن إضرارها ألفَ واحد
إلا أن صحف القوم رائد نُجْحهم	وما جاز فى حُكْم النُّهَى كِذْب رائد
لعمرىَ إنّ الصُّحْفَ مِرآة أهلها	بها تتجلى رُوحهم للمشاهد
كما هى ميزان لوزن رُقيهم	وديوان أخلاقٍ لهم وعوائد
ألا تنظرون الغرب كيف تسابقتْ	به الصُّحْف فى طُرْق العلى والمحامد
بها يهتدى القراء للحق واضحا	كما يهتدى السارى بضوء الفراقد
ولكن أبى الشرق التعيس تقدما	مع الغرب حتى فى شئون الجرائد
فلا تحملوا حِقدا على ما أقوله	فإنى عليكم خائف غير حاقد
وما هى إلا غَيْرة وطنية	فإن تجدوا منها فلست بواجد

---

(١) على رسلك : أى تمهل .

وقفة فى الروض (*)

ناح الحمام وغرَّد الشُّحرورُ   هذا به شَجَنٌ وذا مسرورُ
فى روضة يُشْجِى المشوقَ ترقرقٌ   للماء فى جنباتها وخرير
ماءٌ قد انعكس الصفاء بوجهه   وصفا فلاح كأنه بَلُّور
قد كاد يمكن عند ظنى أنه   بالماس يُوشَر منه لى مَوْشور (١)
وتسلسلت فى الروض منه جداول   بين الزُّهور كأنهن سُطور
حيث الغضون مع النسيم مَوائِل   فكأنهنَّ مَعاطِف وخُصور

* * *

ماذا أقول بروضة عن وصفها   يَعيا البيانُ ويَعجز التعبير
عُنِىَ الربيعُ بوشيها فتنوعتْ   للعين أنوارٌ بها وزهور
مَثَلَت بها الأغصان وهى منابر   وتَلَت بها الخطباء وهى طيور (٢)
متعطرٌ فيها النسيم كأنما   جَيْبُ النسيم على الشذا مزرور
للنرجس المطلول ترنو أعين   فيها وتبسِم للأقاح ثغور (٣)
تخِذت خُزاماها البنفسَج خِدْنها   وغدا يشير لوردها المَنْثور
وكأن محمرّ الشقيق وحوله   فى الروض زَهْر الياسَمين يمور (٤)
شَمْع توقّد فى زجاج أحمر   فغدا حواليه الفَراش يدور

(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء فى البيت الذى قبل هذا بالبلور . ثم زاد فى هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت إلى ألوانها السبعة .

(٢) مثلت : انتصبت وقامت .

(٣) المطلول : الذى أصابه الطل ، وهو الندى . والأقاحى : جمع أقحوان ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان فى بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتمايل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوَّارة　　في الجوِّ يَدْفُقُ ماؤها ويفور
يحكى عمودُ المـاء فيها آخِذا　　صُعُدا عمودَ الصبح حين ينيرْ
ناديت لمَّا أن رأيت صفاءه　　والنور فيـه مغلغِلٌ مكسور
هل ذاكَ ذَوْب الماس يجمد صاعدا　　أم قد تجسم فى الهواء النور
تتناثر القطَرات فى أطرافها　　فـكأنما هى لؤلؤ منثور
ينحلُّ فيها النُّور حتى قد ترى　　قوس السحاب لهـا بها تصوير

* * *

كم قد لَبِست بهاالضُّحى من روضة　　فيها عَلَتْنى نَضْرَة وسرور
فأجلت فى الأزهار لحظ تعجبى　　ولفـكرتى بصفاتهنَّ مُرور
فنظرتُهن تحـــيُّرا ونظرننى　　حتى كلانا ناظر منظور
فـكأن طرف الزهر ثمَّـة ساحر　　ـا رنا وكأننى مسحور

إن الزهور تُكِنهنّ براعمٌ مثل العلوم تجنهن صدور (١)
وتَضَوُّعُ النفحات منها مثله تبيينها للناس والتقرير (٢)
وبتلك قلب الجهل مصدوع كما ثوب الهموم بهذه مطزور
والزهر يُنبته السحاب بمائه كالعلم يُنبت غرسَه التفكير
إن كان هذا فى الحدائق بهجة يزهو فذلك فى النُّهَى تنوير
أو كان هذا لا يدوم فإن ذا لَيدوم ما دامت تكر عصور

ما رأيت فى بك أوغلى (*)

قالها عند ماذهب إلى حى بك أوغلى فى الآستانة سنة ١٨٩٨ وقد كان إذ ذاك معمما ، وذلك قبل أن يستبدل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لحى فى فَروقَ تزاحمتْ به الخلْق حتى قلتُ ما أكثرَ الخَلْقا
ترى الناس أفواجا إليه وإنما إلى التَّلَعات الزُّهْر فى دَرَج تَرْقى
يضىء به ثغرُ الحضارة باسمًا بلامع نور علّم السُّحُبَ البرقا
رأيت مبانيه وجُلْتُ بطُرقه فما أحسن المَبْنَى وما أوسع الطُّرْقا !
فكم فيه من صرْح ترى الدهر مُتْلِعا يمُدّ إلى إدراك شُرْفته العُنْقا (٣)
قصور عَلَتْ فى الجوّ لم تلْق بينها وبين النجوم الزُّهر فى حسنها فَرقا
هنالك للأرضين أفقٌ برُوجُه تُضَاحك أبراج السموات والأفقا
بروج ولكن شارقاتُ شموسها تدور بأفْق يجمع الغرب والشرقا
بحيث ترى حُمْر (الطرابيش) خالطت (برانيط) سوداً كالسلاحف أو وُرْقا (٤)

---

(١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنهن : تسترهن ، وتحفظهن .
(٢) تضوع النفحات : تحركها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهى رائحة الزهر ، تعبق فى الهواء .
(*) من الجزء الأول .
(٣) المتلع : الذى مد عنقه ، ليرى شيئا عاليا أو بعيداً .
(٤) الورق : جمع أورق أو ورقاء ، وهى التى لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجوهَ البيضَ حُمْرا خدودُها ... وتلقى العيونَ السودَ والأعينَ الزُّرْقا
خدودٌ جرى ماء الشبيبة فوقها ... ففيه عقول الناظرين من الغَرْقى
محاسن كالأزهار قد طلَّها الهوَى ... وهبَّ نسيم العشق من بينها طَلْقا
فمن ذات دَلٍّ أعجز الشعرَ وصفُها ... وإن كان فيها الشعر ممتلئا عِشقا
ومن ذى دلال رنَّح الحسنُ عِطفه ... إلى أن رجا من حسنه عِطفُه الرِّقا[(١)]

* * *

وكم مَسْرح فيه الحِسان تلاعبتْ ... تُمَثِّلُ كيف الناسُ تسعَد أو تشقى[(٢)]
حِسانٌ علت فى الحُسن خُلْقا وخِلْقة ... وهل خِلقة تعلو إذا سَفَلَتْ خُلْقا
تُمَثِّل ما قد مرَّ منا وما حلا ... وما جَلَّ من أمر الحياة وما دقا
فتُلْقِى دروسا لو وعتْها حياتنا ... لُبدِّل كِذْبٌ فى سعادتها صدقا
إذا مثَّلتْ شكوى الحزين بَكَتْ لها ... عيونُ البلايا والزمانُ لها رقَّا[(٣)]
وإنْ صَوَّرَتْ حقًّا هَوَى كلُّ باطل ... على رأسه حتى تجدَّل مُندقا[(٤)]

* * *

وماذا ترى فيه إذا زُرتَ حانةً
ترى الأُنس يشدو فى فم يجهل النطقا[(٥)]

سَكوتٌ على قَرْع الكئوس مُغَرِّدٌ ... بلحن سرور يترك الهمَّ منشقا
عليهم سحاب الاحتشام يُظِلُّهم ... متى هُمْ أرادوا سَحَّ مِن قُبَلٍ وَدْقا
أوانس قد نادمنَ كل غُرانقٍ ... فمنهن من تَسْقِى ومنهن من تُسْقَى[(٦)]

---

(١) يقال : رنح الشراب الرجل : جعله يتمايل سكرا . والعطف : الجيد .
(٢) المسرح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .
(٣) البلايا : جمع بلية ، وهى الرزية والمصيبة .
(٤) تجدل : سقطت على الجدالة ، وهى الأرض . والمندق : المتكسر .
(٥) الحانة : بيت الخمر .
(٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها . والغرانق : الفتى الشاب التام الحسن .

فمن ذا يرامم ثم لم يك واغلًا ... عليهم و إن أمسى يُعَدّ الفتى الأتقى (١)
ألستُ بمعذور إذا أنا زرتهم ... وساجلتهم شوقا فقل ويحك الحقا
فقــد لامنى لمّا رآنى بحيّهم ... فتىً منه قحفُ الرأس ممتلئ حمقا (٢)
فقــال أفى الحىْ الذى شاع فسقه ... تجولُ ألم تمنع عمامتك الفسقا
فقلت أجَلْ إنَّ العمائم عندنا ... لتمنع فى لوثاتها الفسق والزَّرقا (٣)
ولــكننى ما جئتُ إلّا توصُّلًا ... لذكرى شقاء فى العراق به نشقَى

***

شقاء تمطّى فى العراق تمطّيا ... وألقى جرانا لايزحزحُ واستلقَى (٤)
فإن العراق اليوم قد نشبت به ... نيوب الدواهى فهى تعرقهُ عَرْقا (٥)
تمشت به حتى أعادت سواده ... بيــاضاً ومدت للبوَار به رِبقا
فلهفى على بغداد إذ قد أضاعها ... بنوها فَسُحقا للبنين بها سُحقا (٦)
جزَوْها عقوقا وهى أمٌ كريمة ... وألأم أبناء الكريمة من عقّا
أدامت لها الأحداث مخضا كأنها ... قد اتخذتها الحادثات لها زِقّا (٧)
سأبكى عليها كلما جلتُ سائحا ... وشاهدت فى العُمران مملكةً ترقى
وأندبها عند الأغاريد شاربًا ... من الدمع كأسا لا أريد لها مَذْقا (٨)

(١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرمهم .
(٢) القحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .
(٣) لاث العمامة يلوثها لوثا : لفها حول رأسه ، اللوثة : المرة من اللوث .
(٤) تمطى الحصان ونحوه : مد مطاه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجليه ، فيكون جسمه أطول مايكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . والجران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء الجران : أن يمس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه ، وهو كناية عن التمكن والاستقرار .
(٥) نشبت : علقت . تعرقه : تأكل ما على العظم من اللحم .
(٦) سحقا : بعدا .
(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما .
(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخلط ، مذق اللبن بالماء : خلطه . يريد أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغله هو أن يصبح باكيا بلاده ، شاربا من فيض دموعه كأسا صرفة غير مشوبة بماء .

السد فى بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد ، بعد خروجه إلى سد « الحويرة » من شاطىء الفرات ، الذى انكسر فأغرق بغداد ، وهذه هى الحادثة التى قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقلب :

نجَّيتَ بالسد بَغداداً من الغَرقِ ... فضمَّها الأمن بعد الخوف والفَرَقِ (١)
قد قمتَ بالحزم فيها والياً فجرتْ ... أمورها فى نظامٍ منك متسق
لقد نجحتَ نجاحاً لا يفوز به ... من خالق الخزم إلَّا حازمُ الخلق
ويحَ الفراتِ فلو كانت زواخرُه ... تَدرِى بعزمك لم تطفحْ على الطرُق (٢)
ولا غدت تجرُفُ الأسْدادَ قاذفةً ... منها بسيل على الأنحاء مندفق (٣)
حيث « الحُوَيْرة » أمست منك طالبة
رَتْقاً لسدٍّ بطامى السـيل مُنفتِق
باتتْ تجيش بتيـارٍ وبات لهـا ... أهلُ العراقين فى همّ وفى قَلَق
حتى إذا أيقنت أرض العراق بأن ... تفنَى من الظَّمْء أو تفنى من الغرق (٤)
شمَّرتَ عن همم تعلو النجوم وقد ... أمسى الزمان إليها مُتلِع العُنُق (٥)
فكدت تملأ فَرْغ الواديين بما ... حَشَرْتَ مِن طَبَقٍ يأتيك عن طبق (٦)
لما خرجتَ وكان الخَرْق متسعاً ... والناس ما بين ذى شك ومتَّثِق (٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويح العراق : رحمة له . وزواخرة : جمع زاخر ، وهى أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجرى

(٣) تجرف : تنحى وتزيل . الأسداد : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به فى مجرى الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظمء : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما ، والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق . أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل فى إصلاح السد المنكسر جموعا غفيرة من الناس ، يتلو بعضها بعضا .

(٧) متثق : مفتعل من الوثوق بالشىء .

قالوا : نحا شُقَّةً قُصْوَى وما علموا ... بأن عزمك يدنى أبعد الشُّقَق (١)
فصدَّق الله ظناً فيك أحسنَه ... قوم وكذَّبَ ظن الجاهل الخَرِق (٢)
إذجئت والسدّ تحت الغَمْرمكتسَحٌ ... والنهر يرغو بموج فيه مُصطفِق (٣)
وثُلْمَةَ السَّد كالمهواة واسعة ... يهوى بها السيلُ من فوق إلى العُمُق (٤)
سَلْتَ صارم رأى قد أزلت به ... ما كان فى السيل من طيش ومن نَزَق (٥)
فما تموَّج ماء النهر من غضب ... وإنما أخذته رِعـــدة الفَرَق
ثَبَّتَّ عزمك فى أمر يذلّ به ... عزم الحصيف لما يحوى من الزَّلق
تقضى النهارَ برأب الثأى مجتهدا ... وتقطع الليل بالتدبير والأرَق (٦)
حتى بنيتَ وكان النهرُ منفلقاً ... سَدًّا عليه رَصيناً غير مُنْفَلِق
أرسيته جبلًا قامت ذُراه على ... أصل مع الموج تحت الماء مُعتنِق
فراحتِ الناس تمشى فوقه طرَبا ... والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
وصار مَعْكِسَ فخر أنت مَرجِعه ... كالنور يرجع معكوساً إلى الحَدق
وقد رَكَزْتَ به الراياتِ خافقةً ... ما بين طاقين مرفوعين فى نَسَق
من كل أحمرَ قانٍ وَسْطه قَمَر ... يتــلوه نجم بلون أبيض يَقَق (٧)
فظلّ حاسدك المغبون منطويا ... على فؤاد بنار الجهل مُحترق
ودَّ الفراتُ حياء منك يومئذٍ ... لوغارَ يَسْلُك تحت الأرض فى نَفَق (٨)

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .
(٢) الخرق : الأحمق .
(٣) الغمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذى أزيل عن موضعه . ويرغو : يسمع له هدير كرغاء الإبل ، والمصطفق : الذى تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .
(٤) ثلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهبطة المنخسفة .
(٥) الصارم : القاطع . والنزق : الطيش والحمق .
(٦) رأب الثأى : إصلاح الفاسد ، وهو من الرؤية ، وهى الرقعة يشعب بها الإناء المكسور من الخزف ونحوه .
(٧) قان وقانىء : شديد الحمرة ، ويقق : بفتح القاف الأولى : أى خالص البياض .
(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالدهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحتَ زناد الرأى مفتكرا ... فى الخَطْب أَلْهبْتَ منه فَحْمَةَ الغَسَق
فأدبرَ الهمُّ وانشقتْ غياهبُه ... كما قد انشق سَجْف الليل بالفَلَق (١)
إن الأمور إذا استعصتْ توافرُها ... أخذتهن من التدبير فى وَهَق (٢)
وإن تصامَمَتِ الأيامُ عن طلب ... أسمعتَهن بصوت منك صَهْصَلِق (٣)
تنحلّ بالرأى منك المشكلات لنا ... كالنور ينحلّ ألوانا من الشرَق
وكلما زدتَ تفكيرا بمعضلة ... زادت وضوحا لنا حتًّى على الشَّفَق (٤)
فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا ... حد يسابق خَطْف البرق فى الطَّلَق
يحكى الأثيرَ إذا أجرى تلاطُمَه ... أبدى سواطع نور منه مُنْبَثِق
لك الثناء علينا أن نخلّده ... نقشا على الصخر لا رقما على الورَق
تالله لو بلغت زُهْرَ النجوم يدى ... من كل جِرْم بصدر الليل مُؤْتلِق
رتبتها حيث كلُّ الناس تقرؤُها ... سَطْرا بمدحك مكتوبا على الأُفُق

---

(١) غياهب : جمع غيهب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ماتحته . والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الحبل المفتول تجعل فيه أنشوطة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهصلق من الأصوات : الشديد . ورجل صهصلق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التى ترى فى السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الســـاعة (*)

وخَرْساء لم ينطِق بحرف لسانُها ... سوى صوت عِرْق نابضٍ بحشاها
حَكَت لهجةَ التَّمْتام لفظا ولم تكن ... لِتُفصِحَ إلا بالزمان لغاها
لها ضَرَبان فى الحشا قد حكت به ... فؤاداً تغشَّاه الهوى وحكاها[١]
جرت حركات الدهر فى ضَرَباتها ... وبانت مواقيت الوَرَى بعِاها
على وجهها خُطَّت علائم تهتدى ... بها الناس فى أوقاتها لمُناها[٢]
مشت بين آناتِ الزمان تقيسه ... وما هو إلّا مشيها وخُطاها
بها يتقاضى الناس ما يُوعَدُونه ... ويُرْشِدُ ضُلّالَ الزمان هُداها[٣]
غدت كأخى الإيمان تأكل فى معًى ... وما أكْلُها إلّا التواء مِعاها[٤]
تدور عليها عقربٌ دَوْرَ حائرٍ ... بتَيهاء غُمَّت فى الظلام صُواها[٥]
تُريك مكان الشمس فى دورانها ... إذا حَجَبَتْ عنك الغيومُ ضِياها[٦]
فأعجبْ بها مصحوبة جاء صنعها ... نتيجة أفكار الورى وحِجاها
بنتها النُّهى فى الغابرين بسيطةً ... فتَمَّ على مَرِّ الزمان بِناها[٧]
تنادى بَنِى الأيَّام فى نَقَراتها ... أن اسْعَوْا بجدٍّ بالغين مداها
ولا تَهملوا الأوقاتَ فهْى بواترٌ ... تقطِّعُ أوْصالَ الحياةِ شَباها[٨]

(*) من الجزء الأول .

(١) ضربان : أى ضرب وخفق .

(٢) مناها : جمع منية ، وهى مايرغب فيه الانسان ويتمناه .

(٣) أى أنها تهدى الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التى يريدها .

(٤) يشير إلى الحديث الذى معناه : « المؤمن يأكل فى معى واحد » أى أنه متقلل من الطعام والشراب ، ولايسرف كما يفعل الكافر الذى يأكل فى سبعة أمعاء ، اشرهه ونهمته .

(٥) تيهاء : صحراء لايهتدى فيها إلى شىء . وغمت : سترت وحجبت . والصوى : ماينصب من الأحجار فى الصحارى ، علامة على الطريق .

(٦) يريد أنها تبين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .

(٧) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد العقل حين فكرت فى حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالمزولة ، والزجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقاقة . وكانت معروفة فى زمن هارون الرشيد الخليفة العباسى .

(٨) بواتر : جمع باتر ، يريد السيف القاطع . والأوصال : جمع وصل ، وهى الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف والسكين ، وإبرة العقرب .

ذكرى لبنان (*)

بَرَزَتْ تَميس كخطرة النَّشوان ... هيفاء مُخجِلةً غصونَ البانِ[1]
ومشتْ فخفّ بها الصِّبا فتمايلتْ ... مَرَحا فأجهدَ خصرَها الرِّدفان
جال الوشاح على مَعاطفها التى ... قعدَتْ وقام بصدرها النَّهدان
تستبعد الحُرَّ الأبيَّ بمُقلةٍ ... دَبَّ الفتور بجفنها الوَسْنان
وإذا بدت تَهفو القلوبُ صبابةً ... فيها وتركع دونَها العينان
أخذ الدلالُ مَواثقا من عينها ... ألّا تزال مَريضة الأجفان
تمشى فتنشر فى الفضاء محاسناً ... بسط الزمان لها يدَى وَلهان
ويلوح للنظر القريب بوجهها ... عقل الحَليم وعِصمة الصِّبيان
لم أنس فى قلبى صُعودَ غرامها ... إذ نحن نصعَد فى رُبا لُبْنان
حيثُ الرياض يهزّ عِطفَ غصونها ... شدوُ الطيور بأطرب الألحان
لُبنان تفصل بالحياة جنانُه ... فصلَ الزلال بغُلّة الظمآن
وترد غُصْن العيش بعد ذبوله ... غَضًّا يَميد بفرعه الفينان
فكأن لُبنانا عروسٌ إذْ غدا ... يزهو بنشر غدائر الأغصان
وكأنما البحرَ الخِضمُّ سَجَنجلٌ ... يبدى خيال جمالها الفتّان
جبلٌ سمتْ منه الفروع وأصله ... تحت البسيطة راسخ الأركان
تَهفو الغصون به النهارَ وفى الدجى ... تَهفو عليه ذوائبُ النيران
وترى النجومَ على ذُراه كأنها ... من فوقه دُرَرٌ على تيجان[2]
لله لُبنانٌ الذى هَضَباته ... ضحِكت مُغازِلةً مع الوِدْيان

(*) من الديوان الأول .

(١) تميس : تخطر وتمايل . والنشوان : السكران ، والهيفاء : الضامرة البطن . والبان : شجر غصونه لدنة تمايل وتهتز .

(٢) ذراه : أعاليه ، جمع ذروة .



(تمشي فتنثر في الفضاء حماسنا . . .)

يجرى النسيم الغَضُّ بين رياضه   مرُخَى الذيول مُعَطَّرَ الأردان(١)
جَلَتِ الطبيعة فى رُباه بدائعاً   تكسو الكهولَ غَضاضةَ الشبان(٢)
يا صاحبىَّ أتذكران فإننى   لم أنسَ بعدَ كما سِوَى النِّسيان
إذ كان يغبطنا الزمانُ ونحن فى   وادى القَريكة مَنْبِت الرَّيْحَان(٣)
فى ليلة حسد الضياء ظلامَها   وعنا لفضل نجومِها القَمَران(٤)
متجاوِلين من الحديث بساحة   ركَضَ البيانُ بها بغير عِنان(٥)
والليل يسمع ما نقول ولم يكن   غيرُ الكواكب فيه من آذان
فكأن جولتنا بصدر ظلامه   سِرٌّ يجولُ بخاطر الكِتمان

* * *

ما كنتُ أحسب أن أحُلّ ببقعة   للحسن مُنْبِتَةٍ وللاحسان
حتى نزلت من الشُّوَيْر بجنة   فيها الحياة كثيرة الألوان
فهصرت أغصان الأمانى ولم يكن   غيرَ السرور بهنَّ قِطْفٌ دان(٦)
ولقيت شاعرها الذى ارتفعت له   كفُّ القريضِ مشيرةً ببنان
حتى إذا تم اللقاء قصدتُ من   ربوات بَكْفَيَّا ظلال جنان
يايوم بَكفيّا وبيت شَبابها   أفديك من يوم بكل زمان
وسقى زمانكِ ياديارَ بَحَنَّسٍ   صوبُ المَسَرّ دائمَ التهتان
فلقد رأيت ضياء مجدك مُشْرِقا   فى وجه كل خُلاحِل دَيّان
أفيذكر اللبكى يومَ بَحَنَّسٍ   حيث اجتمعنا فى حِمَى كَنْعان
أم ليس يعلم أننى أحببته   حبًّا أذبتُ بناره سُلْوانى

---

(١) الغض : البليل ، ومرخى الذيول : كناية عن التمهل فى السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف الكم . (٢) الكهل الذى جاوز سن الشباب ، وغضاضة الشباب : رونقه وحسنه .
(٣) يغبطنا : يحسدنا   (٤) عنا : ذل وخضع .
(٥) يتجاولان فى مضمار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : اللجام : أى جرى البيان كما شاء حرا طليقا .
(٦) هصرت الغصن : جذبته . والقطف : ما يقطف من الثمر .

لبست رُبا لُبنانَ ثوبا أخضرا   وزهتْ بحيث الحسنُ أحمر قان
نثر الربيع بهنَّ زهراً مُؤْنِقا   يُزْرِى بنظم قلائد العِقيان
فبرزنَ من وشْىَ الطبيعة بالحِلَى   فـكأنهنَّ بحسنهنَّ غَـوانِ
وكأن صنّينا أطلَّ مراقبـا   يرنو لهنَّ بمقـــلةِ النَيران
تلك الرُّبا أما الجمالُ فواحدٌ   فيها وأما أهلها فاثنان
رجلٌ يسير إلى النجاح وآخَرٌ   يسعى وغايته إلى الخسران
متخاذِلين بهـا وهم أعوانها   ومن البَلاء تخاذل الأعوان
ضعفتْ مبانى كلِّ أمرٍ عندهم   ما بين هادمها وبين البـانى
وتفرقوا دنيا كأنْ لم يكفيهم   فى النائبـات تفرق الأديان
وسَعَوا فُرَادى للحياة وفاتهم   أن التضامنَ رائد العُمْران[1]
يأهل ذا الجبل المنيع مكانُه   تُفْدَى مواطنكم بكل مكان
أما محاسنها فهنَّ بمـنزل   تنحطُّ عنه بدائع الأكوان
ومن الفخامة هُنَّ فى غُلَوَائها   ومن الشبيبة هُنَّ فى رَيْمان[2]
فتَبَوَّءوا جنَّاتِهنَّ أنيقـــــةً   وابنُوا بهنَّ كأكرم البُنيان[3]
ماذا يُثبطـكم بها أنْ تَنهضوا   نحو الفَخار كنهضة اليابان[4]
إنى لأرجو أن أراكم للعلى   متهيِّجين تهيُّجَ البُرْكان
وأودّ لو تمشون مشية واحد   متـكانِفين تـكانُفَ الإخوان[5]
لا تقرُنوا بتشتُّت آراءكم   فالبدر يُمْحَق عند كل قِران[6]
أمهاجرى لُبنان طال غيابُـكم   أين الحنين إلى رُبَا لُبنان

(١) فى الأصل : النائبات ، فى موضع الحياة ، ولا معنى للنائبات هنا .
(٢) الغلواء : العنفوان والقوة ، وريمان الشبيبة : عنفوانها وأولها .
(٣) تبوأ المكان : جعله مباءة ومنزلا له .
(٤) ثبطه عن الشيء : ثنى عزمه عنه .
(٥) متكانفين : متعاونين ، وفى الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .
(٦) يمحق : أى يكون فى المحاق ، وهو احتجاب ضوئه آخر الشهر لحيلولة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم ... وتئن شاكية من الهجران
أفترحمون أنينها أم أنتمُ ... لا ترحمون أنين ذى أشجان
إنى أرى هَجْر الرجال بلادَهم ... شيئا يُضيع كرامةَ البُلدان
وإضاعة الوطن العزيز جناية ... ضلَّ الزمان بها عن الغفْران
من كان ذا جَدة فأخرِ بمثله ... ألّا يضِنّ بها على الأوطان[1]

لبنـــان

ولع لبنان بالرصافى ، فسارت قصائد شاعر العراق على ألسنة اللبنانيين ؛ وولع الرصافى بلبنان ، فجاءته قريحته بقصائد صافية العاطفة ، كسماء هذه الربوع ، عذبة كمائها ، عليلة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافى بلبنان :
(الأحرار — بيروت فى ٢٦ آب سنة ١٩٣١)

أرى الحسنَ فى لُبنان أينعَ غرسُهُ ... وقارب حتى أمكنَ الكفَّ لمسُهُ
إذا ما رأته عينُ ذى اللُّبِّ مُشْرِقا ... تنزَّت به فى مَدْرَج الحبِّ نفسه[2]
زكا مَغرِساً فالذامُ ليس يؤمُّه ... وطاب جَنًى فالسوء ليس يَمَسُّه[3]
قسا صخره لكن تفجَّر ماؤهُ ... فلان بكف العيش منه يَجَسُّه
لقد لَبِس الجوَّ اللطيفَ فزانه ... بما فيه من غُرِّ المحاسن لِبْسه
ففى الليل لم يزعجك بَرد نسيمه ... وفى الظهر لم تلفحك بالحر شمسه
وقد عُبِّدت للسالكين طريقه ... وحُرِّر أهلوه وبُورك أُنْسُه[4]
فمن كان فى طُرْق التواصل عَثْرةً ... فقد جاز فى شرع المحبة دَعْسُه
تضىء نجومُ السعدِ واليُمن فوقَه ... فينجابُ شؤمُ الدهر عنه ونحسه
ويهمِس فى أُذْن الطبيعة جَوُّه ... فيُضحِكها فوق الربا الخُضْر همسه

(١) الجدة : المال والغنى .
(٢) تنزت : جالت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقه .
(٣) الذام : العيب .
(٤) عبدت : ذللت مهدت .

كأن النسيم الطلق بين جنانه ... غناء حبيب يطرب النفس جَرْسُه (١)
كأن جبال المتن حَدْبة عابد ... هوى ساجداً شكراً وبيروتُ رأسُه
يقال عن الأضواء فى جوف ليله ... ببيروتَ إذ يغشى من الليل دَمْسه (٢)
تزوّج صنّينُ الفتى بنتَ جاره ... فأضواء بيروتَ الوسيطة عُرْسه (٣)
ونبع الصفا والقاع فيه كلاهما ... من الحسن مَلأى بالبدائع كأسُه
جرى الماء فى واديهما متدفقا ... بأنشودة الإطراب تنطق خُرسُه
وإن تزر الشاغورَ يوما تجِدْ به
من الحسن ما قد خص بالفضل جنسه
جرى ماؤه العذب الزلالُ محاكيا ... به الماسَ صفْوا أوهو الماس نفسه
ترى طبع واديه رءوفا بأهله ... شديداً على مايزعج النفسَ بأسه
فمن زاره مستوحشا فهو أنسه ... ومن جاءه مستنزها فهو قُدْسه
فيالائمى فى حب لبنان إننى ... أحِسُّ لعمرىَ منه مالا تحسه
إذا كان لبنانٌ كليلى محاسنا ... فلا تعجبوا من أننى اليوم قيسه
وإن تجحدوا منه الأيادى فإننى ... أنا اليوم من بعد الأيادىِّ قسه
عجبت لمدفونٍ به بعد موته ... ولم ينتفض حيًّا وينشقّ رَمسه
فمن لم يزره وهو رب استطاعة ... تحتّم فى سجن الحماقة حبسه
ومن زاره مستشفيا زاره الشفا ... وإن كان قبلاً يائسا منه نُطسُه (٤)
ولو جاءه مَن فيه مَسٌّ وجِنَّة ... لما حلَّه إلا وقد زال مَسُّه
وما حلَّه مستوحش النفس واجم ... من الناس إلاّ تم بالضحك أنسُه
محل اصطياف الأغنياء من الورى ... يعيش عزيزاً فيه من ذلَّ فَلْسُه
فمن يبذل الدينار فيما يريده ... فأفواه محمود وإلاّ فعكسه

(١) جرسه : صوته .
(٢) دمسه ظلامه .
(٣) صنين : اسم جبل .
(٤) النطس : بسكون الطاء : أصله النطس بضمها وهم الأطباء الحذاق المدققون. ولعله جمع نطيس بوزن أمير . وهو العالم بالشيء . (أنظر تاج العروس) .

كمثل الذى لا تصرف القَلْسَ كَفُّه ولو كان دونَ القَلْسِ يُقْلَعُ ضِرْسُه

كتبت كتاب المدح فى وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصفَ طِرْسُه

فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثُلْث مايحويه بل هو خُمْسه

ألا إن فى لُبنان جوًّا مُرَوَّقا إذا ماشَفَى المسلولَ لم يُخْشَ نُكْسُه(١)

فى مكتبة الأوقاف

أنشدت فى حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التى أنشأها معالى الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخُ هذى الكتبْ فأنقذها من أكُفِّ العَطَبْ(٢)

ورتّبها فهْى معروضة لمن يتناولها منى كَثَب(٣)

وكانت لعمرُكَ رَهْن الغُبار مكدَّسة فى زوايا الشَّجَب(٤)

يمر بها الدهر مطمورة تعانى الحراب وتدعو الحَرَب(٥)

نسيج العناكب من فوقها ومن تحتها السُّوس فيها انسرب(٦)

يعيث بها آكلا طِرْسها كما تأكل النارُ جزْلَ الحطب(٧)

وكانت على علم حُرّاسها تحفُّ الظنونُ بها والرِّيَب

فمد إليها معالى الوزير يدا دأبها الغَوْثُ عند الكُرَب

فأخرج منها كنوز العلوم لأهل الفُنون وأهل الأدب

(١) مروقا : صافيا مما يكدره من غبار ونحوه ؛ والمسلول : من أصابه السل ، وهو تدرن الرئة والنكس : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك .

(٣) من كثب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أى محبوسة فى الغبار والتراب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على غير نظام ، كأنها أكداس الطعام فى الجرين . والشجب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أى تنادى : واحربا . والحرب : النقص والهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعاث .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوى .

فما إنّ أرواح من أوقفوا — مُرَفرِفة فوقها من طَرَب[١]
كما أن أرواح من ألَّفُوا — قد ابتسمتْ كالتماع الشُّهُب
لقد رضِيَ العلم عن فعله — وإن أخذ الجاهلين الغضب
فما بال قوم غَدَوا يَصْرُخون — صُراخا به يقصِدون الشغَب[٢]
يقولون هذا خلاف لما — لدى الناس فى وقفها من أرَب[٣]
فيــا للعقول لهذا الغَباء — ويا للفحول لهذا العَجَب!
ألِلسُّوس أوقفهـــا الواقفو — ن، أم للعناكب، أم للترُب!
إلى كَمْ نَظَلّ لأغراضنا — نعارِض من دون أدنى سبب
ونجمُدُ فى غفـلة هكذا — ونمرح فى لهونا واللعب
أرى هؤلاء ضعاف العقول — وإن قد تراهم غِلاظ الرقَب
تضيق عن الحق أرواحُهمْ — وإن لَبِسوا واسعاتِ الجُبَب
فهم يقطعون على المصلحين — طريق القيام بما قد وَجَب
فسر فى طريقك مُستعليا — وخلّ ضَفادعهم تصْطخِب
فللشر ما صَخِب الصاخبون — وللخير جمعك هذى الـكتب
لقد صنتها من طروق البِلَى — وخلَّصتها من يد المستلِب[٤]
وأعددتهـا لشفاء العقول — من الجهل وهو أشد الوَصَب[٥]
وما كنتَ فى الرأى بالمستبدّ — ولا كنت فى الفعل بالمضطرِب
وقد كان عزمك فيما أردت — يَفُلّ ظُبَى المُرْهَفات القُضُب[٦]
فمن كان جذلانَ فليبتسمْ — ومن كان غضبانَ فلينتحِب[٧]

---

(١) رفرف الطائر بجناحه: حركهما. والطرب: هنا: نشوة السرور.
(٢) الشغب: الفتنة والافساد.
(٣) من أرب: من قصد وغاية.
(٤) يريد: إنك حفظت الـكتب من خطرين: الأول أن تمتد إليها يد البلى، بسبب قلة العناية بها. والثانى: أن تمتد إليها يد السارق، التى طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف الشرق ومفاخره.
(٥) الوصب: الألم.
(٦) يفل: يكسر. والظبي: جمع ظبية، وهى حد السيف. والمرهفات القضب: هى السيوف المرققة الحادة.
(٨) فلينتحب: أى ليبك ماشاء.

آل الجميـــل

آلُ الجميل سُرور كل حزين ... كهف اليتيم وملجأُ المسكين(١)
تعنو لهم سَرَوات كل قبيلة ... وتهابهم آساد كل عَرين(٢)
وإذا تماحكت الخصوم فبأسهم ... يدع الخصيمَ مُجَدَّع العِرنين(٣)
وإذا تلوَّثت الجباه بخَزيةٍ ... فجباههم أنقى من النَّسْرين
عَزَّت بهم دار السلام فهم بها ... أركان عزٍّ كالجبال مكين
فإذا تقطعت المُنَى بك فاعتصم ... منهم بحبل فى الرجاء متين
تتفاخر الأُخرى بفضل دفينهم ... كتفاخر الدنيـا بفخر الدين
ذاك الذى مَجْدُ الجدود بمجده ... قد زيد تمكينا على تمكين
إنَّ ابن عيسى بن الهمام محمد ... لأجلّ نجـــالٍ بالثناء قمين(٤)
يابن الأكابر قد دعوتك ظامئا ... ظَمَأَ الحياة لجد بما يُروينى(٥)
وأنا العليل بحاجة تدرى بهـا ... وأظن فضلك ناجحا يَشفينى
قد عاقنى الإملاق عن سفرى إلى ... من طال مُعتلِجا إليه حنينى(٦)
وأنا المشوق ولست ممن شاقهم ... بقرُ العُذَيب ولامَها يَبْرين
لـكن قلبى لا يزال يشوقه ... ظبىٌ أقام بدار قُسطنطين
فأرش جَناحى كى أطيرَ بريشِه ... فيكونَ ظنى فى نداك يَقينى(٧)
واعذِر فإنى بالحقيقة لم أَبُحْ ... إلَّا إليك وأنت خير فَطين
إنى إذا آوِى إليكَ فإنمـا ... آوِى إلى رُكن أشدَّ رَكين

---

(١) كهف اليتيم : ملجؤه الذى يعتصم به .   (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحك الخصوم : تجادلهم بالحجج . الخصيم : الخصم . ومجدع العرنين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجة ، لأن قوة الحجة تورث الإنسان شموخا بأنفه ، وكبرا على خصيمه .

(٤) فلان قمين بكذا : جدير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش .   (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحى : أنبت فيه الريش . والفعل ثلاثى ، ولـكن الشاعر هنا حسبه رباعيا.

البلبـــل والورد

إنّ بَلبلًا من نَسيم السَّحَرْ لمَّا جرى فى المَربَع المُخْضِلِ
أخــــبر ريَّاه أصحَّ الخَبَرْ عما جرى فى الروض للبلبلِ
إذ هو مُذ ألقَى به ناظِرهْ من بعد ما ثغرُ الصباح ابتسمْ
صادف فيــــه وردةً زاهرهْ والطَّلّ كاللؤلؤ فيهـا انتظمْ
مضمومة أوراقُها الناضرهْ مثل فم يطلب تقبيلَ فمْ

* * *

فظلّ يرنو مُستديمَ النَّظَرْ رُنُوّ ظمآن إلى مَنْهَــلِ
وهْىَ غدتْ عما بها من خَفَرْ محمــرّة من نظرٍ مُخجِلِ
ثم تمادَى غَرِدا صادِحا يُعلِن للوردة أشـــــواقه
ينطق بالحب لهـا بائحا وهى التى تفعل إنطاقه
وتنشر الطيبَ له نافحا كأنها تقصــد إنشاقه
حتى غدا البلبلُ مُنذُ الصِّغَرْ فى حبّها منطلِقَ المِقولِ
ينشد فيها شعــرَه المبتــكَرْ ولا يَنِى فيــه ولا يأتلِى

* * *

أما ترى الأزهارَ كيفَ اغتدت فَراشةُ الروض عليهـا تطيرْ
لها جناح هى منــه ارتدتْ مُلاءةً مَوْشيَّــةً من حريرْ
فهى إلى الروضة مُذ وَرَدت أرسلها البلبــلُ نحو الأميرْ
تحمل للورد أميرِ الزَّهَرْ رسائلَ الشوق من البلبلِ
فشاع فى الأزهار هذا الخبرْ واستوجب العطفَ على المُرسَلِ

* * *

حتى إذا الورد مضى وانقضَى وعادت الروضــــة كالبلقعَهْ
مسّت حشا البلبل نارُ الغضى من حُرقة البين الذى أوجعهْ
لا تسألِ البلبلَ عما مضَى فى زمن الورد له من دعهْ

ولـكن اسأل فى السماء القمرْ عن خبر الورد مع البلبلِ
إذ كان يُصغى منهما للسمر وهو مُطِلّ . ناظر من عَلِ

* * *

فراشةُ الروضــة ظلّتْ لِذا تحومُ والأزهــارُ من تحتها
تقبِّلُ الزهرةَ ذاتَ الشـذا طائرةً منها إلى أختها
وتسأل الأزهارَ عمّـا إذا مرّ فقيد الورد من سَمْتها
لِتخبرَ البلبلَ بعضَ الخبرْ لعـله غُمّتُه تنجـلِي
فإنه بَات حليف السَّهَرْ مُذ نزح الورد عن المنزِل

أغرودة العندليب

سمعت شـعراً للعندليبِ تلاه فوق الغُصُن الرطيبِ
إذ قال نفسى نفسٌ رفيعهْ لم تَهْوَ إلّا حسن الطبيعـهْ
عشِقت منها حسْن الربيع أحْسِن بذاك الحسْن البديع

* * *

فالعيش عندى فوقَ الغصونِ لا فى قصورٍ ولا حصونِ
أطير فيها لفَرْط وجدى من غُصْن ورد لغصن وردِ
وفى فروع الأشجار بيتى فالظـلّ فوقى والزَّهرُ تحتى

* * *

فسلْ نسيم الأسحار عنّى كم هزَّ عِطفَ الأغصان لحنِى
وسلْ بشَذْوى زَهْر الرياض إنى بحكم الأزهـار راضِ
فـكم زهورٍ لمِـا أفوهُ أصغتْ وقالت لافُضَّ فُوهُ
يا قوم إنى خلقت حرّا لم أرضَ إلّا الفضا مَقرّا
فإن أردتمْ أن تونسونى ففى المبـانى لاتحبسونى
و إن أردتم أن تُنْطقـونى فأطلقونى ، فأطلقـونى

الصيف



أنظر إلى الحسناء فى رأد الضحى . . . .

جاء المَصِيف فجفَّتِ الأنداء ... وشَكَت يبوستَها به الأشياء
وتوقدتْ عند الهَجيرة شمسُهُ ... فتلمَّظَت بلُعابها الصحراء[1]
وعلى الديار تراكمت من شمسه ... مِلءَ الفضاء حرارةٌ وضياء
فعلى مَنِ الشمسُ المنيرةُ أصبحتْ ... غضبَى تجيش بصدرها الشَّحْناء[2]
مدّت إلينا فى الهَجير أشعَّة ... كالكَهرَباءة نارُها بيضاء
فحكت أشعتها حِراباً أُشرِعَتْ ... بيضاً فما بحَدِيدها أصداء[3]
حتى استجار الليلَ من لَفَحاتها ... رَكْبٌ سَروا فهدتْهم الجوزاء

(١) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فى فمه ، وأخرج لسانه ، فمسح به شفتيه .
(٢) الشحناء : العداوة . (٣) أشرع الرمح : سدده .

نظرٌ إلى الحسناء فى رَأْد الضُّحى ‏ تمشى فتلفحُ وجهَها الرَّمْضاء(1)
وتمر لاغبةً وفوق جبينها ‏ عَرَقٌ ووجنةُ خدّها حمراء(2)
إن كان حرّ الشمس لوّح وجهها ‏ فكذاك تؤذى القُرّةُ الورْهاء(3)

* * *

إنّى لأغفر للمَصيف ذنوبه ‏ ولو أنّ غارةَ هَيضِه شعواء(4)
فالصيف أرأفُ بالفقير من الشتا ‏ ولذا تحب قدومَــه الفقراء
قلّت به الحاجاتُ فالفقراء فى ‏ أيامه والأغنياء سَــواء
من كان أعوزه كساء منهم ‏ فالصيفُ مِلْحَفة له وكساء
والأرضُ إن طلبوا الرقادَ وِطاؤُهم ‏ من دون مَنٍّ والسماء غطاء(5)
ولئن يكن كَدِر النهار فليله ‏ طَلْقٌ وفى وجه السماء صفاء
ولئن قسا عند الهجير فريحُه ‏ هبّت بحاشيتيه وهى رُخاء
أضحى فطابت فى ضُحاه ظِلاله ‏ وأتى الأصيل فطابت الأفياء(6)
والصيفُ أحسنُ ما به لمُشاهدٍ ‏ صبحٌ أغرُّ وليــلةٌ قمراء
وأجلّ ما يُرتاد فيه جُنَينةٌ ‏ ترِفُ الظلالُ بها ويجرى الماء
فعليك فيه بسَرحةٍ فى مَنْبع ‏ تحنو عليك غصونها الخضراء(7)

(١) رأد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .
(٢) لاغبة : متعبة . (٣) الورهاء : الحمقاء .
(٤) الهيض : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .
(٥) منّ عليه بما صنع منّا : ذكر وعدد ما فعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .
(٦) الأفياء : جمع فىء وهو الظل .
(٧) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التى لاشوك لها .

الشـــتاء

قد كانت الأغصانُ مخضرّةً وكانت الطير بهـا تَسْجَعُ
فصارت الأوراقُ مصفرّة تُسْقِطها الرَّادَةُ والزَّعزع[١]
ثم غدت جرداء مزورّة والغيمُ أمستْ عينه تدمع[٢]
من أجل هذا المشهَدِ الحزنِ

والليلُ قد طال على مَن شتـا وصار ليـلا باردا مُظلما
لعلّ هذا الرعدَ مُذ صوّتا هرّب منه تِلْـكُمُ الأنجما
عَلامَ قد غيّم ليـلُ الشتا فارتاعت الأنجمُ مذ غيّما
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صَرْصَرُ والجو يبدو عابسا مُطرقا
قد حار فيه التَرِبُ المُعْسِرِ إذ لم يجد فيه له مِرْفقا[٣]
يَأيهـا الناس ألا فاذكروا من كان منكم فى الشتا مُمْلِقا
وأحسنو فالفوزُ للمحسن

إنّ الشتا أرحمُ للمُعْـدِمِ منكم وإنْ أوجعـه بَرْدُه
لأنه بالعـارض المُسْجِمِ يُنبتُ زرعا يُرتجى حَصْدُه[٤]
حتى تفوزَ النـاسُ بالأنعُم ممـا لهم أنتبـه جودُه
ويشبعَ المعـدم والمقتنى

(١) الرادة : الريح اللينة الهبوب . والزعزع : الريح الشديدة تقلقل الأشياء وتزعزعها .
(٢) مزورة : معوجة .
(٣) الترب : الفقير المعدم . والمرفق : مايستعان به .
(٤) العارض : السحاب يعترض فى السماء . والمسجم : الهاطل المطر .

التلغراف

أو الأســلاك البرقية

للبرقِ أسلاكٌ تؤدِّى الأخبارْ　　دقيقة مثلُ دِقَاقِ الأوتارْ
فوق الثَّرَى مُدَّت وتحت الأبحار　　فى عَمَد قد رُكزت كالأشجار
ما بين كلٍّ عشراتُ الأمتار　　تحسبها فى القفرِ جِنَّ البقَّار(١)
شاخصةً أشباحُها للأنظار　　ممتدَّةً نحو جميعِ الأقطار
للـكهربائيَّة فيهـا تيَّـار　　تنقُل فى آنٍ كلَمْح الأبصار
جوانبَ الأنباء نحوَ الأمصار　　لله من سلكٍ دقيق قد صار
فى الأرض مجرًى لجليل الأخبار　　والـكهربائيةُ شىءٌ قد حار
فى كنهه أهلُ النُّهى والأفكار　　أسْفر منها الوجهُ بعض الإسفار(٢)
ولم يزل محتجبا بالأستار　　فى طَيِّها نورٌ مُفاد من نار
وكم لها بين الوَرَى من آثار　　تطوى المسافاتِ بهم فى الأسفار
وتنقلُ الأخبار ذات الأخطار　　ثم تضىء ليلَهم بالأنوار
فتجعلُ الآصالَ مثل الأبكار　　مشرقةً مبهجةً للأنظار
وقد تُداوِى كلَّ داء ضرَّار　　فالسُّقم تشفيه بغير عَقَّار(٣)
والجُرح تأسوه بغير مِسْبار　　وهى لَعَمْرِى ذات لَفح سيَّار(٤)
لها نفوذٌ فى جميع الأقطار　　فى الحيوان والثَّرَى والأشجار
وفى رياحِ الجوِّ ذات الإعصار　　وفى بحار الأرض ذات التيَّار
وقد سرتْ فى كل غيم مِدْرار　　بها تسُح هاطلاتُ الأمطار
فهى بهذا الـكون سر الأسرار

(١) البقار : اسم واد ، واسم موضع فى بلاد العرب .
(٢) أسفر : انـكشف .　　(٣) العقار : الدواء .
(٤) أسى الجرح . داواه . والمسبار : مايختبر به الجرح .

بيروت والتباريس

إن لِبَيْرُوتَ بعُمرانها أمكنةً تعلو التَّبارِيسا[1]
لا سيما أربُعُ لبنانها تلك التى تحكى الفراديسا
فكم كِناسٍ قد حوتْ للظبا وكم حوت للأُسْد عِرِّيسا[2]
وما التَّبَاريسُ سوى مَقْمَرٍ يَقْضِى على اللاعب تَفْلِيسا[3]
يشدّ بالإفلاس أيامه مَنْ حلّ فى مَلْعَبه الكِيسا
مُعَرَّسٌ يقصده من نحا فى أُخْرَيات الليلِ تعْريسا[4]
ومرقصٌ ترقص فى بَهْوِه أوانِسٌ تحكى الطواويسا
ما فيه من باريسَ إلا الذى يُؤْثَرَ عن غاداتِ باريسا
لكنَّ بيروتَ بلبنانها تكشف عنك الهمَّ والبُوسَا
عروسَ لبنانَ أما والذى صيّر مِرآتِكِ قاموسا
ما أنتِ إلا جَنَّة آمِنٌ آدمُ فِيها مَكرَ إبليسا
فيكِ تجلَّى الله ربُّ العلا بالحسن مَرْئِيا وملموسا
لولا جمالٌ فيك مستودَعٌ ما شرح الحبَّ لنا عيسى
كنيسةُ الحسن فى حُبِّها قلوبُنا صارت نواقيسا
ما الحُسنُ فى شىء بمستحسن إلا إذا كان له سُوسا[5]
فأين من هذا تباريسُكم وأين هذا من تباريسا

(١) التباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .
(٢) الكناس : بيت الظبى . والعريس : بيت الأسد .
(٣) مقمر : نادى القمار
(٤) المعروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل .
(٥) السوس : الأصل والطبع .

فى المستشفى الملكى

عاد الرصافى صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوى فى أثناء مرضه ، وقد طال مكثه فى المستشفى الملكى ببغداد ، فأنشده هذه الأبيات :

أطلتَ أبا سعدون مُكْثَك ههنا ... فحتى متى تبقى مقيما بمستشفَى
فدعْ عنك طِبًّا ههنا تستطبُّه ... ففى المجد طبٌّ ضامنٌ لك أن تُشفى
أرى مجلسَ النّوابِ أوْحشتَ بهوَه ... وقد كاد من صمت تغشّاه أن يَغْفَى (١)
فها هو مُشتاق إليك مزلزل ... يكاد إليك الشوقُ بنَسْفِه نسفا
فإن لم تَدارَكْه بوصل مُعَجَّل ... تَداعتْ به الجدران أو ألقت السقفا
وما استظرفتْ بغدادُ مذ جئتَ ههنا ... مجالسَ فيها كنت تملؤها ظَرْفا
فكم لك فى تلك المجالس نكتة ... تهزّ لها الآدابُ من فَرَحٍ عِطفا
إذا أنت أرسلت الحديث مخاطبا ... فأيّة أذنٍ لا تنوط بها شَنْفا (٢)
رأينا صريحَ القول فيك سجيّة ... فلم ترضَ يوما للحقيقة أن تَخفى
إذا عَنّ تبيان الحقيقة قلتها ... ولو أغضبت أهل السياسة والصُّحفا
هنيئا لحزب أنت منه فإنه ... بمثلك فردا فى النهى يغلب الألفا (٣)
تلطَّفتَ فى آدابك الغرّ ناطقا ... بما قد حوى كل اللطائف واستوفى
فتُعرب أحيانا وتلْحَن تارةً ... ولكن بلَحْنٍ أعجب النحو والصرفا (٤)
أدامك ربُّ الناس للناس مُعلنا ... مكارم جلّت أن نحيطَ بها وصفا

---

(١) غفى يغفى من باب ضرب ، وأغفى يغفى : نام نومة خفيفة . وقد جعله الشاعر من باب فرح ، ولعلها لغة .

(٢) ناط به الشيء : علقه . والشنف : القرط فى أعلى الأذن .

(٣) النهى : جمع نهية وهى العقل .

(٤) الاعراب هنا : الإبانة عن الشيء وصراحة . واللحن . الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره وليس المراد اللحن الذى هو الخطأ فى الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إنى عهدتك مُبْصِرًا | خفايا أمور أعجزتْ كلَّ مُبْصِرِ
إذا خفيتْ يوما عليك حقيقةٌ | نظرتَ إليها من ذكاء بِمجْهَرَ
وإن ليلةُ الخطب ادلهمَّت كشفتَها | بأوضاحِ صبح من فعالك مُسفِرِ
وتلك مزايا فيك أعلمتِ الوَرَى | بأن بنى المِنديل أكرمُ معشر
فهل أخفيتْ حالى عليك وقد بدا | لكل صديق أنها حال مُقْترِ
أتيتك من بغداد لم أدْرِ ما الذى | أتى بىَ إلّا أننى فى تحيُّر
وأحمل فى جنبىَّ نفسا غنيَّةً | وإن شقيتْ منى بجُثمان مُعْسِر
ولو كنت فى بغداد أرضى بذلّة | لما جئت إلا ساحبا فضْلَ مئزرى
ولكننى قد عِفْتُ أن أَرِدَ الغنى | ونفسىَ فى قيد من الذلّ مُقْفِرِ
وما عدل السعدونَ بى عن وفائه | ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
ولو أننى بعت الثناءَ بنائل | لما رضيت نفسى بغيرك مشترى[1]
وإن حديثى عنك غيرُ مرجَّم | وإن مقالى فيك غير مُزَوَّر[2]
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا | بعزمة لا وانٍ ولا متقهقر
وسوف ترى منى لدى الدهر شاكرا | وإن كنتُ أعيا عن تمام التشكّر
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب | ليجعله أحدوثةً كلُّ مخبر

(١) النائل : العطاء .
(٢) الحديث المرجم : حديث الظنون .

يادار قسطنطين

يادارَ قُسطَنطينَ أنتِ فريدةٌ — فى الحسن لولا جوُّك المتقلّبُ
لقد اجتويتُكِ لا لفقْدِ محاسنٍ — لـكنْ هواؤك عارمٌ متذبذب(١)
أبدا سماؤك وجهُها متلوّن — فأراه يَبْسَم تارةً ويقطب
وأرى هواءك ناضجا برطوبة — هِمَمُ الرجال بها تجف وتنضُب
تسرى الرطوبةُ منه بين عروقهم — فتكاد من أعصابهم تتحلّب(٢)
فتُلين شِرّتهم وليس بهم ضنى — وتُشيب أروُسَهم وما هم شُيَّب(٣)
وترى الفتى منهم يعود محوقِلًا — حتى يروحَ لِعُنَّة يتطبَّب(٤)
ريحَانِ تندفعان فيك فتارةً — صِرًّا تهبّ وتارةً تتلهَّب(٥)
أمّا الشمالُ فعقربٌ لسّاعة — وعن الجَنوب وذِكْرِها أتجنّب
لا كانتا من ضَرّتَيْن على الورى — هذى تُجَمّدِهم وتلك تُذوّب
وأرى بك الأخلاق ذات تلوّن — كهوائك القلّاب بل هى أعجب
وطباع كل مَعاشرٍ كهوائهم — سبب الطباع من الهواء مسبّب
أمسى التصنّع فى بنيك صناعة — من كان يحسنها فذاك مهذَّب
فإذا تلألأت الثغور تبسّما — فالبرق فى تلك المباسم خُلَّب
ولربّما احترم البغيضُ بغيضه — كيما يقـــالَ بأنه متأدب
عَجَبا فكم حَمَلٍ رأيت ومذ نضا — ثوبَىْ تصنّعه إذا هو ثعلب
حَلُمت نمورُكِ خِدْعة وتظاهرت — بصداقة الخِرفان فيك الأذؤب
لم ألقَ شيئا فيك غير مغشّش — حتى المياه تَغشُّ فيك وتكذب
هذى صفاتك يافَرُوقُ برغم من — أثنَوْا عليك بغير ذاك وأطنبوا

---

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .
(٢) تتحلب : تسيل .
(٣) الشرة : الحدة والنشاط .
(٤) المحوقل : الضعيف الذى قل أربه فى النساء .
(٥) الصر : البرد الشديد .

فلكس فارس

إن فِلِكْس بنَ فارسٍ رجلٌ   بنا افتقارٌ إلى غنى أدَبِهْ
تمَّ له السبق فى العلاء بما   أحرز يوم الفَخار من قَصَبه
مُفَوَّه لو رآه يخطب فى الْـ   ـمَحْفِلِ قُسٌّ جثا على رُكَبه
ينطقُ عن فِطنة لها حِكَم   تبرىء قلبَ الجهول من وَصَبه(١)
لم يُصغِ مُصْغٍ إلى خَطابته   إلا وقد راقه فأُعجب به
تعوّد كل الخطوب هيِّنة   إذا فزعنا منها إلى خُطَبه
أتعب فى النصح نفسه فأتتْ   راحة أهل البلاد من تعبه
يطلب أن تنهض الرجالُ إلى   مجد يجِدّ الكرامُ فى طلبه
سَلْ عنه لبنان كم تَطرَّبه   منه خطابٌ فماد من طربه
وسل دمشق الشآم عنه وما   بعد دمشق الشآم من حلَبِهِ
كم ليلة للشكوك داجية   أنارها باليقين من شُهُبه
حر يؤاخى فى الحق كل فتى   حر ولو شطّ عنه فى نسبه
إن قال قولا أو انتضى قلما   فنُصرةُ الحق منتهى أربه
فاركَنْ إليه وخَلِّ حاسده   محترقا من جواه فى لهبه

---

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

مليكة غناء العرب

هَلُمَّ إلى ذَوْقِ طعم الأدبْ هلمَّ إلى نَيْل أقصى الأرَبْ
هلمَّ إلى ذا الغنـــــاء الذى منيرةُ منـه أتت بالعجب
أليست ، منـيرةُ فى عصرنا مليكةَ فنّ غناء العرب(١)
ولا غروَ أن مُلِّكت فى الغناء وأن أحرزت فيه أعلى الرتب
فقد أدركته على رِسْلِها ونالتْ أقاصيَـه من كَثَب(٢)
وأيّدها الله من صوتها بأكبر عَوْنٍ وأقوى سبَب
أرى فيها صِيغَ من حكمة وأبحُسُه إن أقُـلْ من ذهب
تلوح فتبتزّ بدر الدجى وتشدو فيعتزّ فنّ الأدب(٣)
بلحنٍ إذا امتدَّ هزَّ القلوب وخـدَّر أبداننا والعصَب
ترفرف أرواحُنا تحتـــــه كما رفرف الطير لمَّا انقلب
وتخفُق أحشاؤنا دونه كما خفقت فى الرياح العَذَب(٤)
نكاد إذا هى غنَّت نطير إليها بأجنحة من طَرَب
وإن هى قامت لإنشادنا جَثَوْنا لها وثنينا الرُّكَب
فلو سمع القوم ألحانها لشقّوا عمائمهم والجُبَب
أرى الهمَّ يُتعب قلب الفتى وعنه الأغانى تزيل التعب
فبادرْ إليها ولا تكْثرثْ لما جاء من ذمّها فى الكتب

(١) مليكة : أى ملكة ، بمعنى رئيسة هذه الصناعة .
(٢) أدركته على رسلها : أى فى تمهل ورفق .
(٣) تبتز : تغلب وتفوق فى حسنها .
(٤) العذب : الأطراف من كل شىء ، وما يسدل إلى الخلف من العمامة .

إلى جميع الغوانى

وقفتُ عليكنّ قلبى الذى يمرّ به الحُبّ مَرَّ السحابْ
ومنكنّ أحببت هاتى وذى وألفيتُ عذبًا بكنَّ العذاب

* * *

فمنكنَّ بيضاء ما مثلُها (عدا حمرةِ الخدّ) إلّا القمرْ
فتلك التى طاب لى وصلها كما ليلةَ البدر طاب السَّمَر

* * *

ومنكنّ حمــــراء جذّابةٌ حكى وجهُها الشمسَ عند الطلوعْ
أرى عينها (وهى خلّابةٌ) فأمسِك بالكف منى الضلوع

* * *

ومنكنّ صفراء فى لونها كأن تردَّت شُعاعَ الأصيل
إذا ما تمشَّت على هُوْنِها أصَحَّت هبوب النسيم العليل[1]

* * *

ومنكنّ سمراء تحكى الدُّمى وتبعث فى القلب ميت الهَوَى
على شفتيها يلوح اللَّمَى فيُضرم فى الصبّ نار الجوى[2]

* * *

ومنكنّ من هى مثل الرياح لها فى ذَرى كل قلب هبوبْ[3]
تريد غِلاب جميعِ الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب[4]

* * *

ومنكنّ من هى مثل النجوم من البعد ناظرة تبتسمْ
فتلك عليها فؤادى يحومْ وتلك إليها الردى أقْتحم

* * *

ففيكنّ طُرًّا بوادى الهوى أهيم وإن لم تَعُد عائدة
ألا إن حبًّا بقلبى انطوى كثير فلم تَكفِهِ واحده

(١) مشت على هونها : أى فى رفق وتؤدة . (٢) اللمى: سواد الشفة، وهو محبوب عند العرب.
(٣) الذرى : الناحية والجانب. (٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل فى فندق قصر البحر فى بيروت .

لَعَمْرُكَ إنّ قصرَ البحرِ قصرٌ ... به يسلو مُوَطِنَه الغريبُ
وتمتلىء العيون به ابتهاجاً ... إذا نظرت وتنشرح القلوب
تروق الناظرين بجانبيه ... مناظرُ دونها العَجَبُ العجيب
فمن شمسٍ يصافحها طلوع ... ومن شمس يعانقها غروب
ومن سُفْن تجىء بها شمال ... ومن سُفْن تروح بها جنوب
وأخرى حوله خمدت لظاها ... وأخرى فى الفؤاد بها لهيب
أطلّ على المياه فقابلته ... بوجه لا يمازجه شُحوب
يقبّل جانبيه البحرُ حتى ... كأن البحر مشغوف كئيب
أحاط به فكان له رقيبا ... ومَغناه الأنيق له حبيب
وما هذا التموّج من هواء ... ولكن من هوًى فهو الوجيب(١)
كأن الموج فى الدأما رجال ... وهذا القصر بينهم خطيب(٢)
تخاطبهم مبانيه فيعلو ... من الأمواج تصفيق مَهِيب

* * *

تُلِمُّ به المسرّاتُ ازدياراً ... فتعرفه وتجهله الكروب
وما انفردتْ به بيروت حسناً ... ولكنَّ القصور بها ضروب
تبسَّمت البلاد بكل أرض ... وما زال العراقُ به قُطوب
فها هو من تكاسل قاطنيه ... تجرّ عليه كلكلها الخطوب
إذا تدعو الرجالَ به لخير ... يجيبك من تخاذلهم مُجيب
فيا لهفى على بغداد أمست ... من العمران ليس لها نصيب

(*) من الديوان الأول .

(١) الوجيب : الخفقان والارتجاف .

(٢) الدأماء : البحر.

سأبكى ثم أستبكى عليها   إذا نَضَبت من العين الغُروب[1]
أيا بغدادُ لا جازتْك سُحْبٌ   ولا حلَّت بساحتك الجُدوب
تطاول ساكنوك علىَّ ظلماً   فضاق علىَّ مغناكِ الرحيب
وكم نطقوا بألسنة حِداد   يسيل بها من الأشداق حُوب[2]
رمانى القوم بالإلحاد جهلًا   وقالوا عنده شكٌّ مُريب
ألا يا قومِ سوف يجدّ جِدّى   وسوف يخيب منكم من يَخيب
فمن ذا منكم قد شق قلبى   وهل كُشفت لكم فىَّ الغيوب
فعند الله لى معكم وقوف   إذا بلغت حناجرَها القلوب
يقينى شرَّ فِرْيَتِكم يقينى   بأن الله مُطَّلِع رقيب
ولم تُغْفَر لكم عندى ذِمام   ولكن عادة الريح الهبوب

محاسن الطبيعة(*)

الى حضرة الفاضل ندرة بك المطران

البحرُ رُهْوٌ والسما صاحيَهْ   والفَخْت فى الليل شبيةُ السَّدِيمْ[3]
والبدرُ فى طلعته الزاهيه   قد ضاحَكَ البحر بثغر بسيمْ

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خَيَّما   فالليل لم يَسمع ولم يَنطقِ
والبدرُ فى مَفْرِق هامِ السما   تحسبه التاجَ على المفرق
أغرق فى أنوارِه الأنجما   وبعضها عَامَ فلم يغرق
والبحر فى جبهته الصافيهْ   قام طريق للسنا مستقيم
لم تَخْفَ فى أثنائه خافيَه   حتى ترى فيه اهتزازَ النسيم

---

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق فى العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .
(٢) الحوب : الإثم .   (*) من الديوان الأول .
(٣) رهو : ساكن . والفخت : ضوء القمر . والسديم : الرقيق من الضباب .

وقفتُ والريحُ سرتْ سَجْسَجا ‌ ‌ وقفةَ مبهوتٍ على الساحل[1]
أنظر ما فيه يحار الحِجَا ‌ ‌ في الكونِ من عالٍ ومن سافل
يا منظراً أضحكَ ثغرَ الدُّجَى ‌ ‌ وردّ سَحْبانَ إلى باقل[2]
ما أنت إلا صُحُفٌ عاليه ‌ ‌ كم حار في حكمتها من حكيم
إذا وَعَتْها أُذُنٌ واعيه ‌ ‌ فقد وعتْ خيرَ كتابٍ كريم

* * *

وزان عَرضَ البحر ما قد بدا ‌ ‌ من زَوْرق يجرى بمِجْدَافَيْن
عامَ بذَوْبِ الماسِ أو قد غدا ‌ ‌ يسبحُ فى لجة ذوب اللُّجَين
فى صامت الليل جرى مفردا ‌ ‌ وبين جنبيه حوى عاشقين
من غادة فى حسنها غانيَه ‌ ‌ تَبْسِم عن لَألَاء دُرّ نَظيم
ومن فتى أدمُعه جاريه ‌ ‌ قد صافح العشقَ بجسم سقيم

* * *

قابلها والحبّ قد شَفّهُ ‌ ‌ وقابلت طلعةَ بدر السما[3]
وظلّ يرنو تارة خلفه ‌ ‌ وتارة ينظرها مُغرَما
ثم تدانى واضعا كفه ‌ ‌ فى كفها يطلب أن يَلثما
وخرّ من وَجْد على الناصيَه ‌ ‌ وقلبه يركض ركض الظَّليم[4]
وهى غدت من أجله جاثيه ‌ ‌ واحتضنته كاحتضان الفطيم

* * *

ثم رمى نظرةً مُسْترحِم ‌ ‌ فى الكون طَرْف له حائرِ
وقال قولَ الكلِف المغرم ‌ ‌ فى حب ذات النظر الساحر
أيتها الأرض قفى واسلمى ‌ ‌ من أجل هذا المشهد الزاهر

(١) الريح السجسج : المعتدلة اللطيفة .
(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل فى الفصاحة وباقل : يضرب به المثل فى العى .
(٣) شفه الحب : هزله وأضناه . ‌ ‌ (٤) الظليم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقيــة محفوفةً من وصلنا بالنعيمْ
فإن هذى ليلةٌ حاليــه تزهو ببدرين وطلق النسيمْ

° ° °

وأنتَ يا بدرُ اللطيف السنا فى الجوّ قفْ وِقفةَ غير الرقيب
ما أبهجَ النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كأنه « ندرة » لمّا دنا نحو المعالى يبتغيها النصيب
فحاز منها جملة وافيــه ما حازها من أحد من قديم
وصار يُدعى الرجل الداهيه فى الفكر والجد وخلق عظيم

* * *

يا آل مُطرانَ لكم « ندرةٌ » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لهـا كثرةٌ يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتُها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية الجد لكم عاليــه و « ندرة » الشهمُ عليها زعيم

* * *

يا من بَنَى المجدَ فأعلى البنا فكان أعلى الناس فى مجده
اقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصّر عن حده
ومُره ثم احكم به إن ونى ما يحكم السيد فى عبده
إذ أنت بالمنقَبة الساميه قد خصَّك الله العزيز العليم
فاهنأ ودم فى عيشة راضيه رغمَ المعادى وسرور الحميم

ليلة فى دمشق (*)

من كان يأرَقُ بالهمو م فقد أرِقتُ من السرورِ
وطربتُ من صوتٍ يجيء إلىَّ من غُرَف القصور
صوتٍ كأن الغانيــــا ت أعَرْنَه هَيَفَ الخصور
ونضحن من ماء الحيا ة عليه فى شَنَب الثغور
سرَّى الهموم عن الفؤا د بجوف حالكة الستور
والعـــــود ينطق باللحو ن بلهجتى بَمٍّ وزِير
يرمى به الصوت الرخيـ م على الدجى لمعاتِ نور
ملأ الظــــلام توقداً كالكهرباءة فى الأثير
يحكى الزُّلالَ لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
أصغيتُ منقطعا إليـــــه عن المُواطِن والعشير
فحسبتُ نفسى فى الجنا ن بغيرِ وِلْدان وحُور
وطَفِقت أذَّكِر العـرا ق فعاد صفوى ذا كدور
فرجعت عن ذاك السما ع وغبت عن ذاك الشعور
وذكرت من تبكى هنا لك علىَّ بالدمع الغزير
تستوقف العَجلان ثَمَّـــــةَ بالونين عن المسير
وتقول من مَضَض الفرا ق مقالَ ذى قلبٍ كسير
أَبنىَّ سرْ سيرَ الأما ن من الطوارق فى خَفِير
يا أمَّ لا تخشىْ فإ نَّ الله يَاَ أُمّى مُجيرى
ودَعِى البكاء فإن قلـــــبِىَ من بكائك فى سعير

(*) من الديوان الأول .

أعلمتِ أني في دمشـــــق أجرّ أذيالَ السرور
بين الغطارفةِ الذيــــن تخافهم غِـيَرَ الدهور[1]
من كل وضّاحِ الجبيــــن أغرَّ كالبدر المنير
حرّ الشمائل والفعا ئل والظواهر والضمير

حول البسفور(*)

خليليَّ قوما بي لنشهد للرُّبا بجانبي البسفور مشهدَ أسرارِ
أجيلا معي الأفكار فيها فإنها مجالُ عقول للأنام وأفكار
خليليَّ إن العيش في ماء شرشرٍ إذا الشمس تستعلي وفي ماء خنكار[2]
سفوحُ جبالٍ بعضها فوق بعضها مكلّلة حافاتهنَّ بأشجار
يروق بجنبيها خريرُ مياهها ويشجى بقطريها ترنم أطيار
ويجرى النسيم الرطب فيها كأنه تبختر بيضاء الترائب معطار
معاهد زُرْهَا في الهواجر تلقها موشحةً فيها برقة أسحار
نزلنا بها والشمس من فوقُ أرسلت على منحنى الوادى ذوائبَ أنوار
وقد ظل من بين الغصون شعاعُها يوقِّع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفافَ الدوح والنور بينها جيوبٌ من الأنوار زُرّت بأزرار
تميل إذا هبَّ النسيم غصونُها فتأتى بظل في الجوانب موّار[3]
ترانا إذا ما الطير في الدوح غرَّدت تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسّمنا بها الريح ضَحوةً فنمّت لنا من طيبهنّ بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسما فيفتر منها عن مناتت أزهار
مشاهد في تلك الربا ومناظر تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخي السرى . وغير الدهور : تقلباتها .
(*) من الديوان الأول .
(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .
(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التربية(*)

قالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليكَ ماشاهدتْ عيني من العَجب ... في مَسرح ماجَ بين الجِدّ واللعبِ
خافوا به أن تقومَ الأُسْدُ واثبةً ... حتى بنَوْا حاجزا فيه من الخشب
وحصّنوه من الأعلى بمشْتبكٍ ... من الحبال جديلٍ غيرِ مُنْقضب
به الأسود تمطّى في مرابضها ... والنمر يَخْطِر بين الخوف والغضب
والذئبُ يبصر جَدْى المعز مقتربا ... منه فيرجعُ عنه غيرَ مقترب
أمّا الكلاب فجاءت وهي كاسية ... يرقصن منتصبا في إثْرِ منتصب
قامت على أرجلٍ تمشي معلّمَةَ ... مشىَ المليحة في أبرادها القُشُب(1)
تخشى مؤدّبَها والصولجانُ له ... في الكَفّ فرقعة كالرعد في السحب
ترنو إليه بعين الخوف فاعلةً ... ما كان يُصْدِر من أمر ومن طلب
خضعن للسوط حتى إنّ أعقدَها ... لو يأمر السوطُ يغدو مرسِلَ الذَنَبِ
وكانت الأُسْد تجرى في إطاعتها
مجرى الكلاب بحكْم الخوف والرَّهَب
كأنما الليثُ لم يُخلق أخا ظُفرٍ ... محدّدَ الناب قذّافًا إلى العَطَب
شاهدتُه مشهدا بِدْعا علمتُ به ... أن الغرائز لم تُطْبَع على الشَغَب
وأن خُبْثَ البرايا في طبائعها ... لابد فيه سوى الأطباع من سبب
وأن ليثَ الشرى ما صِيغ مفترسا ... لكن أحالته فرّاسا يدُ السَّغَب(2)
وكم من الناس من قد راح مندفعا ... بدافع الجوع نحو القتل والسَّلَب
وأن تربيَةَ الإنسان يُرجعه ... إكسيرُها وهو من تُرْبٍ إلى الذهب

(*) من الديوان الأول .

(1) القشب : جمع قشيب ، وهو الجديد .

(2) السغب : الجوع .

هذا إذا حَسُنَتْ أما إذا قبحت | فالمَنْدَلِيُّ بها يمسى من الحطب [1]
فكل ماهو فى الإنسان مكتسَبٌ | فلا تقلْ فيه شىء غير مكتسب
إنى أرى أسوأ الآباء تربيةً | للإبن أحرى بأن يُدعى أعقَّ أب
والمرء كالنبت ينمو حَسْب تُربته | وليس ينبت نبعٌ مَنْبِتَ الغَرَب [2]
من عاش فى الوَسَط الزاكى زكا خُلُقاً | حتى علا فى المعـالى أرفعَ الرتب
فاحرص على أدب تحيا النفوس به | فإنما قيمة الإنسان بالأدب

يقظة الشرق

أنشدت فى مأدبة نادى المعلمين ، لتكريم وفد الجامعة المصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ فى أوتيل « كارلتون » ببغداد.

أرى — بعدَ نوم طال — فى الشرق يقظةً
نُهوضيَّة فيها طموحٌ إلى المجدِ
ففى « مصر » شِيدتْ للعلوم معاهدٌ
على أسس التحليل والبحث والنقد
فلم تَتخذ غيرَ التجارب منهجاً | لتحقيقها من جوهر العلم ما يجدى
وفى الأفُق « التركىّ » سارت إلى العلى
جيوش بأعـــلام التجدد تستهدى
وفى « الهند » قامت للتحرر ثورة | سياسيَّة عزلاء قائدها « غَنْدى »
و« فارسُ » حلَّت عقدةً من جُمودها | وحنت بمسعاها إلى سالف العهد
وفى « الصين » حرب نارها وطنيةٌ | تزيد بمرّ الدهر وَقْدًا على وَقْد
و « بغداد » بين الأجنبىّ و بينها | مَزيد صراع فى السياسة مشتدّ

(١) المندلى : عود يتبخر به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .
(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسى . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقداح .

على أن حولَ « النيل » مثلَ صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »
ولم تخل من أعشابها بتجدّدٍ
على جدبها أرضُ « الحجاز » ولا « نجد »

زمانٌ أتى من كل قوم بنهضةٍ ... سياسيَّةٍ حتى أتت نهضةُ « الكُرْد »
تباشيرُ صبح لاح بعد نحوسةٍ ... مشيرا إلى ما نرتجيه من السعد
فيا وفدَ مصر أنتمُ خير شاهد ... على يقظة فى الشرق وارية الزَّند
لقد جئتمُ رُوَّادَ علمٍ وحكمةٍ ... فَحُيِّيتُمُ أزكى التحياتِ من وفد
تَرُودون أهلَ العلم مَرعًى ومنزلًا ... وتجتنبون الهزل فى معرِض الجدِّ
وقد زرتُمُ « دار السلام » زيارة ... ستذكرها الأقلام بالشكر والحمد
ومن ذكرها فى كل عصرٍ وموطن ... ستستنشق الأيام أطيبَ من ورد
وتمتد بين « النيل » منها و « دجلة » ... مدى الدهر أسبابُ التعارف والودِّ
سلام على « مصرَ » التى أرسلت بكم ... فطاحلَ علمٍ لا تحيد عن القَصْد
لكم عند أهل « الرافدين » تجلّة ... على قدر ما للرافدين من الرِّفد

إلى القزوينى

هو المرحوم أبو المعز السيد محمد القزوينى العالم المشهور

قف بالديار الدارساتِ وحيِّها ... واقرَ السلامَ على جآذرِ حيِّها[1]
وانشُد هنالك للمتيَّم مُهجةً ... فنِيتْ من الأهواء فى عُذرِيِّها
وسل المنازلَ هل علِمْنَ بأننى ... قد شفَّ جثمانى الهوى بظُبيِّها
يا قلبُ أىَّ هوًى أصابك عند ما ... أُصميت باللحظات من ثُعَلِيِّها[2]

(١) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .
(٢) ثعليها : رام منسوب إلى بنى ثعل ، وهم حى من طيء مشهورون بالرمى ، قال امرؤ القيس
رب رام من بنى ثعل ... مخرج كفيه من ستره

وَرشأ إذا أبدى ابتسامة شائق　　أجرى المدامعَ من عيون عَصِيِّها[١]
شغلَ القلوب بحبّه ولطالما　　فتكتْ ضعافُ لحاظِه بقويِّها
من لى بلثم مُقَبَّلٍ من شادنٍ　　عذب الثنايا الواضحات شهيِّها[٢]
ياعاذلًا صدعَ القلوبَ بلومه　　مَهْلا فليس خَلِيُّها كَشَجِيِّها
من ذا استطاع يَرُد عن غىّ الهوى　　فئةً ترى كلَّ الرشاد بغيِّها
دعْ يا عذولُ أخا الغرام معظِّماً　　للدار يلثمها كرامة ميِّهـا
كأفاضل «الفيحاء» حيث تفاخرت　　بسريِّها الجَحْجاح وابنِ سريِّها[٣]
السيد السـند الهمام محمد　　فرع النبوة وابنِ خير وصيِّها
كم شاع للفيحاء بين بلادنا　　شرفٌ حوته بفضل قزوينها
ذاك الذى كم من مناهل فضله　　فازت محلأةُ النفوس بريِّها[٤]
يا سيدا فى المجد أحرز شهرة　　ملأتْ مسامعنا بصوت دَوِيِّها
والتَكَ نفسى ترتدى بك سؤددا　　وقد ارتدته فكنت خيرَ وليِّها
لِمَ لا أسُود بحبكم فى أمةٍ　　فَرَض المهيمنُ حب آل نبيِّها
زهتِ المكارمُ فيك حيث لبستها　　شِيَما تزيَّا الأكرمون بزيِّها
فشقتُ منك على البعاد خلائقا
شغلت — وحقكِ — مهجتى عن حيها
فإليكها عذراءَ عزّ قِيادُها　　لولا مديحُك لم تَبُح برويِّها
وافتكَ فى «رمضان» تنشر مدحةً　　عبقت تهانيك الحسانُ بطيِّها
لتشدّ معك عُرا الوداد وثيقةً　　بيدٍ ، ولاؤك كان خيرَ حليِّها
إنِّى لأغبطها إذا هى أنشدت　　بندىٍّ عف الذيل منك ذكيِّها
وغدت تجيدُ المدح منك لسيد　　شهم الغطارفة الكرام أبيِّها

(١) الرشأ : ولد الظبية . (٢) المقبل : الفم . والشادن : ولد الظبية .
(٣) هى مدينة الحلة . والسرى : السيد الشريف السخى . والجحجاح : السيد المسارع إلى المكارم .
(٤) المحلأة : العطاش المطرودة عن الماء .

إلى حماة الأطفال

سبق لجمعية حماية الأطفال أن اعتزمت إقامة مهرجان كبير، حاولت أن يكون الأول من نوعه، وقد تفضل شاعر العرب الخالد المرحوم الأستاذ معروف الرصافي، فأرسل هذه القصيدة العصماء، ووعد أن يلقيها بنفسه، ونحن ننشرها اليوم ليرى القراء جانبا من إحساس الفقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتْ برجالِ ... قاموا بأمرِ حماية الأطفالِ
وعُنُوا بتربية البنينَ عِنايةً ... زادوا بها شَمَمًا على الأجبالِ (١)
وَبَنوا لهم داراً بما جادت به ... أيدى أكارمهم من الأموال
صانوا بها الأنسالَ من أمراضها ... ومن الحقوق صيانة الأنسال (٢)
دار تقيهم بالأواق كلَّ ما ... يُخشى من الأوجاع والأوجال (٣)
ضمنت لأيتام الأرامل طِبهم ... وغِذاءهم وبشائر الإقلال (٤)
لم يخشَ فتكَ السُّقْمِ فيها رُضَّع ... فى البؤس قد وُلِدوا وفى الإقلال
لله تلك الدارُ مِن متبوَّأٍ ... بذَّ النجوم بقدرة المتعالى (٥)
هى مفزَع للمعسرين ومَلْجَأ ... يأتيه كل ضَنٍ من الأطفال (٦)
أحُماةَ أطفال الأيامَى إنكم ... جُدَراء بالتعظيم والإجلال (٧)
مرتْ لكم تلك السنونَ وكلُّها ... غُرَر تُزانُ بأنفع الأعمال
كالختم الأدواء فى أيتامِنا ... دأْبا بغير كلالة ومَلال

---

(١) شمما : أصل الشمم الارتفاع فى قصبة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقا : والأجبال : جمع جبل .

(٢) الأنسال : جمع نسل ، وهم الذرارى .

(٣) الأواق : أصلها الوواق ، جمع واقية . والأوجال : المخاوف ، جمع وجل .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهى الفقيرة ، أو التى مات زوجها . والإبلال : الخروج من المرض .

(٥) متبوأ : مكا التبوؤ ، وهو النزول فى المكان . وبذ ، بالدال أخت الدال ، وبالزاى أيضا ، يقال بزه وبذه : أى فاقه .

(٦) مفزع : ملجأ ومعتصم . والضى : المهزول .

(٧) الأيامى : جمع أيم ، وهى التى لا زوج لها

فى حَوْمة الإحسان طال صِيالكم ... حقًّا فأنتمْ أشرف الأبطال(١)

سيدوم مَسعاكم ويبقى دأبُكُمْ ... فى الدهر غيرَ مُهَدَّد بزوال

ولسوف يذكركم ويشكر سعيكم ... من سوف يخلُفُكم من الأجيال

لله أنتمْ من أفاضلَ خُلَّصٍ ... فاقوا الأنام بأشرف الإفضال

إنى أحاول أن أكون مُعينكم ... لولا موانع يعترضن حَوالى(٢)

لو أن ذات يدى استطاعتْ رِفدكم ... ما فاق نولُ الرافدين نوالى(٣)

ولَوَ أنّ أيامى تجود بصحتى ... ما جالَ أقوى العاملينَ مَجالى

إن لم أعنكم بالفِعال فإننى ... ما زلت من أعوانكم بمقالى

فاليكمُ هذا الثنــاءَ مخلّدا ... من مادحٍ فى المدح غيرِ مغال

شاعر البشر

حَيَّهَلْ يا أخا مُضَرْ ... نَدَّكِرْ خيرَ مُدَّكَرْ(٤)

نَدَّكِرْ شاعر البشرْ ... خير من قال وافتكرْ

* * *

حَيَّهَلْ أيهــا المَلاَ ... نُحْيِ ذِكرى أبى العَلاَ(٥)

شاعرٍ شعرُه اجتلى ... صُوَرا كلُّها غُرَرْ

* * *

---

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة فى الحرب .

(٢) حوالى : حولى .

(٣) الرفد : العطاء . والنول والنوال : العطاء .

(٤) حيهل : اسم فعل أمر ، معناه : أقبل . وأخا مضر : هو من : ينسب إلى مضر . وهم من ولد إسماعيل . أما اليمنيون فأولاد يعرب بن قحطان . ولعل الشاعر هنا يريد جنس العرب مطلقا ، مع غض النظر عن أصولهم الأولى ، وآية ذلك أن القصيدة فى الدعوة لذكرى شاعر البشرية الأكبر ، أبى العلاء المعرى ، وهو من تنوخ ، وتنوخ من قحطان ، لا من مضر . وندكر أصله نذكر بذال مدغمة ، فأبدلها دالا .

(٥) الملا . أصله : الملأ ، وهو جماعة من الناس ، أو أشراف القوم وعليتهم .

شاعرٍ عِلاْ القضَا نَفْسُهُ صَعْبة الرِّضا
دونَه كل من مضَى دونه كلُّ من غَبَرْ(١)

* * *

هو بالفكر مُذ سَمَا كان من نوره العَمَى(٢)
شاعر الأرض والسَّمَا شارفَ الشمسَ والقمر(٣)

* * *

حلَّ فى ذِروة الأَدبْ آتيا منــه بالعَجَبْ
لا تقل شاعرُ العربْ إنه شـاعر البشر

* * *

جعل الصدقَ دَيدنَا تاركاً هذه الدُّنَا(٤)
إنْ تَنَاءى أو ادَّنى فهو للحق ينتصِرْ

* * *

عبقرىٌّ بشـعره عالَمِىٌّ بفكرِهِ(٥)
يَعـرُبِىٌّ بنَـجْره تشرُفُ العُربُ إن ذُكِرْ(٦)

* * *

---

(١) من غبر : من يأتى فى المستقبل . وقد يكون غبر بمعى مضى ، فى غير هذا الموضع .
(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .
(٣) شارف الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .
(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مداهنتهم ومراءاتهم بقول الكذب .
(٥) عبقرى : منسوب إلى عبقر ، ينسب إليها كل شىء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويحلق فى ذرها ، واصفا أحوال البشر ، مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيهم .
(٦) يعربى : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والنجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحيَهُ مُوقظاً فيه وَعيهُ
ما ورى فيه وَرْيَهُ قبله كل من شَعرْ [١]

* * *

خطَّ سِفْرا به ابتغَى غُنْيةَ الروح بالرُّغي [٢]
جامعاً أفصح الثنا حاويا أكبر العِبَر

* * *

حكّم العقل واجتهد وتغابى عن القَدَرْ [٣]
هو فى القول ما اعتمد غير ما ذاق واختبرْ

* * *

شعره شَفَّ عن دَها ماله فيه مُنتَهى [٤]
بنظام هو النُّهَى وحروف هى الدُّرر [٥]

* * *

شعره شعر مُتقِن فيه شك لموقِنِ [٦]
فيه كفر لمؤمنِ فيه إيمان من كفر [٧]

* * *

نفسه وهْى ثائرهْ تركَتْ (غيرَ خاسِرهْ) [٨]
كُلَّ دنيا وآخرهْ ونفت كل ما استقرْ

---

(١) « ما ورى فيه وريه » أى لم يقدح شاعر زناد فكر ، ولا أتى بمثل ما أتى به أبو العلاء من المعانى.
(٢) الرغى ، بضم الراء وفتحها : الحديث غير الصريح . « وخير الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليه شيئا من إسعاد الناس أو إشقائهم . يقال : تغابى عن الشىء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو فى الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد أن نظم أبى العلاء الشعر محكم إحكاما لا خلل فيه ، كأنه من العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن فى دينه .
(٧) يريد أن شعر أبى العلاء بعضه مما يكفر بقوله المؤمن ، وبعضه إيمان خالص ، فهو جامع لظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جملته لا يطلب حظا فى دنياه ولا آخرته .

جعـل الحقَّ ذوقَه باذلًا فيـــه طَوْقَه[1]
شاعرٌ ليس فوقه شاعرٌ من بنى البشر

* * *

شاعر الأرض والسَّما هو بالفـكر مُذ سَما
أبصر الحق بالعمَى لم يَضِره عَمَى البصر

* * *

هو بالشعر إن شدا يتجلى لك الهُدَى
مدْرِكاً أبعـــد المدى بالمعانى التى ابتكر

* * *

جانَبَ الناسَ واعتزلْ قائلًا إنهم هَمَـلْ[2]
شرّهم غير محتملْ خيرهم غـــير منتظرْ

* * *

دينهم من ريائهم وهو فى أغبيائهم
ليس فى أذكيائهم غيرُ من مان أو مكرْ[3]

* * *

ما بهم غير حاسدِ دائب فى المكايد
مُبغَى كلِّ واحــــدٍ منهمُ الجورُ إن قَدَرْ

* * *

كوكبٌ قد توَقَّدا فى سماء من الهُدَى
عند ما غَمَّهُ الرَّدى أظلم الجوُّ واعتكرْ[4]

* * *

(١) جعل وجدانه زائده فى تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاعته .
(٢) الهمل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه ويرعاه .
(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .
(٤) غمه الردى : ستره الموت .

ليسَ للموتِ عندهُ من تقاريع بَعْـدَه[1]
إن عَرا الحيَّ رَدَّه فاقد الحسّ كالحجرْ

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مَصِيفٌ ولا شِتا لا نَعِيمٌ ولا سَقَر

* * *

نحن أسْرَى ذواتِنـا خشيةً من مَماتِنا
كم وكم فى حياتنا مبتدا ما له خبر

ذكرى المآثر التيمورية

وهى من أواخر شعره

« لأحمدَ تَيمورٍ » مآثرُ لم تزَلْ تشيرُ بتعظيمٍ إليها الأناملُ[2]
شوامخُ كالأطوادِ عاليةُ الذُّرا ولكنَّها لا تَعْتريها الزلازلُ
تزيدُ على كَرِّ الجديدين جِـدَّةً وتَبْلَى الدواهى دونها والغَوائلُ[3]
إذا ذُكِرَتْ فى القوم حُلَّت لها الْحُبَا
وقام لهـا جمعٌ من القوم حافلُ[4]
هو العالِم الحَبْر الذى كان علمُه كأخلاقه فيه النُّهى والفضائلُ[5]
إذا لم يزن علمَ الفتى حُسْنُ خُلْقه فما هو فى شىء على الناس طائلُ

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذى بأيدينا ، وقد تقرأ : تفاريع ، وهى غامضة
(٢) المآثر : جمع مأثرة ، وهى ما يبقى ويروى خبره من المفاخر .
(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهى المهلكة . وفى الأصل المنقول عنه ، وهى جريدة « البلاد » التى نشرت القصيدة : القواتل . ولعله تحريف .
(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهى ما يشد به العربى رجليه إلى ظهره من شملة أو عمامة أو نحوها ، إذا جلس فى ندى قومه . وحل الحبا : كناية عن الاهتمام بالأمر ، يقال للشىء المهم : هذا أمر تحل له الحبا . والجمع الحافل : الكثير العدد .
(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدتْ «مصرُ» العزيزةُ فاضلا ... له فى مغانيها مَساعٍ فواضل
أقام بها ما فاقَ فى الفضل نيلَها ... خزانةَ كُتْبٍ تنتحيها الأفاضل (١)
مناضدها للتائهين معالمٌ ... وأسفارها للظامئين مَناهل (٢)
إذا غُمّ أُفْق العلم أبدت أثارةً ... تقوم بها للحائرين دلائل (٣)
عليه سلامُ اللهِ ما هِيبَ عالِمٌ ... وعِيب بإهمال التعلّم جاهل
ولا برحت مصرٌ ينير لها الدجى ... رجال عظام من بنيها أماثل

الأعظمية : ١٤ كانون الثانى سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبى

كان أبو الطيب امرأً قوله ... يبتكر الشعر مذكيا شُعله
صاحب نفس كبيرة شرفت ... فشرفت حله ومرتحله
كان هو الشاعر الذى انتشرت ... اشعاره فى البلاد منتقله
أوجد للشعر دولة عظمت ... به فعزت من قبله دوله
من كل معنى أغر موتلق ... فى لفظة كالعروس فى الحجله
وربما برق لفظه فبدت ... فى شعره كل كلمة ثمله
وربما لم تبن مقاصده ... لأنها فيه غير مبتذله

* * *

فسائلن عن قريضه حلبا ... كم قطفت من زهره خصله
خلد ذكرا لسيف دولتها ... أيام وشى بمدحه خلله

(١) تنتحيها : تقصدها .
(٢) مناضدها : جمع منضد ، وهو الخوان ترتب عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .
(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشىء ، كذا فى جريدة « البلاد » ولعلها محرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته وشاعر بالمديح قد صقله

* * *

لو حاز موسى مضاء عزمته ما تاه فى التيه عندما دخله
وهو الذى اجتازه بيُعْمُله تحمل منه الهام لا التكله
قد بات كافور من جراءتها على للوابى بمهجة وجله
إذا عجزته بالسير عن طلب لا خيله تخشى ولا أبله
فسل به النيل يوم ناقته تغمرت منه وانتحت جبله
كيف أتى مصر كالعقاب لكى يبلغ فيها بشـــعره أمله
وكيف أحيا بالمدح أسودها ثم وشيكا بهجوه قتله

* * *

فى شـعره حكمة مهذبة وروعة بالذكاء مشتعله
ونغمة بالشعور صـادحة وصنعة بالفنون متصله
قدرته فى البيان واسعة يتيه فيها السؤال والسأله
إذا المعانى بشعره ازدحمت ما ربكت فى انتقائها حيله
كم شاعر قد قفى له أثرا وناقد راح يبتغى زلله
فأخفقوا عاجزين عن درك لبعض ما كلّه تيسرّ له

* * *

قل لابن عباد أى منقصة من أجلها كنت مكثراعذله ؟!
أمن شعره والعصور ما برحت تسعى بكل استجادة قِبله
لكنها زمت من مدائحه ما لم تكن سالكا له سبله
طماعة منك غير واعية وهى لعمرى حماقة وبله

* * *

أكبر من أكبر القريض به　　وأكبر القاتلين من قتله
يا قاتليه لو تعلمون به　　اذاً قتلتم نفوسكم بدله
قتلتم الشعر والاجادة والأ — م — بداع يا الألم القتله
لستم بذا القتل من بنى أسد　　بل أنتم فيه من بنى ورله

* * *

لم يزل الدهر بعد مقتله　　يضرب فى الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة　　بدائع فى القريض مرتجله
يصطاد فى الشعر كل شاردة　　من القوافى بفطنة عجله
فلا تقسه بغيره أدبا !　　وهل تقاس المعطار بالتفلة !

* * *

كم شاعر يدعي وليس له　　من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزءا　　رجعت منه كآكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به　　من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت　　فنسقت فى بلاغة جمله
وكلما قصرت قوالبه　　عن حسن معناه أوسعت خلله
حسن المعانى بلفظها شوه　　كحسن حسناء ثوبها سمله

* * *

من ذاق فى الشعر طعم معجزه　　فأحمد الشاعر الذى أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت　　بالشعر يوما ولم يكن بطله
كان عزيزاً يأبى الهوان فما　　قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهرى

ما أوحته إلىّ قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافى تحت هذا العنوان القصيدة التالية ، رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدى الجواهرى نشرها فى صحيفة « البلاد » وقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عند ما ناغينا الشاعر العربى العظيم الأستاذ « الرصافى » ، أن يكون لنا شرف تذكره وهو فى عزلته الموحشة . فكان لنا إلى جانب ذلك أيضا شرف ابتعاث شاعريته العذة ، التى حالت حوائل المرض والانعزال و « النقمة » ، دون تمتع المعجبين فى شتى الأقطار العربية بنتاجها .

أما وقد هززنا الأسد الرابض الضائق درعا بعرينه ، المطوى على نفسه ألما وغضا وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زئيره .

فليضم المعنون بشعر الأستاذ « الرصافى » هـــذه الترنيمة الجديدة إلى مجموعاتهم ، وهذه « الزهرة » الحارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .

وسلام على « عيش » الشاعر المتمرس « بالأولى » ، والمتفكر فى « الأخرى » هذا العيش « الحر الطليق » الذى حاققنا كلمة « وفضلت » فى التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبيعته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافى » المتفتق نوره عن الذهن المشبوب ، والفكر الحائر ، والنفس الجائشة ، والمستجيشة بفيضها ، والقلب المترع بالعواطف الزاخره ، والراح بصاحبه فى شتى المهاوى .

ذلك « الشعر » الرصافى » الذى أعجبنا ، لأنه لم يكن « حبلا » مرغمة « أوائله أن تلتقى والأواخرا » . وذلك « العيش » « الرصافى » بماضيه وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » ، بل بوحى من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « محض الطبيعة » ، وفى بعض الفترات منه بوحى « الضرورة » . وهذه هى عناصر عظمته عند وفى هذ جر ب « الاستعتاب » الرقيق .

قال الرصافى :

بك الشعرُ لا بى أصبحَ اليومَ زاهرَا ... وقد كنتُ قبلَ اليوم مثلَكَ شاعرَا

فأنت الذى ألقتْ مقاليدَ أمرها ... إليهِ القوافى شُرَّدا ونوافرا

إذا قُلتَ شِعْرا قلته فى بَداعة ... فكان به المعنى بديعا وباهرا

وإن أنتَ أطلقت النفوس من الأسَى

بإنشاده يوما أسَرْتَ المشـــاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذِروة ... هَوَى النجم عنها صاغرا متقاصرا
وإنك أرقى الناطقين تكلما ... بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
إذا شيْء ظلمٌ قمت للظلم رادعا ... وإن سِيء حقّ قمت للحق ناصرا

* * *

لئن كُنتَ تُنمَى للجواهر نسبةً ... لقد كنت تحلو بالبيان جَواهرا
نماك أبٌ بالعلم شيّد مجدَهُ ... وخلّد منه فى الزمان المآثرا
ومدّ من الآداب فيه سُرادقا ... وأكثر فيـه للبنينَ المَفاخرا
فلا عَجَبٌ أن تنظِم الشعر رائعا ... أنيقَ المعانى زاهىَ اللفظ زاهرا
وقد تبصر الماء الزُّلالَ به القَذَى ... فتُغمِضَ عنـه بالإباء النواظرا

ما أوحته إلىّ قصيدتك :

ألا إننى رَغْمَ انتباهىَ لم أزلْ ... بأكثرِ ما قد قلتَه أنت حائرا
تحدثتَ عن ماضٍ حديثا مُجَمْجَما ... كأنك فيه لم تكن لى عاذرا
وما كنتُ مختاراً كما أنت قائل ... من العيش مالولاه ما كنتُ شاعرا
ولا اخْتَرْتُ عَيْشا بَيْنَ مُوَسَّطًا ... ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
ولـكن هى الأقدار تجرى بغير ما ... يريد الفتى جريا على الأمر قاسرا
فتجعل ليثَ الغاب يتلو فُرانقا ... وتترك صَقر الجوّ يخشى القَنابرا
وكم أقدرت من كان فى الناس عاجزا ... كما أعجزت من كان فى الناس قادرا
وما المرء إلا مُجْبَر فى حيـاته ... وإن ظنّ فيها أنه كان خائرا[1]
وُلِدْنا وعِشْنا ثم مُتنا وكلٌّ ذا ... على غير إذنٍ جاء بل جاء دامرا

* * *

أجَلْ كنتُ من بَينِ الحياتين آخذا ... بواحدة تأبى القسيمَ المغـايرا
وجادلنى قوم بغـــــير دِراية ... ولست أبالى ذا العنادِ المـكابرا

(١) خائرا : مختارا .

وَأَسأَلُ فامْنُنْ بالجواب تَفَضُّلا   سؤالا عن استغنائِيَ الخِلَ صادرا؟

أأنت الذى فضلت عيشا معينا   لنفسك حتى كنت فيه المُشاوِرا؟

فصرت به فى القوم شاعر مجدِهِم   إذا قلت شعرا جئت بالشعر ساحرا؟

إذا كان هذا هكذا منكَ واقعا   فقد كنتَ فى حسن اختيارك ماهرا

علامَ إذن تشكو وشكواك كلها   كشكواىِ تُدْمِى بالبكاء المحاجرا

ومن ذا الذى قدعاش فى الناس راضيا   ومن ذا الذى قدعاش فى الناس شاكرا؟

ولو كان عيش الناس وَفْقَ اختيارهم   لما كنتَ تَلْقَى شاكيا أو مخاطرا

* * *

لَحَى الله دنيا كلُّنا من جَرَائها   نخوض الرزايا راكبين الضرائرا

ونحن مدى الأيام نشكو بعيشنا   فسادَ نظام يجعل الكد بائرا

نرى واحدا يقتاد ألفا لعيشه   وينظر للألف المسخَّر ساخرا

ولو وُزِنت أعمالهم باقتداره   لكان بها كينونة الصِّفْر شاغرا

فما عاش فى محياه عيشا مُرَفَّها   من الناس إلا من تحيَّل ماكرا

شقاء على كر الجديدين آخذ   بأعناقنا إلا القليل الماكرا

* * *

وما الشعر بالحبل الذى قد ذكرته   ولكنه بَرْق تموَّج دائرا

فما الشعر إلا من بروق دوائر   تدورُ أواليها لتلقى الأواخرا

إذا لمعتْ فوق الطُّروس فإنها   ترد إلى التبر المذاب المحابرا

وقد برأ الله العوالم كلَّها   دوائر فيها حار من ظل فاكرا

نرى كل شيء عائدا نحو بدئه   إذا نحن حكمنا النُّهَى والبصائرا

* * *

إذنْ لم أكن فى عالَم الشعر مُرغما   لأوله حتى يُلاقىَ آخرا

نعم كنت فى تلك الأماديح شاتما   زمانا يُوالى كل من كان جائرا

وكنت بذاك المدح للمدح هاجيا ... وكنت بذاك الشعر للشعر حاقرا
إذا الدر أمسى كالسَّخاب مُحقَّرا ... شددت به للنابحات سواجرا[1]
وما العار فى هذا علىّ وإنما ... على من أضاعوا مجدَهم والمفاخرا

الثناء المخلد

ألا بلغوا عنى رسالةَ مُنْشِدٍ ... أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدِ
رسالةَ من لا يُنْشِد الشعر مادحاً ... به الناسَ إلا شاكرا غير مُجْتد
ألا يا بن عيسى بنِ الهُمام محمد ... وأكرمَ من يُنْمَى لأكرم مَحْتِد
سأقرِض فى شكرى لك الشعر خالداً ... وأرسله نُوراً به الناسُ تهتدى
أقيّده بالمدح والمدح مطلَقٌ ... وأطلق فيه الحمد غير مقيَّد
أرجِّع فى الإنشاد أنغامَ لَحْنه ... بصوت كصوت البلبلِ المتغرّد
وأجعله شعراً إذا ما تُنُوشِدت ... قوافيه يوماً أسكتتْ كلَّ منشد
عليك به أُثنى ثناء مخلدًا ... ومثلك أهلٌ للثناء المخلد
وقفتَ من العَلْياء فى خير موقفٍ ... وشوهدت بالإحسان فى خير مَشْهَد
وجدّدْتَ مَجْداً غير بالٍ وإنما ... بمسعاكَ زادت جِدَّةُ المتجدِّد

* * *

تفقّدْتَنى فى العيشة الضنكِ منعماً ... فيالك فى الإنعام مِن مُتفقِّد
على حينَ قد أنسى الرجالَ زمانُهمْ ... ذَويهمْ ومن يختصُّهمْ بالتودُّد
ومدَّ أحابيلَ القطيعة بينهمْ ... وأقعدهمْ للشرِّ فى كل مَرْصَد
وأغلى غَلاء فى المعيشة فاحشا ... يروح به ذو الاحتكار ويغتدى

---

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو القلادة التى توضع فى عنق الكلب .

الرصافي يقرض كتاباً للزهاوي

هذا كتاب فيه يتضح المدى ... علناً فتسطع للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلى ... فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الأفول المشرق

أيها الأنجم التي قد رأينا ... عبراً في أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروقاً ... في دياجير طالع منحوس
وسيأتي الزمان منه بسعد ... تنجلي منه داجيات النحوس
شنقوكم ليلاً على غير مهل ... ثم دسوا جسومكم في الرموس
أفكانوا في ظلمة الليل تجراً ... هربوا المال من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المريب يواري ... فعلة السوء منه بالتغليس
شنقوكم لأنكم قد أبيتم ... أن تكونوا في ربقة الانكليس
فأستحقوا اللعن الذي كرر ... خاليات القرون في ابليس
سيديم الزمان لعناً عليهم ... شائع الذكر في بطون الطروس

* * *

أيها الأنجم التي تركتنا ... في أسى من مصابها محسوس
في سبيل الأوطان متم ففزتم ... بأجل التمجيد والتقديس
وستبقى الذكرى لكم ذات رمز ... هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجرى احترامكم في مجاري ... شرف خالد لكم قدموس
ان يوماً به نعيتم الينا ... يوم بؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولاً وشؤماً و بغياً ... وتلظ بجمر نار المجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا ... فى شحوب وغيرة وعبوس
إذ سكتنا وفى القلوب ارتجاج ... مثل تيار لجة القاموس
وأطلنا عن الكلام سكوتا ... معربا عن نشيجنا المهموس
ووجمنا حزنا ورب وجوم ... يتأتى من صاخبات النفوس
برأت ذمة المروءة منا ... ان نسى يوم شنقكم أو تنوسى

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار فكرى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقفت ... لا على عين ولا أثر

* * *

يا واحد الذات كثير السمى ... ومن تجلى ظاهرا واحتجب
أنت لدى الفرس تسمى خدا ... أنت تسمى الله عند العرب

* * *

أوّلٌ أنت ولكن أول ... ما له فى سانح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر ... ما له فى راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحية ... إليك أزين اليوم بدء خطابى
فإنك أهل للتحيات كلها ... وما أنا فيها أدّعى بمحاب

إلى البطل عبد الكريم الريفي

أعبد الكريم وأنت البطل   وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قر سيفك فى غمـــده   فما ذاك من خور أو ملل
ولكنما دهرنا قلب   وأيامه من قديم دول
تهز البطولة أعطافها   إذا ما جعلناك فيها المثل
سيخلد ذكرك فى الناهضين   وتثنى عليك الضبى والأسل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه   فأرتنى محاســـنا فتانه
حيث طارحتها الغرام ببيت   بالمرايا قد زوقوا جدرانه
فكأنى وقد نظرت لمعراها   من النور مبصر اسطوانه
وتجلى خيالها فى المرايا   حاكيا من جمالها أعيانه
فتأملت فى تقاطيع جسم   جعل الحسن كله عنوانه
ظللت أرنو إلى الجمال بعين   يشتهيه وتتقى هجـرانه
فأريها من الغرام فنونا   وتريني من حسنها افتانه
ثم أسلمت للمليحة قلبا   أوجب الحسن بالهوى إيمانه
وتقحمت موهج الحب حتى   أصبح القلب صاليا محمعانه

* * *

هاك من وصفها و إن شئت فاعذر   أو فلم تملك الغرام عنانه
هى غمازة اللحاظ لعوب   ذات دل ظريفة لحانه
بضة ، نعمة ، لميس ، رداح   غادة ، أحورية ، بهنانه
ناهد النودلين محطوطة المتنــين   خود رجراجة وركانه

خدلة ساقها مهفهفة الخصر كعاب ، براقة ، سيقانه
ذات وجه كأنه بدر تمّ وقوام كأنه خوط بانه
لو رآها كسرى الملوك لخلّى ملكه تاركا لها ايوانه
عقصت شعرها وقد زينته بحلى من نقارس مزدانه
فحكى شعرها على الرأس تاجاً وحكت فى جلالها خاقانه
وتدل قرط بسالفتيها رصعت فيه ماسة بجانه
فحكى قرطها بقرب المحيا زهرة الجو قارنت زبرقانه
وأظلت جبينها وهو صبح طرة غيهبية ، فينانه
فكأن الجبين باقة نسر يسن تدلت من فوقها ريحانه

* * *

وقفت لى عريانه فتقدمت إليها بذلّة واستكانه
فتمشت تخلعا وتثنّت وتلوت كأنها خيزرانه
ثم صدت فأدبرت عن دلال ثم عادت فأقبلت عن مجانه
ولقد راعنى وزاد فؤادى ولهاً ما رأيت تحت المانه
ركبا ، كثبا ، عضوضا ، مصوصا ناشزا ، ذا بضاضة ورزانه
مشرف السطح رابئا ذا انتصاب حامى الجوف ضنكه ، ريانه
قد حكى كومة من اللؤلؤ الرطب وإن كان فاقها أثمانه
نعمة العيش أترفته وأخلت أسكتيه من الأذى وعجانه
عطر الريح قد تشممت منه إذ تشممته شذى أقحوانه
وشربت الرحيق وهو تجاهى جاثم فاتخذته فنجانه
لو رآه العنّين يوما لأمسى مبرأ من رخاوة وعنانه

* * *

شغفتنى تلك المليحة حتى   علمتنى بكر الهوى وعوانه
سلست فى انقيادها بعد أن قد   أظهرت لى تمنعا وحصانه
فدعتنى إلى الـكفاح بغمز   كررته من عينها الوسنانه
وغدت فى تجضمّ واعتلاج   بشفـاه وردية غيسانه
واضعا فاى فوق فيها كل   قد أمضى الضجيع منه لسانه
فغدت فى ارتهازها تتلـكا   بكلام لا تستتم بيانه
ثم قالت وقد ذوت مقلتاها   وشكت من فؤادها خفقانه
أطعن الطاعنين للضادِ من بالضاد   قد أنطق الأله لسانه

فى دار النقيب

أما وقد طلع الرجاء   يشع أنوار السرور
فى دار مولانا النقيب   بوجه مولانا الأمير
فاذهب لشأنك أيها   اليأس المخيم فى الصدور

* * *

ماذا يريد المرجفون   بكل بهتان وزور
من بعد ما بدت المنى   للقوم باسمـة الثغور
فى دار مولانا النقيب   بوجه مولانا الأمير

* * *

ماذا يخاف القوم من   ميل الزعانف للنفور
بعـد اقتران النيرين   الساطعين بكل نور
فى وجه مولانا النقيب   ووجه مولانا الأمير

* * *

سمد النقيب إلى الأمير يد المعاضد والنصير
فلينخر كل مشاغب في القوم يلهج بالشرور
وليحى مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

مما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من الغاصب وعاد ممنوحاً إلى النائب
عالم بغداد وإنسانها والمنهل العذب إلى الشارب
تختلف الناس إلى فضله من ذاهب منهم ومن آيب
في علمه ووعظه تهتـــدى وتقتدى فى رأيه الثاقب
والبشر قد لاحت أساريره بجبهة المطلوب والطالب
ودار شرع الله مزدانة فى جانب تزهو إلى جانب
بعد ظلام دامس أرخوا أشرق شرع الله بالنائب

١٣٢٠ هـ

تحت تصوير النائب

مذ غاب عنّا فى المنية شخصه فانظر إلى تصويره من غائب
تلقى المعانى المعربات عن العلى فى صورة لأبى الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

ومحب ذى أدب أتى مستنشداً شعراً أنوّه فيه بالعلاف
فأجبته عبد الكريم محلق من شعره بقوادمٍ وخوافى
فلكم سمعت له قوافى جمّة كانت لعمر الله خير قوافى


الحريقيات

للرصافي عدة قصائد قالها في وصف ما شاهد في الاستانة من الحريق الذي يكثر وقوعه في تلك المدينة ، فرأينا أن نثبت تلك القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفة عند شراغان[1]

أصبحتُ أعْذِل نوّاباً وأعيانا عَذْلاً كنار تلظَّت في «شراغانا»
قصرٌ أطلّ على البسفور مرتفعا إليه يَشْخَص طَرْفُ العقل حيرانا
ذو زُخْرُفٍ يُبهج العينَ التي نظرت حتى تراه لها نورا وإنسانا
راقتْ مبانيه إتقانا وهندسةً مستوقِفا صنعُها من مَرّ عجلانا
كلُّ القصور عَبيد وهو سيّدها إذ كان أكرمها صنعا وبنيانا
يمشي المهندسُ فيه وهو ينظره مشيَ المقيدِ يستقصيه إمعانا
يضمّ كفيه للإبطين منبهرا مقلِّبا في الأعالي منه أجفانا[2]
عرشٌ به تعرف الناس الجلالة إذ لاح الجمال على مبناه ألوانا
لو كان عرشا لبَلقيس لما خضعت للأمر حين أتاها من سليمانا
فيه الحوادث أمست وهي ناطقة بألسن دَلَعتها فيه نيرانا[3]
فلو رأيتَ وقد شبّ الحريق به والريح تَصْفِق للنيران أردانا[4]

(١) « شراغان » : قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور فخامة في الآستانة ، وأدقها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثماني أتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك بسعي من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافي في الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليدين إلى الإبطين : من علائم الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهد منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشي في هذا القصر تأخذه الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه في أعالي بنيانه .

(٣) أي أن الحوادث قد نطقت في هذا بألسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذي يمتد على شكل اللسان . وقوله دلعتها : أي أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجه من فيه .

(٤) الأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم ، أو طرفه الواسع .

رأيت ملكا كبيرا ثَمَّ محترقا   يذيب منه لهيبُ النار عِقْيانا[1]
طالتْ به أَلْسُن للنار تلحَسُه   لحسا يَدُكُّ قُوَى البنيان إيهانا[2]

* * *

يا دُرَّةً فى ضفاف البحر ضيعها   قوم وكان بها السفور مزدانا
كم قد أضاءت بوجه البحر مشرقةً   ورصّعت من رءوس الهَضْب تيجانا
يأيها القصرُ مذ أمْسيتَ محترقا   أبكيت فى البحر أسماكا وحيتانا
لم يُبْقِ منك لهيبُ النار باقيةً   ولا لدى القوم أبقى عنك سُلْوانا
مَعاوِلٌ من شُواظِ النار هادمةٌ   يا لَلعجائب كالأطواد جدرانا[3]
قمنا أمامك والنيران صائلة   تدكّ منك على الأركان أركانا
كم هدّة لك بين النار تفزعنا   حتى نخالك منها صرت بركانا[4]
يهتزّ فيك لهيبٌ حين نبصره   نهتزُّ بالحزن أرواحا وأبدانا
فأنت تملأُ صدر الجوِّ أدخنة   ونحن نملأُ صدر الأرض أحزانا
ماأشرف القومَ لوكانت مدامعهم   مطافئا لك تُجرى الدمع غُدرانا
ويل لِمُرْتَئِسٍ قد قام مجتهدا   يسعى بجعلك للنواب ديوانا
حتى إذا كنت للنواب مجتمَعا   بانت عواقبُ ذاك السعى خسرانا
للنار فيك حسيسٌ كنت أحسبه   ضحكا على مَن بسوء الرأى أبكانا[5]
أشكو إلى الله قلبا لا يطاوعنى   ألاّ أكون على الأوطان غَيْرانا
يا قومِ إن بصدر الشعر موجِدةً   لا يستطيع لها سترا وكتمانا
ما بال نوابنا أمسوا نوائِبَنا   إذ لا يبالون مكروها تغشّانا

---

(١) العقيان : الذهب الخالص .

(٢) اللحس : لعق الشىء باللسان ، ولحسا : مفعول مطلق ، والجملة بعده : صفة له . وإيهانا : أى إضعافا ، تمييز محول عن الفاعل ، والأصل يدك إيهانه قوى البنيان ، أو هو منصوب بنزع الخافض ، أو بإيهان .   (٣) الشواظ : اللهب الذى لا دخان فيه ، أو حر النار .

(٤) الهدة صوت وقع جدار أوصخرة أونحوذلك . والبركان : جبل النار . وهو من معربات المولدين .

(٥) المراد بالحسيس هنا صوت اشتعال النار وتلهبها .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملا ... حتى أرادوا اجتماعا فى شراغانا
هم يطلبون قصورا ينعمون بها ... ونحن نطلب للأوطان عمرانا
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة ... لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانا
قد ضيّعوا الحزم حتى إنهم ندموا ... على الذى كان منهم بعد ما كانا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغتبطا ... وتارك الحزم لا ينفك ندمانا
وأحزم الناس مَنْ إن نام بات له ... طَرْفٌ على حدثان الدهر يقظانا
أين الطريق إلى العلياء نسلكها ... فإننا لم نزل يا قوم عميانا
لا الشعبُ يخلع أثوابَ الخمول ولا ... نوابه يلبسون الصدق قمصانا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها ... ما أسعدَ الناس فى الدنيا وأشقانا

أم الطفل فى مشهد الحريق[1]

ما للديارِ تراءى وهى أطلالُ ... هل خَفَّ بالقوم عنها اليوم ترحالُ
كانت بها السَّمُراتُ الخضر زاهيةً ... واليوم لا سَمُر فيها ولا ضَال[2]
ما بالها وهى أقفاصٌ مبعثرة ... تُغير فيهن أبكار وآصال[3]
هل هدَّ بنيانها من فوقُ صاعقة ... أو هدّ بنيانها من تحتُ زلزال
بل قد عَفتْها ولم تترك بها أثرا ... ريحٌ لها من لهيب النار أذيال[4]
شبَّ الحريق بها ليلًا مشيّدةً ... فما أتى الصبح إلا وهى أطلالُ
أثارت النار فى أطرافها رَهَجاً ... من الدخان كأن النار أبطال[5]
حتى حَكَت مَعْرَكاً خرّت بِساحته ... صرعَى بيوتٌ وأموال وآمال

(١) هذه القصيدة قيلت فى حريق شب فى حارة الفاتح من مدينة إستانبول ، وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات ، فتركها قاعا صفصفا .

(٢) السمرات : جمع سمرة بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من العضاه . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أى مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درستها ومحتها .

(٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تحرّقها دار الشقاة وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نقعَ غلّتها لحظَ المهجّر إذ يبدو له الآل[١]
تنهال كالرمل بالنيران أدؤرها حتى تكاد لها الأرواح تنهال
يا ريحُ مهلّاً فلا تذرى الرماد بها إنَّ الرماد الذى تذرين أموال

* * *

قد رحتُ للحىّ مذعورا أيمّمه ولى عن الزُّمر الباكين تسآل[٢]
وفى العِراصِ ديارُ القوم خاويةً وفى الشوارع نسوان وأطفال[٣]
جلسن والشمسُ فوق الرأس دانيةٌ وللغبار بعُرض الحىِّ تجوال
ولا خمار فيرددن الغُبارَ به ولا يقيهنَّ حرَّ الشمس سِربال
حتى وقفتُ وقلبى كله جزع وأدمعى لُجَجٌ طورا وأوشال[٤]

* * *

ما أنْسَ لا أنس أمَّ الطفل قائلة وفوق وجنتها للدمع تَهْطال
إنى تجرّدتُ من دنياى حاسرةً مالى سوى طفلىَ الباكى بها مال
أىّ امرىء بعد هذا اليوم ذى جِدَةٍ يعولنى حيث لا زوج ولا آل[٥]
أوْدَى الحريقُ بدارٍ كنت أسكُنها وكنتُ من بعضها للقوت أكتال[٦]
واليوم أصبحت لا دار ولا وَزَرٌ آوِى إليه ولا عمّ ولا خال
إن الحريق خَبَتْ نيرانُه ومضتْ وما خبت فى فؤادى منه أوجال[٧]

(١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة . وهى نصف النهار فى القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب . (٢) أيمه : أقصده .
(٣) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .
(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .
(٥) ذى جدة : ذى غنى : ويعولنى : يكفل معيشتى . والآل : هنا بمعنى الأهل .
(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن فى بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأستال بكرائها قوتى .
(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

يا ربّ رُحماكَ إني اليوم عاجزة   عمّا دَهَا وبظهرى منــه أثقال
يا ربّ قد ضقت ذَرْعاً بالحياة فما   أدرى حنانيك ربّى كيف أحتال

* * *

وعند ما قد شجانى من مقالتها   لفظ يقطّعه فى البين إعْوال
دنوتُ منها قليلا وهى باكية   ومن بكاها بقلبى هاج بَلْبال
حتى وقفت وإيناساً لوحشتها   حنيتُ رأسى وَحنى الراسِ إجلال
وقلت يا أختُ لا تستيئسى جزعاً   فإنما الدهر إدبار وإقبال
أتجزعين ابتئاساً بين أظهرنا   وكلّنا عنك للبأساء حمّال
مالى أراكِ بعين اليأس باكية   كأنّ أمركِ عنـد القوم إهمال
ألستِ من أمّة أيدى الرجال بها   قد فُكّ عنهنّ بالدستور أغلال(١)
حتّى لقد أصبحوا أبناء واحدةٍ   فى المَرزئات وهم فى الحكم أشكال(٢)
مستعصمين بحبلٍ من أخوّتهم   يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
أمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم   إذا تصادم بالأهوال أهوال
فاستبشرى اليوم فيما مسّ من ظَمَإٍ   بأنّ وردكِ عنـد القوم سَلْسال
وأن حقك عَوْلٌ فى مساكنهم   وما هُمُ بأداء الحقّ بُخّال

* * *

تلك التى قد شجتنى فى مقالتها   وكم لهـا فى نساء الحىّ أمثال
فهل يُصَدّق قومى ما ظننت بهم   حتى تقومَ لهم فى المجد أفعال
فالمجد يدرك مرماه البعيــد فتًى   رحبُ الذراعين طلقُ الكف مفضال
وأكثر المال حمداً ما يُعان به   مَن عضّهم من نيوب الدهر إقلال
ياقوم هذى سبيل العُرْفِ واضحة   فليمضِ فيها بكم وَخْدٌ وإرقال(٣)
ومن تَكُ الحال فيها لا تساعده   «فليُسْعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحال»

(١) لما وقع هذا الحريق كانت المملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول ألست من أمة الخ
(٢) وهم فى الحكم أشكال : أى متشاكلون متساوون .
(٣) الوخد والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الأثافي(١)

قالها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق باشا من مدينة إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

قَعَدَتْ بقارعةِ الطريق تَنُوحُ ... والطفلُ يجذب رُدْنَها ويصيح(٢)
تبكي وقد ضحك الحريق بدارها ... كالبرق يضحك في الدجى ويلوح
ضَحِيتْ وقد قَلَص الظلال فوجهها ... للشمس في وَجَناته تَلْويح(٣)
جرَّ الحريقُ على الديار ذيوله ... فجرى لذلك دمعُها المسفوح
ولقد وقفتُ حِيالَها ومَدامعي ... تَسْخُو سوى أن العزاء شحيح
فغدا يُلَقّنني الأسى من عينها ... لحظٌ برَقْرَاقِ الدموعِ سَبوح(٤)
يا أَيِّماً أجرى الغداةَ دموعَها ... بيتٌ بجائحةِ الحريق مجُوح(٥)
لا تَهْلِكِي جَزَعا فإن بيوتَنا ... ما للمُلِمِّ بأهلها تَسْريح
أعليكِ أنت تضيق كل ديارنا ... هذى وأكثرها ديارٌ فِيح(٦)
فاقنَيْ عزاءك فالحياةُ وإن أرت ... بعضَ السرور فكلها تَتْريح(٧)
قفْ بالديار فقد أناخ بها البِلَى ... وانظرْ فقد قَرِعت بهنَّ السُّوح(٨)
نزل الحريقُ بها فشتَّتَ شملَها ... فغدت عِراصا وهي قبلُ صُرُوح
بكَر الشُّواظ بها يُنَضْنِض أَلْسُنا ... من هَوْلِ مطلعها تَذُوب الروح(٩)
نشر اللهيبُ على البيوت مُلاءةً ... حمراءَ تَصْفِق جانبيها الريح

---

(١) هذه القصيدة قيلت في حريق حارة « إسحاق باشا » في الآستانة ، وهو حريق كبير كالذي قبله .
(٢) قارعة الطريق : اعلاه أو معظمه ، وهو موضع قرع المارة .
(٣) ضحيت : أى أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت في ستر . وقلص الظلال : أى انقبضت ، وذلك يكون في وقت الظهيرة . وفي وجهها تلويح : أى تغير وسفع .
(٤) رقراق الدمع : هو الدمع الذى يترقرق أى يتحرك في العين ولا يسيل .
(٥) الأيم : المرأة التى فقدت زوجها . والجائحة : النازلة العظيمة التى تجتاح المال ، أى تستأصله، ومجوح : أى مستأصل ، وهو صفة لبيت . والمراد أنها أبكاها اجتياح الحريق بيتها .
(٦) فيح : جمع فيحاء أى واسعة .
(٧) قنى : حفظ : وادخر . والتتريح : الإحزان.
(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أى خلت من الغاشية .
(٩) بكر الشواظ : أى أتى بكرة . والشواظ : لهب النار الذى لا دخان فيه . وينضنض ألسنا : يحركها . والمراد بألسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فتعبّست منه السماء وأمطرت ... نارا وقد أخذ اللهيبُ يسيح
وعلى الدخانُ على البيوت سحائبا ... برْق المهالك بينهنّ لُموح
أماّ الشّرار فكان ويلا مُنبتا ... نُوَبا برائحة الدمار تفوح
والشمسُ قد كُسِفت بجَوْن دخانه ... وبدت عليها سَفْعةٌ وكُلوح(١)

○ ○ ○

يا قومْ ساء مصيرُكم فإلى متى ... لا تسمعون لما يقول نصيح
هلّا أخذتم للخطوب عَتادَها ... كيلا يكونَ لها بكم تَبْريح(٢)
هذا الحريقُ وكل يوم ناره ... تغدو عليكم تارةً وتروح
فالنار ما برحت تفوه بألسنٍ ... ذُرْب وإن كلامها لفصيح(٣)
لِمَ لَمْ تَعُوا ما قلن قبلُ مكرّرا ... أوَ ما كفاكم ذلك التصريح
نمتم إلى نوَب الزمان فإن أنتْ ... قمتم كما يتململ المذبوح
وأهمّكم أدنى الأمور وفاتكم ... نظر إلى الامر القصيّ طموح
كم في الحوادث من نذير قد أتى ... فيكم بأسرار الزمان يبوح
أمّا الحريقان اللذان تقدّما ... فكلاهما شِقٌّ لكم وسطيح(٤)
قد أنذراكم بالخراب وأنبآ ... أنّ التراخيَ في الأمور قبيح
عجبى إلى تلك المصائب كيف قد ... نُسِيت ولم تبرأ لهنّ جروح
سَرعان ما تنسوْن عُظْمَ مُصابكم ... ولو أنّ شقّة منتهاه طَروح(٥)
لا تستنيموا للزمان فأخذه ... خَلْسٌ وقوس الحادثات ضَروح(٦)

---

(١) بجون دخانه : أي بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أي لون أسود مشرب بحمرة . وكلوح : أي عبوس واكفهرار .
(٢) عتادها أي عدتها . وتبريح : أي جهد وأذى شديد .
(٣) بألسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أي حديد .
(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان في أيام سطيح ، وسطيح : لقب كاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الذئبي .
(٥) شقته منتهاه : أي مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .
(٦) قوس ضروح : أي شديدة الدفع والحفز للسهم .

ديوان الرصافي

الجزء الثانى

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب

بجامعة فؤاد الأول



المراثي



المقبرة فما هي إلا خبوة ترتمي بها......

واصـــديقاه

قالها وهو فى الآستانة ، عندما مابلغه منعى
صديقه الشيخ محيى الدين الخياط فى بيروت .

تفكرت فى كُنْهِ الحياة فلم أكن ... لأزدادَ إلَّا حَيرة فى تفكُّرى
وكم بتُّ فيها أخبِط الليلَ راميا ... إليها بلَحْظِ الطارق المتنوِّر (١)
فلا أهتدى من أمرها لمقدّم ... ولا أنتهى من أمرها لمؤخّر
على أننى مهما تقدمتُ نحوها ... رجعتُ رجوع الناكِص المتقهقر
وَهبْها كما قَدْ قيل أحلامُ نائم ... أما فى بنى الدنيا لها من مُعبِّر
تأملتُ آثارَ الحياة فلم يَلُح ... لعينيَّ منها وجه ذاك المؤثِّر
سوى أننى آنستُ شعلةَ قابس ... تَوَقّد فى مُسْتَنّ هوجاءَ صَرْصر (٢)
فبَيْنا سَناها يُبهج العين لامعا ... أتته كقِطْع الليل هَبْوةُ مُعصِر (٣)
فما هى إلا حَبْوه ترتمى بها ... إلى ظلماتٍ صُبْحها غير مُسفِر
كذلك محيى الدين إذ غاله الردى ... فأطفأ منـه نيِّرًا أىّ نيِّر
عليكِ العفا بيروتُ هل لك بعْدها ... قضى فيك محيى الدين من متصبَّر
فتًى كان ركنا فيك للعلم والحِجاَ ... وغُرّ القوافى والكلام المحبّر
فقدنا به صَلْتَ الجبين مهذبا ... كريم سجايا النفس عفّ المؤزر
لقد عاش شيخا فى العلوم مقدّماً ... فما ضرَّه أن مات غير معمَّر
وما مات من أبقى طيّبَ الثنا ... لدى الناس من بادٍ ومن متحضِّر
نعاه لىَ الناعى فكان كأنه ... لدى نعيه أهوى إلىّ بخنجر

---

(١) خبط الليل : سار فيه على غير هدى . والطارق : الآتى ليلا . والمتنور : الذى يمد بصره لعله يرى نورا بالليل .

(٢) القابس : طالب النار . والمستن : الطريق الواضح . والهوجاء : الريح العاصفة التى لاتستوى فى هبوطها . والصرصر : الشديد البرد ، أو الشديد الهبوب .

(٣) الهبوة : الغبار تثيره فى الجو الريح الشديدة . والمعصر : الريح ذات الأعاصير .

ولو لم يكن شدّى الحيازيمَ دونه ... خَرَرتُ كما خرّ الصريع لِمَنْخَرِ (١)

خليليّ عوجا بي على قبرِ ماجدٍ ... ببيروت يحوى كل فضل ومَفْخر

قفا نحتقر دمعَ العيون تجـلّةً ... لمن فيه من ذاك الجليل الموقّر

ونندُب في مَلْحوده المجد والعلى ... ونسقيه غيثَ الدمع من كل مَحْجِرِ (٢)

عساها بذا نقضى له بعض حقه ... وإن حلّ أن يُقضَى بدمع محقّر

فى الملكوت الأعلى

قالها وهو فى الآستانة يرثى بها محمود شوكت باشا الصدر الأعظم ، الذى قتله أناس من حزب المخالفين .

لقد بتُّ مطروفَ النواظرِ بالسُّهْدِ ... تقلّبني فوق الفراش يدُ الوجدِ

تُساورني رَقْشاءُ من لاعجِ الجَوَى ... ويقدح فى قلبي الأسَى وارِيَ الزَّند

فأرقبُ تغويرَ النجوم بمقـلة ... تَرقرقُ فيها الدمعُ منفرطَ العقد

أقول وفرعُ الليل أسحَمُ والأسى ... يدبّ دبيب السّم فى العظم والجلد (٣)

متى يُسفرُ الصبح الذى أنا راقب ... أليس قميص الليل عنـه بمُنْقدّ

إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه ... كما أُصلتَ السيفُ الجُرازُ من الغمد (٤)

فما أنا إلّا غفوة فخيالة ... لدى العالم العلوى فى ربوة الخُلد

* * *

رأيتُ كأنى قمت حول سُرادقٍ ... من النور مرفوع الدعائم ممتدّ

أقاموا لواء الحمد فوق عماده ... وخَطّوا على حافاته سورة الرعد

وقد أشرقت ملء السموات حوله ... قناديلُ خُضْرٌ تستنير بلا وَقْدْ

وقد لاح لى محمود شوكت جالسا ... به فوق كرسىٍّ الجلالة والمجد

(١) الحيازم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والمنخر : الأنف .

(٢) الملحود : المدفون ، أى الميت وعجر العين : العظم الذى اثر بها .

(٣) الفرع : الشعر . والأسحم : الأسود . وصف الليل بالسواد ، فأتى له بالشعر لسواده .

(٤) الجراز السيف القطاع .

وفى يده سيفٌ أُجيدَ صِقاله | على أنه من صنعة الله لا الهند
وفى الرأس تاجٌ بالثناء مرصَّع | فُوَيْق جبينٍ مشرق بسَنا الحمد
وقد جلَّلته بردةٌ سندسيَّة | ومن تحتها درع إلهيَّة السَّرْد
و بين يديه زُمْرَةٌ من مَلائِكٍ | مجنَّحةِ الأيدى غُرانقةٍ مُرْد(١)
تُهنِّئه بالفوز طوراً وتارةً | تحيِّيه بالغَضّ الطرىّ من الورد
وقد قام من حول السرادق موكِب | عظيم به اصطفّت ألوف من الجند

* * *

فلمَّا رآنى واقفاً بحياله | وقد كنت بين الجند معتزلا وحدى
أشار أنْ اقرب يا رُصافىّ مالنا | نراك وحيداً قد وقفت على بُعد
فجئت وجسمى قد تغشَّته رَجْفة | كما يرجف المَقْرور من شدة البَرد
فقمت لديه وانحنيت أمامه | فقبَّلت بالتعظيم حاشية البُرْد
فقال لقد آنستَ إذ جئتَ إنّنا | عهدناك فى زُوَّارنا مُخلص الوُدّ
ولا ترتجف هوِّن عليك فإنّما | نزلتَ قرين الأمن فى منزل السعد
فأبلغ تحيَّاتى إلى الوطن الذى | سعيتُ إلى إعلائه باذلاً جهدى
وقل لبنيه إننى لست حاقداً | عليهم فمثلى لا يميل إلى الحقد
و إنِّىَ لمَّا أن تمثَّلتُ قائماً | بديوان ذى العرش الذى جلَّ عن نِدّ
طلبت لهم عفواً من الله سابغاً | وقلت له يا ربّ لا تخْزِهم بعدى
ويا ربّ إنى قد قصدتُ نجاحهم | فحقّق لهم يا ربّ ما كان من قصدى
وإنى لأرجو منك مَرْحمة لهم | وإن قتلونى ظالمين على عَمْد
فإنى أرى موتى بخدمة أمّتى | حياةً به طعم الشهادة كالشَّهْد
ألا فاهدهم يا رب للمجد والعلى | فما من مُضلّ فى الأنام لمن تهدى

---

(١) الغرانقة : ج غرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل .

وقال أتدرى من هُمُ الجنـد إنّهم
من استشهدوا فى حرب أعدائنا اللُّدّ
ألم ترهم دامِين حتى كأنما تسربل كلٌّ لِبْدَةَ الأسد الوَرْد(١)
فسوف بحول الله أرأب صـدعهم
وأغزو العدا فيهم على الضُّمَّر الْجُرد(٢)

* * *

وأذَّنَ فى الحىّ المؤذنُ غُدوةً فأيقظنى التـكبيرُ من سِنَة الرَّقْد
فقمتُ وبى من خشـية الله رِعدة
وأحسست من رؤياى بَرْداً على كِبْدى
وأصبحت لم أملك بوادرَ عَبرة تخطّ سطور الدمع فى صفحة الخدّ
سأبكى وأستبكى الجيوش . على فتى
فقدناه فقد الغيث فى الزمن الصَّلْد(٣)
فتى كان فى أفق الوزارة كوكبا به فى دجى الخطب الخلافة تستهدى
وقد كان فى وجه الخطوب تبسّما إذا عبست يوماً بأوجهها الرُّبْد(٤)
وما مات محمودُ الخصال وإنما تنقّل من هذا الفناء إلى الخُلد
لئن غُيِّبت عنّا مَرَائيه فى الثرى فما غُيبت عنـا معاليه فى اللّحد
وما هو إلاّ السيف قد كان مُصلتاً
على الدهر وهو اليوم قـد قرّ فى الغِمْد
سيبقى له الذكر الجميل مُؤَبّدا تمرُّ به الأيام حاليـة الأيدى

---

(١) الورد : الأحمر من الأسود ، وهو شجاع جرىء .
(٢) رأب الصدع: أصلحه . والضمر : الخيل اللطيفة الجسم، المضية البطن. والجرد: القليلة الشعر .
(٣) الصلد : الصلب الأملس ، أو الأرض التى لا تنبت شيئا ، ويعنى به الزمن الشديد .
(٤) الربد : جمع أربد ، وهو المغبر اللون .

وامحمـــداه

قيلت فى رثاء محمد فوزى باشا العظم وكان موته فجأة .

أىُّ خَطْبٍ دها رُبوعَ الشام   يوم أمستْ نبكى بطَرْفٍ دَامِ
وبأىِّ الأَسَى رَمَتْها الليالى   فاكتست للحِداد ثوبَ ظلام
إن تكن أُفجعتْ بشَهم بنى العَظْـــم فأعظِم بخَطْبها المترامى
ذلك الماجدُ الذى أدرك المجـــد بأيدٍ إلى العلاء سَوَام
سَلْ دِمشقا تجبْك عن شِيَمٍ فيـــه تعالتْ عن أنْ تُزَنّ بذَام[1]
قد بكته شجوا بسبع عيونٍ   فى رباها تجود بالتَّسْجام
ورثته بألْسُنٍ من معاليـــهِ حدادٍ تَفُلّ حَدَّ الحسام
فقدت من محمد خيرَ نَدْبٍ   ذائد عن حياضها ومُحام[2]
وغدتْ تشتكى إلى بردَاها   من أحرّ الأسى أحرَّ الأوام[3]
لهفَ نفسى عليـــه ساعة أودى   من كريمٍ عَمْر الرداء هُمام
إن قلبى قد استُطير بمَنْعا   ه اختطافا بمسعر الآلام
فكأنَّ الناعى لدى النَّعى أهْوى   نحو قلبى بمرهَف صمْصام
قد فقدنا منه خلائقَ تحكى   زهَر الروض غِبَّ صَوْب الغمام[4]
يا أبا خالدٍ وما هذه الدنـــيا بدارٍ معـدّةٍ لمقـام
إن تكن هالكا فكم لك ذكر   فى العُلى خالدٌ مدى الأيام
خطِفت عمرَك المَنون اختلاسا   كاختلاس المنى يدُ الأوهام
فكأن المنونَ خافت على تلـــك المعالى ذبولها بالسقام
فلذا أحرزتك غضًّا طريًّا   وكذا كم يكون موت الكرام
فسقى الله تربة أنت فيها   ثوبَ وَطفاء من غَوَادٍ هَوَام

---

(١) تزن بشىء : تتهم به ، والذام : العيب .   (٢) الندب : السريع إلى الفضائل .
(٣) بردى : نهر بدمشق . والأوام : العطش   (٤) غب : بعد ، وإثر والصوب : المطر .
(٥) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها والغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة . والهوامى : جمع هامية ، وهى الممطرة .

واشيخاه!

أزمعتَ عناً إلى مولاك تَرحالا — لما رأيتَ مُناخَ القوم أوحالا
رأيتنا فى ظلام ليس يعقُبُه — صبح فشمَّرت للترحال أذيالا
كرهتَ طول مُقام بين أظهرنا — بحيث تبصرنا للحقّ خُذَّالا
ولم تَرُق نفسَك الدنيا ونحن بها — لسنا نؤكد بالأفعال أقوالا
وكيف تحلو لذى علم إقامته — فى معشرٍ صحبوا الأيام جهّالا
لذاك كنتَ اعتزلت القوم منفردا — حتى أقاربَك الأدْنَيْن والآلا
وما ركنتَ إلى الدنيا وزُخْرُفها — ولا أردت بها جاها ولا مالا
لكنْ سلكت طريقَ العلم مجتهدا — تهدى به من جميع الناس ضُلّالا
(محمودَ شكرى) فقدنا منك خَبْر هُدى — للمشكلات بحسن الرأى حلّالا
قد كنتَ للعلم فى أوطاننا جبلا — إذا تُقُسِّم فيها كان أجبالا
وبحرَ علم إذا جاشت غواربُه — نقاذفَ الدرَّ فى لُجّيْه مُنهالا
يا من بشوّال قد شالت نعامته — نغصت بالحزن شهر العيد شوالا[1]
أَعْظِمْ برزئك فى الأيام من حَدَث — هزت علىَّ به الأيام عسّالا[2]
أمست لروعته الأبصار شاخصةً — أمّا القلوبُ فقد أجْفلن إجفالا
طاشت حصاةُ العلا لما نُعيت لها — وكل ميزان علم بالأسى شالا
إذا نعيُك وافى (مصر) منتشرا — جثا (أبوالهول) يشكو منه أهوالا
وإن أتى البيت (بيت الله) رُجَّ به — وأوجس (الركنُ) من مَنْعاك زلزالا
أما (العراق) فأمسى (الرافدان به) — سَطْرين للدمع فى خديه قد سالا

---

(١) شالت نعامته : مات .

(٢) العسال : الرمح المهتز لينا .

بكى الورى منك حَبْرا لا مثيل له ... أقواله ضربت فى العلم أمثالا
بكَوْك حتى قد احمرت مدامعهم ... كأنهم نضحوا فيهنَّ جِريالا
ولو لفظنا لك الأرواح من كمدٍ ... لم نَقْضِ من حقك المفروض مثقالا
ولا نخصِّص فى رزء بتعزية ... إلا علوما أضاعت منك مفضالا
فإن رُزْءك عمَّ الناس قاطبة ... يا أكرمَ الناس أعماما وأخوالا
شكرا لأقلامك اللائى كشفتَ بها ... عن أوجه العلم أستارا وأسدالا
كتبن فى العلم أسفارا سيدرسها ... أهلُ البسيطة أجيالًا فأجيالا
أمددتَها بمداد ليس يعقبـــه ... دمع الأنام وإن يبكوك أحوالا
وكنت أنت نطاسىَّ العلوم بها ... وكنَّ فى سَبْرجُرح الجهل أميالا[1]
يا مطلعا فى سماء الفكر أنجمه ... تهدى إلى العلم رُحَّالًا وقُفَّالا
لو أننى بَلَغت زهر النجوم يدى ... نحتُّها لك بعد الموت تمثالا
ماضرّ من بعد ماخلدت من كُتُب ... ألّا نرى لك بين الناس أنجالا
إذا ذكرناك يوما فى محافلنا ... قمنا لذكراك تعظيما وإجلالا
إنى أخفُّ لدى ذكراك مضطربا ... وإن حملت من الأحزان أثقالا
لأشكرنَّك (ياشكرى) مدى عُمُرى ... وأبكينَّك أبكارا وآصالا
فأنت أنت الذى لقنتنى حكَما ... بها اكتسيتُ من الآداب سربالا
أوجرتنى من فنون العلم أدوية ... شَفَتْ من الجهل داء كان قتَّالا[2]
فصحَّ عقلى وقبلًا كنتُ مُشْتَكِياً ... من عِلَّة الجهل أوجاعا وأوجالا
أنا المقصِّر عن نعماك أشكرها ... ولو ملأتُ عليك الدهر إعوالا
فاغفر عليك سلامُ الله ما طلعتْ ... شمس وما ضاء بدر الليل أولالا

---

(١) أوجرتنى : سقيتنى .

(٢) الأميال : جمع ميل ، بكسر الميم ، وهو عويد صغير من زجاج يسبر به عمق الجرح .

فى موقف الأسى

لمن تركتَ فنون العلمِ والأدبِ　　أمَا خشيت عليها من يد العَطَبِ
تلك المدارس قد أوحشتَها فغدتْ　　خِلوامن الدرس والطلاب والكُتُب
ما إن تركتَ لها فى العلم من وَطَرٍ　　ولا لمنتابها فى الدرس من أرَب
إن (الألوسىَّ محمودا عرَتَه لدن　　لاقاك (محمودُشكرى) خفةالطرب
فاهتزّ لابنٍ أبٍ فى قبره وغدا　　يُبدى الحفاوة خير ابن لخير أَب
بحرين فى العلم عجّاجين قد ثويا　　فانصبَّ مضطرب فى جنب مضطرب
مِن فخر أزماننا فى العلم أنّهما　　عَلّامتا هذه الأزمان والحِقَب
عليك (شكْرِى) غدت شكْرَى مدامعنا
تكفيك أدمُعها السّقيا من السحب
ما كنت فخرَ (الألوسيين) وحدهمُ
بل كلّ من ساد من صُيَّابة العرب[1]
ولا رَزَأتَ النّهى والعلم وحدهما　　بل قد رزأتَ صميم المجد والحسب
ولم يخص الأسى دارا نعِيت بها　　بل عمَّ مبتعدا من بعد مقترب
من العراق ، إلى نجد ، إلى يمنٍ
إلى الحجاز ، إلى مصْر ، إلى حلب ،
لقد ترحلت فى يوم بنا انقلبتْ　　حوادث الدهر فيه شرَّ منقلب
حتى تقدم ما فى القوم من ذَنَبٍ　　فصار رأسا وصار الرأس فى الذنب
وبات يحسو الطِّلا بالكأس من ذهبٍ
من كان يشرب رَنقَ الماء بالعُلب[2]

(١) صيابة القوم : لبابهم وخيارهم .
(٢) الطلا : الخمر . ورنق الماء : الماء الكدر .

فاذهب نجوتَ رعاك الله من زمن ... من عاش فيه دعا بالويل والحرب
تستثقل الصدقَ فيه أذنُ سامعه ... وتُطرب القوم فيه رنّة الكذب
والخير قد ضاع حتى إن طالبه
لم يلقَ منه سوى المسطور فى الكُتُب
أما الرجال فنار الشر مُوقدةٌ ... فيهم وهم بين نَفّاخ ومحتطِب
أفعالهم لم تكن جِدًّا ولا لعبا ... لكن تُراوِغ بين الجد واللعب
إذا جلست إليهم فى مجالسهم ... تلقى القَوَارِص فيها ذاتَ مُصْطَخَب
أرقى الصحائف فيما عندهم أدبا ... ما شذَّ منها بهم عن خُطَّة الأدب
قد يطربون لشتم المرء صاحبَه ... كأنما الشتمُ مَدْعاةٌ إلى الطرب
ويستلذون من قوم سبابَهُمُ ... كما استلذَّ بحكٍّ الجلد ذو جَرَب
لا يغضَبون لأمر عمَّ باطله ... كأنهم غيرُ مخلوقين من عَصَب
وليس تندَى من النكراء أوجههم ... كأنما القوم منجورون من خشب
يا راحلا ترك الآماقَ سائلةً ... يَذْرُفْن منسكبا فى إثرِ منسكب
أجبت داعيَ موتٍ حُمَّ عن قدرٍ ... وأى نفس لداعى الموت لم تُجب
والناس أسرى المنايا فى حياتهم ... من فاته السيف منهم مات بالوَصَب
هذى جيوش الرّدى فى الناس زاحفةٌ
لكنَّهنَّ بلا نقعٍ ولا لَجَب
بين الدواء وبين الداء مُعْتَرَكٌ ... فيه قضى ربُّنا للداء بالغَلَب
والناس فيه عَتاد للحِمام فلا ... ينجون من عَطَب إلّا إلى عطَب (١)
وإن للموت أسبابا يسببها ... من سدَّ كلَّ طريق عنه للهرب
لا يخلق الله مخلوقا يجول به ... دمُ الحياة بلا أم له وأب
ولا يُميت بلا داء ولا سقمٍ ... ولا يُعيش بلا كدٍّ ولا تعب

(١) الحمام : الموت . والعطب : الهلاك .

وليس ذلك من عجز بخالقنا ... عن أن يَزُجَّ بنا فى قبضة الشَّجَب (١)
لكنَّه جعل الدنيا مسبَّبة ... لكل أمرٍ بها لابد من سبب

* * *

يا من إذا ما ذكرناه تقوم له ... على الأخامص أو نجثو على الركب (٢)
لقد تركت يتيم العلم منتحِبا ... والكتب راثية منه لمُنْتَحِب
إن كنت فى هذه الدنيا لمنقطعا ... إليه عن كل موروث ومكتسب
أعرضتَ عنها مُشيحا غيرَ ملتفت ... إلى المناصب فيها أو إلى الرتب
أُولِعتَ بالعلم تُنْميه وتجمعه ... منذ الشباب وما أولعت بالنشَب (٣)
فعشت دهرا حليف العلم تنصره ... حتى قضيت فقيد العلم والأدب

ذكرى الرجال من حياة الأمم

أراد شبان فلسطين أن يقيموا حفلة تأبين لروحى بك الخالدى ، وكان الرصافى إذ ذاك فى القدس ، فطلب إليه أحد أصدقائه ، وهو عادل أفندى جبر ، أن ينشدهم فى الحفلة المذكورة ما يناسب المقام ، فقال هذه القصيدة :

لعَمْرُك لو كانت حديدا جسومُنا ... لأبلَتهُ من كرّ الليالى مَباردُ
فكيف ولسنا بالحديد وإنما ... جوارحُنا هذى الدماء الجوَاسِد (٤)
إذا ما افتكرنا بالحياة وأصلِها ... وغايتِها هانت علينا الشدائد
وماذا عسى يُجدى التوجُّع والأسى ... من الموت إذ كلٌّ على الموت وارِد
نُعين منايانا علينا بحزننا ... فيقرب من آجالنا المُتباعد
وليس برُزء أن نرى المرءَ هالكا ... إذا حَيِيت بالذكر منه المحَامد
بل الرزء كل الرزء أن يذهب الفتى ... وليس له من بعده الدهرَ حامد

(١) الشجب : الهلاك .
(٢) الأخامص : جمع أخمص ، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .
(٣) النشب : العقار ، أو المال الأصيل .
(٤) الجواسد : الدماء اليابسة .

ويُدفن فى التُرب اسمُه دَفْنَ جسمِه ... فلم يتفقَّدْه من الناس فاقد
ومن تفن بعد الموت آثارُ مجده ... فآثارُ روحى الخالدىّ خَوالد
فتًى أغمدت منه المنون مهنَّدا ... وأىُّ حُسام ماله الدهرَ غامد
يُعدُّ بألف من رجال زمانه ... على أنّه فى الألمعيَّة واحد
لقد بقيت للخالدّيين بعده ... مناقبُ غُرّ دونهنّ الفَراقد(1)
وكم حَبّرت أقلامه من صحائف ... بجيد العلى من دُرِّهنَّ قلائد
نماه إلى المجد الصُراح مُتمّما ... به فخره السيف الإلهىّ خالد

* * *

دعانا ابن جَبْرٍ أن نُلمّ بذكره ... لدى محفِل قد ضمنا وهو حاشد
فقمنا لذكرى مجده بعد موته ... نُباهى به أحياءنا ونماجد
ونستشهد الدنيا على حسناته ... وقد كثرت فيها عليها الشواهد
وإنى وإن لم أحظ منه برؤيةٍ ... لَيَشهد لى من (عادلٍ) فيه شاهد
ألا يا ابن جبر أنت أيقظتَ للعلى ... عواطف كانت وهى فينا رواقد
فقلت اذكُروا يا قوم فضلَ رجالكم
فى ذكر فضل الغابرين فوائد
وسِيروا على آثارهم واهتفوا بها ... لينشَط كسلانٌ وينهض قاعد
ففى الغرب أموات أُقيمت لذكْرهم ... تماثيل فى كل البلاد أوابد(2)
أَعادلُ قد أنهضت للعلم جُثَّما ... فأنت لنا فى نهضة العلم قائد
أقمتَ لذكرى الخالدىّ مَقامةً ... بها حسنُت للقوم منك المقاصد
وجاهدت فى إنهاض حيّ بميّتٍ ... فجهدك فى إنهاض قومك جاهد
ذكرتَ مزاياه وذكَّرتنا به ... وهل يذكر الأمجاد إلا الأماجد
فسعيك مشكور ورأيك صائب ... وفعلك محمود وسيرُك راشد

(١) الفراقد : يقصد بها الفرقد ، وهو نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به .
(٢) الأوابد : الغرائب التى لا مثيل لها .

ذكرى الشيخ الخالصي

أنشدها في الحفلة التأبينية التي أقامها نادي الإصلاح في بغداد عند نعي الشيخ محمد مهدي الخالصي أحد علماء الجعفرية بعد ما أخرجته الحكومة العراقية إلى إيران .

أَدْهَقَ الدهرُ بالمنية كأسَه   من قديمٍ وطافَ يسقي أُناسَه[1]
كيف يُرجَى طولُ البقاء لحيٍّ   جعل الله عمرَه أنفاسه
تعِسَت هذه الحياة وإن كا   نت لعمري خلّابة حسّاسه
قصّرتها يدُ الحوادث لكن   قد أَطالت بها على الحيِّ باسه
غيرَ أَنَّ السعيد من بان عنها   وهو مستثمرٌ بها أغراسه
والذي عاش مؤنسا وحشة النا   س مُمِدًّا بفضله إيناسه
مثل ذاك الشيخ الذي مُذ فقدنا   هُ فقدنا به النُّهى والكياسه
نُعِيَ الخالصيُّ فارتجّت الأنـ   ـفس حزنا مضرّجا بحماسه
هو ذاك (المهديّ) أحرز سبقا   حين أجرى إلى الهدى أفراسه
هو ذاك الحَبْر الذي كان للشر   ع مقيما دليلَه وقياسه
كان في الدين آية الله أفني العمـ   ـر فيه رعايةً وحراسه
أُفق العلمِ قد بدا مكفهرًّا   عند ما أَطفأ الردى نبراسه
إن بكاه الدينُ الحنفيُّ شجوا   فلِأَن كان ركنَه وأساسه
كان رِدْءا للحق مرتدىَ التقـ   ـوى فكانت طول الحياة لباسه[2]
ولقد كان في العلوم إماماً   حيث فيها انتهت إليه الرياسه

* * *

أنا أبكي عليه من جهة العلـ   ـم وأغضي عن خوضه في السياسه
لا لِأني أراه فيها ملوماً   بل لأني أَعيب فعل الساسه

(١) أدهق الكأس : ملأها .   (٢) الردء : الناصر والعون .

ليس فى هـذه الهَنات السياسيَّـــات إلا ما ينجلى عن خَسامه
قد أبت هذه السياسة إلّا أن تـكون الغشّاشة الدسّاسه
وأبت أن تصافح الناس إلا بيـدٍ من خديعةٍ فرّاسه
كلّما مسّت الأمور بكفّ لوّثتها بمـا بها من نجاسه
إن فى هـذه السياسة سهما جعـل الله باطلاً قرطاسه
ما نعاطَى غـير الخداع « غلادستون » فيها كلّا ولا « دِلـكاسه »
إن أحسَّت بقوّةٍ من خصيمٍ كانت الظبىَ لم يُزايل كناسه(١)
وهى إن آنسَتْ من الخصم ضعفا كانت الليثَ مُبرِزاً أضراسه
لو أردنا إفاضةً فى هجاها لـكتبنا لـكم به كُرّاسه
فلهذا أجِلُّ عنهـا رجالًا شغلتهم علومهم بالدراســه

* * *

رحم الله شيخنا إنه كا ن بعيدا عما تريد السياسه
ليت تلك العلومَ قد شغلته عن أمور لا تُشترَى بنُحاسه
أنتجتْ بُعـدَه فأوحش أرضا فى العراقَيْن عُوِّدت إيناسه
فقضى بعدَ نأيه عن أُناسٍ طلبوا علمه وراموا اقتباسه

* * *

أيها القوم إنّ هذا لَرأيى فى فقيد لم تشهدوا إرماسه(٢)
فاذا كنتُ قد أصبت وإلّا فانبـذوا ما أقوله فى الـكناسه
لستُ بالشاعر الذى يُرسل اللفـــظَ جُزافا لـكى يصيب جِناسه
أنا لا أبتغى من اللفظ إلا ما جرى فى سهولة وسَلاسه
إنما غايتى من الشعر معنًى واضحٌ يأمن اللبيبُ التباسه

(١) الخصيم : الخصم . وكناس الظبى : بيته فى أصل شجرة ونحوها .
(٢) الإرماس : الدفن .

على ضريح النـــائب

هى دنيا بقاؤها مستحيلُ ... فَلْيَقِفْ عنـد حدِّه التأميلْ
ليس يُغْنِي فيها عن المرء شيئا ... شرف باذخ ومجـــد أثيل
إنما الراحةُ المُرَجَّاة فيهـا ... تعب والهدى بهـا تضليل
كل شيء فى أهلها مستعار ... من سواه وكلُّ حال تَحول[1]
ليس ما قد جنى علينا بهـا الإفـقارُ أدهى مما جنى التَّمْويل[2]
رتلتْ ألْسُن اللذائذ آي الـعيش فيها فغرَّنا الترتيل
فرجونا طول البقاء وإن كُـنَّا علمنا بأننـا سنزول
وطلبنـا تعِــلَّةً لنفوس ... ليس يَشْفى غليلَها التعليل
قدْ قتلتُ الحياة خُبْرا ولـكن ... أنا منهـا بحيرتى مقتول
كل ما قيل فى الحياة ظنون ... جرّها فى افتكارنا التخييل
قد وهمنا فى البَـدْء منها وأمَّا ... منتهاها فستره مسـدول
إن يكُ العقل فى دُجَى الشك نجما ... فخَفِيٌّ مثـل السُّها وضئيل[3]
وَيْكَ إن المعقولَ ما صحَّ عندى ... فمتى صحَّ عنـدك المنقول
كلنا خابطون فى ظلمات ... حائر بائر بهنّ الدليـل
إن حب الحياة أوهم أن الـموت نوم تحت الثرى لا يطول
إنما هـذه الجسوم مبـانٍ ... قد نباها من الزمان عَمول[4]
نزلتها الأرواحَ حينا فأضحت ... عامراتٍ ما دام فيها النزول
ثم لابد أن ترحل عنهـا ... فيُسمَّى بالموت ذاك الرحيل

(١) تحول : تتغير من حال إلى حال .
(٢) التمويل : الغنى ، وصيرورة المرء ذا مال .
(٣) السهام : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .
(٤) العمول : المطبوع على العمل .

إنما هذه الجُسوم رُسوم مُوحشات بعد الرّدى وطُلول
ما بسِقْطِ اللِّوَى مَنَازلُ ولكن بسقوط البِلَى لهنَّ مُثول[١]
ليس يسلى الفتى عن الموت إلّا خَلَفٌ صالح وذكر جميل
مثلما مات شيخنا «النائب» الحَبْـــرُ فسالت من الدموع سيول
إن عبد الوهاب عاش جليلَ الـــقدر فردا ومات وهو جليل
وقضى عادم المَثيل فأمسى ما لَمَنْعاه فى الخطوب مَثيل
حادث أظلمت به الأرض واستو حش منها حُزُونُها والسهول[٢]
إن أَسِينا أسَى عليـــه كثيرا فـكثير الأسى عليه قليل
كان فحل الفحول علما وفضلا فلهذا بكت عليـه الفحول
كيف لا تجزع العلوم لمَنْعَى رجل باعُـه بهنّ طويل
قد بكته مدارس عامرات هو فيها المدرس المسئول
و بكاه الـكتاب ذو الذكر شجوا وعلوم إلى الـكتاب تئُول
وبكته آىٌ به محكماتٌ وبكاه التفسير والتأويل
وبكته أرامـــلٌ ويتامى جُذَّ عنها بموته التنويل
إن يكن أغمد الردى منه فى القبـــر حُساما فذكره مسلول
أو رمى حدَّه الردى بفُلولٍ فمعاليـه ما بهنَّ فلول[٣]
أو خلت منه دُوره موحشاتٍ فذَرَاها بفضـــله مأهول[٤]
كيف لا هؤلاء أبناؤه الغـــرُّ شهود بما أقول عدول
كلهم فى العلاء مثل أبيه حسن الُخلق فاضل بُهلول[٥]
هل تطيب الفروع فى الناس إلّا حيث طابت فيهم لهنَّ أصول

---

(١) سقط اللوى : موضع ، ويشير هنا إلى بيت امرىء القيس الذى ذكر فيه هذا الموضع .
(٢) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع .
(٣) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى الحد . (٤) يقال فلان فى ذرى فلان : أى فى ظله .
(٥) البهلول : السيد الجامع لكل خير .

عِذرةً يا أبا الحسين بماذا نصف الرُّزْء وهو رزء جليل[1]
وإذا طاشت الحُلوم بيوم فيه فارقتنا فماذا نقول
أخرسَ الشعرُ يوم مَنعاك لكن ناب عنه تأوُّه وعويل
وإذا أسكتَ المقاويلَ حزنٌ ترجمت عنهم دموع تسيل
فَصَلَتْك المنون عنّاً ولكن أنت بالحمد والثنا موصول
لك فى العلم رتبة لن تُسامى فاضل القوم عندها مفضول
ومحيّا صَانْتْ الجبين طليق يتلالا كأنه قنديل
ويد يجمع الشفاهَ عليها كلما قد مددتها التقبيل
إنما قد ذكرتُ بعض مزاياك وإلا فشرحهنّ يطول
وإذا القول لم يفده اختصار لم يفده الإطناب والتفصيل

دموع الصداقة

أنشدت فى المأتم الذى أقيم فى بغداد للمرحوم عبد المجيد ملك الشاوى

عبدَ المجيد قضى فوَا أَسَفا ماذا يفيد تأسّفى جَزَعا
قم وَيلَكَ نبكِ المجدَ والشرفا ونُعَزِّ طَرْف العين ما دمعا
فلقد فقدنا سيِّد الظُّرَفا وأجلَّ ساع للعلاء سعى
لم يتخذ غيرَ العلا هدَفا عن قوس همته إذا نَزَعا[2]
حبر طويتُ حَشاى مرتجفا من هوله وسقطت مُنصدِعا
ألقى بوجه حياتنا كُلَفا أو عاد لونُ العين ممتقعا[3]
فالدمع من عينى إذا وَكَفَا جَلَلٌ وإن أرسلته دفعا[4]
صاحبت منه أخا نُهًى ووفا يزهو النّدِىُّ به إذا اجتمعا

(١) العذرة : المعذرة . (٢) نزع : رمى بالسهم .
(٣) الكلف : جمع كلفة ، وهى اغبرار لون الوجه .
(٤) وكف الدمع : سال قليلا قليلا .

فسمعت من أقواله طُرَفا ورأيت من أفعاله بِدَعا
ساء المكارمَ كونُه دَنِفا يشكو إلى عُوَّاده الوجعا
ألدّاء أذهب نفســه تَلَفا بُذِل الداء له فــما نجعا
بيروت منــه أحرزت شرفا لمَّا غدت لعُلاه مُضطجَعا
لكنما قلب العراق هَفــا حزنًا عليه إذ به فُجعا
وكفى بسعدونٍ له خلفا لفعاله فى المجـــد مُتبِعا
يمشى على آثاره الخَطَفَى ويقوم بالأعبـــاء مضطلعا

• • •

عبدُ المجيدِ قضى فواحَرَبَا ماذا يردّ إليَّ واحَربِى
إن الرزايا قد قضت عجبا مما رُزِئناه من الحسب
رُزء أثار الحزن ملتهبـــا فى كل قلبٍ أىَّ ملتَهِب
وأسال غرب الدمع منسكبا من كل عين إثر منسكب
وأمرّ حـــلو العيش فانقلبا بمُحـــاوليه شر منقلب
فبكاه من بغداد مُنتحِبا فى جانبيها كل ذى أدب
يا راحــلا بالداء مغـتربا يبغى الشفاء له من الوصب
أُوتيت فضلا فى النُّهى عجبا يأتى من الآراء بالعجب
كم كنت تكشف فيه محتجبا وتنال أقصى الأمر من كثب
فبنيت مجدا منك مكتسبا من بعد آخر غير مكتسب
وبك العروبة قد زهت نسبا يُزْهَى بغبطة كل ذى نسب
قد كنت من عربية عَصباً والحسّ مصدره من العصب
إنَّا فقدنا الظرف والأدبا وفقدت يا سعدون خير أب
يا أكرم المتهذبين أبا صبرا لفقدك أكرمِ العرب
إذ كنت أنت لمثله عَقِبا أكْرِمْ بمثلك أنت من عَقِب

هلم نبك

هلمّ نبكِ النُّهى والعلمَ والشرفا ... فقد قضى من بهذا كان مُتَّصِفاً
هلمّ نبك الذى كانت شمائله ... كمثل قطر الغَوادي رقة وصفا
هلمّ نبك الذى لم يغلُ واصفه ... بالخير إلا رآه فوق ما وصفا
عطا الخطيبَ الذى آل الخطيب به ... فتّتْ مصيبتُهم أكبادنا أسفا
تبكى لمبْكاهم حزنًا بحيث ترى ... بدر التمام بأعلى أفقهم خُسِفا
قد فاجأتْه المنايا وهو معتدل ... كالرمح دُقَّ على الصفْواء فانقَصفا[1].
قامت بحسَّاده الأطماعُ هائجةً ... لمَّا رأوه مجدًّا يطلب الترفا
فعارضوه بسيل من مكايدهم ... قد سال فاكتسح الآمال واجترفا
وعرقلوا بدواعيهم مساعيَه ... ومدّوا من دواهيهم له كِفَفَا[2]
فظل يرسُف فى مسعاه مرتطما ... فيما يكيدون حتى خالط التلفا
كانوا يمدّون سيل الكيد مندفقا ... وكان يبنى له من سعيه رَصَفا[3]
حتى قضى راسبا فى مكرهم غرقا ... إذ عطّل الموت منه الكفّ والكتِفا
وبعد ما قتلوه هكذا علموا ... بأنهم قد أصابُوا المجدَ الشَّرفا
والمرء تظهر بعد الموت قيمته ... كغرق اليمِّ بعد الإنتفاخ طفا
لو عجّلَ الله للحساد لعنته ... لكان أسقط منها فوقهم كِسَفا
لكن يؤخرها عنهم إلى أجلٍ ... يُخزى به كلَّ من قد جار واعتسفا
هم جاوزوا العدل والإنصاف فى رجل
ما كان قطُّ عن الإنصاف منحرفا
فتًى رُزئناه بالأخطار مضطلعا ... بالمجد مشتملًا بالفضل ملتحفا

---

(١) الصفواء : الحجر الصلد الضخم .
(٢) الكفف : جمع كفة ، وهى حبالة الصائد وشبكته .
(٣) الرصف : الحجارة المرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء .

لما رمى عن قِسِيِّ الرأى مجتهدا ... لم يتخذ غير أسباب العلا هدفا

ما شبَّ إلا على التقوى وكان له ... قلبٌ سليمٌ بحبِّ الخير قد شُغِفا

مهذَّب الطبع عفّ النفس ذو خلق ... قد شابه الورد مشموما ومقتطَفا

إذا تصورت فى يوم خلائقه ... فقد تصوّرت منها روضة أُنُفا(١)

وإن نظرت بإمعان مساعيه ... فقد نظرت بعيني رأسك الشرفا

بيناه يدرك من دنياه زهرتها ... إذ جاءه الموت يمشى نحوه الخَطَفى(٢)

أَعْظِمْ به طودَ مجدٍ طال طائله ... فكيف فى ساعةٍ بالموت قد نُسفا

قد شرَّفت بقعةَ الجيلىِّ حفرتُه ... كما ضريحُ علىٍّ شرّف النجفا

دمعة على صديق

قالها فى رثاء صديقه الحميم عبد الوهاب المحمد أغا .

مضى عبدُ وهَّاب الهبات لربِّه ... فلِلّه من ماض إلى ربه حُرٍّ

مضى وهو محمودُ الخصال مخلِّفا ... له عندنا آثار أخلاقه الغُرِّ

مضى وله فى كل قلب مكانة ... تُديم له ذكراه بالحمد والشكر

كذلك كنّا معه قبل وفاته ... نُبَجِّله فى السرّ منا وفى الجهر

وما زادنا إلا أسًى بفراقه ... فأمسى الأسى فيناله مالىء الصدر

إذا ما ذكرناه تفوح خلاله ... فَنَنْشَق من تذكارها أطيب النَّشر(٣)

ونلجأ عند الإدّكار إلى البُكا ... ونفزع من بعد البكاء إلى الصبر

أخا سالمٍ ما زلت عندىَ سالما ... وإن كان منك الشخص غُيِّب فى القبر

تمثلك الذكرى لعينىَّ جالسا ... تحدّثنا عما أهمَّ من الأمْر

وتمزح طورا ثم تنصاع ذاهبا ... إلى الجدّ تُغْرِى بالحقيقة من تغرى

---

(١) الروضة الأنف : الجديدة النبت ، لم يرعها أحد .

(٢) الخطفى : مشية سريعة .

(٣) الخلال : جمع خلة وهى الخصلة . ونشق : شم . والنشر : الريح عامة ، أو الطيبة منها .

فتغضب أحيانا وتطرب تارةً فتطرب من ذكر الحقيقة فى شعرى
طواك الردى عنى وشخصك لم يزل بذكراك بعد الطىّ متصل النشر
فما أنت ميتا إذ خيالك سانح
مدى العمر نصب العين فى سانح الفكر
ولا عجب ، إن الحياة خيالة
فلا فرق عندى بين شخصك والذكْر
سأنثر دمعى فيك نثر لآلىء وأنظم شعرى فى رثائك من در
لعلى بذا أقضى إخاءكَ حقه وإن كان لا يُقضى بنظم ولا نثر

ميتة البطل الأكبر

أنشدت فى دار المرحوم عبد المحسن بك السعدون فى اليوم الثالث من انتحاره .

هكذا يُدْرَكُ فى الدنيا الكمالُ هكذا فى موتها تحيا الرجالُ
هكذا يَشْرُفُ موتُ المبتغى شرفا ليس إذا ريمَ يُنال
من كعبد المحسن الشهم الذى حفه بالموت عزٌّ وجلال
ما بعبد المحسن السعدون إذ رام قتلَ النفس مَسٌّ أو خَبال
بل رأى أوطانه يُرهقها من بنى الغَرْب انتداب واحتلال
فانتضى الهمة كى ينقذها كانتضاء السيف ما فيه كلال
مارس الأحوال حتى إنه شاب فى إصلاحها منه القَذال[1]
أعمل الرأى وقد جادله فيه بعض القوم واشتدَّ الجدال
خذلوه فاغتدت آراؤه كسهام كُسِرت منها النصال
كم غدا ينصحهم حتى إذا راء أن الداء فى القوم عُضال[2]

(١) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .
(٢) راء : رأى .

ورأى أن الذى يرجوه من طلب استقلالهم شىء محال
جاد للأوطان منه بدم لسوى أوطانه ليس يُسال
والفتى الحر له فى موته سعة إن ضاق بالنفس المجال
إنه لما أرادت نفسه مِيتة حمراء ما فيها اعتلال
مِيتة الأبطال فيها شمم طأطأت من دونه الشم الجبال
نال بالموت حياة ما لها أبد الدهر فناء وزوال
هو حىّ أبدَ الدهر فما ضرّه من هذه الدنيا انتقال
إن يكن قد زايل القوم فما لمساعيه عن القوم زِيال
أو يكن عن أعين القوم اختفى فله من أنفس القوم خيال
وإذا التاريخُ أجرى ذكره أخذ التاريخَ بالفخر اختيال
فاندبوا يا قوم منه بطلًا هو للأبطال حُسْن وجمال
وافتقدوا منه نصيحا مخلصا هو للإخلاص فى الدنيا مثال
وأقيموا عاليا تمثالَه فهو للأوطان عزّ وجلال
واقصدوا مرقده حجّا فلا غروَ أن شُدَّت لمثواه الرّحال
واتركوا الغرب وأهليه ولا تسمعوا منهم إلى ما قد يقال
وعلى أنفسكم فاتّكلوا خاب من فيه على الغير اتكال
فالمواعيد التى قد وعدوا كلها منهم خداع واحتيال
كلما قال لنا ساستُهم نقضتْ أقوالَهم منهم فعال
هكذا كونوا وإلا فاعلموا أنما استقلالكم شىء محال

ميتة البطل الأكبر

منظر الرافدين

شبّ الأسى فى قلوب الشعب مُستعِرا
يومَ ابنُ سعدونَ عبد المحسن انتَحَرا

يومٌ به كلُّ عين غيرُ مبصرة — إذ كان إنسانها فى الدمع منغمِرا
يوم به البرق رَجَّ الرافدين أسًى — غداة أدَّى إلى أقصاها الخبرا
فلو ترى القومَ قاموا فى ضفافهما — واستنزفوا من شئون الدمع ماغَزُرا
خِلْتَ العراقين خدّى ثاكل وهما — سَطْران للدّمع فى الخدين قد سُطِرا

الشعر والدمع :

لله يومٌ فقدنا فيــه مُضْطلِعا — بالأمر يُمعن فى تدبيره النظرا
يوم قد انهلَّ فيه الشعر منتظِما — كما قد انهلّ فيه الدّمع منتثرا
فبالدموع بكت فى يومه شِيَعٌ — و بالقوافى بكت فى يومه الشُّعَرا
فالشعر قد قرّط الأسماع مندفِقا — والدمع قد قرّح الأجفان منحدرا
والدمع والشعر ممن قد بكى بهما — كلاهما حَــكَيا فى يومه الدُّررا
كلاهما انسجما حتى كأنهما — تسابقا فى انسجام عند ما انهمرا
فالشعر من هذه الأكباد بلَّ صدًى — والدمع من هذه الأوطان بلَّ ثرَى

أبو علىّ وعزائمه :

أبو علىٍّ قوىٌّ فى عزائمه لورام بالعزم دَحْرَ الجيش لاندحرا
أخلاقه كالخِضَمّ الرَّهْوِ تحسبه سهلًا ولكنه صعب إذا زَخَرا(١)
إذا أتاه شَكِيُّ القوم قابله بكا النسيم جرى فى روضة عَطِرا(٢)
ويهزم الجمع مجتثًا مكايده بكا العواصف هبَّت تقلع الشجرا
لمَّا رأى الوطن المحبوب محتملاً من الأجانب ما قد عمه ضررا
سعى لإنقاذه بالرأى مجتهدا بالعزم متشحا بالحزم مؤتزرا
كم بات سهرانَ فى تحقيق مُنْيَتِه وفى الأمانىّ ما يستوجب السهرا
وكم سعى راجيا تخليصَ موطنه والشعب كان لما يرجوه منتظرا
حتى إذا لم يجد للأمر متَّسَعا ولم يجد عن بلوغ العز مُصْطَبَرا
أرْمَى مسدسه فى صدره بيدٍ لا تعرف الضعف فى المرمى ولا الخَوَرا
فيالها رَميةً حمراءَ دامية قد مات منها ولكن بعدها نُشِرا
قد كان يحيا حياة غير خالدة واليوم يحيا حياة تملأ العُصُرا
لو نَقْتَرِى صحُفَ التاريخ نسألها عَمَّن يساويه فى الدهر الذى غَبَرا(٣)
لما رأينا كبيرا مات مِيتَتَه ولا وجدنا وزيرا مثله انتحرا
ما كان أشرفها من ميتة تركت فى نفس كل فتًى من غِبطة أثرا
كنا نقاسى ضلالا قبلها فإذا بها الطريقُ إلى استقلالنا ظَهَرا

(١) الخضم : البحر العظيم . والرهو : البحر الساكن .
(٢) الشكى : المشتكى .
(٣) اقترى : تتبع واستقصى . وغبر : مضى .

يا أهل لندن :

يا أهلَ لَنْدَنَ ماأرضتْ سياستُكم   أهلَ العِراقَين لا بَدْوا ولا حَضَرا
إن انتدابَكُم فى قلب موطننا   جُرح نداويه لكن لم يزل غَبِرا[1]
والمَشورة فى أوطاننا شبَحٌ   تُخيف صورتهُ الأشباح والصُّوَرا
يجول فى طرقات البَغْى مُحتقِبا   للغش خلف ستار النصح مستترا[2]
لم يَكْفِه أنه للحكم مغتصب   حتى غدا يقتل الآراء والفِكَرا
إذا رأى نهضة للمجد أقعدها   وإن رأى فتنةً مشبوبةً نعَرَا
فكم ضغائنَ بين القوم أوجدها   وكم بذور من التفريق قد بذرا
فى كل يوم لنا معْكم معاهدة   نزداد منها على أوطاننا خطرا
جَفَّت بها سَرْحَة استقلالنا عطشا   حتى إذا ماَمسنا عُودَها انكسرا[3]
تقسو قلوبُكُم لما نفاوضكم   كأننا نحن منكم نَنْقُرُ الحجرا
أما مواعيدكم فهى التى انكشفت   عن مَيْنِ من مان أو عن غدر من غَدَرا[4]
لا تفخروا أن كسر تم غَرْبَ شَوْكتنا
لا فخر للصقر فى أن يقتل النُّغَرا[5]
لا تستهينوا بنا من ضعف قوّتنا   فكم ذُبابة غابٍ أزعجت نَمِرا
هذى البلاد اغرسوا فيها مودتكم   ثم اقطِفوا من جَناها وُدَّنا ثَمَرَا
نكن لكم حِلْفَ صدق فى سياستكم
نمشى إلى الموت من جرّائكم زُمُرا
لسنا بقوم إذا ما عاهدوا نكثوا   ولو جرى الدم حتى أشبه النهرا

(١) الجرح الغبر : الذى اندمل على فساد ثم انتقض .
(٢) احتقب : جمع .
(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التى لا شوك بها .
(٤) المين : الكذب .
(٥) الغرب : الحدة . والنغر : البلبل ، أو فرخ العصافير .

ولا نخالف أحلافا فنخذلهم ... ولو لبسنا المنايا دونهم أُزُرَا
فنحن أوفى الورى بالعهد شِنْشَنَةً ... ونحن أرفعهم فى المكرمات ذُرَا[1]

سعد وسعدون :

سعد وسعدون محمودٌ مَقَامُهما ... هذا بمصر وهذا ههنا اشتهرا
كلاهما قد فَدَى بالنفس أمته ... لكنَّ سعدون لا سعدا قد انتحرا
فكان بينهما بون وإن غَدَوَا ... فى الشرق أعظم مذكورين ماذُكِرا
فإن سعدون دانى الشمس منزلة ... وإن سعدا بمصر قارن القمرا
هذا هنا قد سعى للمجد مُبْتدِرا ... وذا هناك سعى للمجد مقتدرا[2]
يأهل مصر وأنتم مثلنا عربٌ ... ما قلتم عندما أُعْلِمتم الخبرا
إن كان قد أرخص الأموالَ سعدُكم ... فإن سعدوننا قد أرخص العمُرا

أيُّها البطل :

نمْ أيها البطل الفادى بمهجته ... أوطانَه نومة تستيقظ العِبَرا
نم نومةً تجعل التاريخ محتفيا ... بها لنهضة أهل الشرق مُدَّكِرا
فليَعتبرْ بك هذا الشعب مفتديا ... إن كان شعبُك بعد اليوم معتبرا
فسوف تحمدك الأوطان شاكرة ... وسوف يذكرك التاريخ مفتخرا
نم مستريحا فإن الشعب مرتقب ... ماذا ستفعله من بعدك الوُزَرا
أيتركون الذى قد كنت تطلبه ... أم هم سيقضون من مطلوبك الوَطَرا
فالشعب منهم مريد ما أردتَ له ... وليس يقبل عذرا ممن اعتذرا
يا من له مِيتة بِكرٌ معظمة ... لا غروَ أن قلتُ فيك الشعر مبتكَرا[3]

(١) الشنشنة : الخلق والطبيعة . والذرا : جمع ذروة ، وهى القمة .
(٢) ابتدر المجد : سارع إليه . (٣) الميتة البكر : التى لم يمت أحد مثلها من قبل .

ذكرى فتى السعدون

إذا ما الفتى فى دهره أحسن الظنّا ... فما أدرك المَغْزَى ولا فَهِم المعنى
وما الحزم إلّا أن نرى الدّهر هاجما ... فنبنىَ من تدبيرنا دونه حِصنا
وما الدّهر إلا مُبْهِرٌ فى طباعه ... يغرّر بالأقوام يفتنهم فتنا[1]
يروع بنيــــه صائلًا ببناته ... فقد ضلّ مَنْ مِن دهره يطلب الأمنا[2]
يذَفّ عليهم بالظُّبَى من خُطوبه ... فكم جدعت أنفا وكم صلمت أُذنا[3]
وما شُبهه إلا مخالب كيده ... تُمَدّ بجوف الليل داميةً حُجْنا[4]
إذا ما تشمَّمتَ الزمان وطبعه ... تشمَّمت من أعماق طينته نَتْنا

* * *

إليك فتى السعدون جئتُ مهنئا ... بما نلتَه عند الإله من الحسنى
إذا ما ذممنا الدّهر يوما وأهلَه ... فإنّك من تلك المَذمّات مُستثنى
أتى يومُك الدّامى بذكراك حافلًا ... فجدّد فى كل البلاد لنا حُزنا
ففى مثل هذا اليوم بتّ مضرّجا ... وبتنا نحاكى فى مدامعنا المزنا
وفى مثل هذا اليوم فى حفرة البِلى ... جعلنا بك الآمال مدفونةً هَنّا
عشيّةَ أطلقتَ المسدسَ نارَه ... على قلبك الخفاق من يدك اليمنى
فللّــه نارٌ قد بردت بحرّها ... وإن سال منها دمعنا بالجوَى سُخنا
لئن أقعدت بالموت قلبك نبضة ... فكم أنبضت بالحزن أفئدةً مِنّا
وكم أنطقت دمع المحاجرِ بالأسى ... على أنها بالهَول أخرست اللُّسْنا[5]
فيا طلقةً ريع العراق بصوتها ... فبانت به الآفاق عابسةً دُكنا

---

(١) المبهر : اسم فاعل من أبهر : إذا جاء بالعجب (لسان العرب) .
(٢) بنات الدهر : حوادثه .
(٣) ذف عليه : أجهز عليه . والظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو سنانه .
(٤) الحجناء : العوجاء . جمعها : حجن .
(٥) اللسن : جمع ألسن ولسناء ، وهو الفصيح البليغ .

ورَدّد مجـــرى الرافدين لصوتها
صدى الحزن من أقصى العِراق إلى الأدنى

لقد جمع الأموال باسمك معشرٌ لتخليدهم ذكراك فى معهدٍ يُبنى
وما علموا أن المبانىَ كلها وإن قَويت تفنى وذكرك لا يفنى
وأعظمُ تخليدا لذكراكَ منهمُ فَعائلك الغرّاء والخُلُق الأسنى
سعيتَ إلى استقلال قومك مخلصا وما كنت فى يوم على القوم ممتناً
وقمت بأعباء السياسة ناهضاً بهمّةً لا وَانٍ ولا ناكصٍ جبنا[1]
وأبديت فى تلك المواقف كلّها أصالة رأى قطّ لم يعرف الأفْنا[2]
فإن كنت لم تنجح فليس لعلّة سوى أن خصم القوم فى كيده افتناً

* * *

زكت لك نفس بين جنبيك حُرّة فلا أظهرت كِبْرا ولا أضمرت ضِغنا
لنا المثل الأعلى بحلمك والنّدى فكم بهما أثنى عليك الذى أثنى
فأحنفَ ربَّ الحلم فى الحلم فُقْتَه وفى الجود قد فقت ابن زائدة مَعنا
ألستَ الذى قد رام قتلك قاتل فأطلقته عفوا وأوسعته مَنّاً[3]
سيبقى على الأيام ذكرُك خالدا به صحف التاريخ قاطبةً تُعنَى

* * *

فيا بطلًا بالنفس ضحّى وإنما بِذَلكَ لاستقلالنا سُنّةً سَنّا
فعلّمنا أن التفادىَ واجب على كل قوم حاولوا شرف المَغنى
سنسعى إلى ما قد سعيت من العلى بصادق عزم يُنكِر الضعف والوهْنا
وإنّا لقوم مستقلّون فِطرةً إذا أنكر إستقلالنا منكر ثُرنا
فلو جُعِلت تبرا سبيكا بيوتنا ولسنا بحكام أبَيْنا بها السُّكنى

(١) الوانى : الضعيف . (٢) الأفن : ضعف الرأى . (٣) المن : الإنعام .

يهون علينا فى السياسة أننا ... نُصَلَّب فى الأعواد أو ندخل السجنا
ولسنا نبالى دون إحياء مجدنا ... أعِشْنا على وجه البسيطة أم مُتْنا
إذا أدركَ المجدَ المؤثَّلَ معشر ... أحادَ ، فإنَّا نحن ندركه مثنى
نفوسا ورثناها كبارا أبيَّةً ... أبت فى الدُّنَا أن تحمل الضيم والغَبْنا

ابن جبران

من سامعٌ قصةً لى كنتُ شاهدَها ... على الرُّبا الخضرِ من جَنَاتِ لُبنان
فقد رأيتُ غلامًا صيغَ منفردًا ... بالحسن يَصْبُو إليه كلُّ إنسان
البدرُ يبدو حقيرا عند طلعته ... والشمسُ تَعْنُو لوجهٍ منه نورَانى[1]
فى عَيْنِه حَوَرٌ فى ثغرِه شنبٌ ... يَفْتَرُّ عن عِقْدِ دُرٍّ وسْط مَرجان[2]
إذا رَنا ناظرًا يرنو بساحرة ... أو انثنى ينثنى عن عِطْفِ نشوان
عليه ثوبٌ بديعُ النسج طُرَّتُه ... من صِبْغَةِ المجد قد زِينَت بألوان
فى جانب منه تلقى الدرّ منتظمًا ... والدرّ منتثرًا فى الجانب الثانى
وللعواطف فى أثنائه صور ... جادت بها ريشة فى كف فنَّان
تَفاوَحَ الطِّيبُ من أردانه عَبِقاً ... كما تَفَاوحُ أزهار ببستان[3]
تستخلص النفسُ من فَحوى ملامحه
أن الغرام الذى يُخفيه رُوحانى
أبصرته واقفًا يبكى وأدْمُعه ... توحى إلى كل قلب وَحْىَ أحزان
يبكى وألحانُ موسيقاه مُشجية ... تهفو بأفئدة مِنّا وآذان
يبكى وأنغام موسيقاه مطربة ... تهتز منهنّ أرواح بأبدان

(١) عنا : خضع وذل .
(٢) الحور : شدة بياض العين وسواد سوادها .
(٣) تفاوح الزهر : انتشرت رائحته . والأردان : جمع ردن : وهو أصل الكم . والعبق الذى تفوح منه رائحة الطيب .

يبكى فيرفضُ عقد الدمع منتثرًا | بغير وزن وأحياناً بميزان
لما أرانى جلالَ الحسن ممتزجًا | بروعة الحزن أشجانى فأبكانى
فقمت بين أناس حوله وقفوا | مستعبرين وكلٌّ نحوه رانِ(١)
وكلهم وقفوا مستسلمين إلى | تنهدات وآهات وإرنان
حتى سألت عن الباكى وقصته | فقيل هذا هو الشعر ابن جبران
أبوه جبران أفناه الردى فغدا | من بعده رَهْنَ يُتْمٍ حِلْفَ أشجان(٢)
فقلت لم يفنَ جبران بميتته | من خلّف ابنًا كهذا ليس بالفانى
بل أصبحتْ بابنه ذكراه خالدة | مادام لبنان مأهولاً بإنسان
إنى أرى رُوح جُبران مُرَفرفة | على الربَا الخضر من جنات لبنان

جبر ضومط

بكى الفَضْلُ لما أن قضى نَحْبَه جبرُ
وليس لكَسْرِ الموت فى طِبِّنا جَبْرُ
طوى الموتُ من جبر ضوامط فاضلاً
لغُرِّ المساعى كان فى عيشه نَشْر

مضى بعد ما أمضى حياة سعيدة | تبسم فيها العلم والفضل والفخر
وخلّف آثارًا خوالدَ بعده | يطيب له مَدَّ الزمان بها ذكر
على اللغة الفصحى أياديه جمة | وآثاره فى نشر آدابها غُرّ
وما كان يبدى الرأى فيها مُقلِّدًا | ولكن له الإبداع والفكرة البكر
وما كان فى استقرائه العلم جامدًا | ولكنه فى العلم كان له فكر
يشق حجاب المشكلات برأيه | كما شق بُرْدَ الليل مذ طلع الفجر

(١) المستعبر : الباكى.
(٢) رهن يتم : أى ملازمه .

ومن شك فلينظر بكل مدينة تلاميذه من بعده فهم كُثْر (١)
فبيصر منهم من حِجاه مثقف ومن لفظه در ومن علمه بحر
رُزِنْغاه فى كلية الطب هاديًا يضىء به الطب فى أفقها بدر
سَيكية فى كلية العلم منبر ويرثيه من أبنائها النظم والنثر
فواجعنا فى ذى الحياة كثيرة وأفجعها أن يُفْقَد العالم الحَبْر
ألا إنما هــذى الحياة رواية يمثلها فى كل يوم لنا الدهر
ولو لم تكن للفاجعات فصولها ممثلة ما كان آخرها القــبر

أبو الملوك

بدا وجهُ العروبة فى حُلوكِ غَداةَ قضى الحسين أبو الملوكِ
قضى متنازِلاً بعد اعتــلاء كذلك الشمس تجْنَح للدُّلوك (٢)
قضى فى المجــد ليس بذى نظيرٍ وفى العَزَمَات ليس بذى شريك
مَليكٌ واصلَ الإقدام حتى أتاه بهلــكه يوم الهُلوك
لقد سلك الطريق إلى المعالى إلى أن مات محمودَ الســلوك
وجدد للعروبة غرس مجــدٍ قديم كان كالعِذْق التَّريك (٣)
وأحدث نهضة فى العرب هزّت جنوب الأرض كالريح السَّهُوك (٤)
وأثبت بالسيوف لهم حقوقا مؤيدة بكل دمٍ سَفِيك (٥)
ولــكن غَشَّه الحلفــــاء حتى أتوه من الثعالب فى مُسُوك (٦)
وخانوا لم يفوا بعد انتصار بما كتبوه فى بطن الصُّكوك

(١) كُثْر : كثيرون .
(٢) جنح : مال ، والدلوك : الغروب .
(٣) العذق : عنقود العنب ، أو ما يشبهه من النخلة . والتريك : المتروك ، أو الذى أكل كل ما عليه ، أو بقى فيه شىء قليل .
(٤) الريح السهوك : العاصفة الشديدة . (٥) الدم السفيك : المسفوك .
(٦) المسوك : جمع مسك ، بفتح الميم ، وهو الجلد .

خطبنا وُدّهم فقبـــــلونا بعاطفة كعاطفة الفَرُوك[١]
وكم وعدوا بنى قحطان وعدا به انقلب اليقين إلى شكوك
لقد ستروا شنيع الغـدر منهم بثوب من سياستهم مَحُوك
فساستهم إذا وقعوا بضَنْك أرَونا الودّ فى وجه ضحوك
وأبدوا فى الرخاء لنا عُبوسا وهـذا عُدَّ من شيم الهَلُوك[٢]
ونحنُ العُرْبَ نأبى غيرَ عزّ ونطمح فى الحياة إلى السُّموك[٣]
ويومَ الروع نحتطم المنبـــــايا ولم تكن السيوف سوى سلوك
ونمضغ فى الهياج للموت دون الـــــعُلَى مضغ الأوانس للعلُوك[٤]
وما عاب الفتى جسمٌ هزيل إذا ما كان ذا شرف ودِيك[٥]
وما الشرف الحميد سوى فَعال حميــــد من معادننا سبيك
قرينَ القبلتين عليك نبكى دما بالدمع من طرْف مَسِيك[٦]
فقدنا منك خـــــير زعيم قوم وخير نضيج تجربة حَنِيك
لقد ناح العراق عليك حزنا وضجّ من الخليج إلى دَهُوك
وناح المســـــجد الأقصى جميعا إلى أرض الشآم إلى تَبُوك
لقد نُزّهتَ من غمز ولمْز كما نُزّهتُ من شعر ركيك

---

(١) الفروك : المبغضة للناس عامة ، أو التى تبغض زوجها .

(٢) الهلوك : الفاجرة ذات الشهوة الشديدة .

(٣) السموك : جمع سمك ، وهو السقف أو أعلى الشىء .

(٤) العلوك جمع علك ، وهو اللبان . (٥) وديك : سمين .

(٦) الطرف المسيك : العين التى لا تدمع كثيرا . وفى الطبعة الثانية : « وما » فى مكان : « دما » . يريد أننا نبكى عليك دما من عين تبخل بالدموع على غيرك .

الشيخ قاسم

مدرس جامع النعمانيـــة

على قاسمٍ شيخ الطريقةقد بكَتْ ... جواهرُ فضلٍ مثلها الدهرَ قاسمُ
بكاه التُقى والعلم والحلم والنُّهى ... وحسن السجايا والعلى والمكارم
فقدنا الذى قد كان فى العلم عَيْلما ... فدجت لمنعاه البحـارُ العيالم[1]
لئن قد طواه الموت عنّا فذكره ... من العلم منشور على الدهر دائم
رُزِئناه حَبْرا فى الطريقة مرشـدا ... به اتّضحت للسالكين المعـالم
عفت أرْبع الارشاد بعد ارتحاله ... وكانت به منها تقام الدعائم
حليف التُقى مادنّس الدهر ثوبه ... بإثم ولامرّت عليه المحـــارم
ترحّـل للأخرى وأبقى مناقبا ... تضيء من الدنيـا بهن المواسم
يصوم نهار الصيف لله طائعا ... ويحيى الليالى وهو لله قائم
إذا مابدا للقوم لاحت بوجهه ... دلائل من نور الهدى وعلائم
ولمـا مضى للخلد قلت مؤرخا ... «لقد بات فى أعلى الفراديس قاسم»

غريق دجلة

يامَن قضى بين المياه غَريقا ... أذْكى فراقك فى القلوب حَريقا
قد كنتَ فينا دُرّة فَلِأجْل ذا ... تَخِذ الحِمامُ لك المياه طريقا[2]
سعدَيك يا (توماس) إنك لم تمت ... مادام ذكرك فى الحياة عَريقا
لكن رَقيت إلى السماء لتجتبَى ... لله فى أعلى السماء رفيقـــا[3]
ياكوكبا عجِل الردى بأفوله ... من بَعـد ما ملأ السماء شروقا

(١) العيلم : البحر ، أو البحر الزاخر.
(٢) تخذ : اتخذ .
(٣) اجتباه : اصطفاه واختاره .

إن كنت غِبْت عن العيون فإنما أُسْكِنتَ طَيَّ قلوبنا مَومُوقا[1]
عشقتْك كلُّ فضيلة وعشقتَها لله درُّك عاشقـــا معشوقا
هَصَرَتْك أيدى الموت غصنا ناضرا يهتزّ فى روض العلاء وَرِيقا[2]
إن العراق على بَضاضةِ قَطره أمسى بفقـدك يابسا معروقا
لله مَنْعاك الجليـــلُ فإنَّه أعيا البليغَ وأخرس المَنْطِيقا
إن كان شخصك بات فى قَيْد الثرى فجميلُ ذكرك لا يزال طليقا

شهداء الطيران

قَضَوا شهداء ليس لهم بَوَاء فتَمَّ لهم على الدهر البقَاء[3]
قَضَوا لعزيزِ موطِنهم ضحايا فهم لعزيزِ موطِنهم فِداء
لهم فى موتهم هـذا حياة مخـــلَّدة يجللها الثناء
تباشرت الجِنَانُ بهم فأمستْ بها من حُسْنِ مَقْدَمِهم بهـاء
وحيا « جعفرُ الطيار » منهم نسورًا فى الجنان لها اعتلاء

٭ ٭ ٭

وطائرة مرفَّـــة الذُّنَابَى بأجنحة الرياح لها ارتقاء
يجول بها من البنْزين رُوح كما جالت بأَوْرِدَةٍ دماء
بعصر الـكهرباء أتت فأمسى لعصر الـكهرباء بها ازدهاء
تمر كأنها فى الجو نَسْرٌ إلى زُهْر النجوم له انتماء
وتختبط الهــواء بساعديها فتعصف منهما الريحُ الرُّخاء

---

(١) ومقه : أحبه .
(٢) هصر : كسر . الوريق : المورق ، أى ذو الأوراق .
(٣) البواء : المثل والند .

فتمضى فى الفضا مُغنىً سَهم | عن القوس الضَّرُوحِ له ارتماء (١)
فيُبصَر كالنجوم لهـا علوّ | ويُسْمَع كالرعود لها رغاء
وقد ترمى الصواعقَ مُحْرِقات | بها فى الأرض ينذك البناء
قد امتطوُا الرياحَ بها فطاروا | إلى حيث احتضتْ بهم السماء
سَمَوا فتضاءلوا فحكَوْا نجوماً | يُصَغِّـــــرها بأعيننا السّناء
وفيهم كان للأوطان حب | وفى أوطانهم منهم رجاء

• • •

ألَا يا طائرين قد استقلتْ | بهم فى الجو ريح جِرْبِياء (٢)
لقد نزل القضاء بكم أليماً | ولا مَنجاةَ إن نزل القضاء
فتم ميتةً بيضــــاء منها | بأعيننا قد اسودّ الفضاء
لقد عَظمت مَناحَتكُم فقامت | تنوح بهـا الحرائر والإماء
وَشققت الجيوب لكم رجال | ولطّمت الخدودَ لكم نساء
غبطنا ميتــــةً قد أعقبتكم | حياةً ليس يدركها الفناء
لـكم بسقوطكم شرف فنيه | لموطنكم نهوض واعتلاء
ولا تأسَوْا على الوطن المفدى | ففى شبانه لكم الكِفاء
فهم خَلفٌ لكم فيما أردتم | ولولا ذلكم عزّ العزاء

(١) الضروح : الشديدة الدفع للسهم .
(٢) الريح الجربياء : ريح الشمال أو بردها .

إلى أمين نحلة

حقّ للدمع أن يكون نشيدَا ... في رثائى أبا أمينٍ رَشيدَا
ألمعىٌّ تبوّع المجــدَ حتى ... حاز منه قريبَــه والبعيدا[١]
وتعالى إلى أعاليــه حتى ... نال منــه قديمه والجديدا
أنجبتــه أصولُ « نحلة » حتى ... أطلعتْه للمجد طَلْعا نضيدا[٢]
قمما فى بواسق المجد فردا ... مستظِلاً منهن ظلا مَدِيدا[٣]

• • •

كان شهما إن جئتَه فى المُلِمّا ... تِ وَقِيــذا أَوَيْتَ ركنا شديدا[٤]
وشجاعا إن جئته يوم هَيْج ... تلق فى الهيج بُهْمَةً صِنْــديدا[٥]
وكريما زكت سجاياه حتى ... كان بِدْعا فى المكرُمات فريدا[٦]
وفصيحا إن أنشد القوم شعرا ... كان فى الشعر مُفْلِقا ومُجيدا[٧]
كان أطْرُوفةَ الزمان ظريفًا ... فكها مازحا رقيقا سديدا
رِقةٌ فاقت النسيم إلى شــدة ... بأس تُفَتّتُ الجُلْمُودا
إنْ شَدَا بالقريض لم تُبصِر الأد ... مع إلا مستحسنا مستفيدا
ساد فى الناس يافِعًا ثم كهلا ... ثم شيخا فى التجربات عميدا[٨]
جُبلت نفسه على الخير حتى ... لم نجـــده إلا لخير مريدا
بلغ المنتهى من المجـد حتى ... ليس فى المستطاع أن يستزيدا

(١) تبوع المجد : مد باعه إليه .
(٢) الطلع : الثمر . والنضيد : المنضد المنظم .
(٣) البواسق : جمع باسقة ، وهى العالية .
(٤) الوقيذ : الشديد المرض ، المشرف على الموت .
(٥) الهيج : الحرب . والبهمة : الشجاع الذى لا يعرف قرنه من أين يتغلب عليه . والصنديد : السيد الشجاع .
(٦) البدع : الفريد الذى لا مثيل له .
(٧) الشاعر المفلق : المبدع .
(٨) عميد القوم : سيدهم وسندهم .

ياسليلَ الفقيد أعْظِمْ بمجد		قد رُزِئْناه فى أبيك مَجيدا
أنا شاطرتك الأسى بدموع		كنّ للحزن فى الفؤاد وَقودا
وتأملتُ منك حرا كريما		خَلَفا للفقيد ضاهى الفقيدا (١)
عازما فى الفعال أن يتسامى		قادرا باجتهاده أن يسودا
فلهذا أقول قول مُعَزّ		لك يرجو عمرا طويلا سعيدا
يا أمين الرشيد أودعك الوا		لدُ مجدا فى الماجدين تليدا
كيف لا نرتجى وأنت أمين		أن تعيد المجدَ القديم جديدا
إن يكنْ مُبدئين آباؤك الغُرُّ		فكن أنت يا أمين مُعيدا

فى يوم أبى غازى

الخريدة العصماء التى ألقاها شاعر العرب الكبير الأستاذ معروف الرصافى فى حفلة تأبين فقيد العرب العظيم المغفور له الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه :

أبو غازى قَضَى فأقِيمِ غازى		فأَنطقَنا التَّهانىَ والتَّعازى
وأطلقنا المدائحَ والمراثى		بإنشاء لهن وبارْتجازِ (٢)
وجئْنا حاشدين بصدرِ يوم		حكى يومَىْ عُكاظَ وذى المجاز
غَداةَ قلوبُنا امتلأت سرورا		وحزنًا يجريان على التَّوازى
فهن بعامِلَىْ فرح وحزن		خوافقُ فى جوانحنا نَوَازى (٣)
فكنّ من ابتهاج فى هدوء		وكن من اهتياج فى اهتزاز

• • •

قضى بدرُ المكارم والمعالى		وحَيْدَرةُ المعارك والمغازى
فيا لله يومَ نَعاهُ ناع		لِمَرْزِئَةٍ محتْ كلَّ المرازى

(١) ضاهى : شاكل وماثل .
(٢) الارتجاز : قول الرجز .
(٣) النوازى : المتوثبة الخافقة .

رُزِئنا ابنَ الحسين فنحنُ منه برزء للحسين أُولو اجتياز
فمـــا مَيْز المحرم من جمادى بفرق فى البكاء ولا امتياز
له كفٌّ تَفيض ندًى ونيلا لها بهما غنى عن حذو حاذى [1]
بنى مجدا عِراقيًا جـــديدا فأسّسه على المجـــد الحجازى
وسار من السياسة فى طريق بحسن الرأى مُعلَمَة الطِّراز
فمـــا ترك الجهود بلا نجاح ولا فُرَصا تمـــر بلا انتهاز
إذا اعتزم الأمورَ مضى وأَمْضى وإن سَلّ المُهَنّد قال مازِ [2]

* * *

أبا غازى فقدنا منك قَرْما يُناجِز دوننَا يوم النّجاز [3]
حللتَ من العراق وأنت رِكْزٌ بحيث الأرض جيـــدة الرّكاز [4]
فحلَّ اليُمْنُ منذ حللت فيـــه وقَبْلا كان عنـــه ذا انحياز
لقد وُفِّقت بالقـــلم المحلّى كما وفقت بالسيف الجُـــراز [5]
ومَهَّدْت الأمور لنا ففُزْنا من الآمال بالغُرر العِزاز
ودَرَّت ذات أيدينا وكانتْ كحَلْب النوقِ أيام الغِرَاز [6]
ولولا سعيُك المشكور كنا كذى سَفَر يسير بلا جَواز
إذا المُكَّاء أوتِىَ منك حظا يَطير إلى العـلى بجناح باز [7]

* * *

(١) الحذو : المحاكاة .
(٢) المهند : السيف من صنع الهند . وماز الشىء : فرزه عن غيره .
(٣) القرم : السيد . ويناجز يقاتل .
(٤) الركز : الرجل الحكيم الكريم . والركاز : ما ركزه الله أى أحدثه ودفنه فى المعادن من ذهب وفضة وغيرهما .
(٥) السيف الجراز : القاطع .
(٦) درب ذات يده : اتسعت حاله واغتنى . وأيام الغراز : التى لا لبن فيها .
(٧) المكاء : طائر من القنابر ، له تصميد وهبوط فى الجو ، أبيض اللون ، وله صفير حسن . والبازى : من الطيور الجارحة .

لأهل الرافدين عليك حزن ... له بقلوبهم فضـــل ارتكاز
فأنت هـــدَيْتَهم سُبُل المعالى ... كما جَنَّبتهم طـــرق المخازى
لَئِنْ لبسوا الحـداد عليك حزنا ... فقد ألبستهم ثوب اعـــتزاز
وما هم بالبكاء جزوك شيئا ... ولـكن الإله هو المجـازى

* * *

لقد قَوَّيتنا من بعد عَجْز ... به كنا نحيـــد عن البِراز [1]
وكنا كالبُغاث فقمتَ فينا ... بمـا صرنا به مثـل البَوازى [2]
فنحن اليوم إذ دَهِمت خطوب ... نظرنا للخطوب بطرف هازى
نقوم إلى الهياج بلا توان ... ونبتدر الأمور بلا احتراز
فلسنا من صروف الدهر نخشى ... عَوَادِيَ ذاتَ سَلْب وابتزاز
ونحن من الالى فى كل عصر ... عزاهم للمـكارم كلُّ عاز
نراعى الحق فى سِلم وحرب ... ونترك فى مغارمنا التجازى
ولو شكت الحقيقةُ لانتزعنا ... شكايتهـــا بتضحية المجاز
وقد علمت بنو آثور أنا ... أولو بأس يعرقب كلَّ ناز
فنحن بسيفك المـاضى جَزَزنا ... نواصى جمعهم أى اجتزاز

* * *

أفَيْصلُ نَمْ بقبرِك مستريحا ... فإن الملك بعدك ملكُ غازى

---

(١) البراز : المبارزة والقتال .

(٢) البغاث : طائر أغبر أصغر من الرخم ، بطىء الطيران ، يضرب به المثل فى الضعف .

ذكرى الكاظمي

أنشدت في حفلة أقيمت في بغداد سنة ١٩٣٥ لتأبين شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي وكان توفي بمصر

ليس في غاية الحياة البقاء   فإذا خاب في الخلود الرجاء
غير أن الحياة بالعز عند الـ   ـرَّجل الحـر غاية غراء
أيّ فخرٍ للناعمين بعيش   لم تُجلِّله عِزَّة قعساء
حسبُ من رام في الحياة خلودا   أنه بعد موته عَلواء[1]
وكفى المرء بعد موت حياةً   أنّ ذكراه حلوةٌ حسناء
قد قضى الكاظمي وهو جديرٌ   أن تعزَّى في موته الشعراء
عاش منسيّ عارفيه ولما   مات فاضت بنَعْيه الأنباء
ذكرته نُعاته بنعوت   قبـله حاز مثلَها العظماء
فلئن كان ما يقولون حقا   أفَهُم بالذى نَسُوا لؤماء
كيف ينسَوْن في الحياة أديبا   عبقريا عنتْ له الأدباء
أفيُنْسَى حيا ويُذْكر ميتا   إن هذا ما تنكر العقلاء
إن هذا أمر يتيه ضلالا   في بوادي تفسيره الحكماء
ضحكوا منه في الحياة ومذ ما   تَ تعالى نحيبهم والبكاء

أيها النادبون :

أيها النادبون غَيْرِىَ غُرُّوا   بَرِح اليومَ للبيب الخفاء[2]
يُكرم الميت بالثناء وتحْيا   عندكم في المَهانة الأحياء
كل من يخبر الأناس خبيرى   لا يبالى أأحسنو أمام أساءوا
أنا جرَّبتهمْ إلى أن تساوى الـ   يومَ عندي سِبَابُهم والثناء

(١) (علواء) : كذا رأيتها في القصيدة بخط الشاعر نفسه ، ولم أتبين المراد منها.
(٢) برح الخفاء : زال اللبس والغموض .

غَرِيَ الناسُ بالهوى فضلال ... كل ما يفعلونه أو رياء[1]
قد تمادى فى القائلين غلو ... وتوالى فى الفاعلين رياء
أيها الكاظمى نم مستريحا ... حيث لا مبغض ولا إيذاء
عشت فى مصر باحترام يؤديـــــه إليك الأماثل الفضلاء
إن للنيل من جزائك شكرا ... ستؤديه دجـلة السناء
لم تعش عيشة الرفاه ولـكن ... لك فى العيش عزة وعلاء
أى حر فى الشرق عاش سعيدا ... لم تشب صفو عيشه الأقذاء
وهنيئا إذ لم تعش فى العراقـــين مضاعا تنتابك الأرزاء
من شقاء العراق أن ذوى النعمـــة فيــه أجانب غرباء
إن جفتنا بلادنا فهى حِبٌّ ... ومن الحِبِّ يُسْتَلَذ الجفاء[2]
لم نَحُل عن عهودها مذ جفتنا ... بل لها الود عندنا والوفاء
قد بكينا شجوا عليها ومنها ... وَعَنَانا سَقامها والشفاء[3]
كم أردنا سخطا عليها ولـكن ... غلب السخطَ فى القلوب الرضاء
إنما هـــذه المواطن أمٌّ ... مُسْتَحَق لها علينا الولاء
إن خَدَمنا فلا نريد جزاء ... ومن الأم هل يُراد جزاء

(١) غرى الناس بالشىء : أولعوا به .
(٢) الجفاء : الإعراض والغلظة .
(٣) شجوا : حزنا . وعنانا : أهمنا وشغلنا .

رثاء شوقى شاعر مصر الأكبر

(ألقيت فى الحفلة التأبينية الكبرى فى نابلس سنة ١٩٣٢)

الشعر بعــد مصابه بكبيره ... فى مصر جل مصابه بأميره
بيناه يبكى حافظا بشهيقه ... إذا به يبكى أحمــدا بزفيره
لم يقض بعض حداده لنصيره ... حتى أحــد أسى لفقد مجيره
ما أن خبت فى الأفق شعلة نوره ... حتى انطوت فى الجو لمعة نوره
بالأمس ظل مُرزأ بمبينــه ... واليوم بات مفجعا بمنيره
أخذت فرزدقه المنون وضاعفت ... جُلَّى مصيبته بأخــذ جريره
رزآن ملتهبان قــد نضحتهما ... على العلى من دمعها بغزيره
فالشعر بعــدهما استطال بكاؤه ... وتموجت بالحزن كل بحوره
وهزاره ترك الصــداح وليثه ... أمنت أعاديه سماع زئيره

* * *

يا نيرا فجع القريض بموته ... فبكته عين وزينه وكسيره
وخلت سماء الشعر بعد أفوله ... من مشرقات شموسه وبدوره
ومؤمرا لم تنتقض بوفاته ... فى الشعر بيعته على تأميره
إذ لن يقوم نظيره من بعــده ... هيهات أن تأتى الدنى بنظيره
لك فى الخلود مكانة ما نالها ... فرعون فى ديماسه وحفيره
إن الدفين مضمخا بحنوطه ... دون الدفين محنطا بشعوره
إن المتوج فوق عرش ذكائه ... يعلو المتوج فوق عرش سريره
ما مات من تركت لنا أقلامه ... صورا خوالد من بنات ضميره
صورا تمثــل ذاته وصفاته ... حتى يقمن لنا مقام نشوره
فكأنه وهو الدفين بقــبره ... حى يعيش بحزنه وسروره

وكأنه فى القوم ساعة حفلهم متكلم بنظيمـــــه ونثيره

* * *

لأبى علىّ من قريحة شعره وحى أتى من جبرئيل شعوره
كم قد رمى الغيب الخفى فؤاده بذكائه فأصاب كشف ستوره
وتصور المعنى الدقيق فرده كالصبح مفتلقا أوان ظهوره
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى من وشى سندس لفظه وحريره
فالشعر قد دكت جبال فنونه إذ موت شوقى كان نفخة صوره
يا راحلا ترك القوافى بعـده محتاجة المحيا إلى تفكيره
لهفى على ذيالك القـلم الذى يتطرب الأرواح لحن صريره
الشعر كنت أميره وسميره فمن المســامر بعد فقد سميره ؟
حررته من رق كل تصنع فبدت فنون الحق فى تحريره
سخرت من أوتاره ما لم يكن ليطيع غـيرك قط فى تسخيره
ولـكم شدوت بنغمة من بمه ولـكم صدحت بنغمة من زيره
تتمايل الأبدان فى إنشـاده طربا وليس يمل من تكريره

* * *

يا أهل مصر عزاءكم فمصابكم أمر قضاه الله فى تقديره
الشعر قد ثلت بمصر عروشه بوفاة سيده وموت أمـــيره
علمان من أعلامه كانا به يتنازعان السبق فى تحبـيره
لكنهما الهرمان قد خشعا أسى والنيل مـــد أنينه بخريره


نسائيات

المرأة في الشرق

ألا ما لأهل الشرق في بُرَحَاء ... يعيشون في ذُلٍّ به وشَقاء[1]
لقد حكَّموا العاداتِ حتى غدت لهم ... بمنزلةِ الأَقياد للأُسراء[2]
إذا تختبرهم في الحياة تجد لهم ... حياة تخطَّت خُطة السُّعَداء
وما ذاك إلّا أنهم في أمورهم ... أَبَوْا أن يسيروا سِيرةَ العقلاء
لقد غمطوا حق النساء فشدَّدوا ... عليهن في حبس وطول ثَواء
وما ألزموهن الحجاب وأنكروا ... عليهن إلّا خَرْجَــــةً بغطاء
أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم ... يغارون من نُورٍ به وهواء
قد انتبذوا عنهن في العيش جانبا ... فما هن في أمر من الخُلَطاء
وقد زعموا أنْ لَسْنَ يصلحن في الدُّنا ... لغــير قرار في البيوت وَبَاء[3]
فما هنَّ إلا متعة من متاعهم ... وإن صِنَّ عن بيع لهم وشراء
أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا ... بما فعلوا من ألأمِ اللؤماء
ولو أنهم أبقوا لهنَّ كرامةً ... لكانوا بما أبقوا من الكرماء
ألم ترهم أمسوا عبيدا لأنهم ... على الذل شبُّوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم ... تحمُّلُ جَوْر الساسة الغرباء
فياقوم إن شئتم بقاء فنازعوا ... سواكم من الأقوام حَبْل بقاء
أَيَسْعد مَحْيَاكم بغير نسائكم ... وهل سعدتْ أرضٌ بغير سماء
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرحٍ ... تمثِّل حالَيْ عِزَّة وإباء
ولكن عارا أن تزَيَّا رجالكم ... على مسرح التمثيل زِيَّ نساء
أقول لأهل الشرق قول مؤنِّب ... وإن كان قولي مُسخِطَ السفهاء

(١) البرحاء : الشدة والأذى ، أو الشر .
(٢) الأقياد : القيود .
(٣) الدنا : جمع دنيا .

ألا إن داء الشرق فى كُبَرائه فبُعْداً لهم فى الشرق من كُبراء
وأقبحُ جهل فى بنى الشرق أنهم يُسَمُّون أهلَ الجهل بالعلماء
وأكبر مظلوم هو العلم عندهمْ فقد يدَّعيه أجهلُ الجهلاء
لو اقتص أهل العلم للعلم منهم لَصَبَّ عليهم منه سَوطَ بلاء
ولَاستأصل الموتُ الوَحِيُّ نفوسَهم ونادى عليهم مُؤذِناً بفَناء [1]
ولكنَّ حلم الله أبقى عليهم فعاشوا ولو فى ذِلة وشقاء
لقد مزَّقوا أحكام كل ديانة وخاطوا لهم منها ثيابَ رِباء
وما جعلوا الأديان إلا ذريعةً إلى كل شَغْب بينهم وعِداء
فما علماء الجهل إلا مَسَاقم رمت جهلاء العلم بالقُوَباء [2]
ألا ياشبابَ القوم إنى إلى العلى لَدَاعٍ فهل مَن يَسْتجيب دعائى
أمَا آنَ للأوطان أن تنهضوا بها لإدراكِ مجد وابتغاءِ عَلاء
فقد بُحَّ صوتى واستشاطت جوانحى وقل اصطبارى واستطال بكائى
على أنْ لى فيكم رجاء وإن يكن من اليأس مسدودا طريقُ رجائى
وما أنا فى وادى الخيال بهائمٍ وإن كنت معدودا من الشعراء



(١) الموت الوحى : السريع .
(٢) القوباء : داء معروف .

نســـــاؤنا

إلى صاحبة مجـلة الخدر

ألَا خلّيانى فى الكلام من السجع ... ولا تَجريا فى القول إلا على الطَّبعِ
وإن أنا أرسلتُ الحديث فأصْغيا ... وإلا فما يُجدِى لسمعكُما قَرْعى
فإنى ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ ... لمستمع إلا لتغرب فى السمع
ولست أبالى بعد إفهام سامعى ... أ كان بخَفْضٍ لفظُ ماقلت أم رَفْع (١)
وإنى إذا قبّلت رأسًا ولم أجد ... به فضل عقل كان أجدر بالصَّفع
إذا كان علمُ الأُصل عندى حاصلًا ... فيمَ اهتمامى بعد ذلك بالفرع
فإن بان لى سير الكواكب لم أُبَلْ ... أ كان بجَذْب ذلك السَّير أم دَفْع
شكوت إلى رب السموات أرضَه ... وما الأرض إلا من سَماواته السَّبع
فقد جار فى الأرض البسيطة خَلْقُهُ ... على خلقه جوْرا إلى الحزن يَسْتَدعى
وإنَّ السمواتِ العُلى لكثيرةٌ ... وإن لم نَعُدَّ اليوم منها سوى تسع
وإنى لَأَشْكو عادةً فى بلادنا ... رمى الدهر منها هَضْبة المجد بالصَّدْع
وذلك أنّا لا تزال نساؤنا ... تعيش بجهلٍ وانفصال عن الجمع
وأ كبرُ ما أشكو من القوم أنهم ... يَعُدُّون تشديد الحجاب من الشَّرْع
أفى الشرع إعدامُ الحمامة ريشَها ... وإسكانها فوق الغصون عن السَّجْع
وقد أطلق الخَلَّاق منها جناحَها ... وعلَّمها كيفَ الوُقوعُ على الزرع
فتلك التى ما زلت أبكى لأجلها ... بكاء إذا ما اشتدَّ أدَّى إلى الصَّرْع
بكيتُ بلا دمع ومن كان حزنه ... شديدا بكى من غير صوت ولا دمع
فيا ربَّةَ الخدر اسمعى ما أقوله ... لعلَّ مقالى فيه شىءٌ من النفع

(١) الخفض والرفع: من مصطلحات النحو. ومراد الشاعر أنه لا يتأنق ولا يعرب فى عبارته. وليس مراده أنه يجوز رفع المنصوب أو خفضه، ونصب المرفوع أو خفضه، لأن ذلك لا يجوز فى الإنشاء الرفيع، بل فى كلام العوام.

أيابنة « فندى » إنّ للمجد غايةً ... وإنّى فى إدراكها باذلٌ وُسْعى
وإنّى أرى فى القوم بعضَ مخايل ... وأحذر من أن يَنْقَشِعن بلا هَمْع (١)
فقد لا يُرَوِّينا السحاب بمائه ... وإن كان فيه البرق متصلَ اللمْع
يقولون لى إنّ النساء نَواقصٌ ... ويُدْلون فيما هم يقولون بالسمع
فأنكرت ماقالوه والعقلُ شاهدى ... وما أنا فى إنكار ذلك بالبِدْع
إذا النخلة العَيْطاء أصبح طَلْعُها ... ضعيفا فليس اللوم عندى على الطَّلْع (٢)
ولكن على الجِذْع الذى هو نابت ... بمنبت سوء فالنقيصة فى الجذع
ووالله ما إن ضقتُ ذَرْعا بقولهم ... ولكنَّما قد ضاق من قولهم ذرعى
أُمزق دعواهم إذا ماطعنتُها ... ولو أنها كانت من الدين فى درْع
ألا فاصدعى يار بّةَ الخدر الذى ... تَرَيْنَ من الآراء فى الردّ والرّدْع
فأنتِ مثالٌ للكمال الذى حوى ... من العلم أسبابا تجلّ عن القطع
أدامك ربُّ الناس للناس حجّةً ... على من نمى نقص النساء إلى الطبع

حرية الزواج عندنا

ظلموكِ أيتها الفتاةُ بجهلهم ... إذْ أكرهوك على الزواج بأشْيَبَا
طمِعوا بوَفْر المال منه فأخْجلوا ... بفضول هاتيك المطامع أشْعبا (٣)
أفكَوكَبٌ نحْسٌ يقارِن فى الورى ... من سعد أخْبية الغوانى كوكبا
فإذا رفضتِ فما عليك برفْضه ... عار وإن هاج الولىّ وأغضبا

---

(١) المخايل : جمع مخيلة ، وهى السحابة المبشرة بالخير ، ضربها مثلا للصفات التى تنبىء عن حسن الاستعداد فى الإنسان . والهمع : الإمطار .

(٢) العيطاء : المرتفعة . والطلع : الثمر .

(٣) وفر المال : المال الكثير . وأشعب : عربى يضرب به المثل فى الطمع ، كان فى عهد بنى أمية .

إنّ الكريمة فى الزواج لحرّةٌ — والحر يأبى أن يعيش مُذَبْذبا
قلبُ الفتاة أجلُّ من أن يُشترى — بالمال لكن بالمحبَّة يُجتَبى[1]
أتُباع أفئدة النساء كأنّها — بعض المتاع وهنَّ فى عهد الصِبا
هـذا لعَمْرُ الله يأبى مثله — من عاش ذا شرف وكان مهذَّبا
بيت الزواج إذا بنوه مجدَّدا — بالمال لا بالحب عاد مخرّبا
يامن يُساوم فى المهور مغاليا — ويميل فى أمر الزواج إلى الحِبَا[2]
أقصِرْ فكم من حرَّة مُذ أُنْزلَتْ — فى منزل الرجل الغنىّ بها نَبَا
إن الزواج محبـة فإذا جرى — بِسوَى المحبة كان شيئا متعبا
لا مهرَ للحسناء إلا حبّها — فبحبّها كان القِران محببا
خير النساء أقلّها لخطيبها — مهرا وأكثرها إليه تحبُّبا
وإذا الزواج جرى بغير تعارف — وتَحبُّب فالخير أن نترهَّبا
هو عندنا رمىُ الشِّباك بلُجَّـة — أتصيب أخْبثَ أم تصادف أطْيبا
أو مثل مُحتَطِبٍ بلَيْل دامسٍ — أيَدُوسُ أفْعى أم يلامس عقربا[3]
ولِقومنا فى الشرق حالٌ كلّما — زدتُ افتكارا فيه زدت تعجُّبا
تركوا النساء بحالة يرثى لها — وقضَوا عليها بالحجاب تعصُّبا
قل للألى ضربوا الحجاب على النِّسا — أفتعلمون بما جرى تحت العَبَا[4]
شَرَفُ المليحة أن تكون أديبة — وحجابها فى الناس أن تتهذّبا
والوجه إن كان الحياء نقابَه — أغنى فتاة الحىّ أن تتنقبا
واللؤمُ أجمع أن تكون نساؤنا — مثلَ النّعاج وأن نكون الأذْؤُبا
هل يعلم الشرق أن حياته — تعلو إذا ربّى البناتِ وهذّبا
وقضى لها بالحق دون تحكّم — فيها وعلّمها العلوم وأدّبا

---

(١) يجتبى: يختار ويصطفى. (٢) الحبا: المهر. وأصله: الحباء، ممدود.
(٣) المحتطب: جامع الحطب. والدامس: الشديد الظلمة.
(٤) العبا: أى العباءة.

فالشرق ليس بناهض إلا إذا ... أدنى النساء من الرجال وقرّبا
فإذا ادّعيتَ تقدماً لرجاله ... جاء التأخّر فى النساء مكذّبا
من أين ينهض قائماً مَن نصفُه ... يشكو السّقام بفالِج مُتَوَصّبا(١)
كيف البقاء له بغير تناسُب ... والدهر خصّص بالبقاء الأنسَبا
والشعر ليس بنافع إنشاده ... حتى يكون عن الحقيقة مُعرِبا
تلك الحقيقَة للرجال أزُفُّها ... ولها أقيم من القوافى موكِبا

المرأة المسلمة

لم أرَ بين الناس ذا مَظْلِمَهْ ... أحقّ بالرحمة من مُسْلِمَهْ(٢)
منقوصـــــــةٍ حتى بميراثها ... محجوبةٍ حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صِواناً لها ... من كل ما يدعو إلى المأثَمه(٣)
والعلم أعلى رتبـةً عندهم ... من أن تَلَقّاه وأن تعلَّمه(٤)
ما تصنع المرأةُ محبوسةً ... فى بيتها إن أصبحت مُعْدِمه
ضاقت بها العيشة إذ دونها ... سُدّت جميع الطُّرُق المُعلَمه

• • •

كم فى بيوت القَوم من حُرّة ... تبكى من البؤس بعينى أَمَه
قد لوّحت نارُ الطَّوَى وجهَها ... وأَعْمَل الفقرُ به مِيسَمه(٥)
عاب عليها قومُها ضِلّه ... أن تكسب القوت وأن تَطْعَمَه(٦)

(١) السقام : المرض . والفالج : الشلل يصيب نصف الانسان طولا . والمتوصب : المريض .
(٢) المظلمة بكسر اللام : ما يطلبه المظلوم عند الظالم .
(٣) الصوان ، بتثليث الصاد : ما يصان به الشيء ويحفظ .
(٤) من أن تلقاه ، بتشديد القاف : أصله تتلقاه ، حذفت منه إحدى التاءين .
(٥) الطوى : الجوع . ولوحت نار الطوى وجهها : أى غيرته وسفعته . والميسم : المكواة ، وهى حديدة يكوى بها .
(٦) ضلة ، بالكسر : وهى مفعول مطلق ، أى عيب ضلة ، والواو فى قوله « وأن تطعمه » بمعنى مع ، وليست بعاطفة ، لأنهم لا يعيبون عليها أن تطعم القوت .

من أيّ وجهٍ تبتغى رزقها وطُرْقها بالجهل مُسْتَبهِمَه
وكيف والقَوم رأوْا سعيها فى طلب الرزق من المَلاَمَه

* * *

وكم فتاةٍ فقَـــدت بَعْلَها من بعد ماقد وَلَدت تَوْءَمَه (١)
فانقَطعت فى العيش أسْبابُها وأصبحتْ للبؤسِ مُسْتَسلمه
تَبيتُ لم تحمَد لِفَرْط الجَوَى لا قمرَ الليـل ولا أنْجُمَه
من حيث لا تملك من دهرها ما جَلَّ أوْ دقّ ولو سِمْسمه
جَفَّ على مُرضَعِها ثَدْيُها فاضطرّها ذلك أن تَفطِمه (٢)
فعاش عيشَ الأم لم يُوفِه مَلبَسه الدهر ولا مَطعمه
فشبَّ منهوكَ القُوى مثلَها يشكو من الدهر الذى أيْتَمه (٣)

* * *

فهـــذه حالةُ نِسْواننا وهى لَعَمْرى حالة مؤلمه
ما هكذا يا قومُ ما هكذا يأمرنا الإســـلام فى المُسْلِمه
فهل بكم من راحمٍ للنِّسَا فهنّ أوْلَى الناس بالمَرْحَمه (٤)

---

(١) التوءمة : مؤنث التوءم ، وهو المولود مع غيره فى بطن .
(٢) على مرضعها ، بصيغة المفعول : أى على طفلها المرضع . وقوله فاضطرها ذلك : أى فاضطرها جفاف ثديها .
(٣) منهوك القوى : أى خائر القوى ، هزيلا ضعيفا .
(٤) فهل بكم : أى فهل فيكم ؛ فالباء الظرفية بمعنى فى .

التربية والأمهات(*)

هي الأخلاقُ تَنبت كالنباتِ ... إذا سُقِيَتْ بماء المَكْرُماتِ
تقوم إذا تعهَّدها المُرَبِّي ... على ساق الفضيلة مُثْمِرات
وتسمو للمكارم باتِّساقٍ ... كما اتَّسقت أنابيبُ القَنَاة(١)
تُنْعِش من صميم المجد رُوحا ... بأزهار لها مُتَضوِّعات
ولم أرَ للخلائق من محلّ ... يُهذِّبها كحِضن الأمهات
فحِضْن الأمّ مدرسة تسامتْ ... بتربية البنين أو البنات
وأخلاقُ الوَليدِ تقاس حُسْنا ... بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيبُ عاليةِ المزايا ... كمثل ربيبِ سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جِنانٍ ... كمثل النبت ينبت في الفَلاة

• • •

فيا صدرَ الفتاة رَحُبْت صدرا ... فأنت مَقَرُّ أسنى العاطفات
نراك إذا ضممتَ الطفل لَوْحاً ... يفوق جميع ألواح الحياة
إذا استند الوليدُ عليك لاحتْ ... تصاويرُ الحنانِ مصوَّرات
لأخلاق الصبيّ بك انعكاس ... كما انعكس الخيالُ على المِرآة
وما ضَرَبانُ قلبك غير درس ... لتلقينِ الخصال الفاضلات
فأوَّل درس تهذيب السَّجايا ... يكون عليك يا صدر الفتاة
فكيف نظنُّ بالأبناء خيرا ... إذا نشئوا بحضن الجاهلات
وهل يُرجَى لأطفالٍ كمالٌ ... إذا ارتضعوا ثُدِيَّ الناقصات
فما للأمهات جهلن حتى ... أتَيْن بكل طيَّاش الحصاة(٢)

(*) من الديوان الأول .

(١) القناة : الرمح وكل عصا مستوية .

(٢) الطياش : الذى لا يقصد وجها واحدا لخفة عقله . والحصاة : العقل والرأى ، يقال فلان ذو حصاة ، أى هو وقور . وماله حصاة ولا أصاة : أى رزانة . قال كعب بن سعد الغنوى :

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

حَنَوْنَ على الرضيع بغير علم ... فضاع حُنُوُّ تلك المرضعات

* * *

أأُمَّ المُؤمنين إليكِ نشكو ... مصيبتَنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبةٌ يا أُمُّ منها ... « تكاد تغصّ بالماءِ الفرات »
تَخِذْنا بعدكِ العادات دينا ... فأشقى المسلمون المسلمات
فقد سلكوا بهنَّ سبيلَ خُسْرٍ ... وصَدّوهنَّ عن سبل الحياة
بحيث لَزِمْنَ قعرَ البيت حتى ... نزلنَ به بمنزلة الأَدَاة[1]
وعَدُّوهنَّ أضعف من ذباب ... بلا جنح وأهون من شَذاة[2]
وقالوا شِرْعَةُ الإسلام تقضى ... بتفضيل « الذين » على «اللواتى»
وقالوا إن معنى العلم شيء ... تضيق به صدور الغانيات
وقالوا الجاهلات أَعَفُّ نَفْساً ... عن الفَحْشا من المتعلمات
لقد كذبوا على الإسلام كِذباً ... تزول الشُمُّ منه مُزَلْزَلات
أليس العلم فى الإسلام فَرْضاً ... على أبنائه وعلى البنات
وكانت أُمنا فى العلم بحراً ... تحل لسائليها المشكلات
وعلَّمها النبىّ أجلّ علمٍ ... فكانت من أجلّ العالمات
لذا قال ارْجِعُوا أبداً إليها ... بثُلْثَىْ دينكم ذى البيّنات
وكان العلم تلقيناً فأَمْسَى ... يُحَصَّل بانتياب المَدْرَسات[3]
وبالتقرير من كتبٍ ضخام ... وبالقلم المَمَدّ من الدواة
ألم نرَ فى الحسان الغيدِ قبلًا ... أوانسَ كاتبات شاعرات

---

(١) الأداة : الآلة ، يريد بها مايستعمل فى البيوت كالآنية . والشاعر يقرع بذلك بعض من لا أخلاق لهم ، ممن أضاعوا حقوق المرأة ، وسلبوها ما منحها الله من المقام السامى ، غير ناظرين إلى ما ورد فيها من الآيات والأحاديث القاضية بتكريمها ، وجعلها مساوية للرجل ، وجعله قواما عليها بواسطتها .

(٢) الشذاة : كسر العود .

(٣) هذا البيت وما بعده جواب لاعتراض مقدر ، تقديره أن النبى لم يعلم عائشة العلم بطريق تعليمها القراءة والكتابة ، بل بطريق التلقين .

وقد كانت نساء القوم قِدْماً ... يَرُحْنَ إلى الحروب مع الغُزاة[1]
يكنَّ لهم على الأعداءِ عَوْناً ... ويَضمِدن الجروح الداميات
وكم منهنَّ من أُسِرَت وذاقت ... عذابَ الهُوْن فى أسر العُداة
فماذا اليوم ضرّ لو التفتنا ... إلى أسلافنا بعض التفات
فهم ساروا بنَهْج هُدًى وسرنا ... بمنهاج التفرق والشَّتات
نرى جهل الفتاة لها عَفافاً ... كأنّ الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا لُجرْمٍ ... فنـؤذيهنَّ أنواع الأذاة[2]
ونُلزمهنَّ قعر البيت قهراً ... ونحسبهنّ فيه من الهَنات[3]
لَئِنْ وَأَدُوا البناتِ فقد قَبَرْنا ... جميعَ نسائنا قبلَ الممات[4]
حجبناهنَّ عن طَلَب المعالى ... فعشن بجهلهنّ مُهَتّكات
ولو عَدِمت طباعُ القوم لؤماً ... لما غدت النساء محجَّبات[5]
وتهذيبُ الرجال أجلُّ شرط ... لجعل نسائهم مُتَهذّبات
وما ضرَّ العَفيفةَ كشفُ وجه ... بدا بين الأَعِفَّاء الأُباة
فدى لخلائقِ الأعراب نفسى ... وإن وُصِفوا لدينا بالجُفاة
فكم برزتْ بحيِّهمُ الغوانى ... حواسرَ غير ما متريِّبات
وكم خِشْف بمَرْبَعهم وظبى ... يَمُرُّ مع الجداية والمَهَاة[6]
ولولا الجهل ثَمَّ لقلتُ مَرْحَى ... لمن أَلِفوا البَدَاوة فى الفلاة[7]

---

(١) أراد بهذا البيت وما بعده إقامة الدليل على عدم الحجاب فى صدر الاسلام .

(٢) الحلائل : الزوجات .

(٣) الهن : كناية عن كل اسم جنس ، ومعناه شيء . ومؤنثه هنة ، وجمعها هنوات وهنات . يريد بذلك أننا نحسب المرأة من جهلنا شيئا من أشياء البيت .

(٤) وأد البنت : دفنها حية .

(٥) السبب فى تحجيب النساء : فساد طباع الناس ، فلو تجردوا عن لؤم الطبيعة لأبيح لمرأة كشف وجهها ، كما كانت فى زمن النبي وأصحابه .

(٦) الخشف والظبى : الغزال . الجداية والمهاة : الغزالة . وفى الكلام مجاز لا يخفى .

(٧) ثَمّ : هناك . مرحى : كلمة تقال عند إصابة الشيء ، كما أن برحى تقال عند الخطأ فيه .

المهجـــورة

أو مشهد الحسد فى الحزن

وبيضاء أغناها عن الحَلى ثغرُها　　بِسِمطَيْن من دُرّ مُضِيئَين فى الثَّغْرِ (١)
إذا ابتسمت فى ظلْمة اليأس أشرقا　　فعُدنا من الآمال فى أنْجُم زُهر
نرى وجهها بدراً محاطاً من السَّنا　　بصُبْحين من ثغر وضِيء ومن نَحْر
يذكِّرنى من مطلع الشمس شعرُها　　ذوائبَ تُرْخَى من أشعتها الصُّفر



كشفت به ما كان من حجب العمى . . .

تراءت . فأمَّا نفسُها فحزينةٌ　　وأما مُحَيّاها فكالكوكب الدُّرّى
بدت فى حِدادٍ ترسل الطَّرْف وَانيا　　يغُضّ على وَجْدٍ ويُفْتَح عن سِحْر
رأيت بهــا بدرا تَرَدّى دُجُنَّــة　　غداةَ أُميط السَّجْف من جانب الخِدْر (٢)
فــكانت لها سودُ الجلابيبِ حليةً　　ولاعجبٌ أن الدُّجى من حِلَى البدر
تَبَسَّمُ حينا ثم تَجْهش للبُــكا　　فمن لؤلؤ نُبدى ومن لؤلؤٌ تذْرِى (٣)

(١) السمط : العقد .　(٢) الدجنة : الظلمة .　(٣) أدرى الدمع : أسقطه .

كأن تَلاميحَ الأَسى فى جبينها ... بقايا ظلامِ الليل فى غُرّة الفجر
وكم أبصرتْ عيناى لما تنهَّدت ... تَمَوُّج بحر الحب من عاصف الهَجْر
فقد كان منها الصدرُ يعلو ويرتمى ... فيبعث بى شَجْنوا يموج به صدرى
ومما شجا نفسى ذبول بخدها ... كما ذبلت فى بيتها باقةُ الزهر
ولما انقضى صبرى وقفت تجاهها ... أسائل عما ناب من نُوَب الدهر
فقالت وقد ألقت على الصدر كفّها ... تشد ضلوعا يَنْطَوِين على جمر
لك الخير من حُرّ يسائل حرةً ... شَكَتْ هجر بَعْل لم يكُن بالفتى الحر
سقانى بكأس الحب حتى شربتُها ... ولم أدْرِ أن الحب ضرب من الخمر
فلما رآنى قد سَكِرت بحبه ... صحا قلبُه من حيث لم أَصْحُ من سكرى
ألَا إن قلبى اليوم إذ مسَّه الجَوَى ... وإذ مال بعلى فى هواى إلى الغدر
ليفزع ممن يدَّعى الحبَّ قلبه ... كما فزعت قُمْرِيَّة الروض من صقر
على أن قلبى لم يعد عنه صابرا ... ألَا لا أَمَال الله قلبى إلى الصبر
إذا أشرقت شمسى تناسيت ذكره ... وإن جَنّ ليلى بتُّ منه على ذِكْرِ
وإنى على ما نابنى من جفائه ... لأقْنع منه بالخيال الذى يَسْرى
ولما شكت لى حُرْقَةً فى فؤادها ... ترقرق دمع العين فى خدها يجرى
أرى قطراتِ الدمع فى وَجَناتها ... فأَحْسِبها الياقوت رُصِّع بالدرّ
هنالك ألقمت راحتيها بوجهها ... تكفكف أسرابا من الدمع بالعَشْر
وقالت وقد كان النشيجُ يَصُدُّها ... عن القول إلا عن كلام لها نَزْر
سأحمل ما قد حَمَّلَتْنى يد الهوى ... من الوجد حتى يحملونى إلى القبر
فقلت أما والله لو أنَّ لى يدا ... على كل حكم جاء من ظالم الدهر
لشدَّدتُ فى زَجْرِ المحبين إن جفَوا ... وعاقبت منهم من يميل إلى الهجر

إلى الحجابيين

بمناسبة كتاب السفور والحجاب . للآنسة نظيرة زين الدين

قل للحجَابيين كيف تَرَوْنَـكُم ... من بَعْدِ سِفْرٍ للسُّفُورِ مُبِينِ
كَشفتْ به ما كان من حجُب العَمَى ... عنكم «نظيرةُ» بنت «زين الدين»
سِفْرٌ أقام على السفور أدلةً ... تركت ذُبَابَـكُم بغير طَنِين
ياللاجئين إلى العناد خصومةً ... ما كان حصن عنادكم بحَصين
هل من نظير بينكم لنظيرةٍ ... أو من فقيه مثلهـا وفطين(١)
هدمت نظيرة ما بَنَتْ عاداتـكم ... من كل سجن للنساء مهين
أفتَمْـكثون على العناد وقد بدا ... من بعد ليل الشك صبح يقين
نحن السفوريين أعلمُ بالذى ... شَرَعَ النبى محمد من دين
أيَـكون ما شرع النبى محمد ... شيئاً يخالف شِرْعة التمدين
إن اعتزالـكُم النساء ترفعا ... أمرٌ يناقض حِكْمَة التكوين
حتى رجال الصين تحترم النسا ... أفنَحْن نقص عن رجال الصين
كلاً ولـكنْ عادةٌ همجيَّةٌ ... جعلتكم حربا لـكل حَسِين(٢)

هوان المرأة عندنا

ما أهْوَنَ على ذُكرانـنـا ... فلقد شجانى ذُلُّهـا وخُضُوعُها
ضَعُفَتْ فحُجَّتها البكاء لخصْمها ... وسلاحها عند الدفاع دموعها
هى مُتْعة المستمتعين ولَيْتَها ... كانت لزاماً لا يجُوز مَبيعها
فوَليُّها عنـد الدفاع يبيعها ... وحَليلُها عند الطلاق يُضيعها
وكلاهما متحكمٌ فى أمْرهـا ... هذا يعريها وذاك يُجيعها

(١) الفطين : صاحب الفطنة .
(٢) الحسين : الحسن .


التاريخيات

ضلال التاريخ

أقول وطَرْفى فى المُحال مُحدِّقٌ ... أبا الدهر مَسٌّ أم بأهليه أوْلَقُ(١)
أما لِلُغَيْزاء الزمان مُفَسِّرٌ ... فقد حار فيها الألمعىُّ المدقِّقُ(٢)
لقد خامرتْنى فى الزمان وأهلِه ... شُكوك عليها يُعذَر المتزندِق(٣)
أرى الدهرَ فى أمرين يعمل دائباً ... صَنَاعَ اليدين فيهما يتأنَّق(٤)
يُجدِّد للموتى مناقبَ لم تكنْ ... لديهم وللأحياء يُبلِى و يُخلِق(٥)
فكم من قبور عظَّم الناسُ أهلَها ... بما لم يكن عند النُّهى يتحقَّق
ورُبَّ امرىءٍ قد عاش يستقطرُ الثَّنا ... فلمَّا قضَى سال الثنا يتدَفَّقُ(٦)
سقى الدهرُ للأموات غَرْسَ مناقب ... بمَيْنٍ فظلَّ الغَرْس ينمو فيبْسُق(٧)
أرى كل ميت ما تقادمَ عهدُهُ ... تقامُ له سُوق الثناء فتَنفقُ(٨)
فأقربُهُم عهداً أقلُّ غضاضةً ... وأقدمهم عهدا أغضُّ وأسْمَق(٩)
كأنَّ كراماتِ الفقيدِ بواسق ... يؤبِّرها كَرُّ القرون فتُعذِق(١٠)
إذا شطَّ جيلٌ خط من جاء بعده ... أكاذيبَ عنه بالثناء تُزَوِّقُ(١١)
فما كتب التاريخ فى كل ما رَوَتْ ... لقرَّائها إلّا حديث مُلَفَّقُ(١٢)

---

(١) الأولق : الجنون .
(٢) لغيزاء : تصغير لغز . والألمع والألمعى : الذكى المتوقد .
(٣) خامرتنى : داخلتنى وذهبت بلبى . والمتزندق : من لا يؤمن بالآخرة ولا الربوبية .
(٤) رجل صنع اليدين وصناع اليدين وصنيع اليدين : حاذق ماهر فى العمل بهما .
(٥) مناقب : محامد . جمع منقبة .
(٦) يستقطر الثناء : يطلبه من الناس قطرة قطرة . وقضى : مات .
(٧) المين : الكذب . ويبسق : من البسوق : أى يعلو ويطول فى السماء ، كما تبسق النخلة .
(٨) تنفق : تروج . وقوله « ما تقادم » ما هنا : زائدة لا نافية ، لأن المعنى على التحقيق ، لا على النفى . يريد قد تقادم عهده .
(٩) الغضاضة : مصدر الغض ، وهو الطرى من النبات واللحم ونحوها
(١٠) يؤبرها : يلقحها ويصلحها . وتعذق : تثمر .
(١١) تزوق : تخلط وتموه .
(١٢) ملفق : مصنوع من عناصر غير متجانسة ، فهو كذب .

نظرنا لأمر الحاضرين فرابَنا فكيفَ بأمر الغابرين نصدِّق (١)
وما صَدَقتنا فى الحقائق أعيُن فكيف إذن فيهن يَصْدُق مُرَق (٢)
وهل قد خصصنا دون من مات قبلَنا
بخُبثِ السجايا ، شدَّ ما نتحمَّق ! (٣)

* * *

لعمركَ أقصانى الزمانُ المفرِّقُ فهلْ أنا من بعد التشاؤم مُعْرِقُ (٤)
خليليَّ هلْ مَنْ بالرُّصافة عالم بأنِّى إلى من بالرُّصافة شَيِّق (٥)
بلادٌ إذا ما هبَّتِ الريحُ نحوَها تمنَّيْتُ لوْ أنى بها أتعلَّق
أبيتُ على شوق وقلبيَ مُوثَقُ بهمٍّ ودمعى فوق خَدَّىَّ مُطلق
إذا ما تذكَّرت العجوزَ بكيتُها بدمع به الأهداب تطفو وتَغرَق (٦)
وما شَرَقى بالدمع ياأمُّ وَحْدَهُ ولكن بروُحى عندذكراكِ أشْرَق
ويهفو بقلبي الشوق حتى كأنَّما تخطَّفَه من بين جَنْبيَّ سَوْذَق (٧)
فيا أمُّ صبراً إنَّ لابنك همة إلى المجد ترمِى أو إلى المجد تَسْبِقَ
تضايقَ عنها الدهر مُستعظماً لها وأهلوه عنها يا أميمَةُ أضيق (٨)
أكلَّف منها الدهرَ ما لا يُطيقه فليس بعارٍ أننى فيه مُخفِق
لقد صَغُرَتْ بغدادُ عن أن تضمَّها وما وسِعَتْها بعد بغدادَ جِلِّق (٩)

(١) يقول : إذا قسنا أمر الماضين على ما نشاهده بأعيننا ، ضاعت الثقة بالتاريخ ، لأننا نرى بأعيننا أمورا لا يصدق التاريخ فى ذكرها .

(٢) المهرق : نوع خاص من الصحف . كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها .

(٣) شد ما نتحمق : ما أشد حماقتنا !

(٤) التشاؤم هنا : الذهاب إلى الشأم . ومعرق : داخل العراق . ويقال أشأم : فهو مشئم ، وأعرق فهو معرق .

(٥) شيق : مشتاق .

(٦) يريد بالعجوز أمه .

(٧) هفا بقلبه الشوق : ذهب به . والسوذق : الصقر أو الشاهين .

(٨) صغر لفظ أم ، تلطفا وتحننا إليها . (٩) جلق : دمشق .

ومنها :

أبتْ كتب التاريخ للحقِّ مُلتقًى ... فبينهما من زُخرف القول مَوبِق (١)

فإن شرَّقت فى الحق فهو مغرِّب ... وإن غرَّبت فى الحق فهو مشرِّق

تجور بها الأهواء جوراً وإنما ... على مُزْلقات المَيْن تمشى فتَزْلَقُ (٢)

فيأيها التاريخ أَغرقْ مُغالياً ... فما ضرَّ بعد اليوم أنك مُغرِق (٣)

قتلتُ الورى خُبراً فليس بخادعى ... حديثٌ مُطرًّى أو كلام مُنمَّق (٤)

ولى فى بنى الدنيا حَصاة رزينة ... إذا طاش حِلْم لاتطيشُ وتَنْزَقُ (٥)

ومنها :

هذاذيكَ لا تحفِلْ مَقالَ مُؤرِّخٍ ... ولا يستفزنْك الكلامُ المشقَّق (٦)

كِذاب على وجه الطُّروس مُسَطَّرٌ ... يَغَصُّ به العقلُ السليمُ ويَشْرَق

فدع عنك لغوَ الناطقين وخُذْ بما ... رواه من الآثار ما ليس ينطِق (٧)

فإن ذكروا النُّعمانَ يوماً فلا تثِقْ ... بأكثرَ مما قال عنهُ الخَوَرْنَق (٨)

فأصْدقُ منهم فى المسامع لهجةً ... ضفادعُ فى المستنقعات تُنَقْنِق (٩)

تنوّرتُ وجهَ الحقِّ فى ظُلُماتِهِمْ ... فلمْ أرَ نوراً غير ذا يتألَّق

ملكتُ من الدنيا حقيقةَ أهلها ... وإنى على الدنيا بها أتصدّق

---

(١) الموبق : الحاجز بين الشيئين .   (٢) زلقت الرجل : دحضت وسقطت .

(٣) أغرق فى الشىء : أمعن فيه وأبعد . والمغالاة : المبالغة فى الشىء . يقول مخاطبا التاريخ : قد عرفناك مغاليا فى تقدير الأشياء ، فلا يهمنا ما تقول ما دمنا نعرف سجيتك .

(٤) التطرية : التزيين والتحسين ، وهى بمعنى التنميق .

(٥) حصاة : عقل . وتنزق : تطيش وتضل .

(٦) هذ هذا : أسرع ، وهذا ذيك : إسراعا بعد إسراع ، وهو من المصادر المنصوبة مثل حنانيك ، أى حنان بعد حنان . يقول أسرع ولا تتلبث عند قراءة التاريخ ، فما يستحق أن يوقف عنده . والكلام المشقق : الفصيح الذى ذهب فيه القائل مذاهب التجميل والتحسين .

(٧) يريد لا تعول إلا على ما تنطق به شواهد الآثار الصامتة .

(٨) الخورنق : من آثار ملوك الحيرة ، يريد لا تثق بأخبار الكتب ، وعول على ما ينطق به البناء من عظمة صاحبه .   (٩) تنقنق : تصوت .

جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي(*)

أَلاَ لَفْتةٌ مناً إلى الزمن الخالِي ... فنَغْبِط من أسلافنا كلَّ مِفْضال[١]
تَلَوْنا أناساً فى الزمان تقدَّمُوا ... وكم عِبْرةٍ فيمن تقـــدّم للتالى[٢]
ألا فاذكروا يا قوم أربُعَ مجدكمْ ... فقد دَرَستْ إلّا بقيةَ أطلال[٣]
تَطَلَّبْتُمُ صفوَ الحياة وأنتمُ ... بجهل ، وهل تصفو الحياةُ لجُهّال ؟
وما أنتم إلّا كسكرانَ طافحٍ ... تحسَّى من الصَّهْباءِ عشرةَ أرطال[٤]
مشى بارتعاشٍ فى الطريق فتارةً ... يقوم وأخرى ينهوِى فوق أوحال
يمدّ إلى الجدران كفَّ استناده ... فتقذفه الجدران قذفة إذلال
ويفتح للطرّاق مُقلةَ حانِق ... فيُغمضُها خَزْيان عن شتم عُذّال

* * *

رمى الدهر قومى بالخمول فلمتهمْ ... وأوسعتهم عَذْلًا فلم يُجدِ تَعْدالى[٥]
فهاج البُكا يأسى فلما بكيتهمْ ... بدمعى حتى ملّ دمعىَ تَسْآلى
نظرتُ إلى الماضى وفى العين حُمْرة ... كأنَّ على آماقها نضحَ جريال[٦]
فشِمتُ بروق الأولين منيرة ... على أُفُق من ذلك الزمن الخالى[٧]
« تنوّرتها من أذرعاتَ وأهلها ... بيثربَ أدنى دارها نظر عال »[٨]

(*) من الديوان الأول .
(١) الغبطة : تمنى ما هو للغير من غير أن تريد زواله عنه .
(٢) تلونا : تبعنا .
(٣) الأربع : الديار . اندرست : امّحت . الأطلال : آثار الديار .
(٤) تحسى : شرب . الصهباء : الخمر . (٥) العذل والتعدال : اللوم .
(٦) الآماق : جمع مأق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين . النضح : رشاش الماء ونحوه . الجريال : صبغ أحمر .
(٧) شمت : نظرت . والشيم : هو النظر إلى البرق خاصة .
(٨) تنورتها : تبصرتها . أذرعات : بلد بالشام . يثرب : اسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . أى نظرت إلى نارها وأنا بالشام وأهلها بيثرب والمعنى أن إفراط الشوق يخيلها لى ، فكأنى =

وقلّبتُ طرفى فى سماء رجالها ... وهم فوق عرشِ الجلالة مِحْلال(١)

فآنست آثارا وهم سِلْك درّها ... وأبصرت أعمالًا وهم جِيدها الحالى(٢)

ولما طَوَيتُ الدهر بينى وبينهم ... على بعد أزمان هناكَ وأجيال

قصدتُ بأوساط القرون فجاءنى ... «أبو بكرٍ الرازى» فقمت لإجلال(٣)

فتًى عاش أعمالًا جساما وإنما ... تقدر أعمار الرجال بأعمالِ

حكيمٌ رياضىٌّ طبيبٌ منجِّمٌ ... أديب وفى الكِيمياء حلَّالُ إشكال

أَتى فيلسوفا للنفوس مهذِّبا ... بأفضل أفعال وأحسن أقوال

لقد طبَّب الأرواح من داء جهلها ... كما طبَّب الأجسام من كل إعلال

مولده :

تولد عامَ الأربعَين الذى انقضى ... لثالث قَرْنٍ ذى مآثر أزوالِ(٤)

إلى زكريًّا ينتمى ، إنه له ... أبٌ تاجرٌ فى الرىّ صاحب أموال(٥)

على حينَ كانتْ بلدةُ الرىّ غادةً ... إلى العلم تعطو جيدَها غيرَ مِعطال(٦)

مدارسُ بالشبان تزهو ودونَها ... كتاتيب للتعليم تزهو بأطفال

= أنظر إلى نارها . والبيت لامرىء القيس بن حجر الكندى ، من قصيدته التى مطلعها :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى ... وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وقد ضمنه شاعرنا .

(١) المحلال : المكان الذى يحل كثيرا ، وهو صفة لعرش .

(٢) آنست : أبصرت . الجيد : العنق . الحالى : المحلى بالقلادة ونحوها .

(٣) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الحكيم ، صاحب الكتب المصنفة ، مات بالرى بعد منصرفه من بغداد سنة ٣١١ .

(٤) أزوال : جمع زول ، وهو العجب ، ومنه (سير زول) أى عجيب فى سرعته وخفته ، وهنا (زول من الأزوال) : أى عجب من الأعجاب ، والعامة عندنا تقول : زول ، بضم الزاى ، وهو خطأ .

(٥) الرى : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن .

(٦) الغادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف . تعطو : ترفع . المعطال : التى ليس فى جيدها حلى .

بهاجلُ درس القوم طِبٌّ وحكمةٌ   وفلسفة فيها لهم أىّ إيغال [1]
وكانت نفيسات الصنائع عندَهم   يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
وما كان هذا الحال فى الرّىّ وحدَها
بل الحال فى البُلْدان طرًّا كذا الحال
فإنّ هُدَى الإسلام أبْهى فُتوحَه   وآصلها الحد أحسن إيصال
و بدّلَ أبطال الحروب من الوَرَى   بأبطالِ عِلْم الجَهالة قُتّال [2]
فدارتْ رحى تلك العلوم وقُطْبُها   ببغدادَ مركوزٌ بربوة إجلال [3]
وكانت يدالمأمون فى ذاك أخجلَتْ   لسانَ العُلَى فى شكره أىّ إخجال [4]

منشؤه :

تدرّج فى تلك المدارس ناشئا   مُتَرْجَمُنا يسعى بجدٍّ وإقبال [5]
تعلّم فنّ الصوتِ بادىء بدئهِ   ومارس تفصيلًا به بعد إجمال
فكانت بموسيقَى اللُّحُون دروسُهُ   تَغَنّى بأهزاج وتشدو بأرمال [6]
وقد جاوز العشرين سنا ولم يكن   لشىء سوى فن الغناء بميَّال
فرام أبوه منه تحويل عزمه   بجذب إلى شغل التِّجَار وإدخال
فقال له دعنى مع العلم إننى   إذا ما أَمَتُّ الجهلَ أحييتُ آمالى
وهل يستطيع المرء شغلًا إذا غدَا   له شاغل بالعلم عن كل أشغال

---

(١) الإيغال : مصدر أوغل فى الشىء ، بمعنى أبعد فى الذهاب فيه ، وبالغ ، وأسرع .
(٢) قتال : جمع قاتل .
(٣) الرحى : أصل معناها الطاحون . والقطب : حديدة فى الطبق الأسفل يدور عليها الطبق الأعلى .
(٤) المأمون : هو عبد الله بن هرون الرشيد صاحب الأيادى البيض فى نشر العلم وترجمة الكتب العلمية باللغة العربية .
(٥) مترجمنا : أى الذى نذكر ترجمته ، يعنى أبا بكر الرازى .
(٦) الإهزاج : مصدر أهزج المغنى إذ أتى بالهزج ، وهو نوع من الأغانى ، فيه ترنم . وأهزج الشاعر : نظم شعرا من الهزج ، وهو بحر من بحور الشعر ، وزنه « مفاعيلن » أربع مرات . الأرمال : مصدر أرمل المغنى : إذا أتى بالرمل ، وهو لحن من ألحان الموسيقى .

هنالكِ استقى الرازى من العلم شِرْبَهُ   فجاد بإعلان له بعد إنهال [1]
سَمَى سعيه نحو التعلم بادئا   بعلم لدى أهل التفلسف ذى بال
وقد كان مفتاحَ العلوم تَفَلْسُفٌ   تُفكُّ به من جهلهم كلُّ أغلال [2]
فزاول أنواع العلوم تنقُّلاً   بأبينِ أوضاحٍ لها غيرِ أغفال [3]
نضا هِمَّةً فى العلم مشحوذةَ الشَّبا
جلتْ ما لحرب الجهل من ليل قَسْطال [4]
وقد أكمل الطبَّ المفيدَ قِراءةً   على الطَّبرىِّ الحبر أحسنَ إكمال [5]

سياحته :

ومذ جاوز الرازى الثلاثين واغتدى   مُدِلاً على أقرانه أىَّ إدلال [6]
رأى من تمام العلم للمرء أنه   يَسيح بضرْب فى البلاد وتَجْوال [7]
وما العلم إلا بالسِّياحة إنها   لمن عملوا فى علمهم درسُ أعمال
فقام وشدَّ الرحلَ والغرْزَ وامتطى   لقطع الفيافى متْنَ هَوْجاء شِملال [8]
فجاء بلادَ الشام توًّا وجازها   إلى مصر فى وخدٍ حثيثٍ و إرقال [9]

(١) الإعلال : السقى بعد السقى . الإنهال : السقى الأول .

(٢) الأغلال القيود .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ، وهو الضوء ، وبياض الصبح . الأغفال : جمع غفل ، وهو مالا علامة فيه توضحه وتبينه ، طريقا كان أو غيره .

(٤) نضا : جرد مشحوذة : مسنونة . الشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف . القسطال : الغبار ، أو هو خاص بغبار الحرب .

(٥) الحبر : العالم .

(٦) أدل على أقرانه إدلالا ، فهو مدل : بمعنى تاه عليهم وتعالى .

(٧) ضرب فى البلاد : سافر .

(٨) الرحل : مركب البعير . الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب ، امتطى : ركب . الفيافى : الأراضى المقفرة . المتن : الظهر . الهوجاء : الناقة السريعة السير . الشملال : الناقة السريعة الخفيفة .

(٩) الوخد : سير البعير السريع . حثيث : سريع . الإرقال : الإسراع ، أو هو نوع من سير الخبب .

وخاض عُباب البحر للغرب قاصداً ... مواطنَ للاسلام لم يَسْلُها السالى (١)
ففيها اجتلاه العز مذ لاح طالعا ... لها كهلالٍ يُجتلى عند إهلال (٢)
وحلَّ حلول البدر فى السعد نازلا ... بقُرطبةٍ آماله ناعم البال (٣)
وهبَّ هبوب الريح ثمَّةَ ذكرُه ... يطيرُ على صيتٍ من العلم جوّال
وودّعها من بعد ذلك راجعاً ... إلى مصرَ لاتوديعَ مُستكرَهٍ قالِ (٤)
ومنها إلى بغدادَ سافر قاطعا ... إليها الفلا ما بين حَلٍّ وترْحال
فألقى عصا التسيار من عَرَصاتها ... بمغرِس عِرْفان ومَنْبِتِ إفضال (٥)
وبغدادُ كانتْ وهى إذ ذاك جنَّة ... بها العلم أجرى منه أنهارَ سَلْسال (٦)
كأن رجالَ العلم فى غرُفاتها ... بَلابلُ تشدو غُدْوةً بين أدغال (٧)
فكمْ محْفِل للكُتْب فيه خِزانة ... وكم مَرْصَدٍ دان وكم مَرْقبٍ عال (٨)
ولما غدا الرازى ببغدادَ باسطا ... من العلم أبواعاً له ذات أطوال (٩)
أقيمَ لمارَسْتانها عن كفاية ... رئيسا بتطبيبٍ وتدبير أحوال
فرتَّب مرضاه وأصلح شأنه ... بما كان لم يخطر لسابق أجيال (١٠)
وظلَّ به يسعى طبيباً ممرّضا ... ويبذل جهُدا لم يكن فيه بالآلى (١١)

---

(١) يريد بقوله مواطن للاسلام : بلاد الأندلس .
(٢) اجتلاه : نظر إليه .
(٣) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس (أسبانيا) وسط بلادها ، وكانت سريرا لملكها وقصبتها ، وبها كانت ملوك بنى أمية ، ومعدن الفضلاء ، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع ، بينها وبين البحر خمسة أيام . وقد خرج منها كثير من أهل العلم والفضل والأدب .
(٤) قال : مبغض .
(٥) عرصاتها : ساحات ديارها .
(٦) السلسال : الماء العذب السهل الدخول فى الحلق ، لعذوبته وصفائه .
(٧) الأدغال : جمع دغل ، وهو الشجر الكثير الملتف .
(٨) المراد بالمرصد والمرقب هنا : المكان الذى ترصد فيه النجوم وترقب .
(٩) الأبواع : جمع باع ، وهو قدر مد الذراعين ، ويكنى به عن الشرف والفضل ، كما هنا . ذات أطوال : ذات أفضال ، وهو جمع طول .
(١٠) إن أبا بكر الرازى هو أول من وضع نظاما لترتيب المستشفيات وبنائها .
(١١) الآلى : المقصر .

وُيلقِى السريريَّات وهى مسائل لدى سُرُر المرضى تُقرِّر فى الحال[١]
فقد كان يلقيها على القوم ناطقا بأوضح تِبيان وأحسن إملال[٢]

مآثره العلمية :

لقد أشغل الرازى ببغدادَ شغلُهُ عدا الطب فى الكِيْمياء أعظم إشغال
فقضَّى بها أيامه فى تجارب وواصل أبكاراً لهنَّ بآصال[٣]
فلقب فيها بالمجرِّب حرمة تفردَ مخصوصاً بها بين أمثال
وأصبح مشهورا بأسنى مآثرٍ من العلم لم يُسْبَق إليها وأعمال
فإن أبا بكر لَأَوَّلُ مفصحٍ إلى الناس بالدرس السَّريرى مِقوال
وأولُ من أبدى لهم كيف يُبتنى ويفُرش مارستانهم قصد إبلال[٤]
وألَّف فى المُسْتشفياتِ مُؤَلَّفا تقصَّى به فى وصفها دون إغفال[٥]
ولا تنسَ للرازى الكحُولَ فإنه يجدِّد طول الدهر ذكراه فى البال
ومن عمل الرازى انعقادُ لسكَّرٍ وما كان فى محصوله غيرَ سيَّال

أخلاقه :

أرى العلم كالمرآة يَصْدأ وَجهُهُ
وليس سوى حُسْن الخلائق من رجال
أخو العلم لا يغلو على سوء خُلْقه وذوا الجهل إن أخلاقه حسُنت غال[٦]
ولو وازنَ العلمُ الجبال ولم يكنْ له حسنُ خُلْق لم يزِن وزنَ مِثقال

(١) سرر : جمع سرير .
(٢) الإملال : الإملاء يقال : أمللت الكتاب على الكاتب إملالا ، وأمليته إملاء .
(٣) الابكار : هو من طلوع الشمس إلى الضحى . الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى المغرب .
(٤) الابلال : مصدر أبل المريض بمعنى شفى من مرضه .
(٥) تقصى المسألة : بالغ الغاية فى البحث عنها .
(٦) يغلو : يكون غاليا . يقول : إن العالم السيء الأخلاق لا يعبأ به ، ولا تكون قيمته غالية . والجاهل الحسن الأخلاق غال ، معبوء به ، لحسن أخلاقه .

وإن المَساوِى وهى فى خُلْقِ عالمٍ ... لأقبحُ منها وهى فى خُلْق جُهَّال
ولكنما الرَّازى قد ازدان علمهُ ... بأحسن أخلاق وأشرف أفعال
خلائق غُرٌّ إن أردتُ بيانها ... بدأتُ بحرف الحاء والميم والدال
فتًى كان مملوء الجوانح رَحمة ... بكلِّ هَزيلِ الجِسمِ من سُقْمٍ إقلال[1]
يزور بيوتَ البائسين بنفسه ... ويفتقد المرضَى بفحصٍ وتَسآل
ويأتيهمُ بالمالِ والعلمِ مُسْعِداً ... لتطبيب أوجاع وتأمين أوجال[2]
وما كان يقنو المال إلا لبذله ... لتعليم علم أو لإعطاء سُؤال[3]
وكان حليفَ الجد لم يألُ جهده ... بدحض خصوم العلم من كل هزَّال[4]
فكم راح مخذولا به متطبِّبُ ... سعى كاذبا فى طبه سَعى إضلال
وكان سليما فى العقيدة قلبُه ... بعيداً عن الإلحاد ليس بختَّال[5]
وخلِّ تفاصيل الأُلى ينسبونه ... لزيغٍ فقد أغناك عنهنَّ إجمالى[6]

عوده إلى الرىّ :

ولما قضى الرازى ببغداد بُرْهةً ... مضى قافلا للرى شوقاً إلى الآل[7]
فلما أتى تلك البلاد غدا بها ... طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالى
وألف للمنصور إذ ذاك باسمه ... كتاباً حوى فى الطب أحسن أقوال
ولم تصفُ للرازى أواخرُ عُمْرِه ... وعاد أخا همٍّ شديد وَبلبال
فقد عَميتْ عيناه من بعدُ واغتدى ... يجول من الفقر الشديد بأسمال[8]

(١) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر ، كالضلوع مما يلى الظهر . الاقلال : الفقر .
(٢) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .
(٣) يقنو : يقتنى .
(٤) الهزال : الكثير الهزل ، وهو ضد الجد .
(٥) الالحاد : الطعن فى الدين ، والانحراف عنه . الختال : الخداع .
(٦) الزيغ : الميل ، وكثر استعماله فى الضلال ، وهو الميل عن الحق .
(٧) البرهة : قطعة من الزمان طويلة ، واستعمالها للقطعة القصيرة منه كما درج عليه الكتاب اليوم خطأ محض . قافلا : راجعا . الآل : الأهل .
(٨) الأسمال : الثياب البالية .

وإن عِدَاء الدهر شِنشِنةٌ له ... يصول بها قهرا على كل مفضال[1]
ولما انتهى نحو الثمانين عمرُهُ ... قضى نحبه من غير مال وأنسال[2]
ولكنه فى الناس خَلَّف بعده ... من العلم آثارا قليلة أمثال
فكم كتُب أبقى بها الذكر فى الورَى ... وألَّفها نسجاً على خير منوال
وما ضرَّ من أحيا له العلمُ بعدهَ ... على الدهر ذكرا أنه مَيتٌ بال[3]
وإنى وإن أطنبت فى بحر علمه ... لمقتصرٌ منه على بعض أوشال[4]
وها أنا أُنهى القول لا لتمامه ... ولكن بعجزى عن نهوض بأجبال[5]
وأجعل هذا الشعر مسكا ختامه ... بما قال فى بيتين معناهما حال
« لَعَمْرِى وما أدْرِى وقد آذَنَ البِلَى
بعاجلِ تَرْحالٍ إلى أينَ تَرْحالى »
« وأينَ محل الروحِ بعدَ خروجها
من الهيكل المنحلّ والجسد البالى » [6]

---

(١) الشنشنة : المادة والطبيعة .
(٢) أنسال : جمع نسل ، وهو الولد والذرية .
(٣) يقول : ماذا يضر الانسان موته وبلاه إذا أحيا علمه له ذكرا خالدا مدى الدهر .
(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو فى الأصل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ، ولا يتصل مطره ولا يكون إلا من أعلى الجبل .
(٥) الأجبال : جمع جبل
(٦) الهيكل : يطلق على معان ، منها الصورة والشخص .

الحرب فى البحر (*)

أو وقعة توشيما بين الروس واليابان

سَعَروها فى البحر حَرْبًا ضروسَا   تأكل المالَ نارُها والنفوسَا (١)
قُرْبَ «جوشِيمَ» قدتصادم أسطو   لان أردى اليابانُ فيه الروسا
يوم «طوغو» دها بأسطوله الرو   س قتالًا وكان يومًا عبوسا
فحداها بوارجًا تملأ البحـ   ـر وَقارا طَورا وطَورا بُوسَا (٢)
كل مخارقٍ إذا حرّكت دُفّـ   ـاعها خضخضتْ به القاموسا (٣)
مذ بنَوْها لهم كَنيسةَ حربٍ   تخذتْ كلّ مِدْفع ناقوسا
عَرْشُ بَلْقيس فى المناعةِ لكنْ   قد حكت فى احتشامها بَلقيسا
ألبسوها من الحديد وِشاحا   فتهادت على العُباب عَروسَا (٤)
وإذا تنشر البنود بنودَ النَّـ   ـصْر فيها تخالُها الطاوُسا
وإذا جَنَّها على البحر ليلُ   أطلع الكهرباء فيها شُموسا (٥)
قد أبى بأسها الشديد سوى الفو   لاذ دِرعًا لجسمها ولَبُوسا
سَيَّروا البرق بينهنّ رَسولًا   صادقًا ليس يَعْرف التدليسا
فهو فيها لسانُ صدق يُؤَدِّى   دُونَ سِلْك كلامَها المأنوسا
إنما سِلْكُه الأثير الذى را   حَ بطئٌ اهتزازه مَدْسوسا
جَهَّزوها مَدافعًا فغرتْ أفْـ   ـواهَ نارٍ قد التقمن الشوسا (٦)

(*) من الديوان الأول .

(١) الضروس : المهلكة .   (٢) حداها : ساقها .

(٣) الدفاع : الشىء العظيم يدفع به مثله . وأراد به ما يكون فى مؤخر الباخرة ليدفعها للسير ، وهو الذى تسميه العامة « الرفاس » . خضخضت : هيجت وحركت . القاموس : البحر ، ومعظمه ، ووسطه .

(٤) العباب : معظم الماء .   (٥) جنها : سترها .

(٦) فغرت : فتحت . الشوس : جمع أشوس ، يطلق على الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا ، وعلى الجرىء على القتال الشديد .

دَلَعت ألسنا من النار حُمْرا ... ويلَ من قد غدا بها ملحوسا
ترسل الموتَ فى قنابلَ كالشُّهْـ ... ـب ذَريعاً مستأصِلًا عِتريسا(١)
طالما بانفجارها انفلقَ البحْـ ... ـر انفلاقاً مُذَكِّرًا عهدَ موسى

* * *

بثَّ أسطولَه فلبَّسه «طُو ... غُو» بأسطول خَصْمه تلبيسا
حيثُ قد أجفلت من اللُّجج الحِيـ ... ـتان تخشى من اللهيب مَسيسا
وعلا البحرَ مكفهرٌ غمامٍ ... من دُخان همَى ولكن بُوسَى(٢)
ثار طَرّادُهُمْ بجيش بنسَّا ... فات سُفْنٍ لهم سَجَرْنَ الوطيسا(٣)
كجبال ترى البراكينَ فيها ... تقذف الموت جارفًا والنحوسا
فأباحوهُمْ هُنالِكَ قَتْلاً ... واغتنامًا نفوسَهُم والنَّفيسا
فسَلِ اليم كم تضمَّنَ منهمْ ... مُغرَقًا فى عُبابه مغموسا(٤)
هاجموهْ وللهِياج سَعير ... ملأتْ واسعَ الخضمِّ حسيسا(٥)
فكسوهُم من الهوان لَبوسا ... وسَقَوهم من المَنون كُئوسا
صرَعَتْ فى الوَغَى لُيوث من اليا ... بانِ أسطولَ خَصْمها مفروسا
فانتضَوْها عزائمًا ماضياتٍ ... طأطأ الروسُ دُونَهن الرُّءوسا(٦)
وجلَوْها فى الرَّوْع بيضَ فِعَال ... أقرأتهم كُتُبَ الفَخار دروسا
إن يومًا لهم تقضَّى بجُوشيـ ... ـما ليَوْمٌ بالذكر زان الطُّروسا
بات «طُوغو» يجنى الأمانىَ إذ با ... ت قَنوطًا عدوُّه ويئوسا

(١) الذريع : من الخيل الخفيف السير . والواسع الخطو . ويقال : موت ذريع : أى فاش ، وقتل ذريع : أى فظيع . استأصله : قلع أصله . واستأصل القوم : قطع أصلهم . العتريس : من معانيه : الجبار الغضبان ، والغول الذكر ، والداهية ، والضاغط الشديد .
(٢) البوسى : ضد النعمى .
(٣) سجرن : أشعلن . الوطيس : التنور . يقال : حمى الوطيس ، كناية عن اشتداد الحرب .
(٤) اليم : البحر .
(٥) الخضم : البحر .
(٦) انتضى حسامه : جرده .

قائد لم يَرِدْ لَظى الحرب إلَّا مُصدِرًا رأيه لهـا جاسوسا[1]
تاه أسطولُه على اليمّ عُجْبا حين أضحى لمثـله مَرْءوسا[2]
إن شهما تقلّد العقل سيفا لَحَرِيٌّ بأن يكون رئيسا
ومليكا ولّى الأمور ذويها لجدير بملكه أن يسوسا
وسَلِ البرّ عنهمُ كم سَعَوْا فيـه خميسًا عرمرما لخميسا[3]
رجلا يملأُ الفضاء وخيلاً حملتْ لوغى الكُماة الشُّوْسا[4]
صَوّبوها بنادقا تُطْلق المو ت رَصاصا به أبادوا النفوسا
هكذا شيّدوا بناء المعـالى هكذا أحسنُوا لها التأسيسا

(١) لظى الحرب : نارها :
(٢) الضمير فى أضحى : عائد للأسطول . وفى مثله : راجع لطوغو .
(٣) الخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .
(٤) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع . والشوس : تقدم معناها .

هلاكو[١] والمستعصم[*][٢]

هو الدهر لم يرحم إذا شدّ فى حرب ... ولم يتَّئد إما تمخَّض بالخَطْب[٣]
يُزَمجر أحيانا ويضحك تارة ... فيظهرُ فى بُرْدَيْن للجدِّ واللَّعْب[٤]
فلا هُوَ فى سَلْم فنأمنَ بطشَه ... ولا هو فى حرب فنقعدَ للحرب
يسالم حتى تأخذَ القومَ غِرةٌ ... فيهجم زحفا فى زَعازعه النُّكْب[٥]
أرى الدهن كالميزان يصعد بالحصى ... ويهبط بالموزون ذو الثمن المُربى[٦]
أدالَ من العُرْب الأعاجمَ بعدما ... أدالَ بنى عباسها من بنى حَرْب[٧]
ولم أرَ للأيام أشنعَ سُبَّةً ... لعمرُكَ من مِلك العُلوج على العُرْب[٨]

(١) هلاكو : هو هلاكو خان الطاغية الملعون ابن طالو بن جنكيز خان ملك التتر ، الذى أسر المستعصم بالخديعة ، ثم قتله وامتلك بغداد ، بعد أن قتل ما لا يحصى من العلماء والصلحاء وعامة الأهلين ، حتى فعل هو وجيوشه الجرارة الأفاعيل ، وضروب المنكر ، من قتل النساء والأطفال ، وشق بطون الحوامل ، وقتل الأجنة ، وركوب المواحش ، وقد دام القتل والنهب فيها أربعين يوما ، ثم نودى بالأمان . والتتر شعوب من الترك ، مساكنهم بلاد الصين ، مما وراء نهر سيحون ، وهم أمم كثيرة .

(*) من الديوان الأول .

(٢) المستعصم : هو آخر خلفاء بنى العباس ؛ وكان ضعيف الرأى ، قد غلب عليه أمراء دولته ، لسوء تدبيره ، ولم تعلم كيفية قتل هلاكو له . وإنما يعلم أنه بعد أن انهزم جيش الخليفة ، خدع الخليفة بواسطة وزيره ابن العلقمى ، مدعيا أنه إن خرج إلى هلاكو ، فإنه يبقيه فى الخلافة ، فخرج إليه المستعصم ، فى جمع من أكابر أصحابه ، وفيهم العلماء والأماثل ، والسادة والمدرسون ، فلما تكامل جمعهم قتلهم التتر عن آخرهم .

وابن العلقمى هذا وزير المستعصم : هو الذى كاتب هلاكو بأن يحضر ويغزو بغداد ، انتقاماً من الخليفه وابنه أبى بكر ؛ لسبب سنذكره فى موضعه من القصيدة .

(٣) يتئد : يتمهل : تمخض بالخطب : أتى به وأظهره ، كأنه من المخاض .

(٤) يزمجر : يكثر الصخب والصياح والزجر . البرد : الثوب ...

(٥) غرة : غفلة . الزعازع : الشدائد من الدهر . النكب : جمع نكباء ، وهى ريح انحرفت عن مهاب الرياح ، ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال .

(٦) المربى : الزائد .

(٧) يقال : أدال الله بنى فلان من عدوهم : أى جعل الكرة لهم عليهم ؛ وأدال الله زيدا من عمرو : أى نزع الدولة من زيد ، وحولها إلى عمرو . والمراد بالأعاجم : هم التتر . بنو حرب : هم بنو أمية ، وقد انتصر العباسيون عليهم ، وانتزعوا الملك من أيديهم ، كما انتصر التتر على بنى العباس ، وأخذوا الملك منهم .

(٨) السبة : العار . العلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم .



صفت لبنى العباس أحْواضُ عزهمْ زمانا وعادتْ بعدُ مُخلبةَ الشِّربِ[1]
عَنَت لهم الدنيا فساموا بلادَها بعدل أضاء الملكَ فى سالف الحُقْب[2]
فكانوا طفاح الأرض عزًّا ومنعةً
خلائفَ ساسوا بالسيوف وبالكُتُبْ[3]
لقد ملكوا مُلْكا بكت أُخرَياتهُ بدمع على المستعصِمِ الشَّهْمِ مُنْصَبِّ
تشاغل باللذات عن حَوْط ملكه
فدارت على ابن العَلْقمىّ رحَى الشَّغْب[4]
أطال هجوداً فى مضاجع لهوه
على ترَفٍ والدهر يقظانُ ذو أَلْب[5]

(١) مخلبة : فاسدة ذات حمأة ، يقال : أخلب الماء : إذا كان ذا خلب ، أى حمأة .
(٢) الحقب : الدهر .
(٣) الطفاح : الملء ، هو طفاح الأرض : ملؤها .
(٤) الشغب : تهييج الشر .
(٥) الألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

لقـد غرّه أن الخطوبَ روابض ولم يدرِ أن الليثْ يَرْبُضُ للوثْب [1]
فكان كمروانَ الحمارِ إذِ انقضتْ به دولة مدّت يدَ الفتح للغرب [2]

* * *

جَرَتْ فتنةٌ من شيعة الـكَرْخ جلّحتْ
على شِيعة فى الـكَرخ بالقتـل والنّهْب [3]
فقامتْ لدى ابن العَلْقَمِىِّ ضغائن تحجَّرن من تحت النّياط على القلب [4]
فأضمر لِلمسْتعصم الغَدْر وانطوى
على الحِقد مدفوعا إلى الغِش والـكذب
وخادَعه فى الأمر وهْوَ وزيرهُ مُوار بةً إذ كان مستضعَف الإرب [5]
فأبعد عنه فى البلاد جنودَه وشتّتهم من أوْب أرْض إلى أوب [6]
ودسّ إلى الطاغى هُلَاكُو رسالة مُغلغَلة يدعوه فيها إلى الحرب [7]
وقال له إن جئت بغـداد غازيا تملّـكتها من غير طعن ولا ضرب
فثـار هُلَاكـو بالمغـول تَؤمّه
كتائبُ خُضْر تضرب السهلَ بالصعب
وقاد جيوشاً لم تمـرّ بمُخصِبٍ من الأرض إلا عادَملتهبَ الجدْب

(١) روابض : الربوض للفرس والسبع والبقر وغيرها : مثل البروك للابل .

(٢) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو رابع عشر خلفاء بنى أمية وآخرهم ، قتل فى كنيسة فى بوصير ، من أعمال مصر ، بعد أن انهزم فى الزاب ، طعنه إنسان برمح سنة ١٣٢ هـ وبموته انقضى ملك بنى أمية فى المشرق .

(٣) جلح عليه : أى أقدم عليه إقداما سديدا وكاشفه بالعداوة ، وخلاصة هذه الفتنة : أن وزير المستعصم كان شيعيا ، وكان أهل الـكرخ شيعة أيضا ، فجرت فتنة بين السنية والشيعة ، فأمر أبو بكر بن المستعصم ، وركن الدين الدوادار العسكر ، فنهبوا الـكرخ ، وهتـكوا النساء ، وركبوا منهن الفواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى ، وكاتب التتر ، وأطمعهم فى ملك بغداد ، وسعى فى تفريق جيش المستعصم عن بغداد إلى آخر ما ذكرناه فى ترجمة المستعصم .

(٤) النياط : الفؤاد ، وعرق نيط به القلب إلى الوتين ، فاذا قطع مات صاحبه .

(٥) الإرب : الدهاء . (٦) الأوب : الجهة .

(٧) الرسالة المغلغلة : المحمولة من بلد إلى بلد .

جيوشٌ تردُّ الهضب في السير صفصفا ... وتغرق في تسيارها الجنبَ بالجنب
فما عتّمتْ حتى بنتْ بغبارها ... سماءً على أرض العراق من التُّرب
ولما أبادت جيش بغدادَ هالكًا ... على رَغْم فتح الدين قائده الندب
أقامتْ على أسوار بغدادَ بُرهةً ... تعضُّ بها عضَّ الضعاف على الكعْب
فضاق عليها بالحِصار خِناقُها ... وغصَّت بكرب يا لَهُ اللهُ من كرب
وقد حُمَّ فيها الأمن بالرُّعب فانبرتْ
له رُحَضَاءٌ من عيون أولى الرُّعْب[1]
هنالك دعا للمستعصم القوم باكيا ... بدمع على لحييه منهملٍ سَكْب
فأبدى له ابن العلقميّ تحزُّنًا
طوى تحته كَشْحًا على المكر والخلب
وقال له قد ضاق بالخطب ذَرْعنا ... وأنتَ ترى ما اللمفول من الخطب
فكم نحن نبقَى والعدوّ محاصرٌ ... نذِل ونشقَى في الدفاع وفي الذّبّ
وماذا عسى تجدى الحصونُ بأرضنا ... وهم قد أقاموا راصدين على الدّرْب
فدع « يا أمير المؤمنين » قتالهم ... على هُدْنة تبقيك ملتئمَ الشَّعب
ولسنا « وإن كانت كبارا قصورُنا » ... تردُّ هلاكو بالقتال على العَقْب
فهادنْه واخرجْ في رجالك نحوَهُ ... وصاهرْه واشدُدْ منه أزرَكَ بالقرْب
وإلّا فإن الأمر قد جدَّ جِدُّه ... وليس سوى هذا لصَدْعك من رَأْب

* * *

فلما رأى المستعصمُ الخرْق واسعا ... وأن ليس للداء الذي حلّ من طِبّ
مشى كارها والموتُ يُعْجِل خَطوَه ... يؤم لفيفا من بنينَ ومن صحْب

---

(١) الرحضاء: عرق يتصبب عقيب الحمى. ومعنى البيت: أن الأمن لما صار محوما بالرعب، كانت رحضاؤه الدموع المنسكبة من عيون المرعوبين.

وراح بعقد الصُّلح يجمع شمــلَه　　كمن راح بين النون يجمع والضَّب (١)
فأمسكَه رهنا وقتّــل صحبَـه　　هُلاكو ولم يسمع لهم قَطُّ من عَتْب
وأغرى ببغدادَ الجنودَ كما غـدا　　بأدماء يُغْرِى كلبَه صاحبُ الكلْب
فظلَّتْ بهم بغدادُ ثكلَى مُرِنَّة　　تفجَّعُ بين القتل والسبى والنَّهب
وجاسوا خلال الدُّور ينتهبونها　　وصبوا عليها بطشهم أيّما صب
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعا　　مُتَهتّكَةً أستاره خائفَ السِّرْب
و باتت به من واكف الدمْع بالبُكا　　عيونُ المها شتراء منزوعةَ الهُدْب
وراحتْ سَبايا للمغول عقـائلٌ　　من اللاء لم تُمْدَد لهن يد الثَّلْب
لقد شربوا بالهُون أوشال عزها　　وما أسأروا شيئا لعمرُك فى القَعْب
فقلّص ظل كان فى الملك وارفًا　　وأمحلَ ملك كان مغلولب العشب

* * *

لقد بات إذ ذاك الخليفة جائما　　على الخَسْف مرقوبا بأربعة غُلْب
وخارت قواه بالسُّعار لمنعـه　　ثلاثة أيام عن الأكل والشُّرْب (٢)
فقال وقـد نقَّتْ ضفادع تطنه　　ألا كسرةً ياقوم أشفى بها سَغْبى (٣)
فقـال هُلاكو عاجِلُوه بقصعة　　من الذهب الإبريز واللؤلؤ الرطب (٤)
وقولوا له كل ما بدا لك إنهـا　　لآلىء لم تعبَثْ بهنَّ يد الثقْب
ألست لهذا اليوم كنتَ ادَّخرتها　　فدونَك فانظر هل تنوب عن الحَبّ
وكنتَ بها دون الممالك مُعْجَبًا　　وفاتك أن المقت من ثمر العُجْب

---

(١) النون : الحوت . والضب : حيوان يعيش فى البر والمعنى : أنه راح يجمع بين الضدين .
(٢) السعار : الجوع .
(٣) نقت : صوتت . والكسرة : اللقمة . والسغب : الجوع .
(٤) الإبريز : الخالص . واللؤلؤ الرطب : أى المستخرج من البحار .

ولو كنتَ فى عزّ البلاد أهنتها | وأنزلتَ منها الجندَ فى منزل خِصْب
لما أكلتك اليومَ حَربى وإن غدتْ | تذيبُ لظاها عنصرَ الحجرِ الصُّلْب
سأبذلها دون الجنود أزيدهم | صِيالًا بهـا فوق المطَهَّمة القُبِّ [1]
وسوف وإن لم يبقَ إلّا حديثنا | تميز ملوك الأرض دأبك من دأبى [2]

* * *

هنالكَ والطُّوسى أفتى بقتـله | قَرَوه بقتل آدِبٍ أفْجَع الأدْب
أشار هُلَاكو نحو عِلْج فَتَلهُ | فخرَّ صريعًا لليدين وللجَنْب [3]
فأُدْرِج فى لِبْدٍ وديس بأرجُل | إلى أن قضَى بالرَّفْس ثَمَّةَ والضَّرْب [4]
وقد أثْخَنَتْ بغدادَ من بعد قتله | جُروحُ بَوارٍ جاء بالحِجج الشُّهْب [5]
وما اندملت تلك الجروح وإنمـا | ببغداد منها اليوم نَدْب على نَدْب [6]

---

(١) صيالا : شدة واستطالة . والمطهمة : يريد الخيل المطهمة ، وهى البارعة الجمال . والقب : جمع أقب ، وهو : الضامر ، وهو من صفات جياد الخيل ، وخاصة خيل الحرب .

(٢) الدأب العادة والطريقة .

(٣) العلج : واحد العلوج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم . وتله : صرعه .

(٤) أدرج : لف .

(٥) أثخنت : أوجعت فآلمت . والحجج : السنون . والشهب : جمع شهباء ، وهى البيضاء ، كناية عن سنة الجدب والقحط والجوع .

(٦) الندب : أثر الجرح ، جمعه ندوب . واندمل الجرح : التأم وبرأ .

أبو دلامة والمستقبل(*)

قضت المطامع أن نطيل جِدالَا ... وأبَيْنَ إلّا باطلًا ومِحالا(١)
في كل يوم للمطامع ثورةٌ ... باسم السياسة تستجيش قِتالا(٢)
ما ضرَّ من ساسوا البلاد لوَ انهم ... كانوا على طَلَب الوِفاق عِيالا(٣)
أمِنَ السياسة أن يُقتّل بعضُنا ... بعضا ليُدرِك غيرُنا الآمالا
لادرَّ درُّ أولِي السياسة إنهم ... قتلوا الرجال ويتَّموا الأطفالا
غرسوا المطامعَ واغتدوا يَسْقونها ... بدم هُريق على الثرى سَيّالا
نثروا الدماء على البِطاح شقائقا ... وتوهموها الرَّوضة المِحلالا(٤)
تفنَى الجيوشُ ولا ضغائن بينها ... سبقتْ ولا تِرةً ولا أذْحالا(٥)
قالوا كرهت الحربَ قلتُ لأنها ... دارت لتغتصب الحقوق ألالَا(٦)
وأجلتُ فكْرى في الحروب فلم أجد ... أبدا لهن سوى الخمور مِثالا
طاشتْ منافعها الصِّغارُ عن الوَرى ... ورَستْ مآثمها الكبارُ جبالا
ماأجشعَ الحربَ الضَّروسَ فإنها ... تحسو النفوسَ وتأكل الأموالا
كم سحٍّ من رَهَج الحروب على الرُّبا ... وَبْل الدماء فزادها إمحالا
لولا الحروب ومُحْرِقات صواعق ... منها لأبقلت الربا إبقالا

(*) من الديوان الأول .

(١) المحال : المكر والكيد والاحتيال .

(٢) تستجيش : أى تعد جيشا . أو هو من جيشان القدر إذا غلت واضطربت . وقتالا: منصوب على أنه مفعول لأجله ، أى لأجل القتال .

(٣) عيالا : جمع عيل . يريد متسكلين .

(٤) الروضة المحلال : التى يحلها الناس كثيراً ، ويطئونها ، وضدها روضة أنف : أى لم توطأ بعد.

(٥) الأذحال : جمع ذحل ، وهو بمعنى الترة .

(٦) الألال : كسحاب : الباطل ، وهو هنا نائب عن المفعول المطلق ، أى اغتصابا باطلا .

قبحت بنا الأرض الفضا وماحوت في غير ما زمن الفِطَحْلِ جَمالا(١)

* * *

أبنى السياسة إن سلكتم بالورَى طُرُق الرشاد فعلّموا الجُهّالا

إن جرّتِ الحربُ الكمالَ لأمة فالعلم أحرَى أن يجُر كمالا

إنّ الحياة كثيرة أعمالها فدَعُوا الأنام وحاربوا الأعمالا

وتقحّموا حرب الحياة فإنها للحرّ أضيق مأزقاً ومَجالا(٢)

واستلئِموا زَرَدَ الوفاق وأشرعوا فيها تعاونكم قناً ونصالا(٣)

واقتنُوا لكم بيض المساعى شُزَّبا تجرى رِعالًا للمُنَى فرِعالا(٤)

واعلُوا على صَهَواتهنّ رواكضاً للمَكرُمات تُسابِق الآجالا

ودَعُوا صيالًا في الملاحم إن في هذى الحياة مَلاحماً وصِيالا(٥)

أوَكلّما طمِع القوىّ شراهةً أكل الضعيفَ تحيُّفاً واغتيالا(٦)

لا غروَ أن يلدَ الزمانُ بمرّه كأبى دُلامة من بنيه رجالا(٧)

إذ راح يقتل بالعواطف قرنه قتلا أدام حياته وأطالا

إذ جهّز «المنصور» جيشاً قادهُ «رَوْح» يريدمع «الشُّرَاة» قتالا(٨)

فمضى وفيه أبو دُلامة مُكرَهاً للحرب أخرج كى يُصيب نكالا

---

(١) زمن الفطحل : زمن قديم قبل أن يخلق الناس على الأرض .

(٢) تقحموا الحياة : خوضوا شدائد الحياة ومصاعبها . والمأزق : مضيق الحرب .

(٣) استلئموا : البسوا اللأمة ، وهى الدرع . وأشرعوا : ارفعوا . القنا . جمع قناة ، وهى الرمح . والنصال ، جمع نصل ، وهو حديدة السيف والرمح ونحوهما .

(٤) شزبا : جمع شازب ، وهو الضامر من الناس أو الخيل من غير هزال . والرعال : جمع رعيل ، وهو الجماعة من الخيل .

(٥) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب ، والوقعة الشديدة .

(٦) تحيفا : جورا وانتقاصا . واغتال حقه اغتيالا : أخذه .

(٧) لا غرو : لا عجب .

(٨) الشراة : هم الخوارج . وروح : قائد من قواد أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى .

حتى إذا اِلْتقت الجيوش وعُبِّئت ... صفًّا وصفًّا يَمْنةً وشِمالا
بَرَزَ الكمِىّ من الشُّراة مُجرِّدا ... للسيف يطلب من يُطيق نِزالا[1]
فأجال رَوْحٌ فى الجنود لِحاظه ... والقوم ينتظرون منه مَقالا[2]
فدعا إليه أبا دُلامة قائلا ... يا ليثُ دونكَ ذلك الرِّئبالا[3]
فجرى إليه أبو دُلامة هازلا ... ثم استقالَ فلم يكن لِيُقالا[4]
فشكا لِرَوْحٍ جوعه فأزاده ... بدَجاجتين ، وحثَّه استعجالا[5]
فانصاع من عَجَل وسمَّط زاده ... ومضى يخُبّ لقِرْنه مختالا[6]

* * *

فأتى وقد شَهَر الكمِىُّ بوجهه ... سَيفا يَروع غِراره الأغوالا[7]
فدنا إليه أبو دُلامة قائلاً ... مَهْلاً فأغمِد سيفَك القصَّالا
إنى أتيت وما أتيت مقاتلاً ... من لَسْت أطلب عندَه أذحالا
فاسمع مقالة من أتاك ولم يكنْ ... فيما يقول مُخادعا محتالا
واعلم بأنى لا أخاف مَنيَّتى ... جُبْنا ولا أتهيَّب الأبطالا
لكن أرى سفك الدماء محرَّما ... وأعيذ رأيكَ أن تراه حلالا
أمِن المروءة أن نُريق دماءنا ... سَفَها لمطمع طامع وضَلالا

---

(١) الشراة : جمع شار ، وهم الخوارج ، لقب لهم . والنزال : ملاقاة الأقران فى الحرب .

(٢) لحاظه : نظره بلحاظ عينه ، وهو فى مؤخرها .

(٣) الرئبال : الأسد .

(٤) استقال : طلب الإقالة ، أى الخروج من مأزق الحرب .

(٥) أزاده : زوده ، أى أعطاه زادا .

(٦) انصاع من عجل : انفتل راجعا . وسمط زاده : من التسميط ، وهو التعليق . يريد أنه علق الزاد على حصانه . والخبب : ضرب من السير متقارب الخطو ، فى سرعة خفيفة . والقرن الذى ينازلك فى الحرب . ومختالا : من الخيلاء ، وهى العجب .

(٧) الكمى : البطل . وشهر السيف : رفعه . والغرار : حد السيف . والأغوال : جمع غول ، وهو حيوان منكر الخلقة ، توهم العرب أنه يغتال الناس فى الأسفار ونحوها .

هل كنتَ من قبل اللقاء رأيتني ... يوما وهلْ منى لقيتَ نكالا
أمْ هل طرقتُ خيام قومك جانيا ... أمْ هـل خَرَبْتُ بحيِّهم آبالا[1]
ماذا جرى بينى و بينك قبـل ذا ... مما يجرُّ خصومةً وجِـدالا
حتى شَهَرْتَ علىَّ سيفك تبتغى ... ضَرْبا يُقَطِّع مِنِّىَ الأوصـالا
فأرْبأْ بنفسك أن تكون من الأُلى ... زحفوا جنونا للوغَى وخَبـالا

• • •

فرأى الـكَمِىُّ مقـاله متعاليـا ... حقـاً وكل حقيقة تتعالَى
فعنا وأذعن للحقيقة مغمدا ... سيفا أجادته القُيُون صِقالا[2]
ولَوَى العِنان من المطَهَّم قائلاً ... رُح بالأمان فلا لقيتَ وَبالا
فمشى إليه أبو دلامة مُخْرِجا ... زادا تعلَّق بالسُّموط مُشالا
ودعاه يا بن أولى المكارم راشدا ... أكرم أخاك بوقفةٍ إمهالا
إنى لأَرجو أن تـكون مؤاكلى ... فى ذا الشِّواء ألا تحبُّ إكالا
فتدانيا متخالفين وأقبـــلا ... وهمـا على فرسيهما إقبـالا
حتى إذا أكلا شـواء أدبرا ... بعـد الوَداع ووليا الأكفالا[3]

• • •

رجعا فسـار أبو دلامة ظافرا ... والمهر يُجْفِـل تحته إجفـالا[4]
حتى إذا وافى الأميرَ وقام عن ... كَثَب ترجَّل دونه إجـلالا
وغدا يقول وكان رَوْحٌ ضاحكا ... إنى كفيتُك قِرْنىَ الرِّئبـالا
وقتلتــه بالقـول لا بمهنَّدِى ... والحربُ أحرى أن تكون مَقالا

---

(١) خربت : سرقت : والخارب : اللص .

(٢) عنا : خضع وانقاد . والقيون : جمع قين ، وهو صانع السيوف وكل شيء من حديد
والصقال : الجلاء والصقل .

(٣) الأكفال : جمع كفل ، بتحريك الفاء ، وهو مؤخر الحصان عند ذيله .

(٤) يجفل : يسرع العدو .

وأخذتُ فى الهيجا عليه مَواثقا ... ألاَّ يعود يُنازلُ الأبطالا

* * *

إن المواقفَ لا تزال بمسمعٍ ... مِنّى تقول إذا شكوت الحالا
لا تيأسَنَّ فللزمان تنفُّس ... فارقبه أن يتبدَّل الأبدالا
والدهرُ طاهٍ سوف يُنضِج أهله ... بالحادثاتِ يزيدها إشعالا[1]
إن الدهور وهن أمهر سابك ... سترد أضداد الوَرَى أشكالا
حتى كأنى بالطِّباع تبدَّلتْ ... غيرَ الطباع وزُلزلتْ زِلزالا
وكأنى بينى الملاجم أصبحوا ... لأبى دُلامةَ كلهم أمثالا[2]

أطلال العلم*

أو المدرسة النظامية فى بغداد

قَوَّضَ الدهرُ بالخراب عِمادى ... ورَمتْنى يداه بالأنكادِ
كم أنادى وليس لى من مجيب ... واضياعاه جهرةً كم أنادى
ضعضع الدهرُ من بنائىَ أركا ... نا شِدادا طالت على الأطواد[3]
طالما رفرفتْ من العلم رايا ... ت فخار مِني على بغداد
كنتُ للعلم روضة باكرت أز ... هارَها الغرَّ بالعِهاد الغَوادى[4]
وجميع الأنام تضرب أكبا ... د المطايا كى تجتنى أورادى[5]

(١) الطاهى : الذى يطهو الطعام ، وهو الطابخ ينضج الطعام .

(٢) يريد أن الزمان المستقبل كفيل بأن يجعل من أبنائه من يأبى أن يرقى السماء عُلاّ وعدوانا ، فلا يجيب دعوة الحرب التى لا عدل فيها ولا رحمة .

(*) من الديوان الأول .

(٣) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العالى . (٤) الغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة أو تمطر غدوة . والعهادة جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر .

(٥) الأوراد : جمع ورد . والمراد به هنا : الجزء الذى يقرؤه العالم من العلم ، أو القارىء من القرآن فى المرة الواحدة .

فالغزالىُّ سله بى وأبا إسحاق عما حويتُ من إرشاد[1]
سَلْهُ إذ فى طلابىَ الإبلُ النُّجْبُ تُحَفَّى مَضروبة الأكباد
فرمتنى صواعق الدهر فانهدَّ بنائى وصرت بعض الوِهاد
فبكتنى من السماء دَرارِيها وكانت تَعُدُّ حُسّادى

• • •

أهل بغدادَ مالأعينكم تُغْمِضُ عنى كأنكمْ فى رُقاد
أهلَ بغداد هل تَرِقّ قلوبٌ منكمْ راعها انقضاض عِمادى
رقَّ حتى قلبُ الجماد لفقدى فلْتَكُونَنْ قلوبُكم من جَماد
أفلا تُنْجِدون مدرسة العلْمِ وعهدى بكم أُولِى إنجاد
أين ما شِيدَ من نظامىٍّ رَبْعِى فلقد كان نُجْعَة المرتاد
أين تلك العلوم وهى التى كانت ربوعى تُذِيعها فى البلاد
كيف قضَّت خيامَها زعزعُ الدَّهرِ وكانت رصينة الأوتاد[2]
أقفرتْ سُوحها وقد نُعِيَ العلمُ فلاحت تجرُّ ثوبَ الحِداد
وتوارتْ بالجهل ظلما وكانت خافقا فوقها لواء الرشاد
أيها الدهر كلَّ ما شئت فافعل إذ حدا فى ركائبى غيرُ حاد
ورعانى من راح من ظلمه العدْلُ فقيدا ميعاده فى المَعاد
فرّقوا جمع أمة قبلهم كانت لعمرى وحيدة الإتحاد

---

(١) أبو إسحاق : هو إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الفيروزابادى ، كان من مشيخة بغداد ، وإمام المذهب الشافعى بها ، تولى النظامية ولم يزل بها إلى أن مات ، ومن تآليفه : المذهب والتنبيه فى الفقه ، واللمع وشرحها فى أصول الفقه ، والنكت فى الخلاف ، والتبصرة والمعونة ، والتلخيص فى الجدل . ولد سنة ثلاث وتسعين ، أو خمس وتسعين وثلاث مئة (ابن خلكان) .

(٢) قضت خيامها : أذهبتها ، من قضى . والمشهور فى هذا : قوض الخيام أى هدمها .

فى ســــلانيك*

قالها عندما زحف جيش سلانيك إلى الآستانة بقيادة محمود شوكت باشا، وذلك لقمع الحركة الرجعية التى حدثت فى ٣١ مارس سنة ١٩٠٨

لقـد سمعوا من الوطن الأنينا فضجُّوا بالبكا له حنينـا
وناداهمْ لنُصْرته فقـاموا جميعاً للــــدفاع مسَلَّحينا
ثاروا من مَرابضهم أسوداً بصوت الإتحاد مُزمْجِرينا[1]
شَبابٌ كالصـوارم فى مَضاء يُرَوْن ، وكالشموس مُنَوِّرِينا
ســلانيكُ الفتاة حَوَتْ ثراءً بهمْ فقضتْ عن الوطن الديونا
لقــد جمعوا الجموع فمِن نصارَى ومن هُودٍ هناك ومسلمينا
فكانوا الجيش أُلِّفَ من جُنودٍ مجنَّـدةٍ ومِنْ متطوعينا
تراهم فيــه متحدينَ عَزْماً وما هم فيــه متحدين دينـا
هى الأوطان تجعل فى بنيها إخاءً فى محبتّهـا رصينا
وتتركهم أولى أنَفٍ كِباراً يَرَوْن حياه ذى ذل جنونا
وإن الموتَ خــــير من حياة يظلُّ المرءُ فيها مستكينا[2]

* * *

مَشَوا والوَالدتُ مُشيِّعاتٌ خرجنَ وراءهمْ والوالدونا
يَقُلْن وهنَّ من فرح بواكٍ وهم من حـزنهم متبسمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعُـودُوا للـديار مُظَفَّرينا
ولا تُبقُوا الذين قـد استبدوا وراموا كيدَنا وتخوَّنونا[3]
فإن لم تُنقذوا الأوطانَ منهم فلستمْ يا بنين لنـا بنينا
فقد هاجوا على الدستور شرّاً بدار الملك كى يستعبدونا

(*) من الديوان الأول .

(١) الزمجرة : صوت فيه غلظ وجفاء .

(٢) مستـكينا : خاضعا ذليلا .

(٣) تخونونا : خانونا ولم يرعوا حقوقنا .

هم الأشرار باسم الدين قاموا فعاثوا فى المواطن مُفْسدينا
فما تركوا من الدستور (شُورَى) ولا أبقَوا لنَغْمته (طنينا)(١)

* * *

وكم قـد قُلْن من قول شَجىٍّ لهمْ فتركتهم متهيِّجينا(٢)
ومذ حان الوَداع دَنَوْن منهم فقبَّلْن الصـوارمَ والجفونا(٣)
وما أنسى التى برزَتْ وقالتْ وقـد لفَتـوا لرؤيتها العُيونا
ألا يا راحلين لحربِ قومٍ لِئـام ضيَّعوا الوطن الثمينا
خذونى للوغَى معكم خذونى ممرِّضـةً لجـرحاكم حَنونا
وإن لم تفعلوا فخذوا ردائى به شُدُّوا الجُروح إذا دَمينا

* * *

ولمَّا جـدَّ جِدُّهم استقلُّوا على ظهر القِطار مسافرينا
فطاروا فى مراكبه سِراعًا بأجنحة البُخار مُرَفْرِفينا
وظلَّ الجيشُ صُبحًا أو مَساءً تسـير جموعـه متتابعينا
فلم يَتَصرَّمِ الأسبوعُ إلّا وهُمْ برُبا فـروقَ مخيِّمونا
هنا لك قمتُ مرتحلًا إليهم لأبصر ما أؤمِّل أن يكونا(٤)

* * *

وباخرةٍ علت فى البحر حتى حكت بعُبابه الحصْن الحصينا
يؤثر جريها فى البحر إثرا تكادُ به تظن الماء طينا
فتتركُ خلفها خطًّا مديدا بوجـه البحر يمكث مستبينا
ركبتُ بها على اسم الله بحراً غـدا بسكون لجته رهينا

(١) يشير إلى ما حل بجريدة طنين إذ ذاك، وبمحل إدارتها، من الهدم والتخريب فى تلك الحادثة.
(٢) الشجى، بوزن فعيل: ذو الشجو، وهو الحزن.
(٣) الصوارم: السيوف. والجفون: جمع جفن، وهو الغمد.
(٤) لما حدثت حادثة ٣١ مارس فى الآستانة، كان الرصافى فى سلانيك، فلذلك قال: هنالك قمت... الخ.

فرحنا منه ننظر فى جَمال يعِز على الطبيعة أن يهونا
ومَرأى البحر أحسن كلَّ شئ إذا لبست غوار بُه السكونا[1]
كأنك منه تنظر فى سماء وقد طلعت كوا كبُهـا سفينا

* * *

أتينا دارَ قُسطنطين صُبحا وقد فُتِحَتْ لهم فتحاً مُبينا
وطالّ الجيشُ جيشُ الله يشفِى بحـدِّ سيوفه الداء الدفينا
فأزْهق أنفس الطاغين حتى سقاهم من عَدالته المنونا
وردَّ الخائنين إلى جزاء أحلّهمُ المقابرَ والسجونا
وحطوا قصر يَلدِزَ عن سماء له فانحط أسفل سافلينا
وأصبح خاشع البُنْيان يُغْضِى عُيونا عن تطاوله عمينا
خلا من ساكنيه وحارسيه فلم تَر فيه من أحدٍ قَطِينا[2]
هوى عبدُ الحميد به هُوِيّاً إلى دركَ الملوك الظالمينا
وأُنزِل عن سرير الملك خَلْعاً وأُفْرِد لا نديمَ ولا قرينا
فسيق إلى سلانيكَ احتباساً له كى يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحة مستبدّ غدا بديار أحرار سجينا
يرامُ حول مسكنه سِياجا ويعجِز أن يُنِيمَ له عُيونا
وموت المرء خير من مُقامٍ له بين الذين سَقَوْه هُونا

* * *

لقد نقض اليمينَ وخانَ فيها فذاقَ جزاءَ من نقضَ اليمينا
وقد كانت به البُلدان تشقَى شقاء من تجبّره مُهينا
فكم أذكَى بها نِيرانَ ظلم وكم من أهلها قتل المئينا

(١) الغوارب : جمع الغارب ، وهو فى ذوات الخف ما بين السنام والعنق ، وفى الكلام استعارة .
(٢) قطينا : أى قاطنا وساكنا .

وكان يدير من سفه رَحاها بجَعْجمة ولم يُرِهَا طَحينا[١]
وقد كانت به الأيام تمضي شُهورًا والشهور مضتْ سنينا
ولما ضاق صدرُ الملك يأسًا وصارَ يُردد الوطنُ الأنينا
أتى الجيشُ الجليل له مُغيثًا فصدّق من بنى الوطن الظنونا
وأضحَى سيفُ قائده المفدّى على الدستور محتفظا أمينا
حماه من العداة فكان منه مكانَ الليث إذْ يحمى العرينا
وأسقط ذلك الجبارَ قَهْرًا وأنبأه بصارمه اليقينا
فقرّت أعين الدستور أمْنًا وشاهتْ أوجه المتمردينا[٢]

وقفة عند يلدز (*)

قالها عقب خلع عبد الحميد وإرساله إلى سلانيك سجينا

لِمَنِ القصر لا يجيب سؤالى آهلاتٌ رُبُوعُه أم خوالى ؟
مُشْمَخِرّ البناء حيث تراءى باليًا مجدُه بِلَى الأطلال
لم تصبْه زلازل الأرض لكن . قد رمتْه السماء بالزلزال
وكسته الأيام بالصمت لمَّا نَطَقَتْ فيه حادثاتُ الليالى
فتراءتْ أبكارُه شاحباتٍ باكياتٍ بأعين الآصال

• • •

أيها القصرُ إيهِ بعض جوابٍ لا تكن ساكنًا على تَسْآلى[٣]
ليت شعرى والصمت فيكَ عميق ذاكرٌ أنت عهدَهم أم سال ؟

(١) الجعجعة : صوت الرحى ونحوها . وفى المثل : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ؛ يضرب للرجل الذى يكثر الكلام ولا يعمل ، والذى يعد ولا يفعل .
(٢) شاهت : قبحت . والمتمردون : المتجبرون الظالمون .
(*) من الديوان الأول .
(٣) إيه : هات .

ما تداعَى منك البناء ولكن   قد تداعى بناء تلك المعالى (١)
كنتَ كلَّ البلاد فى الطول والعرْ   ض وكل العباد فى الأعمال
كنتَ مأوَى العُلَى، مَثار الدنايا   مَهبِط العز، مَصدَر الإذلال
كنت جُبًّا وأىَّ جُبٍّ عميق   بالغًا للنفوس والأموال
مَوْرِد الخائنين كنت وكانت   منك تُدْلِى مطامع العمال
قصرُ عبد الحميد أنت ولكن   أين يا قصرُ أين عرشُ الجلال
أين خاقانك الذى كان يُدعَى   قاسِمَ الرِّزق، باعثَ الآجال
ما أرَى اليوم ذلك المجدَ إلّا   كخَيال يمر بعد خيال
هل وقوفى على مبانيك إلّا   كوقوفى على الطلول البوالى (٢)

• • •

قد تَخَوّنتنا ثلاثين عاما   جئت فيها لنا بكل مُحال (٣)
تلك أعوام رِفعة للأدانِى   تلك أعوام حِطّةٍ للأعالى
تلك فيها جرت به نقطة سوْ   داء تبقى بجبهة الأجيال
يَثِبُ العدل طافرا كلما مـ   ـرَّ عليها مُشَمِّرَ الأذيال
ملأتْ خطة الزمان شَنارا   فأبتْها كلُّ العصور الخوالى (٤)
وكأنى أرى اضطراب نفوسٍ   كنتَ تغتالها وأىَّ اغتيال
أسمع الآن فيك ما كان يعلو   من أنين لها ومن إعوال
حائمات على الذى فيك أبقيـ   ـن دفينا من الرُّفات البالى
تلك يا قصر أنفس أنفت منـ   ـك فطارت إلى سماء المعالى
وترقَّت إلى ذؤابة أعلى   كوكب فى سمائه جوّال

(١) تداعى البناء: انهار وسقط بعضه فى أثر بعض.
(٢) الطلول: جمع طلل، وهو الشاخص البارز من آثار الديار عند العرب.
(٣) تخوّنتنا: تعهدتنا.
(٤) الشنار: العيب والعار.

وهى اليوم أحرقتك بشُهْب　　قذفتها عليك ذاتِ اشتعال
لم يضِع مجدُها وإن هى أمستْ　　ضائعات الأشلاء والأوصال

* * *

كيف ننسى تلك الخطوب اللواتى　　لقِحَت منك حَرْبُها عن حِيال (١)
يوم كنا وكان للجهل حكم　　خاذلٌ كلَّ عالمٍ مِفضال
آمِرٍ من عتوِّه كلَّ أمر　　يغرس البغضَ فى قلوب الرجال
أفأصبحتَ نادما أيُّها القصْـــرُ تبالى بالقوم أم لا تبالى ؟
لم تفدك الندامة اليومَ شيئا　　قُضِى الأمر فاصطبر باحتمال
وعَزاءً فلست أولَ قصرٍ　　نَكَّسَ الدهرُ من ذُراه العوالى
قدتداعى من قبلُ إيوانُ كسرى　　بعد أن طالَ شاهقات الجبال (٢)
وكأينْ من قصر مُلك تَرَامى　　ساقطا بالملوك والأقيال (٣)
فابقَ ياقصرُ عابس الوجه كيما　　يصبحَ الملك باسم الآمال
وتعثَّر فلا لعاً لك حتى　　ينهض العدل ناشطا من عقال (٤)
إنما نحن أمة تدرأ الضيْــــمَ وتأبى أن تستكين لوالى
أمة سادت الأنام وطابت　　عنصرا من أواخر وأوالى (٥)
فإذا ما غلا الغَشوم نهضنا　　فقذفناه ســــافلا من عال
نملأ الأرض إن مَشَينا لحرب　　بزئير الغضنفرا لرئبال
وإذا ماغلا المليك رددنا　　هُ ذليلا يقاد بالأغلال (٦)

(١) لقحت الناقة : ضربها الفحل فحملت . والحيال : عدم الحمل . يريد إنك هيجت تلك الحرب بعد أن كانت ساكنة .

(٢) طال شاهقات الجبال : أى زاد عليها فى الطول والارتفاع .

(٣) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك الصغير يتبع الملك الكبير ، كبعض ملوك الولايات فى إمبراطورية كبيرة .

(٤) لالعاله : لأنعشه الله إذا سقط .

(٥) أوالى : أصلها : أوائل ، أخرت الهمزة بعد اللام ، ثم سهلت .

(٦) غلا : تجبر وجاوز الحد فى الظلم . وفى الأصل : غل ، بغين ولام مشددة ، ولا أراه إلا محرفا عن غلا ؛ أو عن علا ؛ بمعنى تكبر .

نحن من شُعلة الجحيم خلقنا ... لأولى الجوْر لا منَ الصلصال
يا ملوكَ الأنام هلَّا اعتبرتم ... بملوك تجور فى الأفعال
ليس عبد الحميد فردا ولكن ... كم لعبد الحميد من أمثال
فاتركوا الناس مُطْلَقين وإلَّا ... عِشتُمُ مُوثَقين بالأوجال[1]
هل جنيتم من التجُّبر إلا ... كلَّ إثم عليكم ووبال

تموز الحرية[*]

إذا انقضَى مارْتُ فاكسر خلفه الكُوزَا
واحفِل بتمُّوز إن أدركت تمُّوزا[2]

أكْرِمْ بتمُّوزَ شهرًا إنّ عاشره ... قد كان للشرق تكريما وتعزيزا
شَهْرٌ به الناس قد أضحت محررة ... من رق من كان يقفو إثر جَنْكيزا
سَلْ أهلَ باريزَ عن تموز تَلْقَ لهم ... يوما به كان مشهوداً لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم ... بسالة هَدَّتِ البَسْتِيل مبزوُزا[3]
وإنّ تَمُّوز شهر قام فيه لنا ... على البقاع لواء العز مركوزا
فى شهر تموز صادفنا لما وَعَدَتْ ... بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هى المساواة عمَّتنا فما تركت ... فضلا لبعض على بعض وتمييزا
أمستْ لنا قسمة بالملك عادلة ... حُكماً وكانت على علاَّتها ضيزى[4]
كنا من الجوْر عميانا وليس لنا ... من قائدين ولم نملك عكاكيزا

(١) يريد : إنكم إن لم تطلقوا المحكومين أحرارا من إسار ظلمكم وجوركم ؛ فإنكم تعيشون أبدا على خوف وتربص وانتظار للشر ممن ظلمتموهم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) يشير إلى أن مارت شهر مشئوم ، لحدوث الحادثة الرجعية فيه ؛ وأن تموز شهر ميمون لأن إعلان الدستور كان فى تموز .

(٣) مبزوزا : مغلوبا . وفى المثل . من عزبز : أى من قوى تغلب وانتصر .

(٤) قسمة ضيزى : أى جائرة .

حتى نهضنا إلى العلياء تقدُمُنا ... عصابة بَرَّزَت فى المجد تبريزا
إن تلقهم تلقَ منهم فى الوغَى جبلا ... أوهِجْتَهم للمنايا هِجت راموزا
قوم إذا طَعِموا فى حومة تَخذوا ... قِصاعهمْ من قُحوف القوم لا الشيزى[١]
قمنا على المَلك الجبَّار نفْرعُهُ ... بالسيف مُنصَلِتا والرمح مَهزوزا[٢]
حتى تركناه فى هَيجاء مُعْضِلة ... ألقتْ ضِرَاما على الطاغين مأزوزا
إنا لنأبى على الطاغي تهضُّمَنا ... حتى نُهَوِّز فى الهيجاء تهويزا[٣]
ونأكل الموت دون العز نمضغه ... كمضغنا التمر بَرْنيا وسُهريزا[٤]
لاعاش من لا يخوض الموت مرتضيا ... بقاءه بعصىّ الذل موكوزا[٥]
رَاعتْ سلانيكُ دارَا لُملْك فانتبهتْ ... من ذاك طِهْران تخشى أمر تبريزا
حتى غدت وهى فى تموز ناكسة ... رايات شاهٍ رماه الخلع مجنوزا[٦]
فالشاه فى شهر تموز هوى وكذا ... عبد الحميد هوى فى شهر تموزا
يا شهر تموز لا راعتك رائعة ... ولا لقيتَ من الأحداث إرزيزا[٧]
ياشهر تموز قد زينت رايتنا ... بالعدل توشية فيها وتطريزا
من لى بأنجم هذا الأفق أنظمها ... قصائدا فيك مدحا أو أراجيزا
أو أنحتُ الماس أقلاما مُعَرَّضَة ... أمدها ذَهَبًا فى الطِّرس إبريزا
وأجعل الجوَّ فى تَمُّوز أمدحه ... طرسا أجادته كف النَّور ترزيزا[٨]

(١) القحوف هنا : عظام الجماجم . والشيزى : نوع من الخشب تصنع منه الجفان .
(٢) نفرعه ؛ بالفاء : نعلو فرعه ؛ وهو رأسه . وفى الأصل : نقرعه .
(٣) هوز تهويزا . مات موتا .
(٤) البرنى ؛ بفتح الباء : ضرب من التمر أصفر مدور . والسهريز بالسين والشين ؛ بضمهما وبكسرهما : نوع من التمر ؛ معرب .
(٥) موكوزا : مدفوعا مطعونا .
(٦) الشاه : الملك فى لغة فارس . والمجنوز : المحجوز المستور .
(٧) الإرزيز : الرعدة .
(٨) يقال : رززت لك الأمر ترزيزا : أى وطأته لك .

المجلس العمومي (*)

يا شرقُ بشراكَ أبدى شمسكَ الفلكُ ... وزال عنك وعن آفاقك الحلكُ

أضحى بك القوم أحرارًا قد اعتصموا

من النجاة بمجلس ليس ينبتك (١)

نادٍ به القولُ عن أهليه مستمعَ ... والحق متبع ، والأمر مشترك

نادٍ إذا نفرت عنا الأمور به ... لمن يمتدّ من نسج النُّهى شَرَك

يُصطادفيه شَرودُ الحق عن كَثَبٍ ... كالماء يُصطادفي ضَحْضاحه السَّمَكُ

إن السحائبَ لم تظهر بوارقُها ... ما لم يكن للقُوَى فيهن مُعتَرَكُ

وللتدابير حرب لا يخيب بها ... قوم بمستنقَع الآراء قد برَكوا

هذا هو المجلس الرحْب الذى وسعت

أحكامُه الناسَ من عاشوا ومن هلكوا

هو السماء التى تعلو السماء بها ... تبدو من العدل فى آفاقها حُبُك (٢)

دارت بها شمس عز الملك حيث لها ... حرية العيش برجٌ والنهى فَلَك

قد أصبح الأمر شُورَى بيننا فبه ... على الرعية لا يستأثِر المَلِك

وأصبح الناس فى قُربَى و إن بعُدت ... أديانهم ، ما بهم حقد ولا حَسَكُ (٣)

هذا الذى جاءنا الدين الحنيف به ... وحيًا من الله مبعوثا به المَلَك

هـذا به نهض الإسلام نهضَته ... من قبلُ إذ قام يستولى و يمتلك

ياقوم قد حان حينٌ تسخرون به

ممن بكم سخِروا من قبلُ أو ضحِكوا

مات الزمان الذى من قبلُ كان به ... يحيا امرؤٌ لم يكن فى السعى ينهمك

هلا نظرتم لما فى الغرب من سَنَن ... كلٌّ به سائرٌ طَلْقا ومُنْسَلِك

(١) ينبتك : ينقطع . (٢) حبك جمع حبيكة ، وهى الطريقة .
(٣) حسك الصدر : حقد العداوة ؛ يقال : إنه لحسك الصدر .

لم تَلْق للحق وجهًا فيه مُحتقراً ⠀⠀ ولم تجـد حُرْمةً للعلم تُنتهك
فى الغرب أصوات علم يبعثون بها ⠀⠀ مَنْ فى القبور فهل فى سمعكم سَكَك (١)
فشمِّروا يارجالَ الشرق عن هِمَمٍ ⠀⠀ حجابها عند أهل الغرب مُنهتك
ولستُ أطلب منكم فعلَ ما فعلوا ⠀⠀ ولا أحاول منكم ترك ما تركوا
بل فاذكروا أولـيكم كيف قد سلفوا ⠀⠀ ثم اسلكوا فى المعالى أيةً سلكوا
واستخلصوا اعسجدَ المجد الذى بلغوا ⠀⠀ سبكا على قالب العلم لذى سبكوا
لاعذر للشرق عند الغرب بعدئذ ⠀⠀ إن لم يتمَّ له شأوه الدَّرَك (٢)
واستنجدوا العلم إنَّ العلم شِكَّتُه ⠀⠀ فى حومة العيش تبلى دونها الشِّكَك (٣)
أما المـدارس فلتُرفع قواعدها ⠀⠀ حتى تقوم وطود الجهـل مؤْتفِك (٤)
منابع العلم إن غاضت بمملكة ⠀⠀ فاضت بسيل الدواهى حولها بِرَك (٥)
من شاد مدرسة للعـلم هدَّ بها
سجنا لمن أفسدوا فى الأرض أو فتكوا (٦)
وكم أثارت رياح الجهل من سحب ⠀⠀ تهطالهنَّ دمٌ فى الأرض منسفك
فالعلم والجهل كل البوْن بينهما ⠀⠀ هذا الفسوق وذاك الفوز والنُّسُك (٧)
ضِدَّان ما استويا يوما ولا اجتمعا ⠀⠀ وهل تُرى يتساوى النُّورُ والحَلَك
نادوا البِـدارَ البِـدارَ اليومَ إنكم ⠀⠀ ياقومُ ساهون حيث الأمر مرتبك
كم رُدِّدَت كلمات الناصحين لكم ⠀⠀ حتى لقد ملَّ من مَضْغ لها الحَنَك

---

(١) السكك ، بوزن سبب : الصمم . ⠀⠀ (٢) الدرك : اللحاق .
(٣) الشكك : جمع شكة ؛ وهى السلاح .
(٤) مؤتفك : منقلب . يقال : ائتفكت بهم الأرض : انقلبت .
(٥) الدواهى : المصائب .
(٦) يتضمن هذا البيت معنى الحكمة المشهورة : من فتح مدرسة أغلق سجنا .
(٧) النسك : العبادة . أى أن العلم هو العبادة الحق ، قال تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

ياقومُ قد طلعت شمس الهدى ويها للناس قد وضحت من رشدهم سكك

وأنشــد الشرق مسروراً يؤرخها

« حُرِّيَةُ المُــلْك أهدَى شمسَها الفَلَكُ »

يوم العروس

زفَّت إلينا العروسُ وزوجُها الأنكليسُ (١)

زُفَّتْ إلينــا زِفافًا فيه الشقا والنحوس

المَهْرُ منَّــا دِماه والعروس حرب ضَروس

كم مُزِّقَتْ حُرُماتٌ وكم أضيعتْ نفوس

وكم أديرت علينا من المنايا كئوس

وكل هذا لتحظى بالبعْل تلك العَروس

يوم العروس لعَمرى يوم كريهٌ عَبوس

---

(١) الأنــكليس والأنقليس ، بفتح الهمزة : سمك شبيه بالحيات ، ردىء الغذاء .


السياسات

إلى الأمة العربية[1]

هو الليلُ يُغريه الأسَى فيطولُ ... ويُرخِى وما غيرُ الهموم سُدُول[2]
أبيتُ به لا الغاربات طوالعٌ ... علىَّ ولا للطالعات أفول
ويَنشُر فيه الصمت لبداً مضاعَفا ... فتَطويه منّى رَنة وعَويل[3]
ولى فيه دمع يلذَع الخدَّ حرُّه ... وحزن كما امتد الظلامُ طويل
بكيت على كل ابن أروع ماجد ... له نسب فى الأكرمِينَ جليل
يُليحُ من الضيم المذلِّ بغُرَّةٍ ... لها البدر تِربٌ والنجوم قبيل[4]
من العُرْب : أمّا عِرضه فموفر ... مَصون ، وأمّا جسمه فهَزِيل
له سلف عزّوا فبزّوا نباهةً ... ولم تعتَوِرهم فترة وخيول[5]
وساروا بنهج المكرُمات تقِلُّهم ... قلائصُ من سعيٍ لهم تَخاول

---

(١) مثل شبان العرب فى الآستانة رواية وفاء السموءل فى مسرح (تبه باشى) الكبير ، الكائن فى حى (بك أوغلى) ، وطلبوا إلى الرصافى أن يحضر وينشدهم شعرا ، فقال هذه القصيدة يعارض بها لامية السموءل المشهورة وقد أنشدهم إياها فى المسرح المذكور ، وكان المكان غاصاً ممن كان فى الآستانة من رجال العرب ، وكثير من رجال الترك .

(٢) يغريه : يحضه . أى أن الأسى يحض الليل على الطول فيطول .

(٣) اللبد ؛ بكسر فسكون : كل شعر أو صوف متلبد . وتمهيداً لبيان معنى البيت نقول : إن الصوت إنما ينقله إلى سمع السامع تموج الهواء ؛ فإذا حال بين السمع وبين تموج الهواء حائل يمنع وصول ذلك التموج إلى السمع ؛ انقطع الصوت ولم يسمع ؛ واللبد أمنع حائل لوصول التموج إلى السمع ؛ إذ ليس فيه على الخلل ما يمكن أن ينفذ فيه الهواء . وعليه فقد شبه الشاعر الصمت وهو عدم الصوت الكائن فى الليل ؛ بلبد منشور على الأطراف ؛ قد حال بين السامع وبين كل صوت ؛ فلا ينقل إليه الهواء بتموجه صوتا ؛ لأن هذا اللبد المنشور قد أحاط به من جميع أطرافه ؛ فمنع وصول كل صوت إليه . ووصف اللبد بكونه مضاعفا ؛ ليكون أبلغ فى منع الصوت ؛ ثم قال : « فتطويه منى رنة وعويل » أى لأنه لا يسمع فى الليل إلا صوت بكائه وعويله ؛ فكأن بكاءه يطوى ذلك اللبد المنشور ؛ فيعود يسمع صوت البكاء والرنين . وحاصل المعنى : أنه لا صوت فى ذلك الليل سوى صوت بكائه فيه .

(٤) يليح : أى يخاف ويحاذر ؛ والباء فى قوله بغرة : للمصاحبة ؛ أو هى للتعدية ؛ على تضمين يليح معنى يحيد ويعدل ؛ فيكون المعنى : يحيد مليحا من الضيم بغرة .

(٥) عزوا فبزوا : أى غلبوا فسلبوا . ونباهة : تمييز للنسبة ، وهو محول عن الفاعل .

وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقتْ ... به غُرَر من مجدهم وحُجول
أولئك قوم قد ذَوَى روضُ مجدهم ... ولم تسرِ فيه نَسمة وقَبول
وقد أعطشته السُّحْب حتى لقد عَلَتْ ... على الزُّهْر منه صُفرة وذُبول
رعَى الله من أهل الفصاحة مَعشرا ... لهم كان فوق الفرقدين مَقيل
ترامَى بهم ريب الزمان كأنما ... له عندهم دون الأنام ذُحول
فأمستْ من العُمران خِلوا بلادهم ... فهن حُزُون قَفْرة وسُهول
وعادتْ مغانى العِلم فيها دوارساً ... تُجرّبها للرامسات ذُيول[1]
وقوّضتِ الأيام بنيانَ مجدِها ... فرَبعُ المعالى بينهنَّ مَحُول[2]

* * *

نظرتُ إلى عَرض البلاد وطولها ... فما راقنى عَرض هناك وطول
ولم تبد لى فيها معاهدُ عزّها ... ولكن رسومٌ رَثة وطُلول
نظرتُ إليها من خلال ذوارف ... من الدمع طَرفى بينهن كليل
فكنت كراءٍ من وراء زجاجة ... بعينيه كيما يَستبينَ ضئيل[3]
ولم أتبيّن ما هنالك من عُلًى ... لكثرة ما قد دبّ فيه نحول
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطاً ... بكفّى على قلب يكاد يزول
وأوسعتُ صدرى للكآبة فاغتدتْ ... بأرجائه تحت الضلوع تجُول
وأرسلت دمع العين فانهلّ جارياً ... له بين أطلال الديار مسيل
أأمنع عينى أن تجودَ بدمعها ... على وطنى ، إنى إذنْ لبخيل

---

(١) تجر : بالبناء للمفعول . وذيول : نائب الفاعل . والرامسات : الرياح ، وسميت رامسات : أى دافنات ؛ لأنها تدفن الآثار بهبوبها .
(٢) محول ؛ بفتح الميم : أى مجدب .
(٣) شبه نفسه وهو ناظر إلى الديار من خلال الدموع الذوارف ؛ برجل وضع على عينيه زجاجة ينظر من ورائها ؛ والمراد بالزجاجة ما تسميه العامة اليوم بالمنظرة أو بالعوينات .

فإن تعجبوا أن سال دمعي لأجله ... فإنّ دمي من أجله سيسيل[1]
وما عشتُ أنى قد تناسيتُ عهده ... ولكنّ صبرى فى الخطوب جميل[2]
وإنّ امرأً قد أثّل الهمُّ قلبه ... كقلبي ولم يلقَ الرّدَى لَحمول
أفى الحق أن أنسَى بلادىَ سَلوةً ... وما لىَ عنها فى البلاد بَديل
أقول لقومى قول حيران جازع ... تَهيج به أشجانه فيقول
متى ينجلى ياقوم بالصبح ليلكم ... فَتذهبَ عنكم غفلة وذهول؟
وينطق بالمجد المؤثل سعيُكمْ ... فيسكتَ عنكم لائم وعذول
تريدون للعليا سبيلًا وهل لكمْ ... إليها وأنتم جاهلون سبيل
أناشِدُكمْ أين المدارسُ إنها ... على الكون فيكم والحياة دليل
وأين الغنىُّ المرتجَى فى بلادكم ... يجود على تشييدها ويطول[3]
بلادٌ بها جهل وفقر كلاهما ... أكول شروب للحياة قَتول
أجَلْ إنكم أنتم كثير عديدكم ... ولكن كثير الجاهلين قليل
ولو أن فيكم وحدةً عصبيَّة ... لهان عليكم للمَرام وصُول
ولكن إذا مستنهِض قام بينكمْ ... تلقَّاه منكم بالعِناد جهول
وأى فريق قام للحق صَدَّه ... فريق طَلوب للمِحال خَذول
وإن كان فيكم مصلحون فواحد ... فَعول وألف فى مَداه قَئُول
على أن لى فيكمْ رجاءً وإن أكنْ ... إلى اليأس أحيانا أكاد أميل
ألستمْ من القوم الأُلى كان علمهُم ... به كلُّ جهل فى الأنام قَتيل[4]
لهمْ هممٌ ليس الظُّباةُ تَفُلها ... وإنْ كان منها فى الظُّباة فلول

---

(١) أن فى البيت : مصدرية ؛ وهى وما بعدها مجرورة بلام محذوفة ؛ هى صلة لتعجبوا ؛ والتقدير : فان تعجبوا لأن سال دمى .

(٢) وما عشت أنى : أى لأنى ؛ لحذف الجار ؛ وحذفه قبل أن وأن قياس .

(٣) يطول . من الطول . بفتح الطاء : أى ينعم ويتفضل .

(٤) به : صله قتيل . وكل جهل : مبتدأ . وقتيل : خبره . والجملة فى محل نصب خبر كان .

ألا نهضةٌ علميَّـــــةٌ عربيةٌ   فتُنْعَش أرواح بها وعقول
ويَشجُعَ رِعديدٌ ويعتزَّ صاغر   ويَنْشَطَ لِلْمسعى الحثيث كسول (١)
فإن لم تقم بعد الأناة عزائم   فعَتْبِي عليكم واللام فُضُول

شكوى إلى الدستور (٢)

شِكاية قلب بالأسى نابض العِرْقِ   إلى قائم الدستور والعــدلِ والحقِّ
ملوكٌ على كل الملوك ثلاثة   لها الحكم دون الناس في الفَتْقِ والرَّتْقِ (٣)
وأقسم أنِّى لا أكون لغيرها   مطيعا ولو من أجلها ضُربت عُنْقِي
فهل أيها الدستورُ تَسْمَع شاكيا   بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق
لقد جئتَ من أُفق الصوارم طالعاً   علينا طلوع الشمس من مُنتهى الأفْق (٤)
فصادفتَ منّا أمّة قد تعشَّقتْ   لقاءك حتى جاوزت مَبلغ العشق
ولم تُبْدِ عُنْفا حين جئت وإنما   هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نُرجِّى منك للخَرْق راقعا   ولـكنْ تراخَى الأمر متَّسِع الخرق
بك اليومَ أشقانا الأُلى أنت مُسعِدٌ   لديهم فيا لله لِلمُسْعِد المُشْقِي (٥)
نراك بأيديهم على الخلق حُجَّةً   وأنت عليهم حُجة لا على الخلق
قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به   وسَدُّوا على من حولهم مَنبع الرزق

---

(١) الرعديد : الجبان ، والصاغر : الذليل .

(٢) نشرت هذه القصيدة في المؤيد بمصر سنة ١٣٢٧ هجرية . قالها لما سقطت وزارة حلمي باشا ، وقامت بعدها وزارة حقي باشا ، ينتقد بها خطة الاتحاديين عقب الدستور ، أيام كانوا يؤلفون الوزارات من غير رجالهم . ويحملونها نابعة في أعمالها لما يصدره مركزهم العمومي من الأوامر والنواهي . فرجال الوزارة هم المسئولون تجاه الأمة . والأمر فيما يفعلونه للاتحاديين .

(٣) أي لا طاعة إلا لهذه الأمور الثلاثة : الدستور . والعدل . والحق . فهي الملوك على كل الملوك . ولها الحكم في كل أمر .

(٤) يريد بطلوع الدستور من أفق الصوارم : أنه أعلن حكمه بقوة السيف . على ما هو معلوم من ثورة الاتحاديين في سلانيك .

(٥) قوله « بك اليوم أشقانا الخ » . أي اتخذوك آلة لاستئثارهم بالحكم . فكأنك آلة بأيديهم لسعادتنا وشقائنا . واللام الأولى في قوله « فيالله للمسعد » : مفتوحة . وهي لام المستغاث به . والثانية : مكسورة . وهي لام المستغاث له .

كأنّا لهم شاءٌ فهم يحلبوننا ... وكم مخضوا أوطاننا مَخْضة الزِّق (١)
وهم يأخذون الزُّبْد من بعد مَخْضها ... ولم يتركوا للسا كنيها سوى المَذْق (٢)
أترضى بأن تختص بالحكم مَعشراً ... وتُصبح للباقين حِـبراً على رَق (٣)
وهم يَرِدون الصفو منك ولم نَرِد ... سِوى نَغبةٍ من بعض سؤرهم الرَّنق (٤)
فما نحن إلّا كالظِّماء وإنهـم ... كساقٍ يُرينا الماء عذبا ولا يَسقِى
ألم تر أنّا طولَ عهـدك لم نَقُمْ ... نسابق أهل المجد فى حَلْبة السَّبْق (٥)
ولم نك نَدْرى لاهتضام حقوقنا ... أنحن من الأحرار أم نحن فى رِقٍّ؟
ولم نستفد إلّا سـقوط وزارةٍ ... وتأليف أخرى مثل تلك بلافَرْق
وماضرُّهم لو أسقطوا نَهْج سَيْرِهِمْ ... وساروا بمنهاج التبصّر والحِذْق
ألم يُبصروا للعدل غيرَ طريقهمْ ... فإن طريق العدل من أوضح الطرْق
وَماذا عسى يُجدى سقوط وَزارة ... إذا لم تقم أخرى على العدل وَالصدق
مضى كاملٌ من قبل حلمى وإن جرى ... كما جَرَيا حَقّى فمثلهمـا حق (٦)
وما الهَمُّ عندى بالذى قد ذكرتُه ... وإن كان يشجينى ويدعو إلى الزَّعق
ولـكن وراء السِّترِ كفٌّ خَفِيَّةٌ ... تزحزحُ من شاء عن الأمر أو تبقى (٧)
ولولا يدٌ شدّت لسانى بِنِسعة ... لَبُحت بسرٍّ كالشجاَ هو فى حَلْقى (٨)

---

(١) قوله « مخضوا أوطاننا » : أى استدروا خيرها بمخضها . وتقليب الأمور فيها . كما يمخض الزق ، وهو السقاء ، ومخض الزق : تحريكه بعد وضع اللبن فيه . لاستخراج الزبد .

(٢) المذق : هو اللبن الممزوج بالماء . المستخرج منه زبدة .

(٣) الرق . بفتح الراء : الصحيفة البيضاء . والحبر : المداد . والمراد بكونه حبرا على رق : أنه لا حكم له . وأنه غير معمول به .

(٤) النغبة . بفتح النون وبضمها : الجرعة . والسؤر . بالضم : بقية الماء التى يبقيها الشار فى الإناء . الرنق . بفتح فسكون : الكدر .

(٥) حلبة السبق : هى الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة . يقال : هو يركض فى كل حلبة من حلبات المجد .

(٦) كامل وحلمى وحق : أسماء وزراء فى الدولة العثمانية .

(٧) يشير بهذا البيت إلى ما كان عليه الاتحاديون إذ ذاك . من تدبيرهم الأمور من دون أن يتقلدوا المناصب . فهم العاملون . وغيرهم المسئول . فهم فى ذلك كالعامل من وراء ستار .

(٨) النسعة . بالكسر : حبل من أدم . والشجا : عظم يعترض فى الحلق . وهو عندهم مثل للأمر المزعج .

فيأيها الدستور فاقض بما ترى ... وأبرق ولكن لا تكن خُلَّب البرق
ولسنا نُريد اليوم حُكماً عليهمُ ... ولكن نناديهمْ وندعو إلى الحق
تعالَوْا إلى أمرٍ نساويه بيننا ... وبينكم في الجِلِّ منه وفي الدِّق (١)
فإن يفعلوا هذا فيامرحباً بهم ... وإلّا فياسُحْق المعانِ من سُحْق
سنطلب هذا الحقَّ بالسيف والقنا ... وشِيبٍ وشبّان على ضُمَّرٍ بُلْق (٢)
بكلّ ابن حرب كلما شدّ هزّها ... بعزم من السيف المهنّد مشتق
تراه إذا ما عبَّس الموت وجهه ... بوجهٍ يُلاقي الموت مبتسمٍ طَلْق (٣)
من العُرب مطبوعُ الطِّباع على العُلَى ... بديعُ معاني الحسن في الخَلق والخُلق

في معرض السيف (٤)

هيَ المُنَى كثغور الغيد تبتسم ... إذا تطرَّبها الصَّمْصامة الخَذِم (٥)
دَعِ الأمانيَّ أو رُمْهُنَّ من ظُبةٍ ... فإنما هنَّ من غير الظبى حُلُم
والمجدَ لا تبنه إلّا على أُسُسٍ ... من الحديد وإلّا فهو منهدم
لو لم يك السيف رَبَّ الملك حارسَه ... ما قام يسعى على رأس له القلم
من سلّه في دُجى الآمال كان له ... فجرا تَحُلُّ حُباها دونه الظُّلَمُ (٦)

---

(١) الجل والدق . وكلاهما بالكسر : الجليل والدقيق . أي العظيم والحقير .

(٢) أي على خيل ضمر بلق ، جمع ضامر ، وهو القليل اللحم ، الدقيق ، وجمع أبلق ، وهو الذي فيه سواد وبياض .

(٣) تراه : تبصره . وقوله « بوجه » في موضع الحال من ضمير المفعول في تراه ، والباء : للمصاحبة ، فكأنه يقول : تراه مصاحبا لوجه مبتسم عندما يعبس الموت .

(٤) لما قام الإصلاحيون في بيروت يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح ، قال الرصافي هذه القصيدة يؤيدهم بها ، ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليهم . ثم إنهم لما عقدوا مؤتمرهم المشهور في باريس ، تبين للرصافي أنهم ليسوا على هدى من أمرهم ، فرد عليهم بقصيدة كتبها تحت عنوان (ماهكذا) . وستأتي هذه القصيدة .

(٥) تطربها : حملها على الطرب ، قال الشاعر : « ولم يتطربني بنان مخضب » .

(٦) « تحل حباها » بضم الحاء : جمع حبوة . وهي اسم بمعنى الاحتباء . وتطلق على مايحتبي به الرجل من ثوب أو عمامة . ثم ويقال « حل فلان حبوته » : إذا قام ، كما يقال : عقد حبوته : إذا قعد . والمراد بكون الظلم في هذا البيت تحل حباها ، أنها تزول دون ذلك الفجر .

والعلم أضيع من بَذْر بِمَسْبخةٍ ... إن لم تُجَلِّله من نَوْء الظُّبى دِيَمُ[1]
إن الحقيقة قالت لى وقد صدقت ... لا ينفع العِلم إلاّ فوقه عَلَم
والحق لا يُجتَنى إلاّ بذى شُطَبٍ ... ماء المنيَّة فى غَرْبيه منسجم[2]
إن أسمعتْ ألسُنُ الأقلام ظالمها ... بعضَ الصرير كمن يبكى وينظلم
فللحسام صليل يرتمى شررًا ... مفتقًا أُذْنَ من فى أُذْنِه صَمَمُ[3]
هب البراعةَ رِدْء السيف تأزُرُه ... فهل على الناس غير السيف محتكمُ[4]
فالعلم ما قارنته البِيض مَفْخَرةٌ ... والحق ما وازرته السمرُ محترم
وإنما العيش للأقوى فمن ضعفت ... أركانه فهو فى الثاوين مخترَم
والعجز كالجهل فى الأزمان قاطبةً ... داء تموت به أو تُمسَخُ الأمم
والمجدُ يأثلُ حيث البأس يَدعمه ... حتى إذا زال زال المجد والكرم[5]
وإنَّ شأوَ المعالى ليس يُدركه ... عزْمٌ تسرَّب فى أثنائه السأَم[6]

* * *

آهًا فآهًا على ما كان من شَرَفٍ ... لليَعْرُبيّين قد ألوى به القِدم
أيّام كانوا وشملُ المجد مجتمع ... والشَّعْب ملتئم والملك منتظم
كانوا أجلّ الورَى عزًّا ومقدُرةً ... إذا الخطوب بحبل البغى تُحتَزَم
وأرْبَط الناس جأشا فى مُوافقةٍ ... من شدة الرُّعْب فيها ترْجُف اللِّمَم
قومٌ إذا فاجأتهمْ غُمّة بدَروا ... وأوفزتهم إلى تكشيفها الهِمَمُ[7]

---

(١) قوله « بمسبخة » : صفة لمحذوف ، أى بأرض مسبخة ، وهى التى تكون مسبخة ، أى ذات سباخ ، وهى الأرض التى تحرث ولا ينمو فيها زرع . « إن لم تجلله » : أى لم تعمه . يقال : جلل المطر الأرض : إذا عمها وطبقها .

(٢) « بذى شطب » : صفة لمحذوف ، أى بسيف ذى شطب . والشطب : جمع شطبة ، وهى طريقة السيف فى متنة . وقوله « فى غربية » أى فى حديه . والضمير : يعود إلى السيف .

(٣) الصليل : صوت وقع السيف .

(٤) الردء : العون والناطر ، وتأزره : تقويه .

(٥) يأثل : أى يتأصل . ومنه يقال : مجد أثيل : أى أصيل . وقوله (يدعمه) : أى يسنده ويقويه .

(٦) شأو المعالى : أى مداها وغايتها . وتسرى : دخل .

(٧) بدروا : أسرعوا . وأوفزتهم أعجلتهم .

على الحصافة قد لِيثت عمائمهمْ ... وبالجزامة شُدَّت منهم الحُزُم (١)
قَضَوا أعاريبَ أقحاحاً وأعقبهم ... خَلف هم اليوم لاعُرْبٌ ولا عَجَم (٢)
جار الزمان عليهم فى تقلّبه ... حتى تبدّلتِ الأخلاقُ والشيَم
دَبّ التباغض فى أحشائهم مَرَضاً ... به انبرتْ أعظمٌ منهمْ وجفّ دم
فأصبح الذلّ يمشى بين أظهرهِمْ ... مَشْىَ الأمير وهم من حوله خَدَم
فأكثرُ القوم من ذُلّ ومَسكنة ... تلفَى الذبابَ على آنافهم يَنِم (٣)
كم قد نحتُّ بهم فى اللوم قافية ... من الحفيظة بالتقريع تحتدم
وكم نصحتُ فما أسمعتُ من أحد ... حتى لقد جفّ لى ريق وكَلّ فم

* * *

يارا كبًا مَتْن منْطادٍ يطير به ... كما يطيرُ إذا ما أُفزِع الرَخَم (٤)
يمرّ فوق جَناح الريح مُخترقا ... عَرْض الفضاء ويعدو وهو مُعتزِم
يعلو إلى حيث يستجلى العِيانُ له ... ماغمَّ الأفْقُ أو ما وارتِ الأكَم
حتى إذا حطّ منقضًّا على بلدٍ ... ينقضّ والبلد الأقصى له أمَم
أبلغ بنى وطنى عنى مُغَلْغَلَةً ... فى طيها كِلَم فى طيّها ضَرَم
ما بالهُم لم يُفيقوا من عَمايتهم ... وقد تبلج أصباحُ المنى لهم
إلى متى يَخْفِرون المجدَ ذمّته ... أليس للمجد فى أنسابهم رَحِم (٥)
ومن يَعِشْ وهو مِضْياع لفُرصته ... ذاق الشقاء وأدمى كفه الندم
وكل من يدّعى فى المجد سابقةً ... وعاش غير مَجيد فهو متهم

(١) قد ليثت ، بالبناء للمجهول : أى قد لفت .

(٢) أقحاح : جمع قح ، بالضم ، وهو الخالص من كل شىء . يقال : هو أعرابى قح ، أى خالص . والخلف ، بسكون اللام : الجيل ، بعد الجيل ، ولا يستعمل إلا فى السوء . يقال : هؤلاء خلف سوء ، فاذا كان صالحا قيل خلف ، بفتح اللام .

(٣) ونم الذباب ينم : إذا سلح . ومصدره الونيم .

(٤) المنطاد : آلة تركب ، ويطار بها فى الهواء ، ويسمى بالبالون . والرخم : طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة . والواحدة منه رخمة .

(٥) خفر فلانا : أى نقض عهده ، وغدر به ، يقال : خفرت ذمة فلان ، وذمته فى البيت : بدل اشتمال من المجد ، فكأنه قال : إلى متى يخفرون ذمة المجد .

ما هكذا (*)

أصبحتُ أُوسِعُهمْ لَوْما وتَثْريبا ... لمَّا امتطَوْا غارب الإفراط مركوبا
وألهبتْ منهمُ الأهواء جارية ... إلى التفرّق أُلهوباً فألهوبا(١)
وأرسلوهنّ مُرْخاةً أعنَّتَها ... يُوغِلْن فى الأمر إحضارا وتقريبا(٢)
فأرْهَجُوا الشر حتى إن هَبوته ... مدّتْ سُرادقَها فى اللُّوح مضروبا(٣)
رامُوا الصلاح وقد جاءوا بلائحةٍ ... خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
قد كلّفوا شَطَطاً فيها حكومَتَهم ... وخالفوا الحزمَ فيها والتجاريبا
عدُّوا النصارى وعدوا المسلمين بها ... ونحن نعهدُهم طُرًّا أعاريبا(٤)
قد حكَّموا الدينَ فيها فهىَ مُعرِبة ... عمَّا يكون لدعوَى القوم تكذيبا
مَن مُبلغٌ القوم أن المصلحين لهم ... أمسَوْا كمن لبس الجلباب مقلوبا(٥)
ما بالهم وطريق الحق واضحة ... لايسلكون إلى الإصلاح مَلْحوبا(٦)

(*) لما أطلع الشاعر على لائحة الإصلاحيين فى بيروت ، ورأى فسادها ، قال هذه القصيدة يؤنبهم ويفند رأيهم فى ذلك ، وفى عقدهم مؤتمراً فى باريس .

(١) ألهبت منهم الأهواء : فى الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الأهواء بالخيل المادية . ومعنى ألهبت : اجتهدت فى عدوها حتى أثارت الغبار . والألهوب : اسم بمعنى الإلهاب .

(١) الضمير فى أرسلوهن : يعود إلى الأهــواء التى شبهها بالخيل فى البيت المتقدم . ويوغلن يسرعن ويبعدن . والإحضار والتقريب : ضربان من عدو الخيل ، وفى البيت كله تخيل للأهواء المشبهة بالخيل .

(٣) أرهجو الشر : أى أثاروا رهج الشر ، أى غباره . والهبوة : الغبرة . واللوح ، بضم اللام لهواء بين السماء والأرض .

(٤) يقول : نحن نعدهم عربا متمسكين بالعربية ، فلم جاءوا فى لائحتهم هذه بأحكام تختص بالمسيحيين ، مع أن كلا الفريقين عرب .

(٥) أى أمسوا ضحكة للناس ، حيث فعلوا ما أضحك منهم الناس ، إذ أفسدوا وهم فى طلب الإصلاح ، فصاروا كمن لبس جلبابه مقلوبا . جاعلا أسفله أعلى . وأعلاه أسفل . فصارت الناس تهزأ به . وتضحك منه .

(٦) ملحوبا : أى واضحا . وهو صفة وموصوف محذوف . أى طريقا ملحوبا .

أفى مصالح دنياهم وهم عَرَبٌ ... جاءوا على حسب الأديان ترتيبا
ما ضرّهم لو نَحَوْا فى الأمر جامعةً ... تنفِى الكنائس عنها والمحاريبا
لكنهمْ أمّــة تأبى مشاربُهم ... إلّا التعصُّبَ للأديان مشروبا
قد حاولوا الحقّ واشتطوا بمطلبه ... حتى بدا وجهه كالليل غِرْبيبا[(1)]
قد يطلب الحقَّ طيّاشٌ فَيُبطله ... ما كل طالب حق نال مطلوبا
قاموا يريدون إصلاحاً فقمت لهم ... استَنطق الشعر تأهيلاً وترحيبا[(2)]
ورحت احثّهم حَذْواً بقافيــة ... غازلتُ فى صدرها الآمال تشبيبا
حتى إذا مَحَضُوا آراءَهُمْ ظهرتْ ... للناس زُبدَتهــا تأيا وتخبيبا[(3)]
ساروُا وسرت فكان السير مختلفا ... يرمى لوجهين تشريقا وتغريبا
كانوا أحقَّ البرايا مَطْلَباً فغدَوْا ... من أبطل الناس فى الدنيا مطاليبا
رامُوا انشقاق العصا بالشَّغب ملتهباً ... والحقْد مضطرماً والضغْن مشبوبا[(4)]
إنى لأبصر فى بيروتَ قائبةً ... للشر مُوشِكَة أن تخرجَ القُوبا[(5)]
أو أكْرَةً من «دِيناميتٍ» إذا انفجرَتْ
فنارها تَنسِفُ الشُّبَّانَ والشِّيبا
وقــد رأيت أناساً واصلين بهــا ... وهم بباريزَ مِلْبارودِ أنبوبا[(6)]
وآخرِينَ بمصرٍ يطلبون لهــا ... تفرقعاً يجعل المغمور مَخْروبا

---

(١) اشتطوا : تباعدوا عن الحق . وجاوزوا القدر . والغربيب : الأسود .

(٢) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى قصيدة « فى معرض السيف » التى كتبها قبل هذه القصيدة يدعو القوم إلى الانضمام إليهم فى طلب الإصلاح .

(٣) التأى : الضعف ، والركاكة . والتخبيب : الغش والإفساد .

(٤) الشغب بفتح فسكون . وقد تحرك الغين : تهييج الشر .

(٥) القائبة : البيضة . والقوب : الفرخ . والمعنى ظاهر .

(٦) ملبارود : أصله من البارود . فحذفت نون من الجارة . واتصلت بالمجرور خطأ . وقد جاء استعمالها كذلك فى شعر الأقدمين . وجملة : « وهم بباريز » معترضة . وأنبوبا : مفعول لواصلين . وملبارود : حال من أنبوبا .

ويتركُ الناسَ في دهياءَ مظلمة ... يرتدّ منها بياض الشمس حُلْبوبا[1]
قـل للعريسيّ والأنباء شائعةٌ ... والصُّحْف تَرْوي لنا عنه الأعاجيبا
عـلامَ تعقد في باريز مؤتمرا ... ما كنت فيه برأي القوم مندوبا
وهل تعمَّد « حقي العظم » فَعْلتَه ... لمّا نَمى خبراً «للطّان» مكذوبا[2]
إذ راح يستنجدُ الإفرنج منتصفاً ... كأنه حَمَل يستنجِدُ الذيبا

* * *

خافوا التذبذبَ في أعمال دَولتهم ... من أن يَجُرّ على الأوطان تخريبا
وكان خوفهم حقّاً لوَ انهُمُ ... لم يعدِلوا عن طريق الحقّ تنكيبا
لكنهم جاوزوا نَهْجَ الصواب إلى ... وادي تُهُلِّكَ فاستقصوا به الحُوبا[3]
ولم يُبالوا بما أبدوْه من جَنَف ... أن يُمسيَ الوطنُ المحبوبُ محروبا
فهمْ كمن فرّ من قُطْر يبلله ... ثم انتحى السيلَ أو جاء الميازيبا
لو كان في غير باريز تألّبُهمْ ... ما كنتُ أحسبهم قوماً مناكيبا
لكنّ باريز ما زالتْ مطامعها ... ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا
ولم تزل كلَّ يوم من سياستها ... تلقِي العَراقيل فيهـا والعراقيبا
هل يأمن القومُ أن يحتلّ ساحتَهمْ ... جيش يَدُكّ من الشام الأهاضيبا

* * *

يأيُّهـا القوم لايغرركُمُ نفـرٌ ... ضجُّوا بباريزَ إفسادا وتشغيبا
جاءتْ رسائلهمْ بالشر مُغْرِيَةً ... تفنّنَ في المكر أسلوبا فأسلوبا

---

(١) الحلبوب : الأسود الحالك . يقال : أسود حلبوب وسحكوك وغربيب .

(٢) لما عقد المتهوسون من العرب مؤتمرهم في باريز . أرسل حقي العظم إذ ذاك بمصر . تلغرافا إلى جريدة الطان الباريزية . يطلب فيه من الحكومة الفرنسية أن تتدخل في أمر سورية . ففي هذا البيت وما بعده إشارة إلى هذا التلغراف الذي أرسله حقي العظم .

(٣) وادي تهلك . بضم التاء والهاء وتشديد اللام المكسورة : هو الباطل . ويستعمل ممنوعا من الصرف .

فطالعوهن بالأيدى مطالعة · تسطو عليهن تمزيقا وتأريبا[1]
إن يصدقوا إنهم لايلبسون سوى · مَحْضِ النصيحة فى الدَّعوى جلابيبا
فسوف يقرع كُلٌّ سنَّهُ ندماً · ويُسْبِلُ الدمعَ فى الخدين مسكوبا

فى ليلة نابغية[2]

خاضَ الدُّجَى وظلامُ الليل مختلطُ · صوتٌ بهالوجدُمثلُ السيفِ مُخترطُ[3]
يَبُثُّ فى الليل حُزنا لو أحسَّ به · لبان فى لِمَّتِيهِ الشيبُ والشَّمَطُ[4]
أبديهِ منقبضا منه على شَجَن · فيملأُ الليلَ إرنانا ويَنْبَسِطُ
أرسلتُ منه أنيناً فات أوَّله · سمعى وآخرُه . بالقلب مرتبط
والليل أرسل وَحْفا من غدائره · كأنه بثُريَّا الأُفْقِ يَمتشطُ[5]
والنجم فى القبَّة الزرقاء تحسبه · فرائداً وهى من فَيْروزَجٍ سَفَط[6]

(١) قوله « فطالعوهن بالأيدى » المطالعة : إنما تكون بالعيون لا بالأيدى . ولكنه أراد أن يقول : مزقوهن . فنزل التمزيق منزلة المطالعة . تهكما واستهزاء . وقال طالعوهن بالأيدى . ففى الكلام استعارة تبعية مصرحة . حيث حذف المشبه . وذكر المشبه به . وأثبت له ما يلائم شبه . وهو قوله بالأيدى . ثم اوضح مراده بقوله مطالعة إلى آخره .

(٢) لما نشر الرصافى قصيدته « ما هكذا » التى انتقد بها دعاة الإصلاح واللامركزيين ، صح له ضجيج القوم ، وأخذت صحفهم تشنع عليه الأمر ، وترميه بما هو منه براء وخلاء ، فبلغه الخبر وهو إذ ذاك فى الآستانة ، فبات له قلق الحشا ؛ فكتب هذه القصيدة وكأنه كان فى ليلة نابغية ، ولذا عنون القصيدة بهذا العنوان .

(٣) مختلط : أى معتكر شديد السواد ، فاختلاط الظلام : شدة سواده ، كأنه كر بعضه على بعض ، وامتزج حتى تضاعف . والوجد : الحزن . ومخترط ، بصيغة المفعول : أى مسلول .

(٤) يبث : ينشر . وضمير الفاعل المستتر فى يبث يعود إلى الصوت ، وضمير الفاعل فى أحس يعود إلى الليل . والشمط : بياض الشعر ، فعطفه على الشيب من قبيل عطف التفسير .

(٥) قوله « وحفا من غدائره » : الوحف ، بفتح فسكون : الشعر الكثير الأسود الحسن . والغدائر : جمع غديرة وهى الذؤابة . وأراد بغدائر الليل سدول ظلامه ، فشبه الليل بحسناء أرسلت ذوائبها ، لتسرح شعرها وتمتشط ، وجعل الثريا كالمشط فى يدها .

(٦) الفيروزج : حجر كريم ، يكون بلون السماء . وهو المعروف بالفيروز (معرب) . والسفط فتحتين : وعاء مقعر مستدير كالقفة . أكثر ما تستعمله النساء لوضع حليها . ومنه قولهم : « يوجد فى الأسقاط . ما لا يوجد فى الأسفاط » .

كم قلتُ والليلُ جَثْل الشعر فاحِمُه ... شِعْرًا به كاد فرع الليل يَنمعِط[1]
ينجاب لُيل العمى عن قلب سامعه ... كالفجر إن لاح فالظلماء تنكَشط[2]
لَهفى على حِكَم ما زلت أنثُرها ... دُرًّا ثمينا وما فى القوم ملتقِط
ضاع الدواء الذى قد كنتُ أوجِرُهُ ... مَن ليس يشرب أو من ليس يَستعِط[3]
تقول لى أن غبطتُ القومَ تجربتى ... لا تَغبِطَنَّ فما فى القوم مغتبَطُ

* * *

قُلْ للأُلَى نطقوا بالضاد مُدَّغَما ... لم يُدغِم الضَّاد آباء لكم فَرَطوا[4]
أيَحْسُن اللحنُ إذ آباؤكم فَصَحوا ... أم يحسن العجز إذ آباؤكم نَشِطوا
فيكمْ غُلُوٌّ وتقصير وبينهما ... ضاع المراد أأنتم أمّة وَسَط
إنّى ابتُليتُ بقوم يَبْعَرون على ... أعقابهم ، وإذا عَنَّفتهمْ ثَلَطوا[5]
شطُّوا بأقوالهم حتى لقد غَضِبوا ... إذ قلت يا قومُ فى أقوالكم شَطَط[6]
فبدِّلوا القولَ إن صحَّت عزائمكم ... فِصلًا وإلّا فإنى يائس قَنِط
قد حِرْت فى الأمر : إنى حين أُسْخِطهم
يَرْضَوْن عنى وإن أرضيتهمْ سَخِطوا
فاز الذى كان فى أحواله وَسَطا ... فالمرُّ يُعْقَى وإن الحلوَ يُستَرَط[7]

(١) الجثل ، بفتح فسكون من الشعر : الكثير اللين . والفاحم : الأسود . والفرع . الشعر التام . وينمعط : يتساقط ويتمرط . والمراد بفرع الليل : ظلامه ، وبانمعاطه : انجلاؤه وإضاءته .

(٢) ينجاب : أى ينشق وينجلى . وتنكشط : تنكشف وتزول .

(٣) قوله « أوجره » . تقول : أوجرت المريض الدواء : إذا صببته فى فيه . ويستعط : يدخل السعوط فى أنفه . والسعوط : الدواء الذى يستعط .

(٤) المراد بكون الضاد مدغما : النطق به كالدال المفخمة المدغمة ، وكذلك تنطق به العامة اليوم فى سورية . وقوله « فرطوا » : أى سبقوا وتقدموا .

(٥) يبعرون : أى يرمون رجيعهم بعرا ، وهو رجيع ذات الخف . وقوله « ثلطوا » : أى سلحوا سلحا رقيقا . يقال للانسان إذا رق نجوه : هو يثلط ثلطا . ومعنى البيت : إنى إذا لمتهم على خطئهم الصغير ، فبدل أن يكفوا عنه يأتون بخطأ أكبر .

(٦) شطوا بأقوالهم : أى جاروا وأفرطوا . والشطط ، محركة : مجاوز القدرة والحد .

(٧) يعقى ، بالبناء للمفعول : أى يكره ويعاف ويلفظ . وهذا الشطر من البيت يتضمن المثل المشهور : « لا تكن حلوا فتسترط ، ولا مرا فتعقى » .

قل للأعاريب قدهانت مكارمكم | حتى ادَّعاها أناس كلهم نَبَط[1]
برئتُ للعُرب العرْباء من فئةٍ | يُنْمَوْن للعُرْب إلا أنهم سَقَط[2]
أينَ المكارم إن هم أصبحوا عَرَبا | فإنها فى طباع العُرب تُشترَط
إن يغمِطونى لأنى جئت أنهضهم | فأىّ مستنهِضٍ ذى نجدةٍ غَمَطوا[3]
هُمْ كالضفادِع فاسمعهمْ إذا رَطَنوا | فما هُنالك إلاّ اللَغو واللّغط[4]
يستنثِرون صَغارا من معاطسهم | ولا يبالون أنْ قالوا وأن ضَرَطوا
العارُ يرحل معهم أينما رحلوا | والخزى يهبط معْهم أينما هبطوا
من كل أشْوَهَ لاحت من مغامزه | فى وجه كل حياة حوله نُقَط
قد رثَّ عَرْضًا وإن جدَّت مآزرُهُ | من كل مُخزية فى وجهه شَرَط[5]
تراه يشخر عند الأكل من جَشَع | كأنما هو عند الأكل يمتخِط
الخَلْق كالخطِّ لا تقرأ لئامَهم | واشطب عليهم بنعلٍ إنهم غَلَط
إن رُمتَ تشبَعُ من مجد فكُل هِمماً | كأكلك السَّمن ملبوكا به الأَقِط
نفسى تجيش لأمرٍ لو صدعت به | لزُلزلت دونه البلْدان والخطط

(١) النبط ، بالتحريك : جيل من العجم ، ويستعمل أيضا فى أخلاط الناس وعوامهم .
(٢) قوله « إلا أنهم سقط » السقط بالتحريك : ما لا خير فيه ، والخسيس الردىء من كل شىء .
(٣) إن يغمطونى : أى يستحقرونى ويزدروا بى .
(٤) رطنوا : أى تكلموا بالأعجمية . ومراده بالأعجمية هنا : اللغة العامية ، فانها أعجمية بالنسبة إلى الفصحى . واللغو : ما لا يعتد به من الكلام . واللغط ، بالتحريك : أصوات مبهمة غير مفهومة .
(٥) الشرط : بالتحريك : العلامة .

آل السلطنـــة

هُمْ يُعَدُّونَ بالمئات ذكوراً ... وإناثا لهمْ قصورٌ مُشالَهْ[1]
ولهم أعبدٌ بها وإماء ... ونعيم ورفعة وجلالَهْ
تركوا السعى والتكسُّب فى الدنـيا ... وعاشوا على الرعية عالَهْ[2]
يتجلَّى النعيمُ فيهم فتبكى ... أعْيُن ... من نعيم البَطالَهْ
يأكلون اللُّبابَ من كدِّ قوم ... أعوزتهم سَخينة من نخالَهْ[3]
فكأن الأنام يَشْقون كدًّا ... كى تنال النعيمَ تلك السُّلالَهْ
وكأن الإلهَ قد خلق النـا ... س لمَحْيا آلِ السلاطين آلَهْ
نعموا فى غَضارة الملك عيشا ... وحملنا من دونهم أثقالَهْ
فإذا صَاوَلَ العدو خرجنا ... دونهمْ للوغَى نردُّ صِيالَهْ[4]
وإذا هُمْ جَرّوا الجرائرَ يوماً ... فعلينا تكون فيها الحمالَهْ[5]
وإذا ما استهلَّ فيهم وليدٌ ... فعلينا رَضاعه والكَفالَهْ[6]
قد رضينا بذاك لولا عتوٌّ ... أظهروه لنا على كل حالَهْ
ما بهم ما يَميزهم عن بنى السُّـوقة ... إلَّا رسوخهم فى الجهالَهْ[7]
هم من الناس حيث لو غُربِلَ النـا ... س لكانوا نُفَايةً وحُثالَهْ
ومن الجهل حيث لو صُوِّرَ الجهـ ... ـل لكانوا بين الورَى تِمثالَهْ
حمَّلونا من عيشهم كلَ عِبء ... ثم زادوا أصهارَهم والكَلالَهْ[8]

(١) مشالة : مرفوعة عالية . (٢) العالة جمع عائل ، وهو الفقير . والمراد به هنا : الـكل الذى يعتمد على غيره ، ولا يسعى لنفسه . (٣) سخينة : طعام أو حساء يتخذ من دقيق وتمر ، يؤكل أيام الجهد . والنخالة : ما يبقى فى المنخل بعد نخل الدقيق من قشر الحب .

(٤) المصاولة : المواثبة . وفى الأصل : وإذا ما صال . تحريف

(٥) الحمالة : ما يتحمله المحاربون من ديات القتلى .

(٦) استهل : صاح عند الولادة . (٧) السوقة : من عدا الملك من الرعية .

(٨) الـكلالة : ذوا القرابة غير الوالد والأولاد . يريد من ليسوا شديدى القرابة .

فكفينا أصهارَهم مُؤْنة العيــش فكانوا ضِغْثاً على إبالهْ[1]
تلك والله حالةٌ يقشعِرُّ الحــقُّ منها منها وتشمئز العــدالهْ
هى منهم دناءة وشَــنار وهى منَّا حماقة وضــلالهْ
ليس هذا فى مذهب الإشتراكيَّــة إلا من الأمور المُحالهْ
وهو فى الملة الحنيفيــة البيــضاء كفرٌ بربنا ذى الجلالة

الوطن والأحزاب[2]

متى نرجو لغُمَّتنا انكشافا وقد أمسى الشِّقاق لنـا مَطافا
ملأنا الجو بالجدل اصطخابا وكنا قبلُ نملؤه هُتـافا[3]
وما زلنــا نهيم بكل وادٍ من الأقوال نرسلها جُزافا[4]
ونُرْجِف فى البلاد بكل رُعْب يهُز فرائص الأمن ارتجافا[5]
ونتَّهم الحكومةَ باعتسـاف ونحن أشدُّ ظلما واعتسافا
وكم من ناعب فى القوم يدعو بوشك البين تحسبه الغُدافا
تَباكَينا على الوطن اختـداعاً فأنبتنا بأدمعنـا « الخلافا »[6]

(١) الضغث : ما يملأ الـكف من قضبان أو حشيش أو شماريخ . والإبالة : الـكومة الـكبيرة منه.

(٢) قال الرصافى هذه القصيدة عند ما سقطت وزارة الاتحاديين ، وقامت وزارة أحمد مختار باشا الغازى ، وذلك قبل الحرب البلقانية ، وكان الخلاف بين الاتحاديين والائتلافيين فى أشد حالاته .

(٣) الجدل ، بالتحريك : شــدة الخصومة . والاصطخاب : اختلاط الأصوات واشتدادها . والهتاف : الصياح . وأراد بالاصطخاب : الصوت فى الشر ، وبالهتاف : الصوت فى الخير . وفى الجملة الثانية حذف ، دل عليــه قوله بالجدل فى الجملة الأولى ، وتقدير الـكلام : وكنا قبل نملؤه بالوفاق هتافا .

(٥) قوله « نرسلها جزافا » : أى معدولا بها عن منهج الصواب ، كالبيع الذى يكون بمجازفة ، بلا كيل ولا وزن .

(٥) نرجف : أى نخوض فى الأقوال السيئة ، والأخبار المرعبة ، التى تجعل فرائص الأمن مهتزة مرتجفة . وارتجافا فى البيت مفعول مطلق ، سلط عليه عامل من معنـاه ؛ أو هو نائب عن المفعول المطلق ، على حذف مضاف . وفى قوله « فرائص الأمن » استعارة مكنية .

(٦) الاختداع : بمعنى الخدع ، وهو فى البيت مفعول لأجله . وفى قوله « فأنبتنا بأدمعنا الخلافا » تورية ، فان الخلاف هو التخالف . والخلاف أيضا : شجر ، وهو صنف من الصفصاف .

أجاعتنا المطامع فاختلفنا ... لنملأ في موائدنا الصِّحافا
ولكنّا من الوطن المُفَدّى ... نَخيط على مطامعنا غِلافا[1]

* * *

أرى أنف الحوادث مُشمخِرًا ... غدا يتشمّم الحدَث الجُرافا[2]
ويُوشك أن يمزّق مَنْخِريه ... عُطاس يملأ الدنيا رُعافا
فهل لوزارة « الغازى » اقتدارٌ ... تردّ به المَزاهز والثِّقافا[3]

* * *

أقولُ ولو يسوء القومَ قولى ... بيانا للحقيقة واعترافا
قد اختلف البريةُ واختلفنا ... فكنا نحن أسوأها اختلافا
فلا تَغرُرْك أحزاب شِداد ... بأنّ لهم أقاويلًا لِطافا
فإن بواطن القوم اختراصٌ ... وإنْ أبدتْ ظواهرُهم عَفافا
وما اختلفوا لمصلحةَ ولكنْ ... ليأكلَ أقوياؤهُمُ الضِّعافا
هو الدينارُ مُنيةُ كل راجٍ ... وبُغيةُ كل من دأب احترافا
نَحُجُّ لأجله بيتَ الخازى ... ونكثِر حول كعبته الطوافا
ترى كل الأنام به سُكارى ... وغيرَ هواه ما ارتشفوا سُلافا
فحبٌّ سواه فى الأفواه جارٍ ... ولكن حبه بلغ الشِّغافا
هو الحرب التى زحفت إليها ... كتائب كل من طلبوا الزِّحافا
وكمْ قدَّرت فى أمَل مُخاف ... فأمن صوتُه الأمل المُخافا
إذا خطب الوضيع به المعالى ... أقام له بنو الشَّرَف الزِّفافا
أرَى الأحزابَ من طمع وحرص ... قد اخترقوا إلى الفتن السِّجافا

---

(١) يريد : إنا اختلفنا للمطامع ، ولكننا نغطى مطامعنا بغطاء من حب الوطن ، ونجعلها فى غلاف منه ، تمويها وسترا لمطامعنا . (٢) الجراف : الجارف . يقال : سيل جراف .

(٣) المزاهز : الحروب والفتن التى تهز الناس . والثقاف : هو المضاربة بالسيوف على الرءوس . ووزارة الغازى : هى وزارة أحمد مختار باشا الغازى ، وفى هذا البيت وما قبله كهانة وتنبؤ عن المستقبل ، بالأخبار عن وقوع حروب وفتن ، وقد وقعت بعد ذلك حرب الأمم البلقانية مع الدولة العثمانية .

يجانف بعضهم فى الرأى بعضًا ... وبئس الرأىُ ما التزمَ الجِنافا[1]
لئن خطَّأتُ من راموا «اتحادًا» ... فما صوَّبت من راموا «ائتلافا»
فإن مشاربَ العدوان منها ... كِلا الحزبين يرتشف ارتشافا
وهمْ كأولى الديانة كلُّ حزب ... يراه أحق بالحق اتصافا[2]
وماذا نفع أقوال سِمانٍ ... إذا أفعالهم كانت عجافا
وأنى يُصلِح الأوطانَ قوم ... بها أشتّى تدابُرُهم وصافا
فكن منهم على طَرَف بعيدا ... وحاذرْ أن تكون لهم مضافا
فهمْ كالبحر يهلك راكبوه ... ويسلمُ منه من لزم الضفافا

عند سياحة السلطان[3]

قلْ للحكُومات فى البلقان هل عَلِقَتْ ... آمالكمْ من مواعيدٍ بإنجازِ
إن الذى تضْمرون اليوم من طَمَعٍ ... أمسى لأشعب يعزو مثلَه العازى
لم تعرفوا مُذ لَمستم عرق نخوتنا ... إذ قد لمستم بكفٍّ ذات قُفّاز
إنا لنعرف لُغْزًا فى سياستكم ... وما السياسة إلا بيتُ ألغاز
ألم ترَوْا أننا مُستوفزون لكمْ ... إذ نحن منكمْ على حذرٍ وأوفاز[4]
زار المليك بلاد الروم حيث غدا ... يُلقِي الدسائسَ منكمْ كلُّ همّاز[5]

---

(١) قوله « يجانف بعضهم فى الرأى بعضا » : أى ينفصل بعضهم عن بعض ، انفصالا منطويا على بغض وعداوة .

(٢) أى أن هذه الأحزاب السياسية يشابهون أهل الأديان المختلفة ؛ إذ كل منهم يرى نفسه على الحق ، غيره على الباطل ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

(٣) لما أخذت حكومات البلقان تشتغل بإيقاد الفتن السياسية فى مقدونية وبلاد الألبان، وخرج السلطان رشاد إلى البلاد المذكورة سائحا سياحة سياسية ، وقال الرصافى هذه القصيدة ، وقد رفعها إلى السلطان ، فأجازه عليها بساعة من ذهب ، ذات سلسلة ذهبية .

(٤) مستوفزون : متهيئون للوثوب عليكم . وفسر ذلك بقوله « إذ نحن منكم إلخ ... » . يقال: نحن على أوفاز، أى حد عجلة . أو على سفر قد أشخصنا ، والأوفاز: جمع وفز ،وهو العجلة .

(٥) الهماز ، كشداد : العياب الطعان

فـزال كل فساد كان مُنتشرًا . من عندكم بين إغراء وإيساز
حتى اطمأنّت قلوب الناس هادئةً وكل قلب لكم من غيظه نازى[1]
وأصبح المترجّى من مطامعكم يرنو إليكم بطَرْفٍ ساخرٍ هازى
ولاعبتْ نَسَمات الحبِّ ألويةً من الرشاد أقيمتْ فوقَ أنشاز[2]
يا أيهـا الملك السامى بحكمتـه والمبدلُ الناسَ من ذُلٍّ بإعزاز
قدعيَّ فى وصف ما أوتيتَ من حِكمٍ كِلا كلاميَّ إطنابى وإيجازى
غَزَوْتَ غزوَ سلام دون غايته غزو الحروب فأنت القاهر النازى
ملكت بالعفو والإحسان أفئدة كانت إلى السيف فيها بعض إعواز
وأنت لو شئت إرهابا لَجِئتهمُ بصارم لنواصى القوم جزّاز[3]
لـكنما جئتهم بالعفو تأخـذهُمْ والعفو أفضل ما يجزى به الجازى
فاغمدْ سيوفك إن العفو منصلتٌ واهنأ بشَعْبٍ مُحِبٍّ غير مُنحاز[4]
بالتُّرك بالروم بالألبـان قاطبةً بالأرمنيّين بالبُلْغـار باللاز
أمَّا بنو العُرب فالإخلاص يرفعُهُمْ إلى مَقام على الأقوام مُمتاز
إذ هم عِماد لعرشٍ أنتَ ماسكه فاضرب بُغاث العِدا منهم بأبواز
ورضْ بهم كل صعب ، إنّهم فئة تبغى الصدور ولا ترضى بأعجاز
وهُمْ رِكاز العُلى لو زرت أرَضهمُ يوماً لأركزْت فيها أيَّ إركاز[5]
إن يعجز الأمر عن مشي فهم سَنَدٌ لو كنتَ مُسندَه منهم بعكّاز
وإن خشيتَ على البُلْدان جِنّتَها . فَنُطْ بهـا من نُهاهم بعض أحراز[6]

(١) نازى : أى واثب ، اسم فاعل من نزا ينزوا ، بمعنى وثب .

(٢) أنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، وهو المكان المرتفع .

(٣) جزاز : فعال من الجز ، بمعنى القطع . والنواصى : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . وجز الناصية فى كلامهم : كناية عن القهر والإذلال .

(٤) غير منحاز : أى غير عادل ولا حائد . وتقدير الكلام غير منحاز عنك . فحذف الصلة من الجار والمجرور لضيق المقام ، ولدلالة الكلام عليها .

(٥) الركاز : ما ركزه الله فى المعادن من ذهب وفضة . يقال : أركز الرجل : إذا وجد الركاز ؛ ومعنى البيت ظاهر .

(٦) أحراز : جمع حرز ، وهو العوذة التى تكتب ، وتعلق على الانسان من العين والفزع والجنون.

وسيفُ ملكك إن رثّتْ حمائلُه　　أغنوْك فى رأبها عن كل خرّاز(١)
زر أيُّها الملكُ المحبوب مَوْطِنهم　　ولو زيارةَ عَجْلان ومُجتاز
وانظر إليه بعين منك شافيةٍ　　ما نابه اليومَ من جهل وإعواز
أشئِمْ وأعرِقْ ورُح بعد مُحتجِزا　　وأيمِنَنَّ بعــزم غير هَزْهَاز(٢)
ماذا على ملك الدستورِ من وطنٍ　　لو جال منهُ بأطراف وأجواز

الحق والقوة

أرَى الحقَّ لم يغشَ البلادَ وإنما
مشى ضارباً فى الأرض تلفِظُه الطُّرُقُ
فيُصْبِح فى أرض ويُمسى بغيرها　　وَحيداً فما يُؤْويه غرب ولا شرق
توطّنَ قفرَ الأرض مبتعداً بها　　إلى حيثُ لا إنْس ولا طائر يزقُو
وقد يهبِط الأمصارَ وهو محجَّب　　ويظهر أحيانا كما أومضَ البرْق
ومن عجبٍ أن الوَرَى يدْعونه　　وهم من قديمِ الدهر أعداؤه الزُرْق
أعدُّوا له فى البرِّ والبحرِ قوةً　　إذا ظهرتْ ينسدُّ من دونها الأُفْق
وطــاروا بطياراتهم يُمْطِرونه　　قذائفَ من نار كما أمْطَرَ الوَدْق(٣)

* * *

يقولون إن الحق فى الخلق قوة　　تذِلّ لهـــا الأعناقُ قهراً وتندقّ
فما باله يُمسِى ويصبح شاكِياً　　ولا يتحاشَى عن ظُلامته الخلق
إلى الله نشكو الأمر من مَدَنيَّةٍ
تعارَضَ فى أوصافها الـكِذْبُ والصِّدْق
وكم قد سمعنا ساسة الغربِ تدَّعِي　　بأشياء من بُطْلانها ضَحك الحَق

(١) فى رأبها : أى فى إصلاحها . والضمير يعود إلى الحائل . والخراز : فعال من الخرز ، وهو خياطة الجلود .

(٢) احتجز الرجل : أتى الحجاز . وأيمن : أتى اليمن . وكذلك أشأم وأعرق : أتى الشام والعراق . وقوله « بعزم غير هزهاز » أى غير مضطرب .

(٣) الودق المطر كله : شديده وهينه .

فهم منعوا رقّ الأسير وإنما   أجازوا لهم أن يشملَ الأممَ الرّق
ألم تَر فى القطر العراقِ أمّةً   من الأسر مشدودا بأعناقها رِبْق
قد اختطّ فيه السيف للقوم خِطةً   من العُنفِ لم يمرر بساحتها رفق
وأوجرهم سُمًّا من الذل ناقعًا   بكأس من العُدوان ليس لها مَذْق
فدجلة من وقع الشوائب أصبحتْ   تُعاف ، لأن الماء فى حوضها رَنْق
وإن الفرات الغمرَ أمسى وماؤه   من الضيم غَوْر ما لأوشاله عُمْق

• • •

رعى الله بين الواديين مَواطنا   إذا ذُكِرت يهتزّ بى نحوها عشق
قَضَيت بها عصر الشباب فلى بها   خواطر لم يسمح بإفشائها النطق
فلا تعجبوا من أننى عند ذكرها   أنوح عليها مثلما ناحت الوُرْق
وأنى إذا أبصرتها مستضامةً   يكاد لها قلبى من الحزن ينشق
ألم ترها قد أصبحت من إسارها   تُليح بطرفٍ فى لواحظه العِتق
تجرّ قيود الذلّ راسفةً إلى   تكاليفِ حكم فى سياسته المَحق
وَيحلُب شطريها العدوّ ضرائبًا   ويَمْخَضها دَرًّا كما يُمْخَض الزّق
سلام على وادى السلام الذى به   تفاقم هول الخطب واتسع الخرق
سنفديه حتى لا حياةٌ عزيزة   ونبذل حتى لا نفيسٌ ولا عِلق
ونُدرِك فيه ثأرنا بكتائب   لها نسبٌ من صلب يَعْرُبَ مشتق
وإن الليالى بالخطوب حوامل   ولا بُد يومًا أن سيأخذها الطَّلْق
فتنتجُ حربًا ما يبوخ سعيرها   وتستّن فى ميدانها الدُّهم والبُلْق
بكل أخى عزم كأن مَضاءه   مُشَطَّبة بيضٌ ومسنونة زُرْق
تُلفَّفُ رايات العلى بسواعد   لهن بتصريف القنا فى الوغَى حِذق
فإما المنايا نستطبُّ بطبّها   وإما مُنًى فيها يَتم لنا السبق
إذا نحن لم نملك على الدهر أمْره   فلا دام فينا نابضا للعُلَى عِرق

صبح الأماني (١)

تبلّج أفقُ الشرق من بعد ما اغبّرا وكشّر عن صبح الأماني مُفْتَرّا (٢)
ولو كان صُبْحًا ناصع اللون سرّني وبرّد حرًّا كان في كَبِدي الحَرّى
ولكنه صُبْحٌ يلوح لناظري بحاشية الزرقاء كالدم مُحْمرّا
أراه كوجه الغادة الخود رائقٍ بحسنٍ ولكن قد تجهّم وازورّا (٣)
لحت تباشير المُنَى من خلاله ضئالًا كمهوكٍ غدا يشتكي الضُّرّا (٤)
ولم أدرِ لمّا استبهمتْ أُخْرياتُه أأطمع أم أستشعر اليأس مضطرا
ولو كنتُ أدري ماوراء احمرارِه لَسَرّى عن النفس الكئيبة ماسَرى (٥)
ولكنه ورّى عواقب أمرِهِ
فزادت شكوكُ النفس من أجل ماورّى
يُهامِسُني بالوعد قولًا مُجَمْجَمًا كأنْ هو يخشى أن أذيع له سرًّا (٦)
وإني لأخشى أن أكون بوعده وإن أسفرت أوضاحه الغرُّ مُغْتَرّا

---

(١) نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم بباريس ، صرح فيه بالتبرؤ من الأمة العربية ، قائلا إننا معاشر السوريين أو اللبنانيين لسنا بعرب ، وإن تكلمنا بالعربية ، وإنما نحن فينيقيون . فقال الرصافي هذه القصيدة يرد على شكري غانم .

(٢) يشير بقوله « تبلج أفق الشرق » إلى حكومة دمشق العربية وكنى عنها بافترار الشرق من صبح الأماني .

(٣) شبه هذا الصبح في عدم وضوحه وصدقه ، بوجه الغادة الحسناء ، التي فيه تقطيب وبسور ، فهو على حسنه متجهم الناظرين ، أي كالح . ومزور عنهم : أي منحرف .

(٤) تباشير المنى : أوائلها التي تبشر بها . وضئال : جمع ضئيل ، وهو الدقيق الحقير . والمهوك : المضنى الذي أضعفه المرض .

(٥) قوله « لسرى عن النفس » : أي لكشف عنها الهم . وقوله « ولكنه ورى » في البيت الذي بعده : أي ولكنه أخفى عواقب أمره .

(٦) يهامسني بالوعد : أي يكلمني به همسا . والهمس : الصوت الخفي . وقوله « قولا مجمجما » : أي قولا غير مبين . وهو منصوب على أنه مفعول مطلق ، مسلط عليه عامل من معناه ، وهو يهامسني .

وما كل صبح يرتجى الناس خيره ... ولا كل ليل مظلم يضمر الشرا
فإن كنت يا صبح الأمانيّ صادقا ... بوعد فحيَّا الله طلعتك الغرَّا

* * *

خليليَّ هل من عاذر فى قصيدة ... أقول بها حقا وإن قلته مرَّا
أرى هَبْوةً سوداء فى الجو أسبلت ... حجابا بآفاق العراقين ممترَّا (١)
وأرخت بأرض الشام منها على الربا ... سُدولًا بها جوّ السماء قد اغبرَّا
ومدَّت على بيروت منها غَيابة ... بها عاد وجه الأفق أسفع مُكْدرَّا (٢)
وما هى إلا عارض من تناكر ... به مربع الآمال أقفر واقورَّا (٣)
ترى القوم فيه نومهم متخاذل ... وآمالهم أمست كتيبتها فُرَّى (٤)

* * *

عجبت لقوم أصبحوا ينكروننا ... وقد عرفونا فى الزمان الذى مرَّا
هُمُ أسمعونا نُعْرة عربيَّة ... فدوَّى صداها فى المسامع مُضطرَّا (٥)
فكم من خطيب قام فيها مُثَرْثرا ... فطرَّى لنا من يابس القول ماطرَّى (٦)
وكم شاعر قد أرخص الشعر دونها ... وكم قلم فوق الطروس بها صرَّا (٧)
وكنا أجبناهم إليها إجابةً ... بها قد تركنا جانب الدين مزورَّا
رجاء اتحاد فى طريق سياسة ... تعمُّ مراميها بنى يَعْرُب طُرَّا

---

(١) الهبوة : الغبرة . وأسبلت حجابا : أى أرسلته وأرخته . وقوله ممترا : أى مارا بآفاق العراقين ، وهو اسم فاعل من امتر ، افتعل من المرور ، يقال امتر به أى مر به .
(٢) الغيابة : كل ما أظل الانسان من فوق رأسه . كالغبرة والسحابة ونحو ذلك . وأسفع : ذو سواد وشحوب ومكدر : أى كدر . وهو اسم فاعل من اكدر كاحمر . بمعنى كدر .
(٣) أقفر : خلا من السكان . واقور : ذهب نباته .
(٤) قوله « نومهم متخاذل » : أى ضعفاء غير متفقين ولا متناصرين : وقوله « أمست كتيبتها فرى » بضم الفاء . وتشديد الراء : أى منهزمة .
(٥) النعرة : الصوت بالخيشوم . ودوى صداها : أى سمع له دوى . ومضطرا : مصطخبا .
(٦) مثرثرا : أى مكثر الكلام . وطرى . من التطرية : أى جعله طريا .
(٧) صر القلم صريرا : سمع له صوت عند الكتابة .

فقد حان أن يخضلَّ غصنُ اعتزازنا ويرجع بعد اليُبس رطبا ويخضرَّا
نصبنا خياشيم الرجاء لريحهم فهبَّت لنا نكباء عاتيةً صِرَّا[(١)]

* * *

لعمرى لقد ساء الكرامَ ابنُ غانم بباريسَ إذ قد قال ما يُخجِل الحرَّا
نَفَى عن مَناميه العروبةَ وادَّعى جُزافا وخلَّى منهج القوم وابترَّا[(٢)]
وهل حسِبوا أن العرُوبة فى الورَى من العرّ حتى أنكروا ذلك العَرَّا[(٣)]
كأن لم يقم من بينهم ناعرٌ بها ولم يك ضَرَّانا بها أمسِ مَن ضَرَّا[(٤)]
فما أحَدٌ منهم وفى بعهوده ولا أحَد منهم بما قال قد برَّا
وكان غَروراً كل ما حالفوا به وشر الحليفين الذى خان أوغرَّا
وعاد الذى كنا نؤمَّل منهمُ إلى غير ما كناً نؤمَّل مُنجرا
وقد صوَّحت تلك الأمانىُّ كلُّها
فحاكت نباتَ الأرض إذهاجَ مصفرَّا[(٥)]
وأصبح فينا شامتًا كلٌّ من غدا لأبناء قَنْطوراء يغضب مُمقَرَّا[(٦)]

---

(١) نكباء منحرفة عن مهاب الرياح ، وعاتية : شديدة العصف ، مجاوزة الحد . وصرا ، بكسر الصاد ، وتشديد الراء : أى شديدة البرد .

(٢) نفى عن مناميه : أى عن مناسبه . والعروبة : العربية . ابتر : من الإبترار ، وهو الاعتزال والانفراد عن الأصحاب .

(٣) العر بالفتح : العيب .

(٤) قوله ضرانا بها : أى أغرانا ، يقال : ضراه بكذا تضرية : أى ألهجه به ، وأغراه ، وعوده إياه .

(٥) قوله صوحت تلك الأمانى : أى يبست وجفت .

(٦) أبناء قنطوراء : الترك . وقوله ممقرا : أى نائثا عرقه ، يقال امقر الرجل امقرار : إذا نثأ عرقه ؛ ويكون ذلك عند الغضب .

نواح دجلة

قالها بعد سقوط بغداد فى أثناء الحرب العامة ، جوابا عن قصيدة للشاعر التركى الشهير سليمان نظيف بك :

هِىَ عَينى ودمعُها نضَّاحُ كلُّ حُزنٍ لمائها يمتاحُ
كيف لا أذرُف الدموع وعِزِّى بيد الذل هالك مُجتاح
قد رمتنى يدُ الزمان بخطبٍ جَلَلٍ ما لليـــله إصباح
حيثُ غَمَّت علىَّ وجه سَمائى ظُلُماتٌ تخفَى بها الأشباح
وتوارَى عن أعينى مضمحِلًا شَرَف فى مواطنى وضَّاح
يومَ أمسيتُ لا حُماةَ تذود الضَّـــيم عنى ولا ظُبًى ورماح
فأنا اليومَ كالسفينة تجرِى لا شِراعٌ لها ولا مَلَّاح
ضِقت ذرعًا بمحنتى فتراءتْ قِيدَ شِبرٍ لِىَ الفِجاج الفِساح
أخرسَ الحزن مَنطقى بنحيب ألسنُ الدمع فيه ذُلق فِصاح
نُحْت حتى رثى العدوّ لحالى واعترانى من العويل بُحَاح
فمياهى هى انسكاب دموعى وخريرى هو البكا والنُّواح
أوَ مَا تبصرُ اضطرابى إذا ما خَفَقَتْ فى جوانبى الأرواح
ليس ذا الموجُ فىَّ مَوْجًا ولـكن هو منى تنهـــد وصياح
إن وجـدى هو الجحيمُ ولولا أدمعى أحرقتنىَ الأتراح
لو درى منبعى بما أنا فيـه من أسًى جف ماؤه الضَّحْضَاح[1]
علّه قـد درىَ بذاك فهذا هو باك ودمعُه سفّاح

* * *

أين أهل الحِفاظ هل تركونى نُهبةً فى يد العدو وراحوا
برِحوا وادى السَّلام عِجالًا أفجِدٌ بَرَاحَهُمْ أم مُزاح

(١) الضحضاح : الذى ليس بعميق .

ما لهم يَبْعدون عنى انتزاحًا وعزيز منهمْ على انتزاح(١)
أوَ مَا يعلمون أنّ حريمى للعادين بعدهم مستباح
فلئن يبعدوا فإن فؤادى لَإليْهِمْ بوده طمَّاح
تركونى من الفراق أقاسى ألمًا ما تطيقه الأرواح
لو رأونى سَبْيًا بأيدى الأعادى لبكوا مثلما بكيت وناحوا
لا مسائى بعد البعاد مساء يوم بانوا ولا الصباح صباح
أتمنى بأن أطير إليهم بجَناحٍ وأين منى الجناح
أنا أدرى بأنهم بعد هجرى لم يذوقوا غمضًا ولم يرتاحوا
بل هم اليوم عازمون على الزحف بجيش به تَنَصُّ البِطاح(٢)
إن تأنَّوْا فرَبضة الليث تأبى بعدها وَثبة له وكفاح
كيف يُغضُون عن إغاثة وادٍ زانه من ودادهم أوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج وله راية الهلال وشاح
أنا باقٍ على الوفاء وإن كا نتْ بقلبى ممن أحب جِراح
فإليهمْ ومنهمُ اليوم أشكو بلِّغيهم شكايتى يا رياح

---

(١) الانتزاح : النأى والبعد .

(٢) تنص : تمتلىء . والبطاح : جمع بطحاء ، وهى الأرض اللينة السهلة .

بعد براح الشــــام

قَد صحّ عزمكَ والزمانُ مريضُ ... حتَّامَ تذهبُ فى المُنَى وتَئيضُ[١]
ما بالُ همّك فى الفؤاد كأنهُ ... عَظْم يقلْقَل فى حشاك مَهيض[٢]
كم بتَّ مُعتلِجَ الهموم بليلةٍ ... ما للظلام بفجرها تقويض[٣]
طنّت بمَسمِعك الهواجسُ فى الدُّجَى
فنَفَتْ كَراكَ كما يَطِنّ بَعُوض[٤]
تنبو جنُوبك عن فِراش ناعم ... فكأن مضجَعَك الدميثَ قَضيض[٥]
وكأنّ جنبك بالجوى متقرِّحٌ ... وكأن قلبك بالهموم رَضيض[٦]
كَبُرت لنفسك فى الحياة لُبانة ... ضاقت سماوات بها وأروض[٧]
ما زلتَ تقتحمُ المهالكَ دونها ... فالهولَ تَركَبُ والصِّعابَ تَروض[٨]
لله أنت فأىَّ هــولٍ تمتطى ... أم أىَّ مُعتَركِ الخطوب تخوض

* * *

ولربّ قافيــةٍ كمؤتلق السنا ... يجلو الشكوكَ يقينها المحوض[٩]
صرّحتَ فى إنشادها بحقيقةٍ ... فات الأنامَ بمثلها التعريض[١٠]

---

(١) آض يئيض أيضا : رجع .
(٢) هيض العظم : كسر بعد الجبور ، فهى ميض .
(٣) معتلج الهموم : شديدها . تقويض الخيمة ونحوها : هدمها . شبه الظلام بالخيمة .
(٤) الطنين : صوت الذبابة ونحوه . كأن الهواجس من كثرة معاودتها له ، صارت ذات طنين ، فأزالت عنه النوم .
(٥) نبا جنبه عن الفراش : لم يوافقه فتركه . والدميث : الوثير اللين . والقضيض : الحصى الصغار .
(٦) الجوى : الحزن . ومتقرح : ذو قروح ، وهى الجروح . والرضيض : فعيل بمعنى مفعول ، أى مرضوض ، أى مكسور .
(٧) كبرت : عظمت . واللبانة : الحاجة . والأروض : جمع أرض .
(٨) تقتحم المهالك : تلقى نفسك فيها . وتروض : تسوس وتذلل .
(٩) السنا : الضوء . والمحوض من المحض ، وهو الخالص .
(١٠) التعريض : أن تشير إلى الشىء من طرف خفى ، تجمجم ولا تصرح .

ولقد أجرّنى القريضُ عِنانَهُ ... ونحا بِىَ المِضمارَ وهو مَروض (١)
وأتى المَدَى يوم السِّباق مجلِّيا ... يجرى سَبُوحٌ خلفه ورَكوض (٢)
قد كنتُ أُنبِط للقريض قريحة ... بمفاخر العرب الكرام تَفيض (٣)
ولكم وقفت من السياسة موقفا ... مَحياىَ فيه على التَّوَى معروض (٤)
مستنهضا بالشعر قومى للعلى ... إذ كان فيهم فترة ورُبوض (٥)
أيَّامَ لم ينطق بذلك شاعر ... قبلى ولم ينشَد هُناك قريض
حتى إذا دار الزمانُ مَدارَه ... خاب القريضُ وعاد وهو جَريض (٦)
وغدا ينازعنى الحَرُورةَ شاعر ... ما كان حُرًّا شعره المقروض (٧)
ويَبزّنى ثوبَ الأمانة خائن ... كأبى براقشَ طبعه المرفوض (٨)
كم مدَّعٍ دعواىَ فى وطنيَّة ... أنا كنتُ أبنيها وكان يَقوض (٩)
من كل عبدٍ فى السياسة باعَهُ ... وشَرَاه هذا الدرهم المقبوض
تَعَسِ المُخاصِمَ إنْ لى لقصائدا ... طَرْفُ المعاند دُونَهنَّ غَضيض (١٠)
فإذا ادَّعيتُ فهن فى دَعواىَ لى ... حُجج دوامغُ ما لهنَّ دُحوض (١١)

---

(١) أجرنى الفرس عنانه : أسلس لى قياده . والمضمار : الميدان ضمر فيه خيل السباق . والمروض : المدرب على الجرى فى السباق .

(٢) المجلى من خيل السباق : السابق المتقدم . والسبوح : الفرس الخفيف فى عدوه ، كأنه يسبح فى الهواء . والركوض : الشديد العدو .

(٣) أنبط البئر : حفرها . وتفيض: يغزر ماؤها حتى يسيل على الجوانب .

(٤) توى يتوى توى من باب فرح : هلك . يريد : وقفت فى السياسة مواقف كثيرة تعرضت فيها حياتى للحمام .

(٥) فترة : فتور وربوض الغنم : بروكها على الأرض ، يريد الكسل والقعود عن المساعى الشريفة .

(٦) الجريض : غصص الموت . وفى المثل « حال الجرِيض دون القريض » .

(٧) الحرورة ، بفتح الحاء ، كالحرية والحرورية ، والحرارة والحرار : وهى العتق والنفاسة .

(٨) يبزنى : يسلبنى . وأبو براقش : حيوان لا يزال جلده يتلون ألوانا فى ضوء الشمس .

(٩) يقوض : يهدم . والذى فى معاجم اللغة : يقوض بتشديد الواو .

(١٠) غضيض : مغضوض ، أى مكسور . (١١) دحضت حجته : بطلت

وسَلِ اليَراعِ يُجِبْكَ عنى ناطقا ... بمقال صِدْقٍ ليس فيه غموض[1]

* * *

لمَّا تكرَّهنى الأراذلُ سَرَّنى ... أنى إليهمْ يا أميمَ بغيض[2]
ولقد برِئْت إلى الوفاء من أمرىء ... عهد الصداقة عنده منقوض[3]
وجَزَيْتُ كل صنيعةٍ بمثالها ... إن الصنائع فى الرجال قروض[4]
لاتطلبنَّ من الزمان حقيقةً ... ما للحقيقة فى الزمان وَميض[5]
وإذا مَخَضْتَ من الليالى صَرْفها ... أبدى العجائبَ صرفها الممخوض[6]
وحوادث الأيام مثل نسائها ... فى الحُكم تَطْهُر تارةً وتحيض
ولربما أنتجنَ كل كريهةٍ ... سوداء تَقْنأ فى وَغاها البِيض[7]
قد ساء مُنقلَب البلاد بأهلها ... فانحطَّ أوْجٌ واشمخرَّ حَضيض[8]
ذهب الحياء فكم رأينا صاغراً ... قد جاء وهو لِمذْرَويه نَفوض[9]
وقِح تعامى عن مَدانس عرضه ... فزهاه عُجْبا ثوبه المرحوض[10]
غلب الشقاء على الأنام فخيرهم ... دَثٌّ وقَطْر شُرورهم إغريض[11]

---

(١) اليراع : جمع يراعة ، وهى القصبة التى تبرى للكتابة .
(٢) تكرهنى : كرهنى . وأميم : مرخم أميمة ، تصغير أم .
(٣) نقض الشىء المفتول كالحبل : إذا نكثه وحله .
(٤) الصنيعة : المعروف . والصنائع قروض : لأن المرء لابد أن يجزى بعمله ، فكأن الجميل رض يرد إليه ولو بعد حين .
(٦) المخض : وضع اللبن فى السقاء وتحريكه لاستخراج الزبد منه . يريد إذا اعتبرت بحوادث الدهر رأيت ما يدهشك ، فكم نعمة فى ثوب نقمة ، وكم نقمة فى ثوب نعمة .
(٧) تقنأ تحمر . والوغى : الحرب ، وأصله أصوات الأبطال ، فى ساعات النزال . والبيض : السيوف ، جمع أبيض .
(٨) الأوج : أعلى الشىء . والحضيض : أسفل الجبل . واشمخر : علا وارتفع .
(٩) الصاغر : الذليل الحقير . والمذروان : مثنى مذرى ، وهو طرف الألية . ونفوض : محرك . أى كم حقير ذليل جاء يستطيل على غيره ويهدده .
(١٠) الوقح : الجرىء السىء الأدب . وتعامى : تظاهر بأنه أعمى وليس كذلك . والمدانس : جمع مدنس ، وهو الدنس . وزهاه : ملأه . والمرحوض : المغسول .
(١١) الدث : أضعف المطر وأخفه . جمعه دثاث . والاغريض : قطر كبار .

كيف السعادة فى الحياة والورَى | فى قوس كل ضغينة تنبيض[1]
أم كيف تبتدع المعالىَ أمّة | فى العلم قلّ نصيبها المفروض
لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها | ما دام مُلْك فى البلاد عَضوض[2]
ونخ الذكاء فقد تأخر أهله | حتى تقدم مَن قفاه عَريض
أخزى البلادِ مفاسداً بلدٌ به | مُقيتُ الأديبِ وأُكْرِم العِرِّيض
وإذا الفتى قَعَدَتْ به أفعالُهُ | أعْياه بالنسب الرفيع نُهُوض
والمرء إنْ عدمت سجيّتُه العُلَى | لم ينتعشه إلى العلى تحريض

تجاه الريحانى

شكوايَ العامة

هذه هى القصيدة التى أنشدها الرصافى فى حفلة أقامها المعهد العلمى تكريما لأمين الريحانى ، عند قدومه بغداد فى أيلول سنة ١٩٢٢

إنّ العراقَ بعَرضه و بطوله | و برافِدَيْه و باسقات نَخيله
يهتزُّ مُبتهجاً بمَقْدَم ضيفه | ويَبَشُّ مبتسماً بوَجه نَزيله
ومُرَحِّبا والشُّكرُ فى ترحيبه | ومؤهلًا والحمدُ فى تأهيله
برَيحانِ لُبنانٍ ، بريحانيَّة | بكبير مَعْشره ، بفخْر قَبيله
بالعَبقرىِّ ، بفيلسوف زمانه ، | بأديب أمّته ، بداهى جِيله
بأصحِّ أحرار الأنام تحرراً | فى فكره ، و بفعله ، و بقيله
إنَّا نبجِّل منه خيرَ مُبَجَّل | تبجيلَ كلُّ الفضل فى تبجيله
أأمين جئتَ إلى العراق لكى تَرَى | ما فيه من غُرَر العُلَى وحُجُوله

(١) الضغينة : الضغن والحقد . والتنبيض : يقال نبض قوسه نبضا : إذا جذب وترها ثم أرسله لترن وتصوت . وهذا من قول المتنبى :

كلما أنبت الزمان قناة | ركب المرء فى القناة سنانا

(٢) ملك عضوض : أى يعض عليه بالنواجذ ، حرصا عليه ، يقتل فى سبيله الابن أباه والأب ابنه .

عَفـواً فذاك النجمُ أصبح آفلًا ... والقـوم مُختَرِبُونَ بعـد أفوله[1]
أوَ ما ترى قُطْر العـراق بحسنه ... قـــد فاق مُقفِرُه على مأهوله[2]
أمّا الحيا فيـه فذيّاكَ الحَيا ... لـكنْ مَسِيلُ الماء غيرُ مَسِيل
ور بيعُه ذاك الربيعُ وإن شكا ... من جهل ساكنه اشتدادَ مُحوله[3]
فأقمْ به ولك الغنى بفُراته ... عن قُطْر مصرَ وعن موارد نيـله
وأنزل على وادى السـلام ممتّعاً ... برَغيد عيشٍ تحت ظلّ نخيـله
والثمْ به ثغـرَ الطبيعة باسما ... يَشفِي من المشتاق حَرَّ غَليله[4]
وترقّبنْ أسحـاره حتى إذا ... هبّ النسيم فجُسَّ نَبْض عليـله[5]
وانظر محـاسن أرضـه وسمائه ... وانشَق أريج شماله وقَبـوله
فالجوّ فـه مُنـيرة أوضاحه ... والحسن فيـه دقيقُه كجليله
والليل فيـــه مكلّل بمرصّع ... وكواكب الإكليلَ من إكليله
وترى النهار به كذهنك وَاقداً ... بالشمس تُشرِق فى وجوه سُهُوله
وترى ضياء الشمسِ فيه مغلّفاً ... بنظيره ومُسَلْسَلًا بمثيـــله
وإذا وقفت بدارس من مَجْده ... فكوقفة الباكينَ بين طُلوله
وانحَبْ كانحَب الحزين مُكَفكِفاً ... غَرْبَ الدموع بجانبَىْ منديله
فلقد عفا المجـدُ القديمُ بأرضه ... وعليه جرَّ الدهر ذيلَ خُموله
وإذا نظرتَ إلى قلوب رجاله ... فانظر حديدَ الطَّرْف غير كليله
تجد الرجال قلوبُها شتّى الهوى ... مَدَّ الشقاق بهـا حِبالة غُوله[6]

(١) مخترِبون : يحـارب بعضهم بعضا ، لذهاب نور العز الذى كان يهـديهم . والأفول غروب الـكواكب .

(٢) أى أن إقليم العراق يقل فيه العمران ، بحيث إن الأراضى البور فيه أكثر من الأراضى الخصبة العامرة

(٣) المحول : الجدب . (٤) حر غليله : شدة عطشه .

(٥) أى المسأله عن علته ، وابحث فى مظاهر تأخره .

(٦) الحبالة الشبكة ينصبها الصائد فى طريق الصيد ليقتنصه بها . والغول : شىء توهمه العرب كأنه حيوان بشع يسكن القفار ، ويهلك من يظفر به من الأناسى .

متناكرين لدى الخطوب تناكراً يعيا لسان الشعر عن تمثيله
فالجار ليس بآمنٍ من جاره والخِل ليس بواثق بخليله
والدينُ فيه يقولُ ذو قُرْآنه قولاً يُحَاذر منه ذو إنجيله
وإذا تأوَّل قولهم متأوِّلٌ صرفوه بالتكفير عن تأويله
وإذا تكلّمَ عالم فى أمرهم خَفَرُوا ذِمام العلم فى تجهيله
حالٌ لو افتكر الحكيم بكنهه طول الزمان لعيَّ عن تعليله[1]
من ذا يبدّله فإن قوارعى يئست لعمر الله من تبديله[2]
والجهل لا يُبقى على أربابه كالسيف ليس براحم لقتيله
أأمينُ لا تغضبْ علىَّ فإننى لا أدّعى شيئا بغير دليله
من أينَ يُرجَى للعراق تقدُّم وسبيل ممتلكيه غيرُ سبيله
لاخيرفى وطن يكون السيف عنـــــد جبانه ، والمال عند بخيـــله
والرأى عندَ طريده ، والعلم عنـــــد غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبد قليـــله بكثيرة ظلماً ، وذلَّ كثيره لقليـــله
إنى إذا جدَّ المقـال بموقف فضَّلت مُجْمله على تفصيله
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً أغنى اختصار القول عن تطويله
يا من يكتِّم فضله متواضعاً والناس مجمعة على تفضـــيله
شكوايَ بحت بها إليك وليس فى شكوى الزميل غضاضة لزميله
إن المريض ليستريح إذا اشتكى ممـــا به لطبيبه وخليـــله
وكذا الحزينُ إذا تهيّج حزنه يَبْكى فيسكُنُ حُزنُهُ بعويله
إني لآنَفُ أن أبوح بمضمَرى إلّا لمقتـــدر على تحصيله
ولدىَّ إن وصل الحبيب تمسُّكٌ بالعز يمنعُ فاىَ من تقبيله

(١) كنه الشيء : حقيقته .

(٢) قوارعى : جمع قارعة ، وهى الكلمة الشديدة ، تقرع الآذان بشدتها .

بعد النزوح

قالها في بيروت سنة ١٩٢٢ كان قد خرج من بغداد على ألا يعود إلى العراق

هيَ المواطن أُدنيهـا وتقصيني ... مثلُ الحوادث أبلوها وتُبليني (١)
قد طال شكواى من دهر أكابده ... أما أصادف حُرًّا فيـه يُشكيني
كأنني في بلادي إن نزلتُ بها ... نزلتُ منها ببيت غير مسكون
حتى متى أنا في البُلدان مغترب ... نوائب الدهر بالأنياب تُدميني
فتارةً في المواصي فوق مُوقَرَة ... وتارةً في الطوامي فوق مشحون (٢)
كم أغرقتني الليالي في مصائبها ... فعُمتُ فيهن من صبري بدُلفين (٣)
أنا ابن دجلة معروفا بها أدبي ... وإن يك الماء منها ليس يُرويني
قد كنت بُلْبُلَها الغرِّيد أنشدها ... أشجى الأناشيد في أشجى التلاحين
حيث الغصون أقلّتني مُكلَّلة ... بالورد ما بين أزهار البساتين
فبينما كنت فيها صادحاً طَرِباً ... أستنشق الطيبَ من نفح الرياحين
إذ حلّ فيها غُراب كان يُوحِشني ... وكان تَنعابه بالبـين يؤْذيني (٤)
حتى غدوت طريدا للغراب بها ... وما غـدوت طريدا للشواهين (٥)
فطرتُ غير مبالٍ عند ذاك بما ... تركت من نرجس فيها ونسرين (٦)

* * *

ويلٌ لبغداد مما سوف تذكره ... عني وعنها الليالي في الدواوين

---

(١) أبلوها : اختبرها . وتبليني : تنال مني وتضعفني .

(٢) المواصي : جمع موصاة ، وهي الصحارى المقفرة . والموقرة : الناقة التي حملت عليها الأوقار ، وهي الأحمال الثقيلة . والطوامي : جمع طامٍ ، وهو البحر . والمشحون : صفة لمحذوف ، أي الفلك المشحون .

(٣) الدلفين : حيوان بحري ، يحمل الغرقى إلى الشواطئ . ولعله هنا يريد سفينة تشبه الدلفين في صورتها .

(٤) تنعابه : صياحه . والبين : الفراق .

(٥) الشواهين : جمع شاهين ، وهو من جوارح الصيد .

(٦) النرجس : زهرة جميلة ، والنسرين : ريحان عبق الرائحة .

لقد سَقَيتُ بفيض الدمع أربُعَها	على جوانب ودٍ ليس يَسْقيني
ما كنت أحسب أنى مذ بكيتُ بها	قومى بكيت على سوف من يبكينى
أفى المروءة أن يَعتزّ جاهلها	وأن أكون بها فى قبضة الهُون
وأن يعيش بها الطُّرْطور ذا شمم	وأن أسام بعيشى جَدْعَ عِرَنيني (١)
تالله ما كان هذا قطُّ من شيمى	ولا الحياة على النَّكراء من دينى
ولست أبذل عرضى كى أعيشَ به	ولو تأدمتُ زَقُّوماً بغِسْلِين (٢)
أغنت خشونة عيشى فى ذَرَى شرفى	عما أرى بخسيس العيش من لين (٣)
عاهدت نفسىَ والأيام شاهدة	ألّا أقرَّ على جَوْر السلاطين
ولا أصادقَ كذاباً ولو مَلَكَا	ولا أُخالط إخوانَ الشياطين
أمّا الحياة فشىء لا قرارَ له	يحيا بها المرء موقوتاً إلى حين
سيَّان عندى أجاء الموت مُخْتَرِماً	من قبل عشرين أم من بعد تسعين
ما بالسنينَ يُقاس العمر عندىَ بل	بما لهُ فى المعالى من تحاسين
لو عشت ستين عاماً لاستعضت بها	ستين مكرُمةً بل دون ستين
فإنما أطول الأعمار أجمعها	للمكرُمات من الأبكار والعُون
إنّ اللئيمَ دَفينٌ قبلَ ميتته	وما الكريم وإن أوْدى بمدفونِ
وليس من عاش فى ذلّ بمغتبَطٍ	ولا الذى مات فى عزّ بمغبون

* * *

ما كنت أحسب بغداداً تُحلّئنى	عن ماء دجلتها يوماً وتظمينى (٤)
حتى تقلّد فيها الأمر زِعْنفة	من الأناس بأخلاق السراحين (٥)

---

(١) أسام: أكلف. والجدع: القطع. والعرنين: مقدم الأنف.

(٢) تأدمت: اتخذت إدامى. والادام ما يؤكل بالخبز والزقوم: شجرة يطعم منها أهل النار المعذبون. والغسلين: ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه.

(٣) ذرى شرفى، بفتح الذال: ظله وجانبه.

(٤) تحلئنى: تمنعنى وتطردنى.

(٥) الزعانف جمع زعنفة، وهم أراذل القوم. والسراحين: جمع سرحان، وهو الذئب.

ما ضرّني غير أني اليوم من عرَب	لا يغضبون لأمر ليس يرضيني
تالله ما ضاع حتّى هكذا أبداً	لو كنتُ من عجَمٍ صُهْبِ العَثانين[١]
علامَ أمكث في بغدادَ مُضْطبراً	على الضراعة في مُجبوحة الهُون[٢]
لأجعلنّ إلى بيروتَ مُنْتَسَبي	لعلّ بيروتَ بعد اليوم تؤْويني[٣]
خابت ببغداد آمال أؤملها	فهل تخيب إذا استذرت بصنّين[٤]
فليتَ سوريةَ الوطْفاء مُزْنتُها	عن العراق وعن واديه تُغنيني[٥]
قد كان في الشام للأيام مُذْ زمنٍ	ذنبٌ محته الليالي في فِلَسْطين[٦]
إذ كان فيها النشاشيبيّ يُسعفني	وكنت فيها خليلًا للسكاكيني
وكان فيها ابن جبْر لا يقصِّر في	جَبْر انكسارِ غريبِ الدار محزون
إن كان في القدس لي صَحْبٌ غطارفة	فكَمْ ببيروتَ من غر ميَامين

(١) الصهب : جمع أصهب ، وهو أصفر اللون . والعثانين : جمع عثنون ، وهو شعر الذقن .
(٢) الهون : الهوان والذل .	(٣) تؤويني : تضمني وتسكنني .
(٤) صنين : اسم جبل في لبنان .
(٥) الوطف : استرخاء في جوانب السحابة ، لكثرة الماء . ومزنة وطفاء : كثيرة الماء .

إلى هربر صموئيل

ألقى يهودا محاضرة تاريخية ، ذكر فيها مدنية العرب في الغرب والشرق . ولما أتمها قام هربر صموئيل ، المندوب السامي من قبل إنكلترة في فلسطين . وألقى على القوم خطابا مؤثرا ، وعدهم فيه مواعد سياسية سر بها الحاضرون الذين كانوا قد حضروا بدعوة من راغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس . فقال الرصافي في هذه القصيدة ، مسجلا بها ما قاله المندوب ، وشاكرا له على ذلك .

خطابُ يهودا قد دعانا إلى الفكرِ ... وذكّرنا ما نحن منه على ذُكْرِ
ومجدًا ما للعُرْب في الغرب من يد ... وما لبني العبّاس في الشرق من فخر
لدى مَحفِلٍ في القدس بالقوم حافل ... تبوّأه هربرْ صَمُوئيل في الصدر
دعاهم رئيسُ القدس ذو الفضل راغبٌ
إليه فلبّوا دعوةً من فتًى حرّ
فأمسَوا وفي ليل المحاق اجتماعُهُمْ ... يَحُفّون من هربرْ صَمُوئيلَ بالبدر
فيا ليلةً كادتْ وقد جلّ قدرُها ... تكون على عِلّاتها ليلةَ القدر
ولمّا تناهى من يهودا خطابُهُ ... وقد سرّنا من حيث ندري ولا ندري
تصدّى له هربر صموئيل ناطقًا ... بسحر مقال جلّ عن وَصْمة السحر
فصدّق ما للعُربِ من تالد العُلَى ... وما لهُمُ في العلم من خالد الذكر
وزاد بأن أوما إلى ما لصنعهم ... على صخرة البيت المقدس من أثْر (١)
وقال وقد أصغى له القوم إننا ... سنرأب ما أثأته منكم يدُ الدهر (٢)
وننهضكُم في مَنهج العلم نهضةً ... مقوّمة ما اعوجّ فيكم من الأمر
فكانت لهذا القول في القوم هِزّة ... سرورية من دونها هِزة السكر

* * *

(١) أوما : أصله أومأ : أشار برأسه . والأثر : الأثر .

(٢) نرأب : نصلح . وأصله من الرؤبة ، وهي القطعة من الخشب أو الخزف يصلح بها الإناء المكسور . وأثأته : أفسدته .

حنانيك ياهربر صموئيل كم لنا ... على الدهر من حق مُضاع ومن وِتر (١)
لنا قَلَبَ الدهر الخئون مجنّه ... وكرّ علينا لابساً جِلْدة النَّمْر (٢)
وأغرى بنا الأحداث مبتكراً لها ... فلم يأتنا إلّا بحادثة بكر
وقد أفنت الأيّام كل عَتادنا ... سوى ماورثنا من إباء ومن صبر (٣)
فلسناو إن عضّتْ بنا اليومَ نابُها ... نقَرّ على ذلّ ونَنقادُ عن ذُعر (٤)
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقنا ... مصاعيبَ لانُعطى انقَادةَ بالقَسْر (٥)
لنا أنفسٌ تحيا بثروة عزّها ... وإن نشأتْ بين الخَصاصة والفقْر (٦)
إذا نحن عاهدنا وَفَيْنا ولم تكن ... إذا ما ائتُمِنَّا جانحين إلى الخَتْر (٧)
فإن شئت ياهربرْ صموئيل فاختبر ... خلائقَ منّا لا تميل إلى الغدر

* * *

وعدتَ فأمسى القوم بين مُشكّك ... ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فكذّبْ وأنت الحرّ مَن ساء ظَنه ... فقد قيل إن الوعد دين على الحر
ولسنا كما قال الأُلى يَتْهمُونَنا ... نُعادى بنى إسرائيل فى السرّ والجهر (٨)
وكيف وهم أعمامنا وإليهم ... يَمُتْ بإسماعيلَ قِدَماً بنو فِهْر
وإنى أرى العُربِىَّ للعُرب ينتمى ... قريبًا من العِبْرىّ يُنْمَى إلى العِبْر
هما من ذوى القربى وفى لغتيهما ... دليل على صدق القرابة فى النجْر
ولكننا نخشى الجلاء ونتّقى ... سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
وهل تُثْبِتُ الأيامُ أركان دولة ... إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزْر
وها أنا قبل القوم جئتك معلنًا ... لك الشكرَ حتى أملأ الأرض بالشكر

---

(١) حنانيك : تحنن مرة بعد مرة . والوتر : الذحل .
(٢) المجن : الترس يتقى به المحارب قرنه . وقلب المجن : كناية عن الاستعداد للمنازلة فى الحرب . ويقال أيضا : تنمر فلان لفلان . أو لبس له جلد النمر : إذا كاشفه بالعداوة .
(٣) العتاد : ما يعده الانسان للشدائد من وسائل المقاومة . والاباء : الأنفة من الضيم والذل .
(٤) نقر نسكن ونطمئن . والذعر : أشد الخوف .
(٥) مصاعيب : جمع مصعاب . وهو الذى لا ينقاد . والقسر : القهر والاذلال .
(٦) الخصاصة : الفقر والحاجة . (٧) الختر : الخيانة .
(٨) يتهموننا . بسكون التاء : مخفف من يتهموننا بتشديدها . لأجل الشعر .

مظاهر التعصب فى عصر المدنية

قالها بعد ماألقى اجنرال غورو على المسلمين خطابه المشهور فى بيروت

رُويدَكَ «غورو» أيّهذا الجنيرال فقد آلمَنْنا من خطابك أقوالُ
أتيتَ بلاد الشرق من بعد هُدْنةٍ قد اضطربتْ فى المسلمين بها الحال
فجاء إليك ابن «الدنا» وهو مسلم يكيل لك الوُدّ الصميمَ ويكتال
وقام خطيبًا معربًا عن عواطفٍ لقومك تكريمٌ بهنّ وإجلال
فقمتَ له فى محفلِ القوم خاطبًا تجرّ ذيول الفخر عُجبًا وتختال
فذكّرتهُ أهل الصليبِ وحربَهمْ إذ انبعثت منهم إلى الشرق أبطال
وقلتَ عن الإفرنج قومِك إنّهم لِأبطالِ هاتيكَ المعارك أنسال
فحرّكت حزنًا كان فى الشرق ساكنًا
وجدّدتَ عهدًا منه فى الشرق أوجال
أسأت إلينا بالذى قد ذكرته من الأمر فاستاءت عصور وأجيال
ذكرت لنا الحربَ الصَّليبية التى بها اليومَ قد تمّت لقومك آمال
وتلك لَعمرى قرحة قد نكأتَها بما قلته فاهتاج بالشرق بَلْبال[1]
فيا عَجبًا من أمه قدتَ جيشها تشابَهَ گَرْدينالها والجنيرال
ولو أننا قلنا كما أنت قائلٌ لأنحى علينا بالتعصّب عذّال
وقالوا لنا أنتم أولو جاهليةٍ وإن خالفوا وجهَ الصواب بماقالوا
فلا تصمِنّ الحرب بعد انقضائها بما هو للدنيا وللدين إخجال[2]
ولا تنس فضل الشرق إذ كان ناصرًا
لقومك فيما أحرزوه وما نالوا

---

(١) القرحة : الجرح . ونكأتها أزلت ما عليها من قشرة . فدميت ثانية .

(٢) والبلبال . الخاطر . فلا تصمن : فلا تحدث وصمة وهى العيب .

فقد قادت الأعرابُ نحو عدوّكم ... خيولًا لها فى حومة الحرب تَجوال
وقامت لكمْ منهمْ بمكّةَ راية ... لكمْ فُتحتْ فيها من القدس أقفال
لقد أغضبوا البيت الحرامَ وربَّه ... وهم بمقام البيت لا شك جُهّال
ولو أنّ عهد المسلمين كعهدهم ... قديماً لحالت دون ذا النصر أهوال
ولكنهمْ باعوا الديانة بالدُّنا ... فحالت لعمرى منهم اليوم أحوال
لذلك قام ابن «الدّنا» عن دناءة ... يحابيك فيما فيه للقوم إذلال
ولا تحسِبَنْه مخلصا فى مَقاله ... ولكنه فى مكسب المال محتال
فكان قتيلًا بالمطامع عِزّه ... فذل وإن الحرص للعزّ قتّال

• • •

خليليَّ قوما بى نطأطىءْ رءوسنا ... لدى جَدث تعنو لمن ضمّ أجبال
لدى الجدث الفرد الذى فيه قد ثوَى ... من الملك الفرْد ابن أيّوبَ رِئبال[1]
فنبكى على الأوطان حول رِجامه ... كما قد بكت من فقدها الأمَّ أطفال[2]
ونستنزف الدمع الغـزير لتربه ... كما استنزفت دمع المحبين أطلال
حنانيك ياقبرَ ابن أيوب فانصدع ... لينهض ثاوٍ فى مَطاويك مِفْضال
إليكَ صلاحَ الدين نشكو مصيبة ... أُصيب بها قلبُ العُلَى فهو مُغْتال
ودارتْ رءوس القوم فيها توجُّعًا ... وحُزْنًا كما دارت بسكران جِرْيال[3]
وقطبت الأيام حتى تشابهت ... بها غُدُوات كالحات وآصال
وأمسى حِمَى الإسلام تنتاب رَوضه ... فترعاه من سرح المُعادين آبال[4]

---

(١) الجدث : القبر . وثوى : نزل وأقام . والرئبال : الأسد .
(٢) الرجام : جمع رجمة . وهى الأحجار توضع على القبر ليعرف بها .
(٣) الجريال : الخمر . (٤) آبال : جمع إبل .

ولســـون

بين القول والفعـــــل

فال قولًا به استحقَّ احـتراماً وتعـدّاه فاسـتحق مَلاماً
رجلٌ قد تنـكَّب الحق قوساً ومن البُطل ظلَّ يرمى سهاما(1)
كان منــه المقال نورا فلما حان حِين الفِعــال كان ظلاما
خاض حرب العدا بقول حرّ فاق فيهـا المهنّد الصَّمْصاما
وبذا عرّف الورى أنّ قول الــــمرء فى الحرب قد يفوق الحساما
إذ غــدا ناطقا بمُرْقد واشنـــطون نطقاً شفى به الأسقاما
معرِبا عن مبادىء محكَمات ساميات تحـرّر الأقواما
قال حرّية الأنام هى الغــا ية لى فى الوغَى فَغرَّ الأناما(2)
فاشرأبَّ الورى إليه وظنُّوا أنهـم سوف يبلغون المراما(3)
واطمأنّت له القـلوب بفوزٍ يغتدى فى فم الزمان ابتساما
شام منــه الورى بوَارق غَيمٍ من وراء البحر المحيط ترامى
فتصدّى لغيثــه كل قومٍ قد شكوا غُـلَّةً بهم وأُواما
ثم خابتْ ظنونهم فيــه لمَّا مرَّ فى الجوّ خُلَّباً وجَهاما

* * *

مدّ وِلسون فى السياسة حَبْلًا جمع النقض فيــه والإبراما
فلبعض الأنام كان عِصاما ولبعض الأنام كان خِصاما
مَلأ الدهر فى فَيُومةَ فخرًا وبأَزْميرَ أخجــل الأياما

(١) تنكب القوس ، وضعها على منكبه ، استعداداً للحرب .
(٢) غر الأنام : خدعهم وغشهم .
(٣) اشرأب الورى إليه : مدوا أعناقهم تطلعا إليه .

إنَّ أزميرَ صَيّرت ما لِولسو ن من الفخر فى فَيومة ذَاما(١)
فهل الحق عنده فى سوى الغر ب حقيرٌ أقلّ من أن يُحامَى(٢)
أمْ هل الشرق وحده فى الأقاليـــــم مُباحٌ أن يُستَبى ويُضاما(٣)
أمْ هل القومُ عاهدوا الله فى أنْ لَا يُراعوا للمسلمين ذِماما(٤)
مالهم أرهقوا بنى الشرق ظلما وعلى التُرك أشْلَوْا الأروام(٥)
فاستباحوا حريم أزمير نَهْباً واستحلُّوا من الدماء حَراما
حيثْ جاسُو خلالها بجنودٍ ركِبَتْ فى عُتُوّها الآثاما

* * *

أيُّها المجلس الرباعىّ مَهلًا فلقد جُرت فى الأمور احتكاما
أنت سكرانُ خمرةِ النصر فاحذر حين تصحو ندامة ولِواما
لك عين ترى السُها فى الدياجى وعن الشمس فى الضَّحى تتعامى(٦)
أو لم تدرِ أن للدهر عينا إنْ تنم عين أهله لن تناما
لا تكن تابعا هوى النفس فيما أنت فيــه تقرر الأحكاما
فهوى النفس قد يُضِلُّ ذويه فيَطيشون فى الورى أحلاما
ويرون الجُسامَ أمراً صغيراً ويرون الصغير أمراً جُساما
لا يغرنَّك الزمان إذا ما لك أبدى بشاشة وابتساما
كم أشال الزمان أعلام قومٍ فى الذُرا ثم نكَّس الأعلاما(٧)
مثلما دار للفرنج على الجرْ مَنِ حربا فأدركوا الإنتقاما

* * *

أيُّها المسلمون لستم من الغر ب بحال تستوجبون احتراما

(١) الذام : العيب . (٢) محامى : أى يحامى عنه ويدافع .
(٣) يستبى : يحمل سبيا . ويضام : يذل .
(٤) الذمام : الذمة والعهد . (٥) أشلى الكلب على الصيد : سلطه عليه ليصيده .
(٦) السها : نجم صغير لا تكاد تراه العين لبعده .
(٧) أشال : رفع . ونكس الأعلام : خفضها وقلبها .

إنما أنتمْ لدى الغــرب قومٌ   خُلِقوا عن سوى الشرور نياما
فإذا ما وسِعتمُ الناسَ حِلمًا   عــدّه الغَرب شِرّةً وعُراما[1]
وإذا ما ملأتم الأرض عدلًا   عُدّ جَوْراً أو مفخراً عُدّ ذاما
وإذا ما فعلتم الخــير يوما   حسبوه جنــايةً وأثاما[2]
وإذا زلّةً لكم دَفَنَ الدهْــرُ   أملّوا بنبشها الأقلاما
وإذا ما افترى عليكم عدوّ   أيّدوه وصــدقوا الأوهاما
وإذا ماجنى عليكم أناسٌ   سكتوا عنهمُ ومَرّوا كِــراما
كم بأرض البلقان منكم قتيلٌ   وأيامى مُضاعة ويتــامى
نثر الظالمون فى الأرض منهم   جثثا تملأُ الفضاء وهَاما
لو أتينا تلك البــلاد رأينا اليــــوم   منهم جَمــاجما وعظاما
ما نضا للدفاع عنهم بنو الغر   ب حُساما ولا أحاروا كلاما
إن تــكن هــذه السياسة عدلًا   فإلى الظلم نشتــكى الآلاما
رحم الله أمة أصبح الغــر   بُ يرى كل ذنبها الإسلاما

---

(١) عراما : عتوا وطغيانا .   (٢) الأثام : الإثم .

يامحب الشرق

أنشدت فى حفلة كبيرة أقامها الحزب الوطنى فى بغداد لتكريم المستر كراين الثرى الأمريكى الشهير . بمناسبة مجيئه إلى بغداد سنة ١٩٢٩ .

يامُحبَّ الشرق أهلًا بك يا مِسْتِرِ كرايِنْ
مَرْحبًا بالزائر المشهور فى كل المدائن
مَرْحبًا بالقادم المشكو ر فى هذى المواطن
فضلكم بادٍ على الشر ق وشكر الشرق عالن
كم لكم من وَقَفات دونه ضِدَّ المُشاحِن

* **

جئت يا مستر كراينْ فانظر الشرق وعاينْ
فهو للغرب أسيرٌ أسرَ مَديون لدائن
إن هذا الشرق والغر ب لَمَغبونٌ وغابن
فترى الشرق تجاه الـ ـغرب يسعى سعى ماهن
وترى الغرب عليه واقفا موقف خائن
مُنكِرا منه المزايا مُوجِدا فيه المَطاعن
غاصبا منه الموانى شاحِنا فيه السفائن.
حافرا فيه المعادِنْ نابشا فيه الدفائن[1]
فهو يمتصُّ دماء الشـ ـرق من كل الأماكن
باذرا من كيده فى أهله بَذْرَ الضغائن
حاكما فيه على أهـ ـليه حُكْمَ المتهاون
جاعلاً فى رجله قيـ ـد الوَنَى والقيد شائن[2]

---

(١) المعادن : المناجم .

(٢) الونى : الفتور والخمول .

فترى الشرق لهــذا ماشيا مشية واهِن
أفهذي يا محبَّ الشَّــرْق أفعال المُهادِن[١]
أين ما قد قاله وِلسُنُ يا مستر كراين[٢]

* * *

لم يكن ولسن فردا إن في الغرب وَلاسن
فعَلامَ الغربُ لا ينـفكّ للشرق مُضاغِن
كم يسومُ الغربُ أهلَ الشَّــرْق خَسْفا ويخاشن
وإلى كم ساسة الغر ب تُداجِي وتُداهن[٣]
كم وكم نسمع منهم قولَ خَدَّاع ومائن[٤]
إن في الشرق تُجاه الـغرب نيرانا كوامن
سوف ينشق حجاب الد هر عنها بالدواخن[٥]
وإذا قامت حروب من بني الشرق طواحن
فمَنِ المسئول عن ذَ لك يا مستر كِراين

* * *

وإذا تسأل عمَّا هو في بغداد كائن
فهو حكم مَشرِقيّ الضَّرْع غربيّ المَلابن[٦]
وطنيّ الإسم لكنْ إنكليزيُّ الشَّناشن[٧]

---

(١) المهادن : المسالم الذى بينك وبينه هدنة .

(٢) الرئيس ولسن : كان رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عند ما وضعت الحرب العظمى الأولى أوزارها . وله شروط خاصة لدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا . قبلتها دول الحلفاء قبل نهاية الحرب . ولكنها لم تنفذ بعدها .

(٣) داجى فلان فلانا بالعداوة : ساتره بها . وأخفاها عنه . وتداهن : تظهر خلاف ماتضمر .

(٤) مائن : كذاب مخادع . (٦) الدواخن : جمع دخان على غير قياس .

(٦) الملبن : قالب يوضع فيه اللبن . يريد أن الحكم فى بغداد تنفذه رجل من الشرق ، ولكن أعماله غربية أجنبية .

(٧) الشناشن : جمع شنشنة . وهى الطبيعة والخليقة السجية .

عربىّ أعجمىّ مُغْرِب اللهجة راطن
فيه للإيعاز من لندَنَ بالأمر مَكامن
هو ذو وجهين وجهٍ ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكنْ
نحن فى الباطن لا نملك تحريكًا لساكن
أفهذا جائز فى المغرب يا مستر كراين

إلى بطل الشرق الأكبر

قالها عقب انتصار الغازى مصطفى كمال على اليونان سنة ١٩٢٣

سَمِىّ المصطفَى لا زلت تَعْلُو ... إلى أوْج يطاول كلَّ أوْجِ
فدُرْ كالشمس فى فَلَك المعالى ... وحُلَّ من الكمال بكل بُرْج
نُصرتَ على بنى يونانَ نصراً ... أقام الغربَ فى هَرْج ومَرْج (١)
وأطلع فى سماء الشرق شمساً ... تفيض عليه أنواع الترَجّى (٢)
فَسَرَّ المخلصين وكلَّ حرّ ... وساء الخائنين وكل سمج (٣)
وما اليونان كُفؤك فى نِزال ... وإن مَلئوا السهولَ وكلَّ فَجّ
ولكن قد غلبتَ جيوش قوم ... أذلّوا بالبوارج (٤) كلَّ لُجّ
تركت جيوشهم من فرْط رُعْب ... تَعاهَدُ للهزيمة كلَّ نَهْج (٥)
إذا ذكروا سُماك ولو مناماً ... تحاموا ذكره بسوى التهجّى (٦)
لئلا يَسْمعوه فيعتريهم ... ضَنَى داءين من شَلَل وفَلْج
همُ اليونانُ ألأمُ كل قوم ... وأخوف فى الوغى من فَرْخ قَبْج (٧)

(١) هرج ومرج : فتنة واختلاط واضطراب .
(٢) أنواع الترجى : أى الرجاء . وهو ما يتوقع له من الخير الكثير بعد النصر .
(٣) السمج والسميج : القبيح . (٤) البوارج : السفن الحربية الكبيرة .
(٥) النهج : الطريق الواسع الواضح . (٦) سماك ، بضم السين : اسمك .
(٧) القبج : نوع من الطير يسمى الحجل والكروان .

أرقُّ سجيةً منهم وأرقى ... حَميرُ الوحش سارحةً بمَرْجِ[1]
فلا تغررْكَ أوجهُهُمْ بَياضا ... فإنّ طِباعهم كطباع زَنْجِ
وجوه قد حَكَين الثلج لونا ... ولكن فاتهنّ نقاءُ ثلجِ
فيا أمضَى الورى رأيا وسيفا ... وأعرفَهم بمصعَد كلّ أوْجِ
لقد أنقذت من أزميرَ خَوْدا ... تُسام الخسفَ فى يد كلِّ عِلْجِ
وقفت على البلاد مَقام عيسى ... على مَرضاه من عُمْىٍ وعُرْجِ
فعالجتَ الفتوق بحسن رَتْق ... ولاءمت الخروق بحسن نَسْجِ[2]
ورحت إلى التجدد فى المعالى ... تقود الناهضين بها وتزجى
وتخطب فى الجموع بيوم حَفْل ... كما خطب النبيُّ بيوم حَجّ
وتأتيك الوفود من الأقاصى ... لتسمع قول مِدْرَهِها المِثَجّ[3]
فقودُك للعقول بيوم سِلْمٍ ... كقودك للجيوش بيوم هَيْجِ[4]
لقد جدّدت للأوطان عهدا ... تجارِى فيه أوطانَ الفرنْجِ
لتبتدرَ الشعوبُ إلى المعالى ... وتبلغَ ما تريد وما ترجِّى
وتَنْهجَ مَنهجَ العُمْران فيما ... بها للناس من دَخْل وخَرْجِ
وأنت اليوم حارسُها المُفدَّى ... تحوط أمورها من كل هَرْجِ
وتبتدرُ المُلمَّ إذا عراها ... فتعرَوْرِى الجواد بغير سَرْجِ[5]
إذا ذكر الهبوط فأنت مُعلٍ ... وإن خيف الحُبوط فأنت مُنجِ
وتشرب أنت كأس المجد صِرْفا ... ويشربها سِوَاؤك ذاتَ مَزْجِ

---

(١) المرج : المرأرض ذات كلأ ترعى فيه الدواب .

(٢) الفتوق : جمع فتق . وهى الأحداث والفتن والقلاقل .

(٣) مدره القوم : الحامى عن أحسابهم . والمثج : الفصيح الغزير المادة كالماء الغزير . الذى تُصب كلامه صبا .

(٤) الهيج : الحرب . (٥) تعرورى الجواد : تركبه عريا من غير سرج ولا أداة .

نجاه الريحاني (هي النفس)

أنشدها في حفلة أقيمت في بيروت لأمين الريحاني ، بعد رجوعه من سياحته في بلاد العرب :

هي َالنفس أغشَى في رضاها المعاطبَا ... وأحمل منها بين جَنبيَّ قاضبَا[1]
تُكلّفني أن أخْبِطَ الليلَ بالسُّرَى ... وأن أمتطي فيه من الهول غاربا[2]
وتُنهِضني للمجد بالعزم ماضيا ... وبالهمّ مِقلاقا وبالرأى صائبا
ولم ترضَ إلّا كالجبال معزّةً ... ولم تهوَ إلا كالشموس مناقبا
إذا أنا أنزلت النجوم لأرضها ... أبتهنَّ إلّا أن يكنّ ثواقبا[3]
وترفُضُ مني كلَّ عيش منَعَّم ... إذا ازورَّ ذاك العيش بالذلّ جانبا
ولم تبغِ لي إلّا الحقيقة بغْية ... ولم ترض لي إلا الكريمَ مُصاحبا
تقول إذا أوردتُها ماء مِذْنَبٍ ... رِدْ البحرَ بي غمرا وخلِّ المذانبا[4]
وإني لأشكوها إليها تظلّماً ... فأرجعُ عنها بعد شكوايَ خائبا
على أنّ لي منها حصاةً رزينةً ... قتلتُ بها كل الأمور تجاربا[5]
لقد تَعبت فيما تروم من العلى ... كذلك نفس الحرّ تلقى المتاعبا
ألم ترَ ما لاقى ابنُ لُبنان في العُلى ... من الأين لمّا ساح في الأرض ضاربا
تيممَ من بعد الحجاز تِهامةً ... وراح إلى صنعاءَ يُزْجي الركائبا
وجاء إلى أرض العراق مُبَحِّرًا ... وكرَّ إلى نجد يجوب السّباسبا[6]

---

(١) المعاطب : المهالك . وأصل القاضب : السيف القاطع ، شبه نفسه بالسيف في مضائها .

(٢) خبط الليل : سار فيه على غير هداية . والسرى : سير الليل . وغارب البعير : ما بين سنامه وعنقه .

(٣) ثواقب : جمع ثاقب . وهو المضيء .

(٤) المذانب ، جمع مذنب كمنبر : وهو كهيئة الجدول .

(٥) الحصاة : العقل .

(٦) السباسب : جمع سبسب . وهو القفر والمفازة .

ليجمع من أبناء يَعْرُبَ شملَهم ... ويقضيَ حقًّا للمواطن واجبا
أخو همّة لو مدّ باعاً إلى العلى ... لأوشك منها أن ينال الكواكبا
له قلمٌ عزّ القرائحَ شاعرا ... كما ابتزّ فُرْسان البلاغة كاتبا[1]

* * *

لقد زُرتَ نجداً يا أمينُ فقل لنا ... أتذكر من أخبار نجد جوائبا[2]
فما حالةُ الإخوانِ فيها فإننا ... نرى الناس عنهم يذكرون الغرائبا
فهل كفّروا من ليس يُرسل لحيةً ... وهل فسّقوا من ليس يُحفي الشواربا[3]
وما أنا من قوم يدينون باللحى ... ولم يقبلوا إلّا من الحلق تائبا
ودعْ عنك أخبار العراق فإنني ... لأعلم منها ما يفوق العجائبا
فويحاً لأهل الرافدين إذا انطوَوا ... على اليأس من نور يَشُقّ الغياهبا[4]
ألا عَـدِّ عما في العراق فإنني ... أراه بأخلاق الزمان مَصايبا
مَصايبُ لو أني هتكت سِتارها ... لأرسلتُ منها للمعاند حاصبا[5]
فلا تحسبنه أنه ذو حكومةٍ ... ولو ضربوا ظُلْماً عليه الضرائبا
لئن ألقوا بالكذب فيه وزارةً ... فإن بها للكاذبين مآربا
وإني لأهوى الفجر إن كان صادقا ... وتنكر عيني الفجرَ إن كان كاذبا

* * *

تبسّم لُبنانٌ بعَوْد أمينه ... وأضحى لأذيال المَسَرّة ساحبا
أخا الفضل قد آنستَ لُبنانَ حاضرا ... كما كنت قد أوحشتَ لبنان غائبا
وما أنت إلا البدرُ يُبهج طالعاً ... ويُحزِن آفاقَ المواطن غاربا
يُحيّيكَ في بغداد إذ جئتَ قادما ... يُحيّيكَ في بيروتَ إذ جئتَ آئبا

---

(١) عز القرائح : غلبها . وابتز : فاق وغلب .
(٢) الجوائب : جمع جائبة وهي الأخبار تجوب الأرض من بلد إلى بلد .
(٣) إحفاء الشارب : الأخذ منه .
(٤) فويحا : رحمة . والرافدان : دجلة والفرات . والغياهب : جمع غيهب ، وهو الظلمة .
(٥) الحاصب : الريح تحمل الحصباء . وهي صغار الحجارة .

فى المدرسة الحربية

أيُّها القومُ مالكمْ فى جُمودِ أوَ ما يَستفزّكُمْ تفنيدِى(١)
كلما قد هززتكم لنهوضٍ عُدْتُ منكمْ بقسوة الجُلْمود(٢)
طال عَتْبِى على الحوادث فيكمْ مثلمَا طال مَطْلُهَا بالوعود
فمتى سعيكم وما ذا التوانى وإلى كم أحثُّكم بالنشيد
أنا غِرِّيد شاردات القوافى أفلم يُشْجِكُمْ بها تغريدى(٣)
كنت قبلًا أُثْنِى عليكم لأنى أبتغى الحثّ بالثناء الجيد
فاتقوا اليوم صولةً من يَرَاعٍ واقف فى مواقف التنديد(٤)
أيُّها القومُ نحن فى عصر علمٍ جعل الحرب فى طِرازٍ جديد
جعل الحرب تُدرّس اليوم فنًّا مغنيا عن شجاعة الصنديد
إن للعلم فى حروب بنى العصْـرِ لَبأسا يفوق بأس الحديد
إذ بدا بأسه الأشدّ فأنسى كل بأس من الحديد شديد
أيُّها القومُ فادخلوا العهد الحرْ بىَّ طوْعا وانضُوا ثياب الجمود(٥)
واستعدوا لردِّ كل عدوّ أنكر الحق ناقضا للعهود
وأعِزّوا الملك الذى نبتغيه بجنود مَبثوثة فى الحدود
قد دعتكم أوطانكم فأجيبوا دعوة الآمرينَ بالتجنيد
نحن لا نقصد الحروب ولكن نبتغى الذّود عن تراث الجدود
أرأيتم مُلكا بغير جنود إنما الملك قائم بالجنود
فاجمعوا الجيش فى العراق ليرعَى ما به من طريفكم والتليد

(١) يستفزكم : يزعجكم ويحركـكم . والتنفيد : اللوم وتضعيف الرأى .
(٢) الجلمود : الصخر القوى .
(٣) تغريدى : غنائى . والقوافى الشاردة : السائرة فى الآفاق .
(٤) ندد به تنديدا : أسمعه القبيح ، وشتمه ، وشهرته ، وسمت به .
(٥) انضوا : اخلعوا .
(٦) الطريف والطارف : الحديث . والتليد والتالد : القديم الموروث .

وبردِ العدوُّ عنكم ويحمى … عيشكم من شوائب التنكيد
لا تقرُّوا على الهوان وأنتمْ … عرَبٌ من بنى الاباة الصيد(١)
يكرهون الحياة إلا حياةً … ذات عزٍّ بيأسهم صيهود(٢)
أشرف الموت عندهم هو موت … فى صهَا الخيلِ تحت خفق البنود(٣)
وأعزُّ الأعمار عمر قصير … تحت ظلٍّ من السيوف مديد
وأذلُّ الحياة عندى حياةٌ … قد أهينت حقوقها بجحود

العلم والغلم

لواعجُ الهمّ فى جنبىَّ تضطرمُ … والهمُّ مقداره من أهله الهممُ(٤)
كم قد أذاقنىَ الأيامُ من حُرَقٍ … من فوقها أسفٌ من تحتها ألم
أ كلما قلت شعرا قال سامعه … نارٌ تفوه بها للناس أم كلِم ؟
ما بالُ شعرك مثل النار مُلتهبا … يذ كو ، على أنه كالماء مُنسَجِم
إنّا لنعجب من شعر تؤججه … نارا ولم يحترق فى كفّك القلم
لا تعجبوا فالأسى فى النفس ملتهبٌ … والعزم متّقدٌ والهمّ محتدم(٥)
استبردَ النارَ من حرَّت عزائمه … واستصغر الخطبَ من فى نفسه عِظم
وكيف يصبح من دنياه فى دَعَة … من بات فى نفسه الآمال تزدحم

* * *

(١) الأباة : جمع آب ، وهو الذى يأبى الضيم . والصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه عن الناس كبرا .

(٢) أصل الصيهود : الشديد الحر ، والمراد هنا الحياة القوية .

(٣) صها الخيل : جمع صهوة ، وهى الظهر .

(٤) اللواعج : جمع لاعج ، وهو الذى يتحرك فى النفس . ويضطرم : يتقد ويشتعل . يقول : إن الهموم بقدر الهمم .

(٥) احتدمت النار : اتقدت .

أما المُعزَّانِ فى الدنيا فإنهما ... هما على ما أراه العِلم والعَلم
كلاهما ضامن للنّاس حُرْمتَهم ... هذا له الحكم أو هذا له الحِكَم
من لم يكِ العَلم الخفّاق شارتَهمْ ... فليس يُجديهمُ العِلْم الذى علموا
وليس ينفع قوماً لا عـلوم لهم ... أنْ يُنْشَر العَـلم الخفَّاقُ فوقَهم
فالعلم فى أمّة ليست بحاكمة ... كالسيف يحمله فى الحرب منهزم
والعلمُ أوهنُ من أن يُستظلَّ به ... إن لم تقمْ من سيوف تحتَه دِعَم[1]
ما أحسن العَـلَمَ الخفَّاق منتصبا ... به تشـير إلى استقلالها الأمم

* * *

قد علمتنى الليـالى فى تقلُّبها ... أنّ الموفَّق فيهـا السيفُ لا القلَم
وأن أصـدق برق أنت شائمه ... برق تبسَّم عنه الصـارم الخَذِم
وأخصب الأرض أرض لا تَسُحُّ بها ... إلّا من النّقع فى يوم الوَغى دِيَم
من كان يُكذبنى أن الحياة مُنًى ... فليس يُكذبنى أن الحياة دَم
وأنه فى كلا الحـالين منبعها ... يدور فى الجسم أو فى الأرض ينسجم
وأنه وهو فوق الأرض منتثر ... كمثله وهو تحت الجَوْف منتظم
إنى أرى المجـد فى الأيام قاطبة ... إلى عَبيط دم المحيا به قَرَم
فالمجد يَنْبُت حيث العلم منتشر ... من حيث تعترك الأبطال والبُهَم[2]
والمجد أعطى الظُّبَى ميثاق معترف ... أن ليس يضحك إلّا حين تبتسِمُ

* * *

فليذهَب اليأسُ عنى خاسئا أبدًا! ... إنى بحـبل رجائى اليومَ مُعتصِم[3]
ولست ممن إذا يسعى لحادثة ... يسعى وأرجـله بالخوف تصطدم

---

(١) دعم : جمع دعمة : بمعنى الدعامة .

(٢) البهم : جمع بهمة ، بوزن غرفة ، وهو البطل الذى لا يعرف قرنه من أين يناله ، لقوته وشدة حذره .

(٣) خاسئا : مبعدا طريدا .

لا تــــأمَنّ إذا حاولتَ مَنزلةً   فيها يَرِفّ عليك المجدُ والـكَرَمُ
فالعيش تستبشع الأذواق مَطعَمه   إذا تسرَّبَ فى أثنائه السّـأم
وكن صَليباً إذا عَضَّتك حادثة   تعَضُّ منك بعُود ليس ينعَجِم[1]
إن الخصال التى تسمو الحياة بها   عَزم، وحَزم، وإقدام، ومُقتَحَم[2]
لا يَـكْسِب النفسَ ما ترجوه من شرفٍ
إلّا الإباء وإلّا العـــز والشَمَم
لا يُونسنَّك أن الحرَّ محتقَرٌ   عند اللئام وأن الوغْد محترم[3]
فالعقلُ يتَّهم الدهرَ المسىء بذا   وما يَعيبك أنَّ الدهر متَّهم
هذى ملامتُكُمْ يا قومُ فاستمعوا   منها إلى كَلِمٍ فى طيّها حِكَم
قد أُنشِدُ الشعر تعريضاً بسامعه   فهل وعى ما أردت السامعُ الفَهِم

السجايا فوق العلم وفوق العلم

وقد نظم الشاعر الكبير الأستاذ الرصافى هذه القصيدة الاجتماعية الجبارة، جوابا عن قصيدة الشاعر الأمير عادل أرسلان: وقد كان الأمير عادل أرسلان اطلع على قصيدة الأستاذ الرصافى «العلم والعلم» التى ينصح بها الأمة العربية، ويحضها على الجهاد فى سبيل الحرية، فنظم قصيدة يعارضها بها.

عِلْمٌ يُعزّزه من دَوْلة عَـلَمُ   فى كل عصر به قد سادت الأُمَمُ
ودولة القوم لم تثبت قواعدُها   إلا بأنّ سجاياهم لها دِعَم[4]
فليس للعـلم مهما اعتزّ جانبه   نفع إذا ما السجايا الغُرّ تنعدم
إذا استحالتْ سجايا القوم فاسدة   فليس ينفعهم علم ولا عَلَم
وليس يَختَلُّ حبلُ الملك مضطربا   إلا إذا اختلّت الأخلاق والشِّيَم
لولا سجايا على حُب العلى جُبِلتْ   ماسادت الناسُ لا عُرب ولا عجم

(١) ينعجم: يتأثر بالعجم، وهو العض بالأسنان. (٢) مقتحم: اقتحام الصعاب.
(٣) الوغد: اللئيم الحقير. (٤) دعم: جمع دعمة، وهى الدعامة.

لاخيرَ فى العيش يغدو فيه صاحبُهُ ‏ ‏ وأنفه باحتمال الذل مُزْدَلِمُ (١)
مابالُ قومى على الإرهاق قد صبَروا ‏ ‏ كأن أشهُرَ قومى كلَّها حُرُمُ (٢)
قد أنهضتهمْ إلى العلياء وَحْدَتُهُمْ ‏ ‏ واليومَ أقعدهمْ عنها أنِ انقسموا
كان التعاون غَرْزًا فى غرائزهم ‏ ‏ حازوا به الشرفَ الوَضَّاحَ واغتنموا
ثم اغتدَوا بعد حين فى جوانحهمْ ‏ ‏ نارُ التخاذل بالشَّحْناء تضطرم (٣)
قد زال رُوح التَّفادى منهمُ ونما ‏ ‏ رُوح التَّعادى إلى أن ماتت الهمم
ألقَى التخاذل ضَعْفا فى عزائمهم ‏ ‏ فالأجْنبىّ عليهمْ ظلَّ يحتكم
تعاظموا لعظام يفخرون بها ‏ ‏ وهل يكون بعظمٍ رِمَّةٍ عِظَمَ (٤)

* * *

داء التأخر منا فى خلائقنا ‏ ‏ فقد فشا الداء حتى استفحل السَّقَمَ
كانت خلائقنا للعــز ضامنة ‏ ‏ حتى فسدن فزال العزُّ والشَّمَمَ (٥)
وأصبحتْ عندنا الغايات تابعة ‏ ‏ إلى هوى النفس فيما شأنه عَمَمَ (٦)
نمشى من الجهل فى ظلماء ظالمة ‏ ‏ بليَّتاها علينا الظُّلْم والظُّلَمَ
حرية الفكر فينا غير جائزة ‏ ‏ والحرُّ منا مُهانٌ ليس يحــترم

* * *

لادَرَّ دَرُّ رجال الدين إنهمُ ‏ ‏ قد أظهروا فيه منهمْ غير ما كتموا
واستعملوه كما تَهوَى مآربهم ‏ ‏ كأنه ليس إلا آلةً لهمُ
تالله ما كان فى الإسلام من حَرَج ‏ ‏ على الأنام ولا فى نهجه غَمَمَ (٧)
بل كله جاء تيسيرًا وتبصرة ‏ ‏ للعاملين وأحكامًا بها حِكَم

(١) مزدلم : مقطوع .
(٢) الأشهر الحرم : التى حرم العرب فيها القتال وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم، ورجب.
(٣) الشحناء : العداوة والخصام . وتضطرم : تتقد وتشتعل .
(٤) عظم رمة : أى عظم بال .
(٥) أصل الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف . والمراد : العز .
(٦) أمر عمم ، تام عام .
(٧) الغمم ، بالتحريك : أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا . والمراد هنا : ضيق الطريق .

لكنما القوم ظلوا جامدين على ... ما منه قد وَهموه بئس ما وَهِموا
إذا سلكتَ إلى الإصلاح مَسلكه ... فأنت فى رأيهم بالكفر مُتَّهم
وإن تصادَمْتَ بالعادات تُنكرها ... فأنت فى زَعمهمْ بالدين تصطدم
وإن أتيتَ ببرهانٍ فأعجزهم ... لم يحسنوا الردَّ بل من عجزهم شَتَمُوا
وإن تقُل لهمُ قولاً لتُقْنعهم ... شدُّوا عليك وردوا قبلما فهموا
خلائقٌ كظلام الليل من يرَها ... يقل بأمثال هذى تُمْسَخ الأمم

* * *

لله درُّ بنى معروفَ إذ صبَروا ... على التجالد ما كلُّوا ولا سئموا
أخلَوا منازلهم للكرِّ ثانيةً ... كالأسد ترتد خَلْفًا ثم تقتحم
ولازموا الفقرَ ، عاشوا فى مجاهله ... عيش القناعة لا حُلو ولا دَسِم
بذاك حُبُّهمُ الأوطانَ يأمرهمْ ... إذ هُمْ بسيماء حبٍّ المواطن اتَّسموا
باتت دمشقُ لهم ترنو نواظرُها ... كما رنا للطبيب المُدنَفُ السقِم
أيامَ لم يبقَ من بيت بغوطتها ... إلا ذكتْ فيه نار أو أُريق دم
ثم انضوى بعدما اجتيحت معالمُها ... منها إلى جمعهم أبطالها البُهَم
فاستقتلوا فى سبيل الذَّودِ عن وطن ... صينت له من قديم عندهم ذِمَم
كانوا أشد مَضاء من صوارمهم ... فليس يَثْنيهم ثانٍ إذا هجَموا
عند الهجوم كموج البحر تُبْصِرُهُمْ ... وكالجبال الرَّواسى همْ إذا التحموا
صَلَّتْ سيوف بأيديهم يَسِلنَ دَمًا ... حتى حكين الغوادِى حين تَهْتَزم[1]

* * *

(١) صلت صليلا : صوتت . والغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ فقط غدوة . وتهتزم : من الهزيم ، وهو صوت الرعد .

من مُبْلِغ للأمير الشَّهْمِ مألُكةً ... كالشمس تُشْرِق إلا أنها كَلِم[1]
إلى فتى آلِ رَسْلانَ الأُلَى رسختْ ... فى مَعدِنِ المجدِ من قِدْم لم قَدَم
لبعضهم شهرة بالسيف واحدة ... و بعضهم شهرتاه السيف والقلم
كعادل وشكيب فى أكفهما ... جال اليَراع وصال الصارم الخَذِم[2]
صبرا فديتك فالعُقْبَى وإن بعدت ... للصابرين وعُقْبَى الخائن الندم
ولم يفُتْكَ نجاح فى محاربة ... أقل ما حزت فيها المجد والكرم
ياعادلًا كاسمه لا تنسَ مَظْلِمَتِى ... عندى خصوم وما عندى لهم حَكَم[3]

الحرية فى سياسة المستعمرين

ياقومُ لا تتكلّموا ... إنّ الكلامَ محرَّمُ
ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلّا النُوَّم
وتأخروا عن كل ما ... يقضِى بأن تتقدَّموا
ودَعُوا التفهُّم جانبًا ... فالخيرُ ألَّا تفهموا
وتثبتوا فى جهلكم ... فالشرّ أن تتعلَّموا
أمَّا السياسة فاتركوا ... أبدًا وإلّا تندموا
إن السياسة سرّها ... لو تعلمون مُطَلْسَم[4]
وإذا أفضتم فى المبا ... ح من الحديث فجمجموا
والعدلَ لا تتوسّموا ... والظلمَ لا تتجهَّموا[5]
من شاء منكم أن يعيـ ... ـش اليومَ وهْو مكرّم
فليُمسِ لا سمعٌ ولا ... بصرٌ لديه ولا فم

(١) المألكة والألوكة: الرسالة يؤديها الرسول بلسانه.
(٢) سيف خذم وخذم، بكسر الميم: أى قاطع.
(٣) المظلمة، بكسر اللام: اسم ما أخذ منك من الحقوق ظلما.
(٤) مطلسم: أى مكتوم. (٥) تجهمه: تلقاه بالغلظة والوجه الكريه.

لا يستحق كرامةً إلا الأصم الأبكم
ودعُوا السعادة إنما هي في الحياة توهم
فالعيش وهو منعَّم كالعيش وهو مذمَّم
فارضَوا بحكم الدهر مهـ ـما كان فيه تحكّم
وإذا ظُلِمتم فاضحكوا طربا ولا تتظلموا
وإذا أُهنتم فاشكروا وإذا لُطِمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدُكم مُر ، فقولوا : علقم
أو قيل إن نهاركم ليلٌ ، فقولوا : مُظلم
أو قيل إن ثِمادكم سيلٌ ، فقولوا : مُفْعَم(١)
أو قيل إن بلادكم يا قوم سوف تُقسّم
فتحمّدوا ، وتشكّروا وترنّحوا ، وترنّموا(٢)

غادة الانتداب

دَعْ مزعجَ اللوم وخَلِّ العتابْ واسمع إلى الأمر العجيب العُجابْ(٣)
من قصة واقصة غُصة تضحك بل تدعو إلى الانتحابْ(٤)
في الكرخ من بغدادَ مرَّت بنا يوما فتاة من ذوات الحجاب
لَبّتُها موقَرة بالحِلَى وكفُّها مُشْبَعة بالخضاب(٥)
ووجهها يطمس سِحْناءه عنا ظلام من سواد النِّقاب(٦)

(١) الثماد : جمع ثَمد ، بالتحريك ، وهو الماء القليل . والمفعم بكسر العين : المالئ . وبفتحها : المملوء .

(٢) الترنح : التمايل على الجانبين ، من سكر أو فرح . والترنم : رفع الصوت بالغناء .

(٣) العجاب : صفة كالعجيب .

(٤) واقصة : اسم فاعل من وقصه : إذا دق عنقه . والمراد أنها مؤلمة أشد الألم والغصة : ما يعترض في الحلق من طعام أو شراب أو عظم ، فيسده . والانتحاب والنحيب : البكاء بصوت طويل ممدود .

(٥) اللبة : موضع القلادة . وموقرة : مثقلة .

(٦) سحناء الوجه وسحنته ، بفتح السين فيهما : لونه وحاله وهيئته .

تمشي العِرَضْنَى فى جلابيبها ... مِشية إحدى المُومِسات القِحاب[١]
تختلب الناسَ بأوضاعها ... وكل ما يصدُرُ منها خِلاب
قد وضعت تاجًا على رأسها ... يلمَع فى الظاهر لَمْع الشِّهاب
يحسَب من دُرٍّ بتمويهه ... وهو إذا حققته من سِخاب[٢]
كاسية الجسم أرقَّ الكُسَى ... مَوْشِيةُ الثوب بوشى كَذاب
قد غولِطَ الناس بأثوابها ... فى أنها من مَعمل الإنتخاب
وهى لَعمرى دونَ ما ريبة ... منسوجة فى منسج الإغتصاب
فالغش فى لُحْمتها والسَّدَى ... وكلُّ ما يدعو إلى الارتيابْ
قال جليسى يوم مرَّت بنا ... مَنْ هذه الغادة ذات الحجاب ؟
قلت له تلك لأوطاننا ... حكومة جاد بها الانتداب
تحسبها حسناءَ من زِيّها ... وما سِوى (جُنْبولَ) تحت الثياب[٣]
ظاهرها فيه لنا رحمة ... والويلُ فى باطنها والعذاب
مصَابنا أمسى فظيعاً بها ... يا ربِّ ما أفظع هذا المصاب
تالله قد حق لنا أننا ... نحثو على الأروُس كلَّ التراب[٤]

(١) مشى العرضنى : أى لم يستقم فى مشيه ، وإنما سار فى ميل واعتراض من فرط نشاطه وبغيه. والمومسات : جمع مومس ، وهى البغى . والقحاب : جمع قحبة ، وهى المومس . وأصل القحبة : السعلة . وهى من الكنايات ، لأن المومس تسعل ، كأنها تدعو إلى نفسها بذلك .

(٢) السخاب . ككتاب : خيط ينظم فيه خرز . تلبسه الصبيان والجوارى .

(٣) جنبول : علم على جنس الأنجليزى .

(٤) حثا التراب يحثوه حثوا ، ويحثيه حثيا : هاله ورماه .

الفيل والحمل

أنشدها يخاطب بها الزعيم الهندى محمد على ، وقد كان مدعوا معه في مأدبة أقامها له الأستاذ الثعالبي عند مروره ببغداد سنة ١٩٢٩ .

إليكَ زعيمَ الهند أوردُ ههنا ... سؤالًا له أرجو الجوابَ تفضلا
فنحن هنا فى مجلس ذى أمانة ... فلم يَخْشَ فيه الحُرّ أنْ يتقولا
إذا ما سمعتُ الهند فى قول قائل ... تخيلتُ فيلًا بالحديد مُكَبَّلا
تزجيه كف الأجنبي مُسَخَّرًا ... فيمضى بأعباء الأجانب مُثْقَلا[1]
وَيَبْرُكُ أحيانًا على الأرض رازحًا ... له أنّة من ثِقل ما قد تحمّلا[2]
وينْخَس أحيانًا فتعلوه رَجفةٌ ... فيمضى على رَغم القيود مُهَرْوِلا[3]
وإنى أظن الفيل صاحبَ قوة ... تكون له لو شاء من ذاك موئلا
فلو قام هذا الفيلُ واستجمع القوى ... لهزّ بها شمّ الجبال وقَلْقلا[4]
ولو لم تكن بالفيل عندى علاقة ... لما رمتُ عن هذا جوابًا مفصّلا
لنا حَمَل وهو العراق نظنه ... غدا من وراء الفيل للذئب مأكلا
فإن ينجُ هذا الفيل من قيد أسره ... نجونا وإلا أصبح الأمر معضِلا[5]
فإن لم يكن هذا صحيحًا فما الذى ... ترون سوى هذا عليه المعوَّلا
ومن بعد هذا يا محمد إننى ... أحييك باسم الناهضين إلى العُلا

---

(١) تزجيه : تسوقه وتوجهه .
(٢) رزح تحت الحمل يرزح رزحا : أن من ثقله .
(٣) النخس : الشك بالابرة ونحوها . والمهزول : الذى يمشى الهرولة ، وهى مشية سريعة .
(٤) شم الجبال : الجبال العالية . (٥) أعضله الأمر : غلبه .

دمشق تندب أهلها

أنشدها فى حفلة أقيمت فى بغداد لجمع الاعانات
لمنكوبى سورية سنة ١٩٢٦

بكت فى ظلام الليل تندبُ أهلَها … بصوت له الصخر الأصمُّ يَلينُ
و باتتْ وقد جلَّ المصابُ حزينةً … لها فى ضواحى الغُوطتين أنين
تئنُّ وقد مدَّ الظلامُ رِواقه … وخيَّم صمتٌ فى الدُّجى وسكون[١]
إذا هى مدّت فى الدُّجنَّة صوتَها … تميد له فى الغُوطتين غُصون[٢]
وتُلْهَب منه فى الفضاء شرارة … فتبصرُها فى الرافدَيْن عيون[٣]
وتَهبو له فى ساحل النيل هَبْوة … أبو الهول منها واجد وحزين[٤]

* * *

ومن بعد وهْنٍ أشرق البدر طالعا … فأسفَرَ منها عارضٌ وجَبين[٥]
فأبْصرتُ منها الوجه أزْهَرَ مُشْرِقاً … بخدَّيه سِرٌّ للجمال مصون
جمالٌ بديع بالجلال متوج … له سبب فى المكرمات متين
وبَرقعَها حُزْنٌ فكان لوجهها … مكان من الحسن المَهيب مكين
فتاة جَثَتْ فى الأرض تبكى وحَوْلها … صريعٌ على وجه الثرى وطعين
فضمَّت إلى الصدر اليدين وعينُها … تَقاذفُ منها بالدموع شئون
وقد شَخَصت نحو السماء بِطَرفها … لها كل آنٍ زَفرة وحنين
وما أنسَ لا أنسَ العشية أنها … تَوَرَّم منها بالبكاء جفُون
وأن غزير الدمع خدّد خدها … فلاحت من الأشجان فيه فنون

(١) الرواق : بضم الراء وكسرها : الفسطاط والقبة وموضع الجلوس .
(٢) الدجنة : الظلام . تميد : تميل . والغوطتان : أرض تضاف إلى دمشق ، وهى من بساتين الدنيا .
(٣) بلاد الرافدين : هى العراق .   (٤) هبا يهبو ، كعلا يعلو : سطع .
(٥) العارض : جانب الوجه . والجبين : من منبت الشعر الرأس إلى الحاجبين .

ولما انقضى صبرى تراميتُ نحوها ... كما ترتمى بالعاصفات سفين
وقلتُ لها : مَنْ أنتِ رُحماكِ إننى ... لك اليوم خِلٌ صادق وأمين
فقالتْ وقد ألقت إلىّ بنظرة ... عن القصد فيها مُعْرِب ومُبين
أنا البلدة الثَّكْلَى دمشق ابنة العُلَى ... أما أنت فى مَغْنَى دِمشق قَطِين[1]
ألم ترَ أبنائى يُساقونَ للردَى ... فمنهم قتيل بالظُّبَا وسجين[2]
فأين أُباة الضيم من آل يَعرُب ... ألم يأت منهم ناصرٌ ومعين
فقلت لها لبيك يا أمّ إنهمْ ... سيأتيك منهم بارز وكَمِين[3]
سندرك فيك الثأرَ من أنفس العِدا ... ونُوقد نار الحرب وهى زَبُونُ[4]

* * *

فهــذى دمشق يا كرام وهذه ... أحاديثُ عنها كُلُّهنّ شُجُون[5]

---

(١) الثكلى من النساء : التى فقدت زوجها : أو أولادها . وقطين : قاطن .
(٢) الردى : الهلاك ، ردى يردى : من باب فرح . والظبا : جمع ظبية ، وهى حدة السيف .
(٣) بارز وكمين : أى ظاهر وخفى .
(٤) الزبون : المدفوع .. يقول ناقة زبون ، وحرب زبون ، أى تدفع الناس إلى الهلاك كما تزبنهم الناقة بخفها .
(٥) الشجن : الهم والحزن . والجمع : شجون وأشجان . والشجون أيضا : تطريب الحمامة ونوحها .

معترك الأهواء

قالها يمثل حالة الصحف فى الآستانة عقب الهدنة للحرب العامة :

أرى الأتراكَ فى دار الخلافهْ تمادَوا فى الخصومة والسخافهْ (١)
غدَوا يتطاعنون بكل هُجْرٍ من القول المخالف للشّرافه (٢)
فما عملت رماح الخط فيهم كما عملته أقلام الصحافه (٣)
ترى كُلاًّ تهيَّأ للترامى وشمَّر عن سواعده لحافه (٤)
وأترع كفه حَمأً نتيناً ليَلْطَخَ وجه من يبْدِى خلافه (٥)
تراهم مُزْبدين لهم شدوق كشدقَىْ خالب شربَ النُّشافة (٦)
لهم صَخَب كعَرْبدة السكارى وقد شربوا المطامع كالسُّلافه (٧)
على حين العدوُّ بهم محيط يذيقهم المذلَّة والمخافه
سفينة ملكهم فيها خُروق وهم لايحسنون لها القلافه (٨)
وقد وقفتْ بدُرْدُورٍ شديد ولم تأمن من الموج انقذافه (٩)
وليس لها هنالك من عَريفٍ يُقوِّمها بسكّانِ العرافه
عجِبْت لهم إذ اختلفوا بملكٍ بكون الإختلاف عليه آفه

(١) السخافة : أن يكون نسج الثوب رقيقا واهيا .
(٢) الشرافة : الشرف ، وكلاهما مصدر شرف الرجل : إذا علا فى الدين أو الدنيا .
(٣) الخط : بلد فى البحرين تصنع فيه الرماح الجياد .
(٤) اللحاف هنا : ما يلتحف به المرء من ثوب فوق الثياب ، كالمعطف والكساء ونحوهما .
(٥) الحمأ : الطين .
(٦) المزبد : البعير الذى خرج الزبد حول فمه ، وهو الرغوة ، من شدة الهياج . والنشافة : الرغوة التى تعلو لبن الابل والغنم إذا حلب .
(٧) الصخب : ارتفاع الصوت فى الجدال ونحوه ، وعربدة السكران : سوء خلقه وحركته المضطربة . والسلافة : الخمر .
(٨) قلف السفينة خرز ألواحها بالليف . وجعل فى خللها القار . والقلافة : اسم تلك الصناعة .
(٩) الدردور : موضع فى وسط البحر يجيش ماؤه ، لا تكاد تسلم منه سفينة ، يقال : الججوا قويموا فى الدردور . قال الجوهرى : هو الماء الذى يدور ويخاف منه الغرق .

كأنى إذ أرامِ فى احتراب بملكٍ يطلب الغرب انتسافه
أرى كبشين ينتطحان جهْلًا لدى الجزّار فى دار الصيافه
خِصامٌ يضحك السفهاء منه ويبكى منه أربابُ الحَصَافه
وإنّ تدابرَ الأقوام شىء يئول إلى الندامة والأسافه

نفثة مصدور (١)

خَليلىَّ هل من مُنْصتٍ فأبثَّه شُجونَ فتًى يشكو الأليمَ من البَثِّ (٢)
فإنى سئمت العيش فى عُنفوانه ويسأم مثلى كلُّ مُحترثٍ حَرْثى
أقول وليل الغرب ليس بنائمٍ أما لنيام القوم فى الشرق من بعث
لقد جاح هذا الشرقَ بعد اعتزازه
جوائحُ أوْدَتْ منه بالكِرْش والفَرْث (٣)
فساء من الإملاق والجهل خُلقُه وصار سمينُ القوم يَبْطش بالغَثِّ (٤)
وعادَ هزيلاً مجدُه متلفِّعًا بسَحْقٍ دريسٍ من مَفاقره رَثِّ (٥)
وهبَّتْ هُوجُ الرياح فلم تدعْ من العلم جِذراً فوقه غيرَ مُجتَثِّ (٦)

---

(١) قال الرصافى هذه القصيدة وهو فى الآستانة ، وأنشدها شبان العرب فى المنتدى الأدبى .

(٢) البث : أشد الحزن . وقوله فأبثه شجون فتى : الضمير : مفعول أول ، وشجون : مفعول ثان ، أى فأطلعه على شجون فتى .

(٣) جاح هذا الشرق : أى استأصله . وجوائح : فاعل جاح ، وهى جمع جائحة ، وهى النازلة العظيمة التى تجتاح كل شىء . والكرش : لكل مجتر من ذوات الخف والظلف : بمنزلة المعدة للانسان . والفرث . السرجين ما دام فى الكرش . ومعنى قوله « أودت منه بالكرش والفرث » : أنها ذهبت منه بما عز وبما هان ، فضرب الكرش والفرث مثلا للجليل والحقير .

(٤) الاملاق : الفقر . وأراد بسمين القوم : قويهم . وبالغث : ضعيفهم .

(٥) متلفعا : ملتحفا . وسحق فى قوله « بسحق » صفة لمحذوف ، أى بثوب سحق ، وهو البالى من الثياب . والدريس : الخلق ، وكذلك الرث . والمفاقر : وجوه الفقر ، لا واحد لها . وقيل : واحدها فقر ، على غير قياس .

(٦) هوج الرياح : هى التى لا تستوى فى هبوبها ؛ وتقلع البيوت ؛ واحدها : هو جاء . وجذر الشىء : أصله . ومجتث : أى مقتلع .

أرى غَثَيانًا فى النفوس وهل ترى نفوسا على خُبْث المطاعم لا تُغثِى
فيا قومَنا أين المساواة عندكم فقد طال عنها فى مواطنكم بَحْثى ؟
وأينَ مواثيق الأُخُوَّةِ إننى أرَى حبلها فى كل يوم إلى النَّكْث؟
وإنَّ بصدرى للقريض لَفورَةً يزيد بها من طول غفلتكم نَفْثى (١)
أراكمْ فأهجو ثم أُطرِق ذاكراً أوائلكم قَبلا فأندبُ أو أرْثى
وأبكى على المجد الذى كان دونه على رَتْبتيه ندهرُ من خشيةٍ يَجْثِى
يقولون إنَّ الإرْثَ فى الخَلْق سُنَّة فهل بطلت فى خَلْقكم سنة الإرث؟
فهلا ورِثتم ثُلْثَ ذَاكَ الذى بَنَوا من المجد، لا، لا، بل أقل من الثُّلْث!
قَعَدتم وقاموا واستكَنتم وفاخروا بعزٍّ على وجه البسيطة مُنبَثّ
وما أتعبَ المستنهضيكم فإنهمْ يَحثُّون منكم للعُلى غير مُحتَثِّ
أما والعُلى واهاً لها من أليَّة عدمتُ العُلى إن بتّ منها على حِنْث
لأحتقرنَّ الموتَ فى مَعرك المُنَى وأسْتُرُ أفق اليأس بالرَّهَج الكَثِّ (٢)
وأرْكب متن الهول دُون لُبانتى ولستُ أبالى بالكوارث (٣)
وأجْرى بمُستنّ الخطوب مُشمِّراً وأخبط ليلَ المزعجات بلا لَبْث
ولولا إبائى أن أخاطب ماجنًا كتبتُ هجاء الدهر بالقلم الثلث (٤)

---

(١) لفورة : أى حدة وغضبا . وقوله نفثى : أى نفخى من الغضب : تقول : هو ينفث على غضبا : أى كأنه ينفخ من شدة الغضب .

(٢) الرهج : الغبار . والكث : الكثيف .

(٣) الكوارث : الشدائد . وكرثها : اشتدادها .

(٤) القلم الثلث : أصله قلم الثلث وهو الذى يكتب به فى ثلث الطومار ، والطومار : نوع من الورق ، متفق على مقدار طوله وعرضه وهذا من اصطلاح كتاب الدواوين . وقد جرى الشاعر على أسلوب عامة المتكلمين . فجعل الثلث وصفا للقلم . يريد القلم . العريض .

إخفاء الذمم

أو عبد العزيز شاويش

قالها فى الآستانة عند ما أسلمت وزارة أحمد مختار باشا الغازى الشيخ عبد العزيز شاويش إلى الحكومة المصرية :

إنى عهدتك لا تكون يئوسا ... مهما لقيتَ مصائبا ونحوسا
كم قد صدَمتَ النائبات بهمة ... جعلتْ لها الصبرَ الجميلَ لَبُوسا
غدروك ياعبدَ العزيز وإنما ... غدروا الشهامة فيك والناموسا[1]
ما أسلموك إلى الخديو وإنما ... قد أسلموا شرفا لهم قُدْمُوسا[2]
هدموا بأيديهم قواعدَ مجدهم ... فهوى وأصبح رسمُه مطموسا
وأحق شىء بالرثاء لدى الورى ... شرف بأرجل أهله قد ديسا
وأقل أبناء الزمان حمية ... من كان بيت نزيلهم مَكبُوسا[3]
قد أخجلوا علَمَ الهلال بفعلهم ... هذا فأصبحَ رأسه منكوسا
وغدا بنوه وإن تقادم فخرُهمْ ... عند الفخار يطأطئون رءوسا
ماهنتَ أنتَ وإنهم بفعالهم ... هانوا لدى أهل الحفاظ نفوسا
جارتْ سياستُهم عليك فأغضبت ... أهل العدالة سائساً ومَسوسا
لو كان هذا الشعب يعرف نفسه ... لأقام حربا من جرَاك ضَروسا[4]
ولَوَأن أخلاق الرجال صحيحة ... ما كان حقُّك عندهم مبخوسا
إن العُلَى همستْ إليك بسرها ... ولقد فهمتَ كلامها المهموسا
فنهضتَ بين المسلمين تَلمُّهمْ ... وتُجِدّ منهم مُخلِقا ودَريسا[5]

(١) الناموس : وعاء العلم . (٢) القدموس : القديم .
(٣) المكبوس : الذى يهجم عليه ويفتش .
(٤) من جراك : من أجلك .
(٥) تلمهم : تجمعهم حول غرض واحد . وتجدد : تجدد . والمخلق : البالى . الدريس : الدراس البالى .

فرماك منهم حاسدوك بتُهمة ... مَلَئُوا الفضاء بزُورِها تدليسا
إن يمقتوك فإنّ حبك لم يزلْ ... فى قلب كل مُوَحِّد مغروسا
والشمسُ تشهدُ أنَّ فضلك مثلها ... يحيي النفوس ويقتل الحنديسا(١)
ياليتَ شعرى أيُّ كأس مُرّةٍ ... لك أدْهقوا إذ جرعوك البُوسا(٢)
وبأى سلسلة رَمَوك مكبَّلا ... وبأى سجن غادروك حَبيسا(٣)
قد بتَّ من جزَعى عليك منجّما ... فى الليل عنك أسائل البِرْجيسا(٤)
إن يَسْجُنوك فإن ذكرك مُطْلَقٌ ... يَجنى الثناء ويقطِف التقديسا
أو يُوحِشوك بقعر سِجنك مُفْردا ... فالحقّ عندك قد أقام أنيسا
ولئن لقيتَ أذًى فكم من مُصْلح ... لَقِىَ الأذاة مُفَجَّعا متعوسا
ضَحِكتْ وُجوه التُّرّهات ولم يزل ... وجه الحقيقة فى الأنام عَبوسا(٥)

---

(١) الحندس : الظلام : والحنديس : الحندس ، وقد أشبع كسرة الدال ، فوجدت الياء ، كقول الآخر : «نفى الدراهيم تنقاد الصياريف» . والأصل : الصيارف .

(٢) ليت شعرى : ليتنى أشعر وأعلم . وأدهقوا : ملئوا ، وكأس دهاق : مملوءة . وجرعوك : سقوك شيئا فى إثر شىء . والبوس : البؤس .

(٣) غادروك : تركوك . حبيسا : أى محبوسا .

(٤) البرجيس نجم ، قيل : هو المشترى .

(٥) الترهات : جمع ترهة ، وهى الباطل .

ياسين باشا

قالها بلسان أحد المتظاهرين ، وكان إذ ذاك فى دمشق ، لما دبرت حكومة الشام العربية بواسطة رجال الانكليز مكيدتها الملومة لياسين باشا الهاشمى ، فأخذوه واعتقلوه فى الرملة ، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين بلاد الشام .

ياسينُ إنك بالقلوب مُشَيَّعُ　　أفأنتَ للوطن العزيز مُودِّعُ
أخذوك يا بطلَ المعامع غِيلةً　　بيد الخداع ومثلهم من يَخدع[1]
ولوَ انهم تركوا الخِدَاع وحاولوا　　لُقياك أعجزهم إليك المَطلَع
أوَ ليس يَدْرى آخذوك بأنهم　　هاجوا بمأخَذك الخطوبَ وزعزعوا
أينَ الذِّمام ونحن من حُلَفائهم　　سَرْعان ما نقضوا العهود وضيَّعوا
أفيجهلون بأننا من أمّةٍ　　فى المجد تأمر من تشاء فيسمع
لا تجزعَنَّ فانْ خلفك أمّةً　　تمشى كمشيك للعَلاء وتتبع
إنْ أخرجوك من المواطن مُكْرَها　　فالشعب خلفك هائج لا يَهجع
أو غيَّبوك فإنَّ أمرك حاضر　　أو ثبَّطوك فإنَّ جيشك مُسْرِع
فلَنَملأنَّ بك البلادَ هزاهِزًا　　حتى يضيق بها الفضاء الأوسع[2]
ولَنَنْهضنَّ إلى الهياج بهمَّةٍ　　شمَّاء يبصرها الجبان فيشجُع
ولَنَسْعَرنَّ معامعاً يَصلَوْنَها　　ورُءوسهم فيها لسيْفك ركَّع
ولَنَرْمينهم بمعضلةٍ إذا　　تُرمَى الجبال بمثلها تتصدع
ونقودها خرساء يُنطقها الرَّدَى　　فَيصِلُ صَمصامٌ ويَصرُخ مِدفع[3]
يارَاحلا عنا بكيد عدونا　　أبشرْ فإنك عن قريب ترجع

---

(١) المعامع : جمع معمعة ، وهى المعركة . والغيلة : الخيانة والغدر .

(٢) الهزاهز : الفتن والثورات التى تهز الناس وتقلقهم .

(٣) خرساء : كتيبة خرساء .

كيف نحن في العراق؟

أيكفينا من الدُّولات أنَّا ... تُعلَّق في الديار لنا البُنودُ
وأنَّا بعد ذلك في افتقار ... إلى ما الأجنبيُّ به يجود
تجوز سيادة الهنديّ فينا ... وأمّا ابن البــلاد فلا يَسود
إذنْ فالهند أشرف من بلادي ... وأشرف من بني قومي الهنودُ
وكم عند الحكومة من رجال ... تراهم سادة وهم العبيد
كلابٌ للأجانب هُمْ ولكن ... على أبناء جِلدتهم أسود
وليس الإنكليز بمُنقذينا ... وإن كُتبتْ لنا منهم عهود
متى شفَق القويُّ على ضعيف ... وكيف يعاهد الخِرفانَ سِيد
ولكن نحن في يدهم أسارى ... وما كتبوه من عهد قيود
أما والله لو كنا قرودا ... لما رضيتْ قرابتَنا القرود

في طريقي إلى حلب

جئت إلى الدير ضحَى يومِ الأحدْ ... أقصدُ منه حَلبا فيمن قصدْ
فاعترضتني شرطة ذات رصَدْ ... تطلب تصديق جوازي في الصَّددْ(١)
فعاقني ذاك من اليوم لغَدْ ... كأنني والغيظ في قلبي اتَّقَدْ
سفينة أمسكها ماء جَمَدْ ... حتى لقد يَئِستُ من فَتح السَّدَدْ(٢)
وقلت من يأسي وقد قل الجلَدْ ... كأن من يمر من هذا البلَدْ
يمر زحفا بين أشداق الأسَدْ ... لولا كرامٌ أدركوني بالمَدَدْ
لكنت أبقى زمَنا من غير حد ... ياصاحبَ الشرطة ما هذا اللدَدْ(٣)

---

(١) الشرطة : رجال النظام والحفظ . والرصد : المكان ترصد فيه الداخلون إلى البلد والخارجون منه ، أي يرقبون ويفتشون . والصدد : الطريق .

(٢) السدد : مجارى الماء .

(٣) اللدد : شدة الخصومة والجدال .

لم أدر جِدٌّ فعلُكمْ أم هو دَدْ ... فإن أجنادك جاءوا بالفَنَدْ(١)

إذ فىَّ عاثوا عيثَ ذئب فى نَقَدْ ... تعاوَرتْنى منهمُ يدٌ فيَدْ(٢)

أقادُ كالقاتل قِيدَ للقَوَدْ ... حتى ثيابى فتّشوها والجسَدْ(٣)

كأننى سارق مال مُفْتَقَدْ ... ما أنا ممن جرَّ جُرْما فشرَدْ

ولست ممن سِيمَ حقا فجحَدْ ... كلّا ولست جانيا على أحَدْ

لكنما الأمرُ لديهم قد فسَدْ ... والحكم قد جار عليهم واستبَدْ

فالقوم : أما حظهم فقد رقدْ ... عنهم ، وأما سَعدهم فقد خمَدْ

منهم ، وأما نحسُهم فقد وقَدْ ... وقد أضاعوا مجدهم إلى الأبَدْ

وقدْ وقدْ ، وقدْ وقدْ ، وقدْ وقدْ .

حكومة الانتداب

أنا بالحكومة والسياسةِ أعرَفُ ... أألامُ فى تفنيدها وأعنفُ(٤)

سأقولُ فيها ما أقولُ ولم أخفْ ... من أن يقولوا شاعر مُتطرِّف

هذى حكومتنا ،وكلُّ شموخِها ... كَذِب ، وكل صنيعها مُتَكلَّف

غشَّتْ مظاهرها ومُوِّهَ وجهُها ... فجميع ما فيها بَهارج زُيَّف(٥)

وجهان فيها باطنٌ متستر ... للأجنبىّ وظاهر متكشف

والباطن المستور فيه تحكم ... والظاهر المكشوف فيه تَصَلُّف(٦)

* * *

علم ودستور ومجلس أمةٍ ... كلٌّ عن المعنى الصحيح مُحرَّف

أسماء ليس لنا سوى ألفاظها ... أما معانيها فليست تُعْرَف

---

(١) الدد : اللعب واللهو . والفند : ما يلامون عليه .

(٢) عاثوا : أفسدوا . والنقد : ضرب من صغار الغنم ؛ كالمعز .

(٣) القود : القصاص .

(٤) تفنيدها : لومها ومعاتبتها . والتعنيف : أشد اللوم

(٥) البهرج : الذى يروقك مظهره ، ولا تسرك حقيقته . (٦) تصلف : تكبر .

مَن يَقرإِ الدستورَ يعلمْ أنه | وفقاً لصكِّ الإنتداب مُصَنَّف
من ينظرِ العَلَمَ المرفرفَ يَلقَهُ | فى عز غير بنى البلاد يُرَفْرِف
من يأت مجلسنا يصدِّقْ أنهُ | لمراد غير الناخبين مُؤَلَّف
من يأت مُطَّرَدَ الوِزارة يُلفِها | بقيود أهل الإستشارة تَرْسُف[1]

* * *

أفهكذا تبقَى الحكومة عندنا | كَلِما تمَوَّه للورَى وتُزَخْرَف
كثرت « دوائرها » وقلَّ فعالها | كالطَبْل يَكْبُرُوهو خالٍ أجوف
كم ساءنا منها ومن وزرائها | عمل بمنفعة المواطن مُجْحِف[2]
تشكو البلاد سياسة مالية | تجتاح أموالَ البلاد وتُتلِف[3]
تُجْبَى ضرائبها الثقال وإنما | فى غير منفعة الرعية تُصْرَف
حكمت مشدَّدة علينا حكمها | أما على الدُّخَلاء فهى تخَفَّف[4]
ياقومُ خَلوا الفاشِسيَّة إنها | فى السائسين فظاظة وتعجرُف[5]
للإنكليز مطامع ببلادكمْ | لاتنتهى إلا بأن تتبلشفوا[6]

* * *

بالله ياوزراءنا ما بالُكمُ | إن نحن جادلناكُمُ لم تنصفوا
وكأنَّ واحدكم لفَرْط غُروره | ثَمِل تميل بجانبيه القَرْقَف[7]
أفتقنعون من الحكومة باسْمها | ويفوتكم فى الأمر أنْ تتصرفوا

(١) المطرد : مكان الاطراد ؛ وهو الجرى والتتابع . يريد الميدان أو الطريق التى تجرى فيه الوزارة . وترسف : تمشى مشى المقيد .
(٢) مجحف : جائر على منفعة أهل البلاد .
(٣) تجتاح : تهلك . والجائحة : الآفة المهلكة .
(٤) يريد بالدخلاء : الأجانب النازلين بأرض العراق من غير العرب .
(٥) تعجرف : خشونة .
(٦) تبلشف يتبلشف ، فعل أخذه الشاعر من لفظ البلشفية ، وهى مذهب سياسى واقتصادى ينافى الرأسمالية ، وهو النظام السائد الآن فى روسيا وشرق أوربا .
(٧) القرقف : الخمر .

هذى كراسىّ الوزارة تحتكمْ ... كادتْ لِفَرْطِ حيائها تتقصَّف
أنتم عليها والأجانب فوقكم ... كلٌّ بسلطته عليكم مُشْرِف
أيعدّ فخرا للوزير جلوسُه ... فرحًا على الكرسىّ وهو مكتَّف

* * *

إن دام هذا فى البلاد فإنه ... بدوامه لسيوفنا مُسْتَرعِف[1]
لابدّ من يوم يطول عليكم ... فيه الحساب كما يطول الموقِف
فهنالكم لم يغن شيئا عنكم ... لُسُن تقول ولا عيون تَذْرِف
الشعب فى جزَع فلا تستبعِدوا ... يوما تثور به الجيوش وَتَزْحَف
و إذا دعا داعى البلاد إلى الوَغَى ... أتظن أن هناك من يتخلَّف
أيذِلّ قوم ناهضون وعندهم ... شرَف يُعزِّز جانبيه المُرْهَف[2]
كم من نواص للعِدَا سَنَجُزُّها ... ولِحًى بأيدى الثائرين ستُنْتَف[3]
إنلم نضاحك بالسيوف خصومَنا ... فالمجد باكٍ والعُلَى تتأفَّف[4]

* * *

زُرْ رَدْهَة التاريخ إن فناءها ... للمجد من أبناء يعرُبَ مَتْحَف[5]
قد كان للعرب الأكارم دَوْلة ... من بأسها الدول العظيمة تَرْجُف
عاش الأديب منعمًا فى ظلّها ... والعالم النحرير والمتفلسف
أيام كان المسلمون من الورَى ... فى ظلّها لهم المحلُّ الأشرف
ثم انقضى عهد العُروبة مُذْ غدا ... عنها الزمانُ بسعده يتحرّف[6]

---

(١) مسترعف : مسبب للرعاف ، وهو سيلان الدم من الأنف ومن حد السيف .

(٢) المرهف : السيف أو السنان المشحوذ .

(٣) النواصى : جمع ناصية ، وهى الشعر فى مقدم الرأس . ونجز : نقطع .

(٤) نضاحك خصومنا بالسيوف : أى نمازحهم بالسيوف ، وفى الكلام استعارة .

(٥) الردهة : المكان المتسع بين البيوت ، وهى ما نسميه الآن بلسان العصر « صالة » . يريد أن المكان الذى يدرس فيه التاريخ يحوى من أخبار العرب ومفاخرها ما تحويه المتاحف ودور العاديات من مجد الأمم القديمة .

(٦) يتحرف : ينحرف .

حتى تقلّص بعدُ منَ سلطانها ظلٌّ بأقصى المَشْرِقين مُوَرّف[1]
وغدتْ ممالكها الكبيرةُ كلها لسهام كل دُويلة تَسْتَهدِف[2]
فبنو العُروبة أصبحوا فى حالة منها العُروبة لا أبالك تأنَف
والمسلمون بحالة من أجْلها تالله ضَجَّ بما حواه المُصْحَف

الوزارة المذنبة

دارَ ذا الدهرُ مَدارَهْ فرأى الناسُ ازوراره[3]
كلُّ فعل الدهر فعلٌ فيـه للحرِّ إثاره
أهلَ بغدادَ أفيقوا من كَرى هذى الغَرارة[4]
إن ديك الدهر قد با ض ببغدادَ وزاره
شأنها شأنٌ عجيبٌ قصّرت عنه العباره
هى للجاهل عزٌّ ولذى العـلم حقاره
مَلَكَ البدوُ بها الأمـــر على أهل الحضاره
كم لها من هَفَوات تسلُب الطَّوْدَ وَقاره
حبّبت للوطنى الـــحُرِّ أن يهجُر داره
بيع للأطماع فيها حقكم . بيع الخساره
فكأن الحكم والعد ل بها - قطٌّ وفاره
كم وزير هو كالوِز ر على ظهر الوِزاره
مُقحَمٍ لو كان لفظا شخصه كان استعاره
ووزير مُلْحَق كالذ يل فى عَجْز الحماره[5]

---

(١) مورف : متسع .
(٢) تستهدف : تصير هدفا وغرضا .
(٣) ازوراره : اعوجاجه .
(٤) الغرارة : الغفلة وقلة الفطنة للشر ، وعدم البحث عنه . والمراد الجهالة بشئون السياسة والحياة.
(٥) عجز ، بسكون الجيم ، مخفف من عجز بضمها ، وهو المؤخر .

ذَنَبٌ أصبح للحُكْـــم به أقبحُ شاره
ذَنَب يستوجب الإخــــلاصُ والصدقُ انبتارَه[١]
قلْ لأرباب الوِزاره عَذَلا أضرمتُ ناره
أنتمُ الأصنامُ لولا نَزَقَات مُستطاره[٢]
أحْلوم كفَرَاشٍ وقلوب كحِجاره[٣]
أم جُيوب زرها الدهْـــر على كل دَعاره[٤]
أم وجوه لو بدت للشـــمس لم تَنْشر حراره
أمع الذلة كِبْر أم مع الجُبْن جَساره
كيف لا تخشَوْن للأحـــرار فى البطش مَهاره
يا بنى الأوطان هُبُّوا وانفُضوا هذى الغَراره
إن وجه الحق باد كسراج فى مَناره
أدركوا الحق فقد شُنَّـــتْ على الحق الإغاره
لا تسل عنه وَزِير القــــوم واسأل مُستشاره
فوزيرُ القوم لا يَعــــمل من غير إشاره
وهْو لا يملك أمـرًا غــير كرسىّ الوِزارة
يأخـذُ الراتبَ إمَّا بلغ الشهرُ سِراره[٥]
ثم لا يَعرف من بَعْــــدُ: خرابٌ أم عمارِه
حدِّثِ النـاس الـــلؤم عن هذى الُخشاره[٦]
فلعــلّ الدهرَ منهم بدم يغسِل عاره

(١) انبتاره : بتره وقطعه .
(٢) النزقات : جمع نزقة ، وهى المرة من النزق . وهو الطيش والخفة .
(٣) حلوم كفراش ، أى طائشة ، لا تعرف ، كما لا تعرف الفراشة ، ما يضرها وما ينفعها لأنها تتهافت فى النار ، فتحرق نفسها .
(٤) الدعارة : الفجور والخيانة .
(٥) السرار : الظلام الذى لا يظهر فيه القمر آخر الشهر .
(٦) الخشارة والخشار : الردىء من كل شىء ، وخص اللحيانى به ردىء المتاع .

يوم الفلوجه

أيها الإنجليز لن نتناسَى بغيَكُمْ فى مساكن الفَلوجه[(١)]
ذاك بغى لن يَشْفِىَ اللهُ إلا بالمواضى جريحَهُ وشَجيجه[(٢)]
هو كَرْب تأبى الحميّة أنا بسوى السيف نبتغى تفريجَهْ
هو خطب أبكى العراقين والشام وركنَ البَنيةِ المحجوجَهْ

* * *

حلها جيشكم يريد انتقامًا وهو مُغْرٍ بالساكنين عُلُوجه[(٣)]
يومَ عاثت ذئاب آثور فيها عَيْثةً تحمل الشَّنار سَميجه[(٤)]
فاستهنتمْ بالمسلمين سِفاهًا واتخذتمْ من اليهود وَليجهَ[(٥)]
وأدَرتمْ فيها على العُزْل كأسًا من دماء بالغدر كانت مَزيجه
واستبحتم أموالهَا وقطعتم بين أهل الديار كل وَشيجه[(٦)]
أفهذا تمدّنٌ وعَلاء شعبكم يدعى إليه عروجَه
أمْ سَكِرتمْ لما غلبتم بحربٍ لم تكن فى انبعاثها بنضيجة
قد نَتجنا لَقوحَها عن خِداجٍ فلذاك انتهت بسوء النتيجة[(٧)]
هل نسيتم جيشا لكم مُبْذَعِرًّا شهدت جيشه سواحل إيجَهَ[(٨)]
وهوى بانهزامه حصن أقريطَ وأمسَى قذًى على عين فيجه[(٩)]
سوف ينأى بخزيه وبعار عن بلاد تريد منها خُرُوجه

---

(١) الفلوجة : قرية على الفرات . وقريتان عند بغداد : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى. وأصل معنى الفلوجة : القرية من قرى السواد .
(٢) الشجيج : المشجوج .
(٣) مغر : مسلط محرض . والعلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .
(٤) الشنار : العجيب والعار . والسميج : القبيح .
(٥) وليجة : بطانة .
(٦) الوشيجة : العلاقة التى تربط بين أبناء الأسرة أو البلدة . من دين أو لغة أو دم أو وطن .
(٧) نتج الناقة : ولدها . واللقوح : الحامل . والخداج : نزول المولود قبل استكمال مدة الحمل
(٨) المبذعر : المتفرق . وسواحل إيجه : أى بحر إيجه . وهو بين بلاد الأناضول وبلاد اليونان .
(٩) أقريط : يريد أقريطش ، جزيرة جنوبى بلاد اليونان .

لا تغرّنكم شباك كبارٌ أصبحت لاصطيادنا منسوجه
لستمُ اليوم فى الممالك إلا جُعَلا تحت صدره دُحروجة(١)

* * *

وطن عشت فيه غير سعيد عيش حرّ يأبى على الدهر عوجَه
أتمنى له السعادة لكن ليس لى فيه ناقة منتوجه(٢)
أخصب الله أرضه ولوَانى لست أرعى رياضه ومُروجه
كل يوم بعزه أتغنّى جاعلا ذكره عزّه أهزوجه(٣)
ما حياة الإنسان بالذل إلا مرّةٌ عند حسوها ممجوجه
فثناءا للراقدين وشكراً وسلاماً عليكِ يا « فلُّوجه »

الانكليز فى سياستهم الاستعمارية

لقد جمع الدهر المكايدَ كلها بقدر كبير صيغ من مَعدِن الخُبْثِ
وصبَّ عليها من بثار صرُوفه سِجالا من الكذب المموهِ والحِنثِ
وأنقع فيها ما يعادلُ ثلثها من المكر بل ماقد يزيد على الثُلْثِ
وفتّتَ أرطالا من الغدر فوقَها وعالَجها بالدقّ والدّلْك والدعْثِ(٤)
وأوقد نارًا للخديعة تحتها تزيد على نار الغَضَى أو على الرِّمْثِ(٥)
ففارت مليًّا فيه ثم تصعدتْ بخارا بأنْبيقٍ من السحر وَالنفْثِ(٦)
فصاغَ طِباع الإنكليز من الذى تقاطر فى الأنبيق كالمطر الدَّثِّ(٧)

(١) الجعل : ذكر الخنافس . والدحروجة : كرة يكورها منخرئه ، يدحرجها ويجرى وراءها .
(٢) منتوجة : والدة .
(٣) الأهزوجة : واحدة الأهازيج ، وهى نوع من نظم القريض يتغنى به .
(٤) الدعث : مصدر دعث أى دقق التراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد .
(٥) الغضى: شجرجزل ، ناره قوية . والرمث : شجر يشبه الغضى لايطول ، ولكن ينبسط ورقه .
(٦) الأنبيق : جهاز معروف يستعمل فى التقطير .
(٧) المطر الدث : الضعيف الخفيف .

دع اللَّومَ واسمع ما أقولُ فإننى قتلت طباع التَّيْمِسِيِّين بالبحث
كأنهم والناسَ عُثٌّ وصُوفَةٌ وهل يستقيم الصوف فى عَيْثة العُثِّ[1]
فكم حرثوا فى أرض مستعمراتهم مظالم سُودًا كن من أفظع الحَرْث
وكم أيقظوا والناس فى الدُّور نومٌ بهافتنًا كالدَّجْن يَهْمِى على الوَعْث[2]
وهم يأكلون الزُّبْدمن مُنتجاتها ويُلقون للأهلين منهنّ بالفَرْث[3]
فيَحْظوْن منها بالنفائس دونهم ويُعطونهم منها السَّقيط من الخُرْثِى[4]
زُرْ الهند إنْ رمت العِيان فكمْ ترَى
على الأرض من غُبْرٍ هناك ومن شُعْث

* * *

يقولون إنا عاملونَ لسعدكمْ ولم يعملوا غير الكوارث والكَرْث[5]
فكم بعثوا فى الشرق حربًا ذميمة تمثل فى أهوالها ساعة البعث
وكم أرسلوا دسًّا جواسيسَ مكرهمْ على الناس يشتدون بالنبش والنَّبْث
وهم سلبوا أرض العراق سمينها ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغثّ[6]
إذا ما رأيت القوم فى فخّ مكرهمْ رَققْتَ لهم تبكى على القوم أو ترثى
فلا ترجُ فى الدنيا وفاء لعهدهمْ فلا بد فى الأيام للعهد من نَكْثِ
وما الحكم إلا عندنا كمِطثَّة رمَوها إلينا كى يَروْا لعبة الطَّث[7]

(١) العث : حشرة تلحس الصوف .
(٢) الدجن : الغيم . الوعث : المكان السهل الكثير التراب ، تغيب فيه الأقدام .
(٣) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .
(٤) السقيط : سقط المتاع . والخرثى : أردأ متاع البيت .
(٥) كرثه الأمر كرثا : اشتد عليه .
(٦) الغث : المهزول ، وهو ضد السمين .
(٧) المطثة : لعبة الصبيان ، يرمون بخشبة مستديرة عريضة ، يدقق أحد رأسيها نحو القلة .

بين الانتداب والاستقلال

سَلِ الإنكليزىّ الذى لم يزل لهُ ... بِدَسْت وزير الداخلية مقعدُ[1]
أأنتَ وزيرٌ أم عميدُ وزارة ... نراكَ إليها كل يومَ تَرَدَّد
فها أنت مُلقاة إليـك أمورُنا ... تَحُلُّ لنا ما شئت منها وتعقِد
وتأخـذ منا راتباً كموظَّف ... وهذا لعمر الله أنـكَى وأنـكد
أنَحْمل منـك اليوم عِبْء تحكم ... وندفع فيه الأجرَ منا وتَنْقُدُ
وما شأن ذَيّاكَ السَّفير الذي له ... على الجانب الغربى قصرٌ مشيَّد
وكانت لكم من قبل فينا استشارة ... فزالت ولكن دام منكم تَرَصُّد
تبدلتمُ استقلالَنا بانتـدابكم ... ولـكنْ على وجه لنا هو مُعْبِد[2]
خلقتم لنا من كل عهد مموّه ... قيوداً بهـا استقلالنا يتقيَّد
إلى أن غدا استقلالنا ضُحكة الورَى ... به ساخر كل امرىء ومنَدِّد
وصار كسيف قاطع فى أكفكم ... يجرَّد للإرهاب طورا ويُغمَد
غررتمْ به الأغرار والله شاهد ... على أنه فى الحـكم لفظ مجرد[3]
وهل يستقل الشعبُ فى حكم نفسه ... إذا لم يكن فى حكمه يتفرّد
فـا هو إلا المَيْن فيكمْ أعانكمْ ... عليـه رجال خائنون وأيدوا
وماسكت الأحرار عن مُخْزِياتكم ... فكم أبرقوا غيظاً عليكم وأرعدوا
ولا تعجبوا أن يَمقُت الشعبُ دأبكم
فيظهر وهو السـاخط المتمرد
رُويداً فإن رمتم من الشعب وُدَّه ... فخلوا له الأمر الذى يتقَلد
وكونوا له عونا على ما يُهمّه ... يكن لـكم عونا على ما يُعدَّد
وإلا فأنتم ظالمون وإنما ... أخو الظلم مأخوذ بمـا يتعمَّد

(١) الدست : صدر البيت ، وعند المتأخرين ، الديوان ومجلس الوزارة والرياسة .
(٢) معبد : مذل . (٣) لفظ مجرد : أى خال من المعنى .

بنى وطنى

بنى وطني ماذا أؤمل بعـدَ ما ... تغشَّت سِعايات لـكم بالتجسُّسِ
أقول لمن قد لامنى فى تشدُّدى ... على كل تدليس آتى من مُدَلِّس
لو اسود وجه المرء من قُبح فعله ... لما كنت تلقى عندنا غير مُدْفِسِ (١)
ولو نال بالإخلاص مُثْرٍ ثراءه ... لمـا كنتَ تلقى بيننا غير مُفْلس
نحـــاول عزا بابتذال نفوسنا ... فَنَشْرِى خسيساً بالثمين المقدسِ
ومن جهلنا استكراهُنا فى معاشنا ... شقاء نزيها (٢) للنعيم المدنَّس
سأرحل عنكم للذى قد أقامنى ... على مُوحِش من أمركم غير مُؤْنِس
أَبَيْت لنفسى أن تحُلّ مكانة ... من العيش إلّا فوق عز مؤسَّس
ولو أن هذا الصبح كان انبلاجُهُ ... بغير شروق الشمس لم يتنفس
فــلا أبتغى بالذل عيشا مرفَّهاً ... ولو عشت فى العزَّى بفُول مُدَمَّس (٣)
وما أنا كابن العبد إذ عانق الرَّدَى ... لجدوى أبتها رغبـة المتلمِّس (٤)
إذا ابتسمتْ لى عفّتى ونزاهتى ... فلست أبالى بالزمان المعبِّس
أقابل أخـلاق الرجال بمثلها ... وأعرف منهم وَجْهَها بالتفرس
فأغوى لمن يغوِى وأقسو لمن قسا ... وأظهر كالغِطْريس للمتغطرِس
ولست أجازى المعتدِى باعتدائه ... ولـكن بصفح القادر المتحمِّس
وما أنا من أهل الدعارة والخنا ... ولا من أولى حمل السلاح المسدَّس
ولـكنَّ لى فيكم يراعا إذا شدا ... أتاكم بكاف من عُلاه ومُخرِس

(١) المدفس : الذى اسود وجهه من غير علة . (٢) كذا بخط الشاعر : يريد شقاء خالصا.

(٣) الفول المدمس : معروف فى مصر . واشتقاقه من دمس الشىء فى الأرض : إذا دفنه وخبأه ، وإنضاج الفول بدفنه على مستوقد الحمامات طريقة معروفة فى مصر .

(٤) ابن العبد : طرفة بن العبد البكرى الشاعر العربى الجاهلى المشهور ، والمتلمس : جرير بن عبد المسيح شاعر معروف ، ولهما قصة فى وفادتهما على عمرو بن هند ، ومنادمتهما أخاه قابوس (أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة) .

وما خالق الأكوان إلا المهندس
وإن جلّ عن تعريفه بالمهندس[1]

تجلى على أكوانه بصفاته
وأغلس فيهم كنهه كل مُغْلَس[2]

وأقبسهم نوراً شديداً جَلاؤه
فساروا به كالعُمْى فى كلِّ حِنْدس

وألبسهم حمر الغرائز فاغْتَنَوْا
بحمرتها عن كل ثوب مُوَرَّس[3]

وما مُقْبِس عند النهَى غيرُ قابس
ولا لابس عند النهى غيرُ مُلْبِس

فأيّان جال الطرف لم يرِ غيره
إذا كان فى ألحاظه غيرَ مُبْلِس[4]

حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى
حقيقته دع عنك حَدْس المحدّس

إلا أننى للكائنات موحد
ولو أرغمت كلُّ المذاهب مَعْطِسى[5]

يوم سنغافورة

أطالوا الحرب طاحنة زَبُونا
فعدوا بالشهور لها السّنينا

وقد زحفت لهم فيها جيوش
تجاوزت الألوف مع المئينا

لقد خربوا البلاد ودوخوها
وجُنّوا فى تناحرهم جنونا

ولم تُرد الشعوب لها اتقادا
فأوقد نارَها المُتَرَئّسونا

أولاك هم الجُناة بها علينا
أولاك هم البغاة الطامعونا

إذا ذكر الورى جَشَعا وحرصا
فشرشل أكبر المتجشّمينا

وما رُزْفِلْتُ فيها غير جانٍ
يُزَوِّر فى إطالتها المُيُونا[6]

أعان على الهِياج وقال حيدِى
حَيادِ فأعجب المتكذبينا[7]

(١) الأبيات من هنا إلى آخر القصيدة فى الفلسفة ، وليست من السياسة فى شىء .

(٢) أغلس : أبهم وأخفى .

(٣) حمر الغرائز : كذا بخطه ، ولعله يريد الغرائز المعجبة ، فان الحمرة شعار الحسن . والمورس : المصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .

(٤) المبلس : من الابلاس ، وهو الحيرة .

(٥) المعطس : الأنف .

(٦) يزور : يعد ويهيىء . والميون : جمع مين ، وهو الكذب .

(٧) الهياج : الحرب والشر . وحيدى حياد : كلمة يقولها الهارب من شىء يخافه .

فما دعواه فى الحَيَوَان إلا كدعوى العفة المتهتكونا
كذلك ساسة الأقوام فيما به عن رأيهم يتفوهونا
خداع لا يراه ذووه شَيْئًا ولا يعى به أحد مَشِينا

* * *

بسنغافورةَ اليابانُ شَبُّوا على أعدائهم حربًا طحونا
لهم فيها طوائر صاعقات لها قَصْف تدك به الحصونا
رواعدُ تملأُ الآفاق رعبا وترسل فى تَهزُّمها المَنُونا
تزلزلت الحصون بها وكانت تطاول فى مناعتها القرونا
حصون تستخف بكل طودٍ وتستعشى بروعتها العيونا[1]
لقد سكتت مدافعها وجوما لجيش حل مَرْصَفها الحصينا[2]
على بحر بلُجته أقاموا لغَلْق البحر من نار كُرينا
وقد بثوا البوارجَ فاسبطرتْ تجول به فَوارِدَ أو ثُبينا[3]
ترى الحياتِ فيه قد اشرأبتْ تردد فوقه نظرا شَفُونا[4]
وتطفو تارةً وتغوص أخرى وتبدى من تَماقُلِها فنونا[5]
وتضرب بالزعانف جانبيها فتنقلب الظهور بها بطونا[6]
بحيث يقول من يدنو إليها لعل بهنَّ صَرْعًا أو جنونا[7]

* * *

وبحر الهند أصبح فى اضطراب يُرجِّمُ فى عواقبه الظنونا[8]
أيُفتَح بابه فيكونَ حرا لمن يُزجِى بلجته السفينا

---

(١) تستخف : تهزأ ، والطود : الجبل العالى . وتستعشى : تنسبها إلى العشا ، وهو سوء البصر يريد أنها لشدة ارتفاعها لا تكاد تراها العيون . فكأنها صارت عشيا لا تبصر .
(٢) المرصف : رصيف الميناء . حيث ينزل المسافرون . وتفرغ السفن وتشحن .
(٣) اسبطرت : استطالت . وفوارد : مفردات ، وثبين : جماعات .
(٤) الشفون : النظر إلى الشىء نظر المتعجب منه .
(٥) يقال : تماقل الرجلان فى الماء : إذا تغاطا . (٦) الزعانف : أجنحة السمك .
(٧) كذا بخط الشاعر ، وفى نسخة أخرى بغير خطه : « بحيث يقول ثمة من يراها » .
(٨) يرجم الظنون : يرمى بالظنون على غير تثبت ، ودون نظر صحيح .

ويُمسِي الهندُ عنـدئذ طليقا | من الأثر الذى قطع الوَتينا[1]
فبُشرى للبلاد إذن وبشرى | لمصرٍ والعـراق بما هَوِينا[2]
فسوف تكف عنهن الليالى | مطامعَ ساسـةٍ متحكمينا

* * *

هنالك حفرة الأطماع يُمْسِى | خداعُ الإنكليز بهـا دفينا
وتحتـدم الحفائظ فى البرايا | فتُضرم فوق مَدفنـه أتُونا[3]
وتتسع السياسة للتصافى | فيستصفى الخدينُ بها الخدينا
ويصبح كل تمويه وغش | لأنظار البرية مستبينا
ويصبح كل خدّاع كذوب | رجيا فى سياسته لعينـا
ويصبح كل شعب مستقلا | عزيزا لن يذلَّ ولن يَهُونا[4]
ويمسى النـاس قاطبة سواء | بدين أخوّة متـدينينا
يُعاون بعضهم بعضا ويُؤْوِى | قويُّهم الضعيف المستكينا[5]
تسير بهم شرائعُ عادلات | إلى أوج السعادة مرتقينا
سواء لا يفرقهم لسان | ولا دين به يتعبدونا[6]
فما من سائد أو من مَسُود | ولا من دائن يُربى الديونا
ويصبح كل مُحْتَرَثٍ مُشَاعا | لمن فيه نَوَوا مُتَوَطِّنينا[7]
وما أهلُ البلاد سوى عيال | على العمل الذى هم يحسنونا[8]

---

(١) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٢) فى نسخة : « لمصر والعراق » .
(٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الغضب . والأتون : موضع النار .
(٤) فى نسخة : « كل قطر » فى موضع كل شعب .
(٥) فى نسخة : المستعبا وفى موضع ، المستكينا . (٦) فى نسخة جاء هذا البيت قبل سابقه .
(٧) جاء هذا البيت فى نسخة بغير خط الشاعر ، متقدما على موضع هذا بخمسة أبيات ، وبالرواية الآتية :

ويصبح كل مزدرع مشاعا | لمن هم أرضـه متوطنونا

والمحترث والمزدرع : موضع الحرث والزرع . والمشاع : الشائع بين الناس لا يختص به أحد . وثوى بالمكان : أقام وتوطن .
(٨) فى نسخة : « وليس بنو البلاد سوى عيال » . . . الخ

نحن والحالة العالمية

صاح إن الخُطوبَ فى غَلَيانِ فبماذا يُطَرِّق المَلَوان[1]
جلّ رب الأنام فى كل يوم هو من كبريائه فى شان
خالق الكون ذو الجلال قديم واحد عندهُ القرون ثوانى
كل ما ضمّ ملكهُ كلماتٌ وإليه انتهت جميع المعانى
نسمع اليوم للخطوب أزيزا كأزيز التدور فى الفوران
إننى مُبصرٌ تباشير صبح مستفيضٍ على ظلام الأمانى
ليس تلك الدماء فى الحرب إلا شفقا من ضيائه الأرجوانى
إننى أستشف من غِيَرَ الدهر انقلابا يَعُمّ كل مكان
سيلوح الدانى به وهو قاص ويلوح القاصى به وهو دان
ويكون المُعَزّ غير مُعَزّ ويكون المهان غير مُهان
وسيغدو الضعيف محترم الحق ويُمسى الظلوم فى خسران
والثريا ستعتلى فى أمان من عَداء العَيُّوق والدَّبَران[2]
وستبدو أم النجوم رَءوما يَتَدانَى من ثَوْرِها الفرقدان
يتجلى رب السماوات والأرض علينا بعدله والحنان
فيبوء « المستعمرون » بخسر وتضىء البلادُ بالعُمران

• • •

معشر العُرب أين أنتم من القوم إذا ما تم انقلاب الزمانْ
أنيامٌ والدهر يفتح فيكم من جَدِيدَيْه مقلَتَيْ يقظان
نقض القوم عهدكم قبل هذا واستخفوا بحفظه فى حَوانى[3]
واستهانوا بالوعد إذ أخلفوه واستغلوا دفائن الأوطان

(١) يطرق : أصل الطرق : الاتيان ليلا . ولم أجد فى المعاجم التطريق بهذا المعنى الذى يريده الشاعر . والملوان : الليل والنهار .

(٢) الثريا ، والعيوق ، والدبران : أسماء نجوم ، وكذلك الثور والفرقدان .

(٣) الحوانى : الضلوع ، جمع حانية .

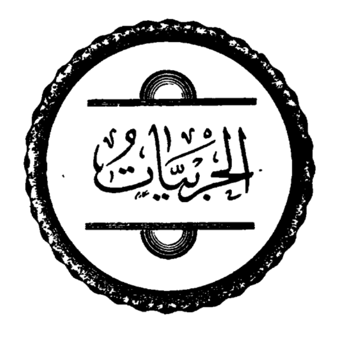
وأقاموا بهـا قواعد جوٍّ لاحتشاد الجنود والطيران
ثم بثوا بها العيون يَعيثو ن فسادا فى سُوحِها والمبانى(١)
ثم ساروا بحكمها سَير فُلْك هم بها آخذون بالسُّكَّان
كل هـذا وأنتمُ مستقلو ن بزَعْمٍ من عندهم وامتنان
قَيَّـدوكم لنفعهم بعهود ناطقات من أمركم باسان
أوثقوكم بها إسارا وقالوا ليس هذا لـكم سوى إحسان
ليس تلك العهود ياقومُ إلا كعهود الذئاب للحُملان
أفلا تذكرون فى أوَّليكم أنَفاً من مَسِيسهم بهوان
يوم ساروا والعز فيهم يماشى حزبهم بالمُشَطَّبِ الهندوانى(٢)
وتعالت راياتهم خافقـات فى جيوش عنّا لها الخافقان
فانهضوا اليوم مستجدّين مجداً كالذى كان دونه القمَران
إن للمجد فى المساعى مَحَلّا عاليا لا يُحله المتوانى

° ° °

قل لمن رام صَدْعَنا بشقاق أنت كالوعل ناطح الصَّفْوان(٣)
وَيكَ إن الإسلام أوجد فينا وحدة مثل وحدة الرحمن
فاعتصمنا منها بحبلٍ وثيق هو حبل الإخاء والإيمـان
ليس معنى توحيدنا الله فى الملّـة إلا اتحادنا فى الكيان
فلهذا نعم ! لهذا ، لهـذا نحن دِنّا بوحـدة الدَّيان
وحـدة لا يفُلّها المتوالى من صروف الدهور والأزمان
وحدة جاءنا من الله فيها مرسَل بالكتاب والفُرقان
فهدانا بها إلهٌ قـديم واحد ، عنده القرون ثوانى
مانرى سلطة علينا لخلق غير سلطان خالق الأكوان

---

(١) سوحها : جمع ساحة ، وهى الأرض الفضاء لا بناء به تكون بين الدور .
(٢) المشطب : السيف دو الشطب ، وهى الطرائق . والهندوانى : المنسوب إلى الهند .
(٣) الصفوان : الحجر الشديد الأملس .



وجدنا للرصافي عدة قصائد قالها في حروب مختلفة ، كحرب الطليان في طرابلس الغرب ، والحرب البلقانية ، وكالحرب العامة ، فرأينا أن نثبتها هنا على حدة ، تحت عنوان الحربيات .

إلى الحرب

ألا انهَضْ وشمِّرْ أيها الشرقُ للحربِ
وقبِّلْ غِرار السيف ، واسلُ هوَى الكُتْبِ (١)

ولا تغترِرْ أنْ قيلَ عصرُ تمدُّنٍ ... فانَّ الذى قالوه من أكذب الكِذْبِ (٢)
ألستَ تراهم بين مصرَ وتونسٍ ... أباحوا حِمَى الإسلام بالقتل والنهبِ
وما يؤخذ الطّليان بالذنب وحدهم ... ولكن جميعُ الغرْبِ يؤخذُ بالذنبِ (٣)
فإنى أرى الطليانَ منهمْ بمنزلٍ ... يُعدُّ « وهُمْ يُغرونهُ » منزلَ الكلبِ (٤)
فلو لاهُمُ لم يَنقُضِ العهدَ ناقضٌ ... ولا ضاع حقٌّ فى طرابُلُسِ الغربِ
بلاد غدت فى الحرب تندُبُ أهلها ... فتبكى وتستبكى بنى التُّركِ والعُرْبِ

قد اغتالها الطّليانُ وهْىَ بمضجعٍ
منَ الأمْنِ لم يقْضِضْ برعب على الجنْبِ (٥)

(١) شمر : فعل أمر من شمر الرجل تشميرا إذا مر جادا ، أو هو من شمر للأمر : إذا أراده. وغرار السيف : حده . والمراد من قوله « وقبل غرار السيف » : أى عول على السيف ، لأنه أصدق أنباء من الكتب .

(٢) قوله « أن قيل » : أى بأن قيل .

(٣) قوله جميع الغرب أى : جميع أمم الغرب .

(٤) أغرى الكلب بالصيد : أى حضه عليه وأرسله . والمعنى : أن منزلة الأمة الطليانية من سائر أمم الغرب ، كمنزلة الكلب من الصياد الذى يغريه ، ويحضه على الصيد . وتحرير المعنى : أن أهل الغرب لو لم يوافقوا الطليان على ما أرادوا ، لما هجموا علينا . وقد أوضح هذا المعنى بالبيت الذى بعده .

(٥) قوله « يقضض » يقال : أقض عليه المضجع يقض إقضاضا إذا خشن وتترب ، وتحقيق معنى قولهم أقض المضجع : أنه صار فيه القضض ، وهو فتات الحصى والتراب ، وإذا أقض المضجع امتنع النوم ، ومعنى البيت أن الطليان قد أخذوا طرابلس الغرب على غرة ، فهجموا عليها وهى نائمة فى مضجع الأمن ، الذى ما أقض على جنبها بالرعب . وتحرير المعنى : هى فى مضجع مدمث بالأمن لم يخشوشن بالرعب .

فما انتبهتْ إلّا لصرخة مِدْفَعٍ　　وما نهضتْ إلا إلى موقِف صَعْب
فأمستْ وأفواه المَدافع دونَها　　تمجُّ عليها النارَ كالوابلِ السَّكْب
صواعق من سُحب الدخان تدكّها　　وتَنسفها نسفَ الزلازل للهضْب
غدتْ تَرتمى فيها عَشيا و بُكْرةً　　فلا يابساً أبقت ولم تُبق من رَطْب
وما إن شكا من عَضّة الحربِ أهْلُها　　ولكنهم شاكون من عَضّة الجَدْب[1]
فما خفقتْ عند الهِياج قلوبُهمْ　　ولا أخذت أعصابَهُم رَجفة الرُّعب
ولكن جرتْ نُكْبُ الرياح بأرضِهم
فجرَّتْ عليها كَلكل الحِجَجِ الشُّهْبِ[2]

* * *

يَعِزّ علينا أهلَ بَرْقة أنكُمْ　　تدور عليكم بالدمار رَحَى الحرْب
وأنّا إذا ما تستغيثون لم نجدْ　　إليكم على بُعد المسافة من دَرْب
وقد عَلِمَ الأعداء أنّ سيوفَنا　　تَململُ فى الأغماد شوقا إلى الضرب
ولكن هو البحرُ الذى حال بيننا　　فلم نستطع زَحفاً على الضُّمَّر القُبِّ[3]
ولولاه فاجأنا العدوَّ بفَيلق　　يَبين ضُحًى من هوله مَطْلع الشُّهْب
فيابحرُ فاجمُدْ أو فَغُر إنّ جيشنا　　عليك غدا كالبحرِ يزْخَرَ بالعَتْب
ويا سُحْب هلّا تنزلين فتحملِى
إلى الحرب جيشا ينشر النقعَ كالسُّحب

(١) عضة الحرب : شدتها ، على المجاز . وكذلك عضة الجدب ، أى المحل . ويجوز أن تروى الثانية غصة ، بمعجمة فمهملة . يشير بهذا البيت إلى ما كان فى طرابلس الغرب من الجدب والقحط فى تلك الأيام . وقد أوضح هذا البيت بالبيتين اللذين بعده .

(٢) قوله « نكب الرياح » : جمع نكباء ، وهى الريح المائلة عن مهبها ، ونكب الرياح عندهم من دواعى الجدب والمحل . والحجج : جمع حجة ، وهى السنة . والشهب : جمع شهباء : يقال سنة شهباء ، أى مجدبة لا خضرة فيها .

(٣) الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل : القليل اللحم ، اللاحق البطن . والقب : جمع أقب ، وهو الدقيق الخصر من الخيل .

ويا ريحُ قد ضِقنا فهل لك طاقة ... بحمل منايانا إلى المعركِ الرَّحْب
إلى خير أرض داسها شرُّ مَعْشر ... بأرجُلِهمْ قُطِّعْنَ من أرجُلٍ جُرْب

* * *

أمَا والعُلَى يا أرضَ بَرْقة إننـا ... لَنَشْرَقُ مِن جرّاكِ بالبارِدِ العَذْبِ[1]
نراكِ على بُعـد نُسامين ذِلّة ... فيَحْزُننا أنْ لم نكنْ منكِ بالقُرْب
وما نحن إلّا الليث شُدَّتْ قيودُه ... وأُتِىَ حيًّا شبله فى فم الذِّئب[2]
يرى الشبلَ مأكولا فيزأر مُوثَقا ... ويضرب كفّيه على الأرض للوثب
فلا يستطيع الوثبَ إلا تمطِّيا ... وزأْرًا وإنشابَ المخالب بالتُرب
ويأهل بَنْغازِى سلام فقد قضَتْ ... صوارمُـكم حقَّ المَواطِن فى الذَّبّ
حَمَيتُمُ حِمى الأوطان بالموت دونَها ... وذاك بما فيكم لهنّ من الحب
ومن مُبْلِغٌ عنا السَّنُوسِىَّ أنّه ... يَمُدّ لهذا الصَّدْعِ منه يدَ الرأب
فإنا لنرجو أن يقود إلى الوغَى ... طلائع من خيل ومن إبلٍ نُجُب
فيحمى بلاد المسلمين من العِدَا ... ويَنهَض كشّافًا لهم غُمّةَ الخَطْب
فإنّ حشا الإسلام أصبح داميا ... إلى الله يشكو قلبُه شدّةَ الكَرْب
فقمْ أيها الشيخ السنوسىُّ مدركا ... جنودَ بنِى عثمان فى الجبل الغربى
وكن أنت بين الجند قطبَ رحَى الوَغَى
وهلْ مِن رحًى إلا تدور على قُطُب

* * *

ويا مَعْشرَ الطلْيـان قُبِّحتَ مَعْشرًا
ولا كنتَ يا شعبَ المخانيث من شَعْب
تركتَ وراء البحر مزْحف جيشنا ... وأجّجت نارا فى طَرَابُلسِ الغرْب

---

(١) من جراك بتشديد الراء : أى من أجلك .

(٢) بهذا البيت وما بعده ضرب الشاعر مثلا لحالة الأمة العربية تجاه حرب الطليان فى طرابلس الغرب ، فشبه حالتها بحالة الليث الذى وصفه فى الأبيات .

أتحسبُ هاتيكَ الديارَ وقدخَلَتْ ... من الجند تخلو من ضراغمةٍ غُلْب (١)

فما هى إلا أرض أكرمِ مَعْشَرٍ ... من العُرب لم تُنبت سوى البَطَل النَدْب

سترجع عنها بالفضيحة ناكصاً ... وتذكرك الأيامُ باللعنِ والسَّب

مَشَيتم إلينا مُعجبين بجمعكمْ ... تظنّون حربَ المسلمين من اللَّعِب

فلما حللتم أرضنا ذقتمُ الرَّدَى ... بأسيافنا حتى صحوتم من العُجْب

سَنُلبِسُكُم ثوبَ انهزامك ضافياً ... ونحملُكُمْ منها على مركَب صَعْب

ونستمطرُ الأهوال حتى نُخيضكم ... بسيل دمٍ فوق البسيطة مُنصبٍّ

وما دَعوة «البابا» لكمْ مستجابة ... فقد أغضَبت طغواكم غَيْرة الرَّبِّ

أجَلْ إنكم أغضبتم اللهَ فاتقوا ... و إن رضيت تلك الحُكُومات فى الغَرب

* * *

أيا زعماء الغرب هل من دلالة ... لديكم على غير الخديعة والكذْب

تقولون إن العصر عصرُ تمدّنٍ ... أمِن ذلكم قتل النفوس بلا ذنب

ألم تبصروا القتلى تمجّ دماءها ... على الأرض والجرحَى يئنّون فى الحرب

أفى الحق أم فى العلم ألّا يسوءَكم ... و يخجلَكُمْ شَنُّ الإغارة للغصْب

وهل أغلفت هذى العلوم قلوبَكمْ ... بأغطية قُدَّت من الحجَر الصُّلْب (٢)

كذبتم فإن العصر عصرُ مَطامعٍ ... تُقَدّ لها الأوداج بالصارم العَضْب

فلا تُغضِبوا الإسلام إن سيوفه ... مَواضٍ كما قد كنّ فى سالف الحُقْب (٣)

---

(١) الضراغمة : جمع الضرغام ، وهو الأسد . والغلب : جمع الأغلب ، وهو من صفات الأسد ، ومعناه الغليظ العنق .

(٢) أغلفت قلوبكم : أى جعلت لها غلافا . والأغطية : جمع غطاء . وقدت : أى قطعت واشتقت . وحاصل المعنى : ما بال هذه العلوم التى توصلتم بها إلى المدنية قد جعلت قلوبكم فى غلف من الحجارة ، حتى أصبحت غلفا لا تعى ولا ترق .

(٣) الحقب : أصله الحقب بضمتين ، ثم خففه الشاعر . ومعناه : الدهر .

فى طرابلس

هو النصرُ معقود برايتنا الحَمْرَا ... على أنه فى الحرب آيتنا الكبرى
حليفان من نصر مبين وراية ... به وبها نعلو على غيرنا قَدْرا
لئن أدبر «الطّلْيان» عند كِفاحنا ... فإن لهم فى بطش شجعاننا عُذْرا
فإنّا لقومٌ إن نهضنا لحادثٍ ... من الدهر أفزعنا بنهضتنا الدهرا
نَدُكّ هضابَ الأرض حتى نثيرها ... غباراً على أعدائنا يكثح الذعرا[(١)]
ونأكل مُرَّ الموت حتى كأننا ... نلوك به ما بين أضراسنا تمرا[(٢)]
فسَلْ جيش «كانيفا» بنا كيف قوّمتْ ... شِفارُ مواضينا خدودَهم الصُّعْرا[(٣)]
وكيف هزمناهمْ فولّوا كأننا ... وإياهُمُ أسدُ الشَّرَى تطْرُد الحُمْرَا
وكم قد نثرنا بالسيوف جماجما ... نظمنا بها فوق الثرى للعدا شِعْرا
وما جزعى للحرب يحمَى وطيسها ... ولكن لأرواح بها أُزهِقَتْ صبْرا[(٤)]

* * *

لكِ اللهُ يا قتلَى طرابُلسَ التى ... بها حكَّمَ الطّليان أسيافهم غَدْرا
أداموا بها قتل النفوس نكايةً ... إلى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهمْ ... فعاد الفضاء الرَّحْب فى عينه شبرا
تقهقر يبغى فى الديار تحصنا ... ففر بها من خشية الموت واستذرى[(٥)]

---

(١) يكثح الذعر : أى يسفيه ويذروه ، فيرميه عليهم .

(٢) نلوك : أى نمضغ ونعلك .

(٣) الصعر : جمع أصعر ، وهو ذو الصعر ، وهو الميل ، يقال : صعر خده إذا أماله عن النظر إلى الناس ، تهاونا وكبرا .

(٤) قوله « يحمى وطيسها » : أى تشتد . والوطيس : التنور ، ويطلق على المعركة ، وحمى الوطيس : كناية عن اشتداد الحرب . وقوله « أزهقت صبرا » : أى قتلت صبرا . يقال الرجل قتل صبرا : إذا شدت يداه ورجلاه ، وأمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه ، أو حبس حتى يقتل . يشير بهذا البيت إلى مافعله جند الطليان فى مدينة طرابلس ، من الفتك بأهلها الضعفاء .

(٥) استذرى : استتر واختبأ .

وأصبح يُنْكِي أهلها من تَغَيُّظٍ فيقتلهم صَبرا ويُرهِقُهم عُسرا[١]
فأوسعهم بالسيف ضَرْباً رقابهمْ وآنافهم جَدْعاً وأجوافَهُمْ بَقْرا[٢]
وما ضرّ « كانيفا » اللعينَ لوَ أنه تَقَحَّم في الهيجاء عَسكَرِنا المَجْرا[٣]
أيُحجِمُ عنا هارباً بعُلوجه ويَبغى بقتل الأبرياء له فخرا[٤]
وهل حسبُوا قتلَ النساء شجاعةً وقد تركوا عند الرجالِ لهم ثَأْرًا
لقد شَجُعوا والموت ليس له يد ولم يشجُعُوا والموت يَطعنُهمْ شَزْرَا[٥]
يعِزّ على أسيافنا اليومَ أنها تقارع قوماً قرعُهم بالعصا أحْرَى[٦]
ولم تك لولا الحربُ تعلو سيوفُنا رءوساً نرى مِلءَ القُحوف بها عُهْرًا[٧]
ومن مُبكِيات الدهر أو مضحكاته لدى الناس حُرٌّ لم يكن خصمه حُرّا

* * *

لَئِنْ «أيهاالقتلَى» أُريقتْ دماؤكم فما ذهبتْ عند العِدَا بعدَكم هَدْرا
سَنثأر حتى تسأمَ الحربُ ثأرنَا ونقتلُ عن كلِ امرىءٍ أنفساً عَشْرا
وإنى لتغشانى إذا ما ذكرتكم لواعجُ حُزْن ترتمى فى الحشا جَمْرا[٨]

---

(١) ينكى أهلها : أى يقهرهم بالقتل والجرح ويرهقهم عسرا : يكلفهم إياه .
(٢) أوسعهم ضربا : أى أكثر ضربهم ، فضربا : تمييز محول عن المفعول . وأصل الكلام : أوسع ضربهم ، أى أكثره ، ورقابهم بدل من الضمير ، بدل بعض من كل . وآنافهم جدعا : معطوف على ما قبله ، أى وأوسع آنافهم جدعا . والجدع : قطع الأنف . والبقر : شق البطن .
(٣) تقحم عسكرنا : أى هجم عليه ، وهو مأخوذ من تقحم الفرس النهر : إذا دخله ، ورمى نفسه فيه بشدة . والمجر : الكثير .
(٤) الاحجام : ضد الاقدام . والعلوج : جمع علج ، بكسر فسكون ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .
(٥) يطعنهم شزرا ، وهو الطعن من جانب اليمين أو الشمال .
(٦) قوله « قرعهم بالعصا أحرى » : أى ليسوا بأحرار ، بل هم عبيد وقد قيل :
العبـد يقرع بالعصا والحر تـكفيه الملامه
(٧) القحوف : جمع قحف ، وهو عظم الرأس المجوف . والعهر : الفجور .
(٨) اللواعج : جمع لاعج ، واللاعج من الحزن : الشديد منه المحرق .

على أنَّ قُرصَ الشمس عندغروبها ... يذكرنى تلك الدّماءَ إذا أحمرا

فأبكى تُجاه الغَرْب والبــدر لائح

من الشرق حتى أُبــكيَ الشمسَ والبَدْرا

ويأهل هاتيكَ الديارِ تحيــةً ... توفّيكم الشكرَ الذى يَرْأسَ الشكْرا

فقد قمتمُ للحرب دون بلادكم ... تذودون عن أحواضها البغىَ والنُّــكْرا

وثُرتُم أسودا فى الوَغَى يَعْرُبية ... غدا كل سيف فى براثنها ظُفْرا[1]

تراها لدى الحرب العَوَانِ مُشيحةً ... تُهمْهِمُ حتى تَنْطِقُ الفتْكةَ البكْرا[2]

ولو أنّ كفى تستطيع تناوُلها ... فتبلُغ فى إبعادها الأنجمَ الزُّهْرا

لرتّبْتُ منها فى السماء قصــيدةً ... لــكمْ واتخذت البدرَ فى رأسها طغْرا

وخلّدتها آيًا لــكم سَرْمَدِية ... مدائحها تستوعب الكون والدهرا

* * *

يقولون إن العصرَ عصرُ تمدن ... فما باله أمسى عن الحق مزورّا

إلى الله أشكو فى الورى جاهلية ... يَعُدّون فيها من تمدنهم عصرا

أتتنا بثوب العلم تمشى تبخترا ... إلى الخير لــكن قد تأبَّطَتْ الشرّا

فلا تلتمظ فى مدحها مُتَمَطِّقاً ... فإن أظهرتْ حُلوا فقد أبطنت مُرّا

لقد مَلكَ الإفرنج أرض مَرّاكُشٍ ... وقد ملــكوا من قبلها تونِس الخضرا

---

(١) البراثن : جمع برثن ، وهو من السبع بمنزلة الاصبع من الانسان .

مشيحة : أى جادة ، أو مقبلة على الحرب ، مانعة لما وراء ظهرها ، وتهمهم : أى تردد زئيرا فى صدورها . يقال همهم الأسد : إذا سمعت له دويا . والفتكة البكر : التى لم تسبق بمثلها .

(٢) قوله « فلا تلتمظ » : الالتماظ كالتلمظ ، تتبع الطعم والتذوق . وقوله متمطقا : من التمطق وهو أن يصوت الآكل باللسان والغار الأعلى ، وذلك عند استطابته المأكول ، فيلصق لسانه بنطع فيه مع صوت .

ففاجأنا الطّليان من بعد ملكهم ... لكى يسلبونا فى طرابلس الأمرا
وقالوا ألم تأت الفرنجة تونساً ... وهذى جيوش الإنكليز أتت مصْرا
فخلّوا لنا ما بين هذى وهذه ... وإلا قسرناكم على تركها قسْرا
فقلنا لهم إنّا أحقّ بملكها ... فقالوا: ولكن زنْد قوّتنا أورى
أهذا هو العصر الذى يدعونه ... فسُحْقا له سحْقا ودفْرا له دفْرا(١)

أدرنة (٢)

أدرنةُ مهْلًا فإنّ الظّبى ... سترعى لك العهد والموْثقا
وداعًا لمغناك زاهى الرُّبا ... ودَاعًا ولكن إلى الملْتقى

* * *

عزاءً لمسجدك الجامع ... أفارق محرابُهُ المنْبرا
وهل فى مصلّاه من راكع ... يجيب المؤذّن إنْ كبّرا
فيا لَسقوطك من فاجع ... به فجع الدهرُ أمّ القرى(٣)
وقبرَ النبوّة فى يثْربا ... ومثْوَى ضجيعيه مثوَى التقى
ومن فى البقيع ومَنْ فى قبا ... ومن شهدوا الفتْح والخندقا(٤)

* * *

روَيدًا أدرنة لاتجزعى ... وإنْ قد أمضّك هذا الأذى(٥)

(١) سحقا له: أى بعدا. ودفرا له: أى نتنا.

(٢) هذه القصيدة قالها الرصافى لما سقطت «أدرنة»، وأخذها البلغار، وذلك فى الحرب البلقانية العثمانية.

(٣) قوله يالسقوطك: النداء هنا للتعجب، واللام فيه مفتوحة كلام المستغاث، ولا مانع من جعل النداء للاستغاثة، وحينئذ تكسر لامه على أن تكون لام المستغاث لأجله، والمستغاث محذوف.

(٤) البقيع: مقبرة بالمدينة المنورة، دفن فيها كثير من الصحابة، ومنهم عثمان بن عفان. وقبا: موضع قرب المدينة نزل به النبى صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر إليها، وبنى فيه مسجدا يعرف بمسجد قباء، وقوله ومن شهدوا الفتح: أراد بالفتح فتح مكة. وبالخندق، يوم الخندق فى المدينة، وهو يوم مشهور.

(٥) رويدا: أى مهلا. وأمضك: أى أوجعك وآلمك.

إذا أنتِ بالسيف لم تُرجَعى فلا حبَّذاَ العيشُ لاحبَّذا
ألا أنتِ « ألزاسُنا » فاسمعِى ونحن الفرَنسيس مِنْ بَعْد ذا[١]
سلامٌ على قُطرِك المُجتَبى سلام على أفقِك المُنتقَى
أيُمْسِى لسِرْبِك العِدا مَلْعَبا وكان لتوحيدنا مَعبقَا

* * *

لقد حلَّ فيها لواء مُريبْ حلولَ الحقارة بين الجلالْ[٢]
فظلَّتْ بأدمعها والنحيبْ تنوحُ على مجدها والهلالْ
أنَنْسَى أذرنةَ عما قريبْ إذن لا بلغنا العُلَى والكمالْ
فسوف على الرغم من أورُبَا نقوم لها فَيلقا فَيلقا
فتبكِي هَزاهِزُنا المَغربا وتُضْحك أسيافُنا المَشرِقا[٣]

* * *

أرى الدهر أنهض كلَّ العدا على حينَ قد قعدَ المسلمونْ
فكمْ جرّعونا كئوس الرَّدَى ونحن على كيدهم صابرون
أيحسُنُ ياقومُ أن نقعُدَا وقدْ آن أن يَنهض القاعدونْ
فَسيلُ المصائب غَطَّي الزُّبَى وغَيمُ النوائب قد طبَّقا[٤]
وأوشَكتِ الأرض أنْ تَقلَبا وصُبحُ القيامةِ أن يفلِقا

* * *

دع الغربَ يَنعم فى بالهِ وإنْ لقىَ الشرقُ منه الكُروبْ
ولا تسألنْه بأفعالهِ فعهدُ التمدنَّ عهد كذوبْ
فنحن اغتررنا بأقوالهِ ولكنَّنا بعدَ هذى الحروبْ

(١) « ألزاس » : مقاطعة من بلاد فرنسة ، كانت قبل الحرب عند الألمان . يقول يخاطب أدرنة : أنت ألزاسنا ، أى أنت عندنا بمنزلة الألزاس عند الفرنسيين ، لا ننساك كما لم ينسوها .

(٢) لواء مريب : أى مقلق ومزعج .

(٣) هزاهزنا : أى وقائعنا وحروبنا .

(٤) قوله « فسيل المصائب غطى الزبى » : أى اشتد الأمر ، حتى انتهى الى غاية بعيدة . والزبى ، بالزاى المعجمة ، كالربى بالراء المهملة : وزنا ومعنى .

سنأبى عليه أشــدَّ الإبا فإما الفَناء وإما البقـا
ونركبُ من عزمنا مَرْكبا ونرقَى وإنْ صَعُب المـرتقَى

* * *

لقد آنَ يا قومُ تركُ الوَنَى وتركُ الشِّقاق وتركُ الدَّدِ[١]
إلى كم نكابد هذا العَنا ونخبُط فى جهلنا الأسود
وبالعـلمُ من قبل نِلْنا المنى وفزنا من العيش بالأرغد
ولكنما العلمُ قـد غرَّبا فلا عيش إلا إذا شرّقا
فهبُّوا إليـه هبوب الصَّبا عسى أن يَسُحَّ ويغدَوْدِقا

الجيش بقائده[٢]

أو هزيمة « لولا برُغاز »

يامَوْطنا ما انتضيناها مُهنَّدةً إلّا لردع الأعادى عن إهانته
ولا ركبنا مَنايانا مُطَهَّمَةً إلّا لنكسِب عِزاً من صيانته
سَقيا ورعيا لروض منك ذى أنَقٍ
قد كادت الحربُ تُذْوِى غصنَ بانته[٣]
تالله لم ينكسر فى الحرب عَسكرنا من أجل قِلَّته أو من جَبانته
وكيف وهو تفوقُ الطَّيْسَ كثرتُه وتستعيرُ الرَّواسى من رَزانته[٤]

---

(١) الدد : اللهو واللعب .

(٢) قال الرصافى هذه القصيدة لما انكسر الجيش العثمانى فى معركة « لولا برغاز » وذلك فى الحرب البلقانية العثمانية ، وكان قائد الجيش العثمانى إذ ذاك ناظم باشا ، الذى قتله الاتحاديون فى الآستانة .

(٣) قوله « ذى أنق » بفتحتين : أى ذى نبات حسن معجب . وهو فى الأصل مصدر ، فسمى به النبات المذكور . وتذوى : تذبل .

(٤) الطيس : كل ما فى وجه الأرض من التراب والقمام ، والكثير من الرمل وغيره . والمراد به هنا مجرد الكثير .

لكنَّ قائده ما كان يَمأَنه ... ولا يبالى بأمر من مَعانته[1]
حتى لقد نفِدتْ فى الحرب عِينته ... بحيث لم يبق سهم فى كِنانته[2]
فظل يرسُف فى النيران مُرتبكا ... مستفرغاً كل جُهــدٍ من متانته[3]
حتى غــدا جُلُّه للنار مأكلةً ... وما تزحزح شِــبرا عن مكانته
ولا استكانَ لهول الحرب من فَرَقٍ ... بل كان يَفرَق من هَول استكانته[4]
فخاض غَمرَ المنايا صابرا وأبى ... على الفِرار انغمارا فى مَهانته
ليس الفرار لجند المسلمين ألا ... إنَّ الفرار لــكُفر فى ديانتــه
وكيف يَغلِب جَيش كان قائدُه ... يَحُفُّه بجيوش من خِيانتــه
فالجيش تلتهمُ النيرانُ أنفُسَه ... وقائد الجيش لاهٍ فى مَجانته[5]
أقام فى القَصْف والأجناد طاوية ... مُعاقِرا بهنــاء بنتَ حانته[6]
صَبْحَان غَبقانَ فى أقصى مُعَسكَرِه ... مُحرَورقا بين رَهْط من بِطَانته
تلقاه من بين ذاك الرَّهْط فى مَرَح ... كأنه الجأبُ ينزو بين عانته[7]
لَهفِى على الجيش جيش المسلمينَ فقد ... قضى ولم يقضِ شيئا من لُبانته

---

(١) قوله « ما كان يمأنه » أى ما كان يقوته . يقال مأن القوم يمأنهم مأنا : إذا احتمل مئونتهم أى قوتهم . والمعانة : العون كالمعونة .

(٢) قوله « نفدت عينته » العينة بالكسر : مادة الحرب ، وهى ما تسميه العامة اليوم بالمهمات الحربية .

(٣) يرسف : أى يمشى متثاقلا مشى المقيد . وقوله « فى النيران مرتبكا » : أى ناشبا فيها مضطربا .

(٤) استكان : ذل وخضع . « ومن فرق » بفتحتين : من خوف . ومعنى البيت أنه ما ذل ولا خضع لهول الحرب ، بل كان يرى الاستكانة لذلك هولا ، فهو يخاف من هذا الهول لا من هول الحرب .

(٥) فى مجانته : أى فى لهوه ولعبه .

(٦) أقام فى القصف : أى فى الأكل والشرب واللهو .

(٧) الجأب : الفحل الغليظ من حمر الوحش ، والعانة : القطيع من حمر الوحش .

الوطن والجهاد (١)

يا قومُ إنَّ العِدا قــد هاجموا الوَطَنا
فانضُوا الصوارمَ واحمُوا الأهل والسَّكَنا (٢)

واستنفِروا لعــدوّ الله كُلَّ فتًى ممن نأى فى أقاصى أرضكم ودَنا
واستنهِضُوا من بنى الإسلام قاطبةً من يَسْكُنِ البدوَ والأرياف والمُدُنا
واستقتلوا فى سبيل الذود عن وَطَنٍ به تقيمون دِين الله والسُّنَنا
واستلئموا للعِدَا بالصبر واتخذوا صدق العزائم فى تدميرهم جُنَنا (٣)

واستنــكِفوا فى الوغَى أن تَلْبَسُوا أبَدًا
عارَ الهزيمة حتى تَلْبَسُوا الكَفَنا

إن لم تموتوا كِراما فى مواطنـكم مُتُّمْ أذلّاء فيهــا مِيتةَ الجُبَنا
لاعُذر للمسلمين اليومَ إن وَهَنُوا فى هَوْشة ذلّ فيها كل من وَهَنا (٤)
ولا حياة لهم من بعدُ إن جَبُنوا كلاَّ وأىّ حيــاةٍ للذى جَبُنا
عار على المسلمين اليوم أنّهم لم ينقِذوا مصر أو لم ينقذوا عَدَنا

* * *

قلْ للحُسَيْنَيْنِ فى مصرٍ رُوَيْدَ كما قد خنتما اللهَ ولإسلامَ والوطنا (٥)
شايعتما الإنكليزَ اليومَ عن سَفَهٍ تالله ما كان هذا منكما حَسَنا
قد بِعتما الدينَ بالدنيــا مُجازفةً فــكنتما فى البرايا شَرَّ من غُبِنا

---

(١) قال الرصافى هذه القصيدة عند دخول الدولة العثمانية فى الحرب العامة الكبرى يستنهض المسلمين إلى الجهاد فى سبيل الذود عن الوطن .

(٢) السكن ، بالتحريك : كل ما يسكن إليه وفيه ، ويستأنس به .

(٣) استلئموا : تدرعوا . وقوله : « جننا » جمع جنة ، بالضم ، وهى كل ما وقى من سلاح .

(٤) فى هوشة : الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب . وأراد بها الحرب العامة .

(٥) يعنى بالحسينين : حسين كامل ووزيره حسين رشدى .

لاتفرحا بالوسامين اللذين هما ... طَوْقا إسارة مِصْرٍ فيكما اقترنا(١)
قد مثَّلا منكما للناس قاطبةً ... مجلا أضلَّ الورَى من قبلُ أو وَثَنا
ما ازدان صدراكما شيئا بحملهما ... بل أصبحا فى كلا صدريكما دَرَنا
إن الحميةَ لم تنظر بمقلتها ... إلى وساميكما إلا بكَتْ حَزَنا
ما كان أغلاهما إذ قد غدتْ لهما ... خزائن النيل فى أيدى العدا ثمنا
ستندمان ولا يُجديكما أبدًا ... أن تَقرعا السن أو أن تقبضَا الذقَنا
هذى جيوش بنى التوحيد زاحفةً ... على العدا وعلى من ضلَّ مفتتنا
لترسِلنَّ عليكم كل راعدةٍ ... تَهمِى الدماء وتمريها ظُبَى وقَنَا
حتى تعودَ إلى مصر كرامتها ... ويَطهُرَ النيل من ماء به أجِنا

* * *

لازلتَ يا وطن الإسلام منتصرا ... بالجيش يزحف من أبنائك الأمَنَا
يرد عنك يدَ الأعداء خاسرةً ... ويكشف الغمَّ عن أُفْقَيك والمِحنا
سعدَ بْكَ من وطن جلّت مفاخرُه ... عن الزوال فلا تخشى بِلَى وفَنَا
تالله إنّ معاليكَ التى سَلَفتْ ... تُعيِى الفصاحة والتبيانَ والَّسنا
كم قد أقمتَ على الأيام من شَرَف ... لنا وأنبتَّ من نَبْع العُلَى غُصُنا
إنّا نحبّك حبًّا لا انتهاء له ... يستغرق الأرضَ والأكوان والزمَنَا
نفديك منّا بأرواح مطهَّرة ... أخلصن لله فيك السر والعَلَنَا
إذا دهتْك من الأيام داهيةٌ ... فلا رعى الله عَينا تألفُ الوَسَنا
وإن فُتِنتَ بإحدى المزعجات نُرِق ... منّا الدماء إلى أنْ نُخْمِد الفِتَنا
فقَرَّ عينا وطِبْ نفسا وعش أبدا ... وفُز بما شئت من حمْدٍ وطيبِ ثنا

---

(١) يشير إلى الوسامين الذين أهدتهما الحكومة الانكليزية إذ ذاك إلى حسين كامل وحسين رشدى .

ورُبَّ مُستصْحَبٍ لى قال يخبرنى إنَّ العدوَّ إلى أرض العراق دَنا
فقلت : دعْ عنك هذا ، إنه خبر سِواه يبعث فى أحشائىَ الشَّجَنَا
إن صحَّ أنّ العدوَّ اليوم مقترب إلى العراق فقد أكدى وقد أفِنَا[1]
إن العراقَ لعمرُ الله مَسْبَعة تَواثبُ الأسدُ فيه من هُنا وهُنَا
دون الوصول إليه كلُّ مُشْعِلةٍ شَعواء تترك وجه الشمس مكتمنَا[2]
فإن فيــه رجالا من بنى مُضَرٍ إذا تحاربُ لاتستشفــع المُدُنا
قوم لِقاحٌ أبَوا أن يخضعوا أبداً إلى المــلوك وإن أعطَوْهم المُؤَنا[3]
تحمَّلوا كل عبء فى حياتهم إلّا الصَّغارَ وإلّا الضيمَ والمِننَا
لوْ أن أمَّاتِهم منَّتْ على أحدٍ منهم بألبانها لم يشربوا اللّبَنا
هم المغــاوير إن صالوا بملحمَة فلا يَرَوْن لهم غيرَ المنون مُنَى
بَنَوا فأعلَوا بناء المجد فارتفعوا به على كل من قد شاده وبَنَى
فكيف تقعد عن حرب العدا فئةٌ أبتْ سِوَى العز مأوًى والعُلى وُكَنا[4]

(١) أكدى : أخفق ، ولم يظفر بحاجته . وأفن : ضعف رأيه وطاش .

(٢) مشعلة : بصيغة اسم الفاعل : صفة لموصوف محذوف أى غارة مشعلة ، وهى الغارة المتفرقة التى تنصب من كل أوب ، وكذلك قوله شعواء : أى متفرقة . والمكتمن : المختفى .

(٣) قوم لقاح : أى لايدينون للملوك ، أو لم يصبهم سباء ، فقوله « أبو أن يخضعوا » الخ : بمنزلة التفسير لقوله قوم لقاح .

(٤) قوله والعلى وكنا : أى وأبت سوى العلى وكنا ، وهى جمع كنة ، وهى مأوى الطائر . والمراد بها هنا المأوى مطلقا .

رؤياى الصادقة

حيّاكمُ اللهُ أيها العربُ فاستمعوا لى قصّتى عَجَبُ
قــد بتّها ليــلةً مُطوّلة يعقِد جفنى بنجمها الوَصَبُ(١)
أنجمها الزُّهرُ غيرُ سائرة كأنما كلُّ نجمة قُطُبُ
تحسبنى فى مضاجعى حَسَكٌ يقلبنى وخــزهُ فأنقلِب(٢)
أمشى إلى النوم وهو منهزمٌ مشيَ دبيبٍ ومشيه خَبَب
حتى بدا الفجرُ لى وقد طفقت تغرق فى فيض نوره الشُّهُب
عندئذ خــدّر الأسى عَصَبى فنمتُ والنومُ جرّه التعَب
فطافَ بى طائف لروْعته يرتجف القلبُ وهو مُرتعِب
رأيتُنى قائما على نَشَزٍ من ساحل البحر وهو مُضْطَرِب(٣)
والأفْق محمــرّة جوانبُــه كأنما الجوّ مِلؤه لَهَب
وفى عنان السماء قد طلعتْ أهــلّة فى إزائها صُلُب
والأرض قد بُعثِرت ضرائحُها مكشوفةً لا تغمُّهـا التُرَب
والموت كالكبش فى جوانبها يرعَى نفوسا كأنها عُشُب
وبين تلك القبور غانيــةٌ يلمع فى حُرٍّ وجهها الحسَب(٤)
لهـا جبين كأنه قمر تحت شعور كأنهـا الذهَب
ووجنةٌ باللِّطام دامية وساعدٌ بالدّماء مختضَب
قد أذبل الجوعُ وَرْد وَجنتها فاصفرّ وامتصّ ماءه اللّغَب(٥)
شاخصة الطرف وهىَ جاثيةٌ تحملُها دون سوقِها الرُكبُ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

(٢) الحسك بالتحريك : عشبة شوكها مدحرج . والمراد به هنا مطلق الشوك . وقوله « فى مضاجعى » خبر مقدم . وحسك : مبتدأ مؤخر . والجملة : مفعول ثان لتحسبنى .

(٣) النشز ، بالتحريك : المكان المرتفع .

(٤) حر الوجه : ما بدا من وجنتيه أو ما أقبل عليك منه . (٥) اللغب ، بفتحتين أشد الاعياء .

حاسرةُ الرأسِ غيرُ ناطقةٍ — إلّا بدمعٍ لسانُه ذَرِبُ (١)
فلحظها فوق رأسها صُعُدٌ — ودمعُها تحت رِجلها صَبَبُ
مكتوفة الساعدين منكسرٌ — من حَزَنٍ طَرْفها ومُكتئبُ
قد وتَدوا القيدَ فى مُخَلْخَلِها — ومدّدوه كأنهُ طُنُبُ (٢)
ترى خدوشاً على مُقَلَّدها — كأنها فى صفيحةٍ شُطَبُ (٣)
وحولها أنفس مُضَرّعة — يَسْرَح فيها ويمرَح العَطَبُ
واحتوشتها كلاب مَجْزرة — مُهْتَرِشات يَهيجها الكَلَبُ (٤)
تنهشها تارة وآونةً — تنبحُ من حولها وتصطخبُ
وفوقها الطيرُ وهى حائمة — تبعُد من رأسها وتقترب
بيض المناقير ذات أجنحةٍ — خُضْرٍ وريش كأنه العُطُبُ (٥)
يَقدُمُها طائر قوادمُه — تلمع كالبرق حين يَلْتهب
تضطرب الأرض والسماء له — إذا غدا بالجناحِ يضطرب
وقفتُ أرنو إلى ملامحها — ووجهها بالدموع مُنْتقب
حتى تعلّمتُ أنَّ سَحْنَتَها — للعَرب الأكرمين تنتسب (٦)
وبينما كنت ممعناً نظرى — فيها وقلبى كقلبها يَجب
إذ هاتف فى السماء يهتِف بى — كأنه فى الغَمام محتجِب
يقول لى إنها «طرابُلس» — تبكى على أهلها وتنتحِب
وهذه الطير حيث تبصرها — محمد والصَّحابة النُّجُب
فتلك رؤياى غير كاذبة — فهل تُغيثون أيها العرَب

---

(١) ذرب ، بفتح فكسر : أى حديد ، يقال : هو ذرب اللسان : أى حديده .

(٢) وقد وتدوا : أى ثبتوا . ويجوز أن يقرأ بتشديد التاء أيضا .

(٣) الصفحة : السيف العريض ، والشطب : جمع شطبة ، كطلحة ، وهى طريقة السيف فى متنه .

(٤) قوله « واحتوشتها » : أى أحاطت بها ، فجعلتها فى وسطها ، والمجزرة : موضع اجترار الجزور ، ومهترشات : متواثبات ، متحرشا بعضها على بعض .

(٥) العطب ، بضمتين ، وبضم فسكون : القطن . (٦) السحنة ، بفتح السين : الهيئة واللون .

يا شيخَ روما ومن لرايته وتاجِــــه يُنْتَمى ويُنْتَسب
لست ولا قومُك اللئام بمَن تُعرف أمٌّ لمثلهم وأبُ
وإنما أنتمُ بنـــو زمن إذا ذكرناه تخجلُ الحِقَب
برومةٍ قبـــلُ وهى مَبْلولة بالكُم الدهرُ وهو مغترب
فعشتُمُ فى الورى سَواسيةً لا حسَب عندكم ولا أدَب(١)
ما أوقد الدهر نار مُخْـزية إلا وأنتم لنـارها حَطَب
أغسِـل شعرى إذا هجوتكم لأنه من هجـائكم جُنُب

أنشودة الحرب

نحن للحرب العوانِ ولإدراك الأمـــانِى
لا نعُدّ العُرْس إلا يوم ضرب وطعانِ
يوم نحسو من دمِ الْ أعـداء لا بنتِ الدِّنانِ
ما صليلُ السيف إلا عندنا صوت المَثانى
شفَّنا الحبّ لبيض الـــهند لا البيضِ الحِسان(٢)
نشتهى غمغمة الأبـــطال لا عَزْف القِيان(٣)
نحن لا نفخـــر إلا بلسان من سِـــنان
شِيَمٌ ينظر مِن تَحْـــتُ إليهـــا الفرقدانِ
وبها قد شهد النجـــم لنـــا والقَمَران
سلْ بنـا كل زمانٍ سَلْ بنـا كل مكان
هل بنينا المجـدَ إلا بالحســـام الهُنْـدوانى

(١) سواسية : أى متساوين فى الخسة واللؤم .
(٢) شفنا الحب : أى هزلنا وأوهننا .
(٣) غمغمة الأبطال : أصواتها عند القتال . والعزف : الصوت فى الغناء . والقيان : جمع قينة وهى الجارية المغنية .

كم جلونا غُمَّة الهيجاء ذات المَعْمَعَان (١)
بسيوف أضحكت فى الرَّوع وجه الحدَثان
وكماة ثبتتْ حيثُ تزلُّ القَدمَان
كل رَحب الباع صعْب الملتقى ثبتِ الجَنان
رابطِ الجأش وقور النفس جوَّال العِنان
حيث شخص الموت فى المأزق بادٍ للعِيان (٢)

• • •

يا عُلوج الضَّرب والبُذْغار أولادَ الزوانى
لم يكنْ إبعادكم بالحرب غيرَ الهذيان
إنما الحرب لدينا من تَمام الحَيوان (٣)
فاتركوا الإيعاد يا أبْناء حمراء العِجان (٤)
ودعوا الحرب فليس الحرب من شأن الجبَان
وتزيَّوْا يا مخانيث بأزياء الغَوانى
إنما أنتم تيوسٌ أُولِعَتْ بالنَّزَوان
سوف تُرْمَوْن من الرّعب بداء اليَرَقان
وستُدْمُون بقرع السنّ أطرافَ البَنان
وتذوقون من الموت الزُّؤام الأُرْجُوانى
حين تلقونَ أسودًا طافحاتِ الهَيَجان
ذاتَ بأس يترك الصخر قرينَ الذَّوَبان

(١) ذات المعمان : أى ذات الحر الشديد .
(٢) المأزق ، كمجلس : موضع الحرب .
(٣) قوله « من تمام الحيوان » : أى من تمام الحياة .
(٤) قوله « يا أبناء حمراء العجان » : أى يا أعاجم ، يقال : يابن حمراء العجان . أى يا أعجمى ؛ وهى كلمة شتم ، كانت تجرى على ألسنة العرب . وفى حديث على أن أعجميا عارضه فقال « اسكت يا بن حمراء العجان .

وزئيرٍ تأخذ الأر ض له بالرَّجفان
وقلوبٌ طبعتْ من حِدّة السيف اليماني
جَهلت في غير ما الرا ية معنى الخفقان
إنما نحن كرام عِزّنا غيرُ مُهان [1]
نتفانى في سبيل الذّ ودْ عن هذي المغاني
نشترى الموت بنقد الر وح في الحربْ العَوان
إذ نقيم الموت مِعْرا جًا إلى أعلى الجِنان
سوف نكسو الحرب ثوباً لونه أحمرُ قان
فتكون الأرض منها وردةً مثلَ الدِّهان [2]
قد أظلّتها سماء من شُواظ ودُخان
ترسلُ الموت عليكمْ في شآبيب الهَوان
فيقيم الذلُّ فيكمْ مُلقيًا كُلَّ جران [3]

(١) أي أن هذه القلوب لا تخفق من الخوف ، فهي تجهل معنى الخفقان ، ولا تعرفه يكون إلا في راياتها في الحرب .
(٢) وردة : أي وحمراء . الدهان : الأديم الأحمر .
(٣) الجران : من البعير مقدم عنقه ، من مذبحه إلى منحره ، ومعنى كونه ملقيا كل جران : كونه ثابتا مقيما .

الشيطان والطليان

قالها بمناسبة دخول إيطاليا فى الحرب العامة

رأيت إبليسَ عـدوَّ البشَرْ يخطب فى جمع له قد حَضَر
قد لبسَ الوشْىَ على قبحه وخضَّبَ الشيب وقَصَّ الشَّعَر
وهـو يهنِّى حـزبَه قائلاً يا مَن عصى الله ومن قد كَفَر
اليومَ قد طابت لنا لعنةٌ جاءت من الله بحكم القدَر
واليومَ قد هان الخلود الذى قدَّره الله لنـا فى سَقَر
إذ أمّة الطَّلْيان قد أصبحت أكبر مَن خان ومن قد غدَر
زلّتْ إلى العـار بها زلّةٌ شنعاء لا تُمحَى ولا تُغتفَر
فهْى التى هان بكفرانها كفران من زاغ وأبدى البطَر
لو ألقىَ الصخر بمخزاتها لانفتّ من فرْط الحيا وانفطر
ولو أصاب البحرَ من عارها لغار منـــه ماؤه وانحسر

* * *

نحن الشياطين على أننـا جئنا من اللؤم بإحدى الكُبَر
صِرْنا إلى جنب بنى رومة نَنْفُر من نافرنا وافتخر
فلا نبالى اليـوم من لامنا فى رفضنا آدم أو من عَذَر
إذ فى بنى رُومة عُذر لنـا يستسلم السمـعُ له والبصر
فهمْ على الله لنــا حُجّةٌ فى أننـا أفضل هذا البشر
وأنّ يوماً نقضوا عهدهم فيه ليوم خِزْيه مبتكر
فلنتخذه خير عيـدٍ لنا نذكر فيه فوزنا والظفر
ولْنجعلنه يومَ أفراحنـا نجنى به الأنس ونقضى الوطَر

* * *

ثم انثنى الشيخ أبو مُرَّة ... يرقُص فيما بين تلك الزُّمَر
حتى إذا أكمل أشواطه ... رنا إليهم وأحدَّ النَّظَر
ثم دعا من بينهم واحدا ... مُشَوَّهَ الوجه كثيرَ القَذَر
وقال يا « خَنْزَبُ » بادر إلى ... رُومة وأدخلها قُبيلَ السحر
واذهب إلى « عمَانويلَ » الذى ... دبَّ البِلَى فى مَجْده فاندثر
وقل له إن أبا مُرّةٍ ... أخاك يدعوك إلى المستقَر
فإن يقل أين ؟ فقل : إنه ... فى دَرَكَةٍ سافلة من سَقَر
مقعد خزى كتبوا حوله ... بأحرف النيران : أين المفرّ ؟



وتشمل بعض قصار القصائد

قصر الحمراء

قِفْ على الحمراء وانْدُبْ مُضَرَ الحمراء فيهِ [1]
واسألْ البنيانَ يُنْبِئْــك بأنباء ذَويه
ويُحدِّثْك حديثَ الـــمجدِ والعيش الرَّفيه
بكلامٍ مُحزِن الهـــجة يُبكى من يَعيه
فيقول القلبُ آهاً وتقول الأُذْن إيه [2]
صاحِ لو كان لذا الدهـــرِ حياءٌ يَقْتَنيه
ما رمى العُرْبَ أباةَ الضَّـــيْمِ بالخَطْب الكَريه
لا ولا جرَّ بغرناطةَ أذيالَ سِنيه
حيثُ هذا القصرُ أمسى خاليا من مُبْتَنيه
فازْدَرِ الدهر وسَفِّه كلَّ من لا يزدريه
وإذا كنت حليما فابكِ من دهرٍ سفيه

ياضاربا بالكمان

ياضاربا بالكمانِ يفتنُّ كلَّ افتتانِ
سحرتَ سمعى وعقلى بصوت تلكَ المَثَانى [3]
ضربت لحناً بديعا حوى بديع المعانى
فكان شيئا عجيبا إذ سرّنى وشجانى

---

(١) مضر: مضاف إلى الحمراء، والمراد بالحمراء الذهب.

(٢) إيه: اسم فعل، للاستزادة من حديث أو فعل.

(٣) المثانى: جمع مثنى، وهو الوتر الثانى فى العود.

يا دهـــر

أطلتَ يا دهرُ نحسِي ... متى تجود بسَعْدِي
قد تضاءل صبري ... كما تعاظم وَجْدى
إذا تعشقتُ هنـدًا ... مَنحتَنِي وَصْلَ دَعدِ
وإن تعشقت دعدًا ... منحتنى وصل هِنـد
أما تعوَّدْتَ إلّا ... بأن تجود بضِدّ
إنى أريد عـدوّى ... فهاتِ بعض أوُدّى
وجُـد علىّ بوصل ... فقد رضيتُ بصَدّ
كلاّ ، فإن مقالى ... هزلٌ وليس بِجدّ
بل أنت أحقر عندى ... من أن تجود وتُجْـدِى
إنى وإن كنت أشقَى ... بأوْجُهٍ منك رُبْدٍ(١)
رَبَأْتُ عنك بذمّى ... كما ربأت بحمدى(٢)
إذ لست أنت بكُفْئِى ... ولستَ أنت بنِدّى
لو كنت يا دهر حرًّا ... وجئت تخدُم عندى
لما ارتضيتك عبدًا ... ولا خُوَيْدِمَ عبـد
وكيف أرضاك عبدًا ... وأنت أوغد وَغد(٣)

الحقائق الملعنة

لُقنْتُ فى عصر الشباب حقائقاً ... فى الدين تَقْصُر دُونها الأفهامُ
ثم انقضى عصر الشباب وطيشه ... فإذا الحقائق كلها أوهام

(١) ربد : جمع أربد وهو الذى تغير من الغضب .
(٢) ربأت : ترفعت عنك . (٣) الوغد : اللئيم الحقير الأصل .

الخطوة الأولى

قدم السيد عادل جبر إلى الرصافي تصويرا شمسيا به صورة ابنه الصغير ، لأول عهده بالمشى ، وطلب إليه أن يكتب عليه شيئا من الشعر ، فكتب الأبيات الآتية :

يا عَمْرَكَ اللهَ من وليدِ يَسُرُّه اللَّعْب بالنُّغَيرِ (١)
لا زلتَ فى طالع سعيد فِدًى لك البدرُ من قُمَيْر

* * *

لم ترهُ مُقلتاىَ إلا أحسستُ فى النفس بانتعاش
فى العين أم الفؤاد أحلَى مُرآهُ مُذ قام وهو ماشِ

* * *

مشى على الأرض بارتعاش ثم حبا واضعَ اليدَيْنِ
إذ لم يزل لينَ المُشاش أفديه بالرُّوح من غُصَينِ (٢)

* * *

وَيَسَك داود من شُبَيْلٍ لوالدٍ منجب هِـزَبرِ (٣)
بدرٌ بك انجاب كلُّ ليلٍ عن أبيك العادل بن جبرِ

وجـه نعيم

أسبغ اللهُ نعيمَ الـحُسْن فى وجه نعيمِ
قمرٌ أغنَى فى الإشـراق عن ليـلٍ بهيمِ
علّم الناس صحيح الـحب بالطَّرْف السقيمِ
يَرجع السحر بعينيه إلى عهـد الكليمِ

(١) النغير ، بصيغة التصغير : البلبل الصغير ، أو فرخ العصفور .

(٢) المشاش : جمع المشاشة ، وهى رأس العظم اللين .

(٣) ويسك : كلمة ترحم وتعجب مثل ويحك . والشبل : ولد الأسد . والهزبر : الأسد .

المغـــــربى

مما كتبه تحت صورة شمسية له أهداها إلى العالم النحرير ، والكاتب الشهير ، الشيخ عبد القادر المغربى :

إلى المغربى الحَبْرِ أهديتُ صورتى   تُذكِّره منّى صداقةَ صادقِ
وتُؤْذنه بالوُدّ وهى خَيالة   وربَّ خيالٍ مُؤْذِنٌ بالحقائق
وإنّ لعبد القادر الفضلَ كلَّه   بما أوضحت أقلامه من دقائق
فتى العلم زانته العلومُ بنورها   كما زانها منه بحسن الخلائق

* * *

ومما كتبه تحت صورة فتوغرافية أيضا ، أهداها إلى الأديب الكبير إسعاف النشاشيبى المقدسى ، قوله :

صَفاَ لك فىّ يا إسعافُ وُدٌّ   صميمٌ ما لصحّته اعتلالُ
فخُذْ تمثالَ خِلٍّ ذى وِدادٍ   يمثّل صدقَه لك ذا المِثالُ
خيالُ حقيقةٍ ولربَّ شىء   يدلّ على حقيقته الخيال
ولست مُماذِقا فى الوُدّ خِلّى   إذا مَذَقت مودّتَها الرجال(١)
ومثلُك من تُجاد له القوافى   ويُحمد فى فضائله المقال

* * *

ومما كتبه أيضا تحت صورة شمسية أهداها إلى صديقه الفاضل عادل جبر المقدسى ، قوله :

إليك عادلَ جبرٍ رسمَ ذى مِقَةٍ   من أصدقائك حيّادٍ عن الفَنَدِ(٢)
لو تدرك الشمسُ مافى القلب من شَغَفٍ
لصوّرتْ لك ودًّا جلّ فى خَلَدى
لكنها خُلِقت عن ذاك عاجزةً   فصَوَّرَتْ لك منى ظاهر الجسد
فاقبله تذكرةً فى الدهر باقية   بقدر حبّيك حتى آخرِ الأبد
فأنت أكرم من صادقتهُ خُلُقاً   وأبعد الناس عن غِلٍّ وعن حسد

---

(١) مذق : خلط .

(٢) المقة : المحبة ، والفند : الكفر بالنعمة ، والكذب .

واستعار وهو فى القدس كتابا من إسعاف النشاشيبى ، ثم أعاده وقد كتب عليه هذين البيتين :

آلَ النشاشيب إن الله أسعفكُمْ على التقدّم للعليا بإسعافِ
ذاك الذى أشرفتْ بالعلم همّتهُ على سماء المعالى أى إشراف

من هذا ؟!

مُخلِصٌ مُنكَشِفٌ إخلاصُهُ عن رياء فيه تُخفيه الأنانه[1]
وأمينٌ قـد جرت أطماعه بسيول الغش فى وادى الخيانه
لو درت كلُّ خيانات الورى بالذى فيـه تسمَّت بالأمانه
تركب الفُحْشَ رُجوليّتُهُ بعنانَيْن : نُعُوظٍ وعَنَانه

من مطبخ الدستور

معربة عن التركية بتصرف ، للشاعر التركى توفيق فكرت بك .

كلوا يأيها السادَهْ كما تُنكرهُ العادَهْ
كلوا من مَطبخ الدستو ر أكْلَ الساسةِ القادَه
كلوا بالسبعة الأمعا ء حتى تُنفذوا زاده
كلوا لاتخشَوُا الناس فإن الناس مُنْقاده
كلوا لاتخشَوُا الدهرَ فأمّ الدهر قوّاده

الوزارة عندنا

إنّ الوزارة « لا أبالك » عندنا ثوبٌ يفصَّلُ فى معامل لَندَنا
لايرتديه سوى امرىء أضحى له طبعاً ودادُ الإنكليز ودَيْدَنَا[2]

(١) الأنانة والأنانية : لفظان صاغهما المحدثون من لفظ أنا ، لمعنى الأثرة .

(٢) الديدن : الطبع والعادة .

عبد اللطيف باشا المنديل

عبدُ اللطيفِ بفضله جمل الورى   أسْرَى مكارمِ أسرة المنديلِ
ورِث المكارمَ عن أبيه وجدِّه   فبنى أثيلَ المجد فوقَ أثيل
فى الوجه منه مَلامحٌ عربية   يدعو تَوسّمُها إلى التبجيل
فى البصرة الفيحاء مدّ لِبَيْته   طُنُبَيْن من بأس ومن تَنْويل
فطريده فيها أذلُّ مُطرَّد   ونزيلهُ فيها أعزُّ نزيل
حُرُّ الضمير مُؤيَّد بفطانة   يرى برأيٍ فى الأمورِ أصيل
إنْ قال حقًّا قاله بصراحة   لم يخش لومة لائم وعذول

إلى السباعى

وقال وهو فى دمشق جوابا عن كتاب أتاه به ابن سليم السباعى الدمشق من أبيه ، يتضمن أبياتا من الوزن والروى:

إلى الرجل الـكريم إلى السباعى   كتابُ أخ لعهد أخيه راعِ
فتى أحببته قبـل التلاقى   وكم حُبٍّ تَولَّد من سَماع
ولـكنى رأيت له سليلا   كريم سَجِيَّة وطويل باَعِ
ويحسَب من دماثته جباناً   على ما فيه من خُلُق الشجاع
فقلت وقد رأيت به إباء   كذاك تـكون أشبال السباعى
فشكرا ياسليم على نَظيم   بعثتَ به لمُغترب مُضاَع
فآنس غربتى وأسا جروحى   ونفّس كُرْبتى وشفى صداعى
وما أنا للثنـاء بمستحق   وإن أُعطيتُ مملـكةَ اليرَاع
ولـكنْ حسنُ ظنك بى دليلٌ   على ما فيك من كرم الطباع
فدمتَ بحسن سعيك لِلمعالى   قريرَ العين مشكور المساعى

عفو بعد نفي

أنشدها عمر الصالح أحد أصدقائه في القدس ، وذلك عند قدوم عمر من عكا بعد أن نفي إليها سياسة :

أحرزت ياعمرُ المفاخرَ كلَّها   فالبَسْ من العَلْياء ما تختارُ
أما البلادُ فقد حَمَيْتَ ذِمارها   لمَّا أضاع ذمارها الأشرار
ولقد رعيتَ عهودها فتُنوقلت   في الناس عن رعياتك الأخبار
فإذا جرى ذكر الحميَّة بعد ذا   أثنت عليك مواطن وديار
ولئن نَفَوْك فإن نفيك لم يكن   عارا عَلَيْكَ وأين منك العار
بل قد نفوك لأنْ أبيْتَ هوانَهم   والنفي من دار الهوان فخار
هاجت لمَنْفاك الحفائظُ فاغتدت   كالبحر هاج بلُجّه تيّارُ
شرفٌ لعكّة أن رأت بك ماجدا   بعلاه تفخر حِمْيَرٌ ونِزار
فالقدس حاسدة عليك ربوعَها   والمسجد الأقصى عليك يغار
ولقد عفَوا وهم الجُناة وإن عفا   عنك المسيء فعفوه استغفار
ندموا فسُمِّيتِ الندامة عندهم   عفوا وذلك منهم استكبارُ
أهلا بمَقْدَمِك الذي بسروره   سِيءَ اللئامُ وسُرَّت الأحرار

الترامواي في الاستانة

سنة ١١٩٠

مرَّ الترام فقيلَ اركبْ فقلت لهم   ذل امرؤٌ كان مركوبا له الكسَلُ
أما ترى وضِعافُ الخيل تَسحبُهُ   كأنه جبل في الأرض ينتقل
يَحْكي السُّلَحفاة في عَرْض الطريق وقد
أمستْ بها في التأنّي يُضرب المَثَل
ترى به أوجهَ الركّاب عابسة   من فوقها ضجر من تحتها مَلَل
في جانبيه وفي أعلاه قد كتبوا   بيتاً تمثَّل في إنشاده الأوَّل
« قد يدرك المتأني بعضَ حاجته   وقد يكون مع المستعجِلِ الزَّلَل »

لقيتها فى الطريق

لقيتها فى الطريق عابرةً	يَهْصِرُ من قَدِّها تبخترُها
أعجبَها منظرى وأعجبنى	بالحُسْنِ عند اللقاء منظرها
فصار قلبى بالحبّ يأمرنى	وقلبها بالغرام يأمرها
وحين مرّت والشوق يُسكرنى	بخمرةٍ تارةً ويُسْكرها
لَفَتُّ جيدى أرى أتنظُرنى	والتفتتْ لى ترى أأنْظُرها
فقلت والشوق فىّ ملتهب	إن عَذرتْنى فسوف أعذرها

الدين والوطن

لا يخدعَنْك هتاف القوم بالوطن	فالقوم فى السرّ غيرُ القوم فى العَلَن
أحبُولة الدين ركّت من تقادمها	فاعتاض عنها الورى أحبولة الوَطَن (١)
فما لهم غير صيد المال من غرض	فى اليوم والغد والماضى من الزمن
لم يقصدوا الخير بل يستذرعون به	رميا إلى الشر أو قصداً إلى الفتن
فإن تهاون قوم فانتظر شغبا	إذ ليس هدنتهم إلى على دخن

الحياة والأذاة

وَطِّنْ حياتَك للمكارهِ وارْتقِبْ	كَدَر المَوارِدِ إن صفا لك مَشرَب
كل الأماكن للأذاةِ مَظِنَّة	حتى السماء تدِبّ فيها العقرب

---

(١) ركّ : ضعف ورق .

قالها لما أفتى بكفره بعض من يدعى العلم فى بغداد ، وذلك لإنشاده قصيدة « فى مسرح التمثيل » أنكر فيها تشديد القوم على النساء فى الحجاب .

يأيها المفتى بتكفيرنا ... مهلا فقد جئت بأمر نكير
بأى جهل فيك مستأصل ... علمت يا جاهل بما فى الضمير
وذاك أمر ليس تنتاشه ... إلا يد الله العليم القدير(١)
لو كنت ذا مجد لأصلتك من ... هجائنا الأيام نار السعير
بل أنت وغد لا تبالى الهجا ... وهكذا كل لئيم حقير
وإنما تغتاظ من هجونا ... بقدر ما تغتاظ منه الحمير

فى معرض الشكر

لقد جربت أصدق أصدقائى ... فلم أر قط أصدق من صلاح
فتى أما نداه فصوب مزن ... وأما خلقه فشذا الأقاحى(٢)
به آل اللبابيدى باهوا ... كما باهى بهم هو فى السماح
أشد من الخضم يداه مدا ... وأقذف منه بالدرر الصحاح(٣)
نقى العارضين له جبين ... أغر كأنه فلق الصباح(٤)
سديد الرأى طلق الفكر حر ... طلوب للعلى سهل النجاح
كريم ما اقترحت عليه إلا ... وقد غلبت فواضله اقتراحى
أيا من شد فى بيروت أزرى ... وآنس غربتى وشفا جراحى
سأبلغ فيك غاية كل شكر ... وإن قصرت نحوك بامتداحى

(١) انتاشه : جذبه واستخراجه .
(٢) الصوب : المطر . والمزن : السحاب الممطر . والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة .
(٣) الخضم : البحر العظيم .
(٤) العارضان : صفحتا الخد .

عند لعبة البيلارد

وفى الألعاب لم تَرَ قطّ عينى ... كمثل اللَّعْب بالأُكَر الثلاثِ
تجول بمستطيل الشكل عالٍ ... لطيف صُنْعُهُ حَسَنِ الأثاث
فبيضاوانِ تندفعان جرياً ... إلى حمراء بادية اللَّهاث
ينال الضربُ إحداها فتجرى ... لضرب الأُخريين بلا لَباث [1]
فتنبعث الثلاث مُدحرَجات ... وقد حصل اصطدام بانبعاث
يُدحرجُهنَّ أغلمة ظِراف ... نسيتُ بهم مُغازلة الإناث
بأيديهم عِصِيٌّ مُشْرَعات ... مُهَيَّأة لضرب واحتثاث
فكان إذا انحنى للضربِ منهم ... غلامٌ هاج شَوْقى وهو جاث
ورُبَّةَ ضَرْبةٍ لمَّا تَثَنَّى ... لِيَضْرِبها تَثَنَّى بانخناث
وكانت توبةٌ لى عن مُجون ... فعادتْ من هواه إلى انتكاث
فلستُ وقد تجدَّد لى غرام ... أبالى لوم الْسِنة رِثاث

السنما الوطنى

قالها لما أنشىء السنما الوطنى ببغداد :

لو جعلنا كلّ شىء وطنيًّا ... لَقَطَفْنا ثمر المجـــد جَنيًّا
ولعِشنا اليـوم فى أوطاننا ... مستقلّين بها عيشاً رَخيًّا
ولأضحى نابِهاً خاملُنا ... ولأَمْسَى كلّ ذى فقر غَنيًّا
يا بنى بغدادَ هل من يقظة ... لأُمور تكسب القوم رُقيًّا
إن بغـداد قضت واجبها ... مذ أرتْكم سِنماها الوطنيًّا
سِنَما أظهر للرائين من ... صور الآداب ما كان خَفيًّا

---

(١) اللباث ، بفتح اللام : اللبث والمكث .

ولقد صوّر في رقعته عبرَ الأيام تصويراً جليا
ولقد قرّب للأنظار من خطط البلدان ما كان قصيّا
يُبهج الناظرَ فيه أنه يقرأ المكتوب فيه عربيّا
يا بني بغداد لاعذر لكم إن أتيتم بعد هذا الأجنبيّا

عند نشر المعاهدة

نشروا المعاهدة التي في طيّها قيدٌ يعضّ بأرجلِ الآمالِ
قد أبلعونا حبّة استعبادنا لكن مموّهةً بالاستقلال (١)
والعهد بين الإنكليز وبيننا كالعهد بين الشاة والرئبال (٢)
من ذا رأى ذئب الذئاب مصافحاً بتودُّدٍ حملاً من الأحمال
لكنهم خافوا انفكاك قيودنا فاستوثقوا منهنّ بالأقفال
كتبوا لنا تلك العهود وإنما وضعوا بها قفلاً على الأغلال
شلّت أكفّ موقّعيها إنهم حلّت عليهم لعنةُ الأجيال
هبْ أنهم أمنوا انفكاكَ قيودنا أفيأمنون تقلّب الأحوال

وزراء المعارف عندنا

ويحَ المعارفِ لا يستوزرون لها إلا الذين لوزرِ الجهل قد وزروا
فأيّ حرمةِ علمٍ قد انتهكوا بذا وأيّ زمام للعُلى خفروا
هبهم قد احتقرونا في مواطننا سياسةً فعلامَ العلمُ يحتقر
يا قومُ ما بالكم لاتغضبون له أليس فيكم فتًى للعلم ينتصر
تالله قد أنزلونا شرّ منزلة لا الزنج ترضى بها منهم ولا النوَر

(١) مموهة : مخلوطة ، أو مطلية ، أو مزينة . (٢) الرئبال : الأسد ، أو الذئب .

قيصر معلوف

في آل معلوفَ الكرامِ خلائقٌ غُرٌّ يُضيء بها الزمانُ الأكدَرُ
ولهم مآثرُ في البلاد جليلة أيدي التطاولِ عن علاها تَقْصُرُ
يأبى الزمانُ زوالَ دولة مجدهم ما دام فيهم ذو المكارم قيصر
رجلٌ رأيت به الفضائلَ تعتلي والمجدَ ينمو والمعالي تكثر
وصحبتُ في بيروت منه مهذبا ما إن تَصَوَّر مثلَه المتصوِّر
صغُرت به عندي الكرامُ لأنه في كل مكرمة أجلُّ وأكبر
إني لأشكره على إفضاله والحرُّ للحر المهذب يشكر
أما حليلته الفتاة فإنها بدرٌ بآفاق الجمال منوَّر
ما أحسن الحُسْنَيْن إذ جمعا بها نفس مهذَّبة ووجهٌ أزهر

إلى أمين كاملة

وكتب له أمين كاملة أحد أدباء بيروت فأجابه :

حيِّ الأمينَ الذي طابت مَغارِسُه في مَنبت النَّبْعِ لا في منبت الغَرَب[1]
مشهورة في رُبا لُبنانَ غُرَّته من آل كاملةٍ صُيَّابةِ العرب[2]
قد جاء بالشعر يُطريني فقلت له شكرا لفضلك إذ أحسنت ظنَّك بي
أوسعتَني منك ترحيبا وتكرمة لمَّا خطَطتُ لديكم رَحْلَ مُغترِب
وتلك شيمةُ من كانت خَلائقُه مصوغة من صَميم المجد والحسب
قل للأُلَى يقصدون اليوم تخطئتي مستغربين إلى لُبنانَ مُنْتَسَبي
من متَّ منكم إلى قوم بنسبته فقد مَتَتُّ إلى لبنان بالأدب
ونسبة العلم والآداب لحُمَتها أقوى لمُنتسِبٍ من لحمَة النسب
أليس لبنان بالآداب مشتهرا من العلوم وقول الشعر والخُطَب
فإن نزلتُ بوادٍ منه مُنتجِعا فقد نزلت بوادٍ مُمرِعٍ خَصِب[3]

---

(١) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسي ، والغرب : شجر ضعيف .
(٢) صيابة العرب : خيارهم . (٣) انتجع المرعى : ارتاده باحثا من الكلأ ، والمرع : المخصب .

إلى عبد الوهاب النائب

أنشد حضرة العلامة عبد الوهاب أفندى النائب فى بعض مجالسه ببغداد البيت الآتى ولم يكن الرصافى حاضرا :

إن فاخرتْ بلدةٌ يوما بشاعرها ... فإن شاعرَنا فى الشرق «معروفُ»

فبلغ ذلك الرصافيّ ، فكتب إليه الأبيات الآتية :

قل لعبد الوهاب النائب العلاَّ ... مَة الحَبْر مُنْجِب النجباء
إن أكن شاعرا فمثلك من يُد ... عَى ببغـــداد أعلمَ العلماء
أىُّ فضل للشـعر لولا علومٌ ... قوَّمتْ من قناتِه العوجاء
إنّ بين الشعر المَقُول وبين الـ ... ـعلم بَوْنًا كأرضنا والسماء
ما ادّعى الشعرَ عالمٌ قطُّ لكن ... يدّعى العلمَ أشعرُ الشعراء

إلى أولى الأمر

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٢٢ :

يا مُبْعِدِيَّ بظلم عن مناصبهم ... وقاطعينَ إلى ما أبتغى طُرُقى
علمت كل خَفِيّ من ضمائركم ... وما علمت الذى ترضون من خُلق
ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم ... حتى يكون لديكم حائز السَّبَق
إن كان عقلٌ فإنى عاقلٌ فَطِنٌ ... أو كان حمقٌ فإنى أحمق الحُمُق
فجرّبونى تفوزوا عند تجربتى ... بما تريدون من طيش ومن نَزَق
وإن أبيتم سوى مَن عِرضُه دَنِسٌ ... فلستُ مَعْكم على شىءٍ بمتَّفق
لا أبْعدَ الله غيرى عن مناصبكم ... إنى بتدنيس عِرضى غير مُرتزق



العدل — يا مبعدى بظلم عن مناصبهم

المصور البارع

إن فنَّ التصو ر قد صار فيه أسعدٌ بارعاً بغير نَظيرِ
حمل الشمسَ للأنام بكَفٍّ وبأخرى صناعةَ التصوير
وأتى يُبْدِع البدائعَ للنَّا س بفنٍّ من الرسوم خطير
لم يفته من صورة المرء حتى ما بها من علائم التفكير
فتراها كأنها ذاتُ فكرٍ هي عنه تهمّ بالتعبير
وترى عند حزنها ذات حزن وترى فى السرور ذات سرور
لك يا أسعدُ الفَخار ولا زلْـ ـت جديرا بالفخر جِدَّ جَدير

الأغنياء والفقراء

أرى أغنياء الناس كالعُمْيِ لم يَرَوْا شَقاء بنى غَبْراء من كل بائِسِ (١)
كأن الغِنَى والفقر نور وحِندسٌ ولم يرَ مَن فى النور مَن فى الحنادس (٢)

(١) الغبراء : الأرض ، وبنوها : الناس .
(٢) الحندس : الظلام الشديد .

الجهل فضاح

ما أقبحَ الجهلَ يُبْدى عيبَ صاحبه ... للناظرين وعن عينيه يخفيه
كذلك الثُّوْمُ لم يشمَمْه آكله ... والناس تشتمّ نَتْنَ الريح من فِيه

حمام الوزارة

ألا بَلغوا عنى الوزير مقالةً ... له بينها لو كان يخجل تَوْبيخُ
أراك بحمَّام الوزارة نُورةً ... وأمَّا جناب المستشار فزِرنيخ

رخص المناصب

نحن قوم من الدراويش نَفنَى ... عنـدنا عن مدارسٍ بتَكيّه
رَخُصت عندنا المناصبُ حتى ... قد شَرَوْها بسُبحةٍ وبِلحْيَه

الناس والملوك

عجبتُ للناس فى الدنيا لحالتهم ... مع الملوك صريحُ العقل يَجْحَدُها
إنّ الملوك لكالأصنام ماثلةً ... الناس تَنْحِتها والناس تَعْبُدُها

منزلة المعلم

فى المجتمع الإنسانى

إذا كان جهلُ الناس مَدْعاةَ غَيِّهم فليس سوى التعليم للرشد سُلَّمُ
فلو قيل من يستنهض القوم للعلى إذا ساء مَحْيَاهم لقلتُ المعلِّمُ
معلمُ أبناء البــلاد طبيبهم يداوى سَقام الجهل والجهل مُسقِم
وما هو إلا كوكب فى سمائهم به يهتدى السّارى إلى المجد منهم
فلا تبخسنْ حقّ المعلم إنه عظيم كحق الوالدين وأعظم
فإن له منك الحِجَا وهو جوهر وللوالدين العظمُ واللحم والدم
ألا إنما تعليمنا الناسَ واجب وإن على الجهّال أن يتعلّموا
وما أخذ الله العهود على الورى بأن يَعلَموا حتى قضى أن يُعلَّموا

أم سرى

زار الرصافى صديقه السكاكينى فى القدس ، فارتجل عنده هذين البيتين يخاطب بهما قرينته السيدة سلطانة :

ألا أم سَرِىٍّ أنتِ سلطانة البَهَا أطاعك منه ما عصى الناس أجْمعا
ولم يرَ نقصاً فى مُحيّاك ناظرى سوى أن كلّ الحُسْن فيه تجمّعا!

الحزب الحر العراقي

لما نفي بعض أعضاء الحزب الوطني وحزب النهضة ، وسدت نوادي هذين الحزبين ، قال الرصافي يخاطب الحزب الحر المعتدل :

قولوا لحزب تسمى الحرَّ معتدلا ... هل أنت من بعد نفي القوم معتدلُ
وهل لما حلَّ بالحزبين باكية ... عيناك أم أنت مسرور به جَذِل
تالله ما أنت حرٌّ في مُطالبة ... وإنما أنت للحكام مُعتَمِل (١)
وما سعيت إلى حق لتُدْرِكه ... بل أنت للامر في مسعاك مُمتَثِل (٢)
قد احتملت من التاريخ لعنته ... لله دَرُّك ماذا أنت مُحتمِل

وبلغ الرصافي أن رئيس الحزب الحر قال إذ سمع بهذه الأبيات : « نحن لا نبالي بمثل هذه الأقوال الفارغة » . فقال الرصافي :

قال ذو الحزب إذ أتاه مقالي ... نحن لسنا بما يُقال نبالي
صادقٌ في الذي ادّعاه وأنَّى ... يألم المَيْتُ من جروح النِّصال
إنما تجزع الكرام من الذمّ ... وتخشى الأمجاد لذع المقال

المسلم المصلح

قالها في صديقه الشيخ عبد القادر المغربي ، أحد أركان المجمع العلمي بدمشق ، وأنفذها إليه من زحلة :

للمغربيِّ بأرض الشام منزلةٌ ... ممتازة في نوادي العلم والأدبِ
المسلم المصلح الهادي بفكرته ... إلى الحقيقة أهلَ الشك والرِّيَب
قد غاص في لُجَج الأديان مجتهدا ... فاستخرج الدرَّ لم يعبأ بمَخْشَلَب (٣)
وجال جَوْلَةَ حَبْرٍ في منابتها ... فاستخلص القمح حبّاً داعن الغَرَب
لو سار كلُّ بني الإسلام سيرته ... لما شكَوْا في حياةٍ سوءَ مُنْقَلَب
أو جال كل أولي الأديان جولته ... لما تكوّن باسم الدين من شَغَب
إني لأمدحه بالحق عن ثقة ... والمدح بالحق غير المدح بالكذب

(١) معتمل : مصطنع . (٢) ممتثل : مطيع .

(٣) المخشلب والمشخلب : بفتح الميم : كلمة عراقية نبطية ، وهي اسم لما يشبه الدر من حجارة البحر ، يعمل منه خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ ، وهو أردؤه وأقله قيمة (عن شفاء الغليل وتاج العروس) .

نجل عبد اللطيف

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب المستر « منك » مدير الكمارك فى بغداد ، كتابا وصف به له حالة ابنه الصغير ، وأنه بلغ من العمر أن صار يشير بيده ، ويتكلم بكلام لا يفهمه إلا هو ، فطلب المدير المشار إليه إلى الرصافى أن يقول على لسانه أبياتا فى المعنى ، فقال :

نجلُ عبد اللطيف وهو نجيبُ ... كيف لا يُظهر النجابةَ طفلا
إنْ يكن غيرَ واضح القول لفظاً ... فكلام النجيب يُفهم عقلا
كلما قال أو أشار فمعنَى ... قوله أنَّهُ عَلاءً سَيَعْلَى
إنّ آل المنديل قوم كرام ... قد زَكَوْا فى الأنام فرعا وأصلا
نجلُ آل المنديل غيرُ عجيب ... أن يكون النجيبَ طفلا وكهلا
أيُّها النجل عِشْ لتجديد مجد ... قد بنته لك الأوائل قَبْلا

عبد الوهاب النائب

علّى لربّنا الوهابِ أنّى ... أواصل شكرَه وأديم حَمْدَهْ
وذاك إذا يعاملنا بلطفٍ ... فيشفى « النائبَ » المفضال عبدَه
ليرُشدَنا إلى سُبُل المعالى ... فنقصدَ فى ابتغاء المجد قَصْده
هو الحَبْر الذى وَجَدَت مُناها ... بغاةُ مكارمِ الأخلاق عنده
تردَّى المجد من أدب وعلم ... وطرّز بالمعالى الغُرّ بُرْده (١)
يَوَدُّك فى الرخاء ودادَ حرّ ... ولا ينساك إن دَهمتك شِدّة
أطال بقاءه الرحمنُ فينا ... وأكْثر فضله وأدام سَعده

---

(١) تردى المجد : اتخذه رداء .

إلى أمير الكمنجة

صاح قم بى إلى أمير الكَمَنْجَه   أصدق النابغين فى الفن لَهْجَهْ
قم بنا نستمع إلى نغماتٍ   تملأ الأنفس انتعاشاً وبهجه
ولحون كالصبح إن هى فاضت   تُغرق الروح من سرور بلُجَّه
ذاك سامى الشَّوَا الذى قد سما فى   فَلَك الفن بالغنا منه أَوْجه
هو فى فنــــه الرفيع إمام   مُوْضِح للأنام منه المَحَجَّة[1]
كل من سار فى طريق الأغانى   يَقتفى إثرَه ويَنهَج نهجـــه
ما أمرَّ الأنامِلَ الخمس بالأو   تار إلا ألقى على القوم رَجَّة
نَغْمة منه تجعل القوم كالبحـــــر يموجون مَوْجة بعد موجه
ويميلون باتجاه إليـــــه . أينما مال ضارباً أو توجَّه
بطل الفن هز رمح ابتداع   راكزا فوق هضبة المجد زُجَّه[2]
وبكأس الفخار أسقِىَ صِرْفاً   من كمال تعود الناسُ مزجه
فلتُفاخر بلادُ يُعْرُبَ فيه   سادةَ الفن فى بلاد الفرنجة
يا أميرا فى الفن صار مليكا   حاملَ الصولجان وهو الكمنجة
شهد الله أن كل حيـــــاة   لم تَزِنْها بدائعُ الفن سَمْجَه

---

(١) المحجة : جادة الطريق أى وسطه .
(٢) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، وفى الكلام استعارة لا تخفى .

إلى محمد الرضا

إنى لأشكر من محمدٍ الرِّضا ... شعراً ذكرت به زماناً قد مضى
شعرا غدوتُ على «جرير» فاخرا ... فيه ورحت عن «الفرزدق» مُعْرِضا
قد دبّجته يراعةٌ لمحمدٍ ... أخذت تقيم من القَريض مُقَوَّضا
هى فى التفنن ريشةٌ لمصوّرٍ ... ولدى القِراع هى الحسام المُنْتَضَى (١)
لو كان فى كف «الرَّضىّ» نظيرُها ... حسد الرضىَّ بها أخوه «المرتضى»
وكأنما يومَ الفخار هديرُها ... صوتُ الرُّعود لها دوىٌّ فى الفضا
وكأنما يومَ الرثاء صريرُها ... صوتُ الحمام ينوح فى وادى الغَضَى
أما ذكاء ابن الخطيب «محمد» ... فشبيه برق لاح أو نجم أضا
وافت جواهرُ على يد «جوهر» ... وبها رأيت مُذَهَّباً ومفضَّضا
يأيها الرجل الذى بكتابه ... للود منى بالقريض تعرَّضا
إنى لأشكر منك خِلًّا فاضلاً ... يُدنى أحبَّته ويُقصى المبغَضا
وقريحة ما زدت فى استنباطها ... إلا وزادت بالقريض تَفَيُّضا
ولقد نظرتَ إلىَّ منك بنظرة ... فيها الثناء وهكذا عين الرضا

---

(١) القراع : المضاربة فى الحرب بالسيوف ، والمنتضى : المسلول .

فخامة الرئيس ووسام الرافدين

أنشدت فى الحفلة التى أقيمت فى البلاط الملوكى ، بمناسبة ما أنعم به جلالة الملك على فخامة رئيس الوزراء ، من وسام الرافدين ، من الدرجة الأولى ، وذلك يوم ٢٦ آذار ١٩٣٢ :

تِهْ ياوسامَ الرّافدين بصَدْرِ من　　هو فى العُلَى للرافدين وِسامُ
نُورِى السعيد أبو صباحٍ من به　　سَعِد العراقُ فَثَغْرُه بسّام
قد أنعم الملكُ المُطَاع به لكى　　يَزْدانَ فيه وزيرُه الضِّرغام[1]
ياحبذا ذاك الوزيرُ وحبذا الـــــملك المطاع وحبـذا الإنعام
زهى الوسامُ بصدره فكأنه　　تاج المَليك يحُفُّه الإعظام
صدرٌ إذا الخطب ادلهمّ تلألأتْ　　فيه السّجايا الغرّ والأحلام
وإذا تنهدتِ الصدور لحادث　　بدت الشجاعةُ منه والإقدام
ليس التفاخر بالوِسام بهمِّهِ　　ولوَ انه افتخرت به الأقوام
بل همُّه أن تستقلّ حكومة　　ويتم فى أمر البلاد نظام
فعلى البلاد من الرئيس تحية　　وعلى الرئيس تحية وسلام

فى بيروت

فى مجمع كوكب الشرق

ومجمع جامع ضاع الغناء به　　ضياع شعرىَ فى قومى وأوطانى
تلاطَمَ الموجُ فيه وهو من لَغَطٍ　　حتى أصمَّ عن الألحان آذانى
فَظلْت أسمع فيه بالعينين وقد　　يُغنى عن الأذن طَرْفٌ للفتى رانى
كُلًّا تراه على عزف القيان غدا　　بالنَّرد يلعب مشغولاً مع الثانى
فللمَهارِكِ بين القوم فرقعة　　كالملح يُحرَق مَذْرُوراً بنيران[2]
كان الغناء كَرأْيِى حين أعلنه　　وسامعوه كقومى عند إعلانى

---

(١) الضرغام : الأسد .

نهاد قرة الأعين

إلى حضرة الفاضل نور الدين بيهم

كان مذ قال واهبُ الأولادِ لنهــــادَ كُنْ
فاستمرت بحَمْدها المُزْدادِ تَنْــطق الأَلْسُنْ
لاح بدرا له بأفق النادي طلعــةً تَحْسُنْ
أوْلد النورُ منه للوُفَّادِ بهجــةَ الأعْــينْ
نهر بيروت منه بالميلادِ فَاخَـرَ الأُرْدُنْ
هو فى آل بَيْهم الأمجادِ نبعــةُ الأغْصُنْ
كان عيدًا لهم من الأعيادِ فى مــدى الأَزْمُنْ
إنّ تاريخه « حياة نهادِ قُـرةُ الأَعْـيُنْ »

سنة ١٣٤١

ذات الشعر الأبيض

ومليحــةٍ أوصافُهــا تدعو القلوب إلى التصابي
بيضــاء أمّا شـعرها فبلَوْن أنوار الشباب
قد لاح يضرب للبيا ض وذا من العَجَب العُجاب
كشُعاع أنوار النجو م إذا تلألأ باضطراب
يمتــدّ فوق جبينها كضياء منقضّ الشّهاب
فــكأنّ غُرّة وجههــا بدر تــكلّل بالسحاب
أو قُرْصُ شمس قد تجلّـــل بالرقيق من الضّباب

رقة قولى

وغرّت رقتى فى القول قوماً فعادَونى وكنت لهم صديقا
وما علموا بأنّ رقيقَ قولى يكون لدى التّماحُكِ مِنجَنِيقا[1]
وما موجُ البحار يكون إلا لكون الماء سيّالا رقيقا

جو بيروت

جوّ بيروت فى الشتاء دَفِىءٌ مانع من نوازل الأسقام
فإذا ما تَوَاتَرَ الغيثُ فيه خِلتنى فى مَغاسل الحمّام
وعلى القرب من مغانيه جوّ ثغره من ثلوجه فى ابتسام
يجعل الجسم فى ارتجاف فيُمسِى فيه نطق الفصيح كالتّمتام[2]
وكذا الحسن فى الأماكن بالأضداد تبدو أوصافه للأنام

على مقابر الشهداء

حَيِّ هذى القبور إن كنت حيًّا عاملًا بالفضيلة الغرّاء
إنما الميت كل من لا يُحَيّى باحترام مقابرَ الشهداء
واحترامُ الأموات حتم وإن كا نوا بعادا فكيف بالقُرَباء
لا تَقُل هذه الرِّجَامُ قبورٌ بل تماثيلُ نَجدةٍ وإباء
إنما هذه القبور تُرِينا كيف حب الأوطان فى الأحياء

---

(١) التماحك : النزاع فى الكلام . والمنجنيق ، بفتح الميم وكسرها : آلة لرمى الحجارة على الحصون .
(٢) التمتام : الذى لا يحسن نطق الحروف ، وخاصة التاء ، فيلجلج فيها .

منـــيرة(١)

هل سمعتم «منيرةً» مذ أفاضتْ   من بديعِ الغنـاء فى كل فَنِّ
مذ أقرَّت برقصها كلَّ عين   واسترقّت بصوتها كل أذْن
رقصُها يُرقِص القلوبَ على أنْ   غناها عن المزامير يغنى
هى إن أقبلت بثَنْية عِطْفٍ   أقبلت بالمُهَفْهَف المطمئن(١)
وهى إن أدبرت بهزّة رِدْفٍ   أدبرت بالمُرَجْرَج المُرْجَحِن(٢)
خلق الله صوتَها العذب كيما   يعرف الناس كيف حُسن التغنى
وبراها ممشوقةَ القدّ كيما   يعرف الناس كيف حسن التثنى
بنت فن غنّت لنا فسقَتْنا   من أفانين لَحْنها بنتَ دَن(٤)
سحرتنى مذ أقبلت تتثنَّى   فكأن مذ أقبلت لستُ منى

يطلب جلنارا

وظبيٍ جاء يطلب جُلَّنارا   يحاكى لونَ وجنتِه احمرارَا(٥)
وقد ملكَ الخلائقَ ملك أسْر   وأوثقَ فى قلوبهـــم الإسارا
بقَدٍّ أخْجَل السُّمْرَ اعتدالا   وطَرْفٍ أوْجَل البيض اقتدارا
فقلت وما الكليم سوى فؤادى   وقد آنستُ فى خديه نارا(٦)
فديتُكَ كيف تطلب جُلَّنارا   وفى خديكَ أُبصِرُ جُلَّنارا

---

(١) هى مغنية عراقية .

(٢) العطف : جانب العنق ، ويقال مرثانى عطفه : إذا أعرض عن الناس متـكبرا، والمهفهف : الدقيق الخصر .

(٣) الردف : العجز . المرجرج : المتحرك المهتز . والمرجحن : المهتز أيضا .

(٤) الدن : إناء الخمر .   (٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) الـكليم : المجروح . والـكليم أيضا موسى عليه السلام .

اسمعي لى كلاما

اسمعى لى قبل الرحيلِ كلامًا ... ودعينى أموت فيك غرامًا
هاك صبرى خُذيه تذكرةً لى ... وامنحى جسمىَ الضَّنَى والسَّقاما
لست ممن يرجو الحياة إذا فا ... رق أحبابه ويخشى الحِماما(١)
لك ياظبيةَ الصَّريمة طَرْفٌ ... شدَّ ما أوسعَ القلوب غراما(٢)
حَبَبُ ماء الحياة منك بثغر ... طائرُ القلب حول سِمْطَيه حاما(٣)
شغل الكاتبين وصفك حتى ... لادُوِيًّا أبقَوا ولا أقلاما
كلما زاد عاذلى فيك عذْلًا ... زدت فى حسنك البديع هُياما
أفأحظى بزَوْرة منك تَشفِي ... صَدْع قلبي ولو تكون مناما
ربَّ ليلٍ بالوصل كان ضياءً ... ونهارٍ بالهجر كان ظلاما
قد شربت السُّهاد فيه مُداماً ... وَتخِذْتُ النجوم فيه نَدامَى(٤)
ما لقلبى إذا ذكرتك يهفو ... ولعينى تُذْرِى الدموع سِجاما
إنْ شكوت الهوى تلعثمتُ حتى ... خلتني فى تَكَلُّمى تمتاما

وقال فى عود انكسر

قلبي عليك حليفُ الوجدِ ياعُودُ ... كم شنَّفتْ أذُنى منك الأغاريدُ
كنتُ أفتديتُك لو يُفدَى الذى حكمت ... فيه المقاديرُ أن يلقاه تَنْكيد
فكم بدتْ نغماتٌ منك مُطْربة ... هُزت بها طَربًا حتى الجلاميد(٥)
تُعيد ياعودُ بالأوتار إن نطقتْ ... مَيتَ المَسرّة حيًا وهو مَلْحود
كأن أرواحنا عند استماعك من ... لطف لهن عن الأجساد تجريد
فكيف نالتك أيدى الدهر كاسرةً ... وأنت فى الدهر بالآذان معبود

(١) الحمام: الموت . (٢) الصريمة : قطعة ضخمة من الرمل تنقطع عن سائر الرمال .
(٣) العقد : السمط . (٤) المدام: الخمر .
(٥) الجلاميد ، جمع جلمود ، وهو الصخر الشديد .

ضاق الخناق

أقول لهم وقد جدَّ الفراقُ رُوَيْدَكمُ فقد ضاق الخِناقُ
رحلتم بالبُدور وما رَحِمتم مَشُوقاً لا يَبوخ له اشتياق(١)
فقلبي فوق أرؤسكم مُطَار ودمعي تحت أرجلِكم مُراق
أقال الله من قَوَدٍ لِحاظاً دماء العاشقين بها تُراق(٢)
وأبقى أعْيُناً للغيدِ سُوداً ولو نُسيتْ بها البِيض الرقاق(٣)
متى يصحو الفؤاد وقد أُديرتْ عليه من الهوى كأسٌ دِهاق(٤)
وليس الناس إلا من تَصَابى وإلّا من يَشُوق ومن يُشاق
مررنا بالمنازل مُوحشات لِهُوج الرّامسات بها اختراق(٥)
كأن لم تُصْبِني فيها كَعاب ولم يُضْرَب بساحتِها رِواق
فعُجْتُ على الطلول بها مُكِبًّا أُسائلُها وقد ذهب الرفاق
كأني بين أطلال المغاني أسيرٌ عَضَّ ساعدَه الوَثاق
حديد بارد في اللوم قلبي فليس له إذا طُرِق انطراق

وصف البدر عند الأفرنج

كأن البدرَ صحن من لُجَيْنٍ بدا فَجَلا برَوْنقه الهموما
به ارتقت الملائكُ للأعالي وراحت فيه تلتقط النجوما

(١) باخ : فتر وسكن. (٢) القود : إعطاء الدية .
(٣) البيض الرقاق : كناية عن السيوف . (٤) كأس دهاق : ملأى .
(٥) الرياح الهوج : الشديدة ، والرامسات : التي تأتي بالتراب ، فتدفن الأشياء تحته .

إلى أم كلثوم

أم كلثوم فى فنون الأغانى أمة وحدها بهـذا الزمان
هى فى الشرق وحدها ربة الفـــن فما أن للفن رب ثانى
ذاع من صوتها لها اليوم صيت عم كل الأمصار والبلدان
ما تغنت إلا وقـد سحرتنا بافتتان لها وأى افتتان
فى الأغانى تمثل الحب تمثيلا صريحا . بصوتها الفتـان
يتجلى فى لحنها مشهد الحب ولون الوصـــال والهجران
فتريك المحب عند التنائى وتريك المحب عند التدانى
وتريك الحبيب عند افتراق وتريك الحبيب عند اقتران
كل هذا فى صوتها يتجلى من خلال الأنغام والألحان
صفحات من الغرام تراها ظاهرات فى صوتها للعيان
تنشد الشعر فى الغناء فتأتى بلحون مطابقات المعانى
فاذا أنشدت عن الوصل أبدت فيه لحن السرور والجذلان
و إذا أنشدت عن الهجر جاءت بلحون تدعو إلى الأحزان
كم سقتنا كأس السرور بلحن و بلحن كأسا من الأشجان
تفهم الروح منطق الحب مما تتغنى به بلا ترجمـان
فكأن الأنغام فى الصوت منها ناطقات لنـا بغير لسان
قد سمعنا غناءها فعرفنا كيف فعل الغناء فى الانسان
حسن صوت يزينه حسن لحن فيه للسامعين حسن بيان
نبرات فى صوتها مشجيات تترك السامعين فى هيجان
تسترق القلوب منا بصوت نعبد الحسن منـه بالآذان
كل لحن إذا سمعناه منها دب فينا دبيب بنت الحان

في وقار الحليم تجعلنا طورا   وطورا في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع إليها   ونرى لذة لنا في التفانى



أمير الشعر الرصافى مع أميرة الغناء أم كلثوم

وترانا نهتز حين تغنى   فكأنا في حالة الطيران
وكأن الأرواح — إذ تتعالى   طربا — جردت من الأبدان
هى في مرتقى الأغاريد تعلو   حين تشدو ونحن في خطران
يشعر المرء حين يصغى اليها   بغرام من صوتها روحانى
بنت فن غنت لنا فسقتنا   من فنون الغناء بنت دنان
هكذا فلتكن يد الفن علينا   هكذا فلتكن على الفنان

أيتها الكعاب

فتنتِ الملائك قبلَ البَشَرْ وهامتْ بك الشمسُ قبلَ القمَرْ
وسُرَّ بكِ السمعُ قبل البصر وغنّى بكِ الشعر قبل الوَتَر
فأنت بحسنكِ بنت العِبَرْ

ترِفُّ لمَرْآكِ رُوحُ الغرامْ ويَهْوَى طلوعَك بدرُ التَّمامْ
ليطلع مثلك بالاحتشامْ ويرْقُبَ خَطْرَةَ هذا القوامْ
لكيما يَهُبُّ نسيم السحرْ

تميلُ بقدِّك خمرُ الدّلالْ فيضحكُ في مَيْلهِ الاعتدال
وفيك ارتقى الحسنُ عرشَ الجلال ومنه المقولُ غدت في عِقال[1]
وكم قد نَهاها وكم أمَرَ

إذا الوجه منك بدا للعيانْ له سَجَدَ العشقُ يرجو الأمان
ويخجل من نُوره النَّيِّران ويَعْنو له جبروت الزمان[2]
ويخضع حتى القضا والقدر

بك الحُسْن أُلبِس ثوبَ الكمالْ فأنتِ الحقيقة وهو الخيال
وأنت مَليكة ملك الجمال ولو صوّروك بلَوْح المِثال
لكنتِ مليكةَ كلِّ الصور

يروح الشتاء وتَصْحو السَّما ويأتي الربيع بمـا نَمْنَما[3]
فيطلعُ فوق الثرى أنجُما ويبتسم الزَّهر بعد النَّما
فأنت ابتسامة ذاك الزَّهَر

---

(١) العقال : القيد .
(٢) يعنو : يخضع .
(٣) نمنم : زخرف .

فطَرْفك بالفَتْر كم قد رَوى نشيدَ غـرامٍ يَهُدّ القوَى [1]
وما أنت شاعرة فى الهوى ولـكنما الشعر فيك انطوى
فآية حسنك إحدى الكُبَر

لسانكِ يَسحَرُ فى ظَرْفِه وجفنـك يَفْـتِن فى ضعفه
وقَدُّكِ يَخْطِر فى لطفـه فيُطنب رِدْفك فى وصفه
ويوجزه خَصْرُكِ المُخْتَصَرْ

سقتكِ الكعابةُ صَفْوَ الشبابْ وغَطّى محيَّاك منهـا نِقاب [2]
فأنت إذا قمت للإنسياب تبخترت فى خَفَر والكَعاب [3]
تضىء كعابتها بالخَفَر [4]

وقال يهجو بعض المرائين من المشايخ

سوَّد الله منك يا شيخ وجها غَشَّ حتى باللحيةِ السوداء
لو نَتفْنا من شَعرها وغزَلْنا لنسجنـا خمسين ثوبَ رياء

جاهل متكبر

وشامخ الأنف ما ينفكّ مُكتسبا ثوب التكَبُّر فى بُحبُوحة النادِى
قد لازم الصمتَ عِيًّا فى مجالسه كأنما هو من نُوَّاب بغداد

الطفل الملتحى

معارفُ بغـدادَ قد جاءها مديرٌ من الطيش فى مسرحِ
حمار ولكنه ناطــق وطفل ولكنه مُلتحِى
فيأيها العلم عنهـا ارتحلْ ويأيهـا الجهل فيها اسْلَحِ [5]

---

(١) الفتر : السكون والضعف . (٢) ، (٣) الكعابة : بروز ثدى الفتاة .
(٤) الخفر : الحياء . (٥) سلح : تغوط وتبرز .

فاسق مراء

أو جاهل يدعى العلم

أيوسفُ ماإنأنت من فَحْلِ هَجمَةٍ ... ولكن من الشَّوْلِ الطَّوَالبِ للفحل (١)
لئن كنت تُنْمَى للعطاء فإنه ... عطاء الذى تزكو الورى فيه بالبخل
وإن كنت قد كفَّرتنى بجهالة ... فبالبهْت كم كفَّرت من مسلم قبلى (٢)
وإنك فى تكفيرك الناسَ كافر ... تهاوَنُ بالله الذى جلّ عن مثلى
رُوَيْدَك قد كفّرت يا وغدُ مؤمنا ... وكذّبت فيما تدعى سيد الرُّسْل
وأنت امرؤٌ لم تجهل العلمَ وحده ... بل الجهل أيضاً بل وجهلك بالجهل
وأنتَ من الإسلام فى كل حالة ... بمنزلة الظّلم الصَّريح من العدل
نطقتَ ببُطْل القول تهذِى مُمَخْرِقًا ... ومثلكَ من يهذى وينطق بالبُطل (٣)
ألستَ الذى أعطى اللئامَ كرامةً ... وكشَّر فيه الأصلُ عن أربع عُصْل (٤)
وكم قرطَسَتْ فيك الرماةُ ووُتِّرَت ... عليك القسيُّ المُلْسُ ياجَعْبَة النَّبْل (٥)
فياعِلْج أَقْصِرْ عن سَهِيقك إنه ... أضلّ كإضلال الْخوار من العجل (٦)
أُنَزِّه عنك السيفَ فى قتلك الذى ... تُحتّم لكن يامخنَّث بالنّعل

الأرض

كأنى بهذى الأرض قد حان حَيْنُها ... فطاحت بأبعاد الفضاء شظايا (٧)
ونادت بأصوات الفَناء فِجَاجُها ... وناحت على أَطْوَادِها حَمَلايا (٨)

---

(١) الهجمة : ما بين الأربعين أو السبعين إلى المئة من الإبل ، والشول : النوق التى رفعت أذيالها طلبا للفحل .

(٢) البهت : الكذب والافتراء . (٣) مخرق : كذب .

(٤) العصل : الأنياب الصلبة المعوجة . (٥) قرطس : أصاب الهدف .

(٦) العلج : الرجل الضخم القوى من كفار العجم .

(٧) الحين : الهلاك .

(٨) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، والأطواد : جمع طود وهو الجبل العظيم . وحلايا ، ويقال هملايا : أعلى جبال الدنيا . فى الشمال من الهند .

أيها المشنوق

وقال فيمن شنق فى الآستانة من أول الثورة الرجعية ، التى حدثت فى ١٣ مارث سنة ١٣٢٥ :

يا ساكتا وهو مشنوقٌ على عمَدٍ ... لأنت أبلغُ مَن نادَى ومن خَطبا
كم فيك يأيها المصلوبُ من عِبَرٍ ... للناس حَيَّرْن من أملَى ومن كتبا
إذ قمتَ تطلب شيئا أنت جاهلُه ... طَوْعا لمن خان أو تَبَعاً لمن كذبا
طالبت بالشرع حتى قد قُتلت به ... كذاك من جهل الشىء الذى طلبا
ولو أُجبتَ إلى ما أنت طالبُه ... لأصبحَ الشرعُ يدعو الويلَ والحَرَبا[1]
ياظالمَ الشعبِ مظلوما بفعلتـه ... عليك أمْ منك يَبْكى الشعبُ منتحبا
قد قمتَ للشر لا للشرع منتصِبا ... حتى عَلوْت به فى الجو منتصبا
فاشكر عُلوَّك إذ يعلو به وطن ... قد كِدْتَ تُورِدهُ من فعلك العَطَبا
يا مُفسِدا قام تحت الدين مستترا ... ليجعل الأمر فى البُلدان مضطربا
أنظر إلى ذلك المصلوب مُتَّعظاً ... فإنما قَتْلُه فى الشرع قد وَجَبا
وآية الله فى التنزيل قائلة ... من كان يفسد فى أوطانه صُلبا

بين اليأس والرجاء

ترى مُقْلَتى ما ليس تملكه يدى ... ومازلتُ أسعى مُنْفَضَ الكفِّ مُحْوَجا
أرى بابَ رزق من بعيد مُفتَّحا ... فآتيه وَلأْجاً فألفيه مُرْتَجَا
وأيأس أحيانا وأرجو فلم أكن ... لأملِكَ من شىء سوى اليأس والرجا

(١) الحرب ، بفتح الراء : الهلاك والويل .

جواب عن كتاب

قَسَمًا بالإله عـزَّ وجـلَّا   إن قلبي عن حُبِّكم ما تخلَّى
لاولا عن هواك لى من سُلُوٍّ   طردتْ مُهجتى السلوَّ فولّى
أنكر العاذلون ثابتَ حبى   وكفى شاهداً بدمعى عَدْلا
ما عسى أن يضر إنكارُ شيء   وهو كالشمس فى العِيان تجلّى
عَذَلونى فما سمعتُ فقالوا :   أنت سالٍ عن حُبِّهم ؟ قلت : كلا
كيف يسلو عن حبكم ذو فؤاد   قد تلاشى فى حبكم واضمحلا
لم يزل فى الوداد يَرْقُب قلبى   ذِمةً فيكم وعهداً وإلّا[1]
أيها المنتطى مُتون المعالى   فائزاً من قِداحِها بالمعَلَّى[2]
نَسَماتٌ من المَسَرّةِ هَبّت   وهلال من السعادة هَلَّا
يوم وافى إلىّ منك كتابٌ   فيه آياتُ فضلك الجمّ تُتْلَى
قيل لى : هاك ما يزيدك شوقاً   قلت : أهلًا بما أتيت وسهلا
قال : نلت المُنَى، فقلتُ : جميعاً   قال : لولا فراقُهم : قلت : لولا

الغنى عنى النفس

لاتَشْكُ للناس يومًا عُسْرَةَ الحالِ   وإن أدامتْك فى همٍّ وبَلْبَال
وجانب اليأسَ واسلُكْ للرجا طُرُقا   فالدهر ما بين إدبارٍ وإقبال
واركبْ على صهوات الجد مغتربًا   فيما تحاول ذا حَلٍّ وترْحال
واطلُب على عِزِّه بَيْضَ الأَنُوقِ ولا
تطلب لَعَمْرُك أن تحظى بمِفضال
لم يبق غيرُ الذى غُلَّت أنامله   إما بأغلال شُحٍّ أو بإقلال

---

(١) الإلّ : العهد .   (٢) المتون جمع متن ، وهو الظهر .

كم قد غدوتُ على الأَيام منتدِباً | قوماً أضعت بهم شعرى وآمالى
أفعالهم دون أن يغرى الرجاء بها | لكنَّ أقوالهَم أقوال أقيال[1]
من كل هىّ بن بىّ لاثباتَ له | جهْد اليدين قئولٍ غير مِفْعَال[2]
كم بات ذو الحمق خِلْوا فى مضاجعه | و بات ذو العقل فيها كاسف البال
هذا يَمِيس بأبراد مفوَّفة | وذا يخيط شظايا طمره البالى[3]

وقال

شوق إليك قريبٌ لا ينائينى | والصبرُ عنك بعيد لايُدانينى
يا راحلاً وفؤادى فى حقيبته | رَهْنا لديه ولكن غير مضمون
تركتَنى فى شجونى للورى مثلاً | يُميتنى الوجد والأَشواق تُحيينى
أقفُوا الملاحَ لكى أسلو هواكِ بهم | فيرجعُ الحُسْن منهم فيكِ يُغرينى[4]

شكر على صنيع

شكراً لفضلِ مُمَجَّدٍ | أهدِى إليه نظيم شعرِى
فاق الأماجد وامتطى | بالعز صَهْوَةَ كلِّ فخر
إنى اختبرتُ بنى الزما | ن جميعَهم فى كل أمر
وسَبَرْتُ غَوْرَهم لدى الـ | ـحَالَين من عُسْر ويُسر
وبكفّةِ تجربتى لهم | قلّبتُهم بَطْنا لظهر
فوَحَقِّ من أرجوه فى | دَفْع الخطوب وكل ضُر
ما إنْ رأيت بهم فتى | حسنَ السريرة مثلَ (شكرى)
المرتقى فى المَكْرُما | ت إلى المَقَام المُشْمَخِرِ

---

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو لقب للملك الصغير دون الملك الأعظم فى بلاد اليمن .
(٢) رجل هى بن بى : أى مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .
(٣) ماس : مشى فى اختيال . مفوفة : منقوشة بنقوش بيض . الطمر : الثوب البالى .
(٤) أقفو : أتتبع .

يرْعى الذِّمار على كلا الـــحالَيْن من سر وجهر
ياذا الإخاءِ المستقـــر وذا الوفاء المستمر
جاء الكتاب إلىَّ منـــك به شَفَيْتُ غليلَ صدرى
فإليك يا (شكرى) على هذا الصنيعِ عظيمَ شكرى

وقال

لمنِ الديارُ يَلحْن فى الصَّحْصَاحِ لَعِبَتْ بهنَّ رَوامِسُ الأَرْواحِ[(١)]
عَبثت بها أيدى البلَى فترَكْنَها فى العين أخْفَى من دَرِيس نِصاح[(٢)]
ولقد وَقفتُ بها المطىّ مُسائِلا شَجَرات وَادِيها وهن ضَوَاح[(٣)]
أقْتَافُ آثاراً لهن دوارساً كانت إليها غُدْوتى ورَواحى[(٤)]
لما تبينتُ المعَالِمَ هُمَّداً هَطَلَتْ مَدامع طرفِىَ السفاح
فسقاكِ مُرْتكزُ الغمائِم صَوْبَه غَدَقاً بكل عَشِيَّةٍ وصباح[(٥)]
حيِّ الديار وإنْ تحمل أهلُها عنها وأمست مُوحشات بطاح
عَهْدِى بها والعيشُ أخضر ناعِم والشَّملُ تجمعه يدُ الأفراح
مَغْنًى أنيقاً للحسان وروضة نبتت بكلِ روضةٌ وأقاحى
كم قد لثمت بها المراشفَ آخذا بِهَضِيم خَصْر جال تحت وِشاح
ولكم لهَوْتُ من الحسان بغادة لَمياء تُرْشِفُنِى شَمُول الراح[(٦)]
هل عائدٌ زمنٌ أتيت مع المها ما شئتُ من لعب به ومزاح
قد بت فيه ضجيع كل غريرةٍ رُؤْدِ الشباب من الخرادِ رَدَاح[(٧)]
أيامَ تحضرُبى بمِضْمارِ الصِّبا فَرَسُ الشَّبيبةِ وهى ذات جِماح

(١) الصحصاح : المستوى الأجرد من الأرض . والروامس . التى تأتى بالتراب فتدفن فيه ما تقابله والأرواح : الرياح .
(٢) الدريس : البالى . والنصاح : ما يخاط به الثوب من خيط ونحوه .
(٣) الضواحى : البارزات للشمس . (٤) أقتاف : أتتبع .
(٥) المرتكز : المقيم الثابت . والصوب : المطر . والغدق : الكثير .
(٦) اللمياء : السوداء الشفة ، وهى محببة لدى العرب . ترشفنى : تسقينى . والشمول : الباردة .
(٧) الغريرة : غير المجربة . والرؤد : الشابة الحسنة . والخراد: الأبكار . والرداح : التامة الخلق .

ومنها فى وصف بعضهم :

رَكَضُوا بميدان التّحاسُدِ خيلهم ... وَسَبَوا من الأَعْرَاضِ غيرَ مُباح
لبسوا النفاقَ لهم دُروعا واغتدَوْا ... يَتَطاعَنُون من الخَنَا برماح
أَضْحَوا كُماةَ وشَايةٍ وسـعاية ... ومن الضَّغائن هم شُـكَاةُ سلاح(١)
كالجاهلية غـيرَ أَنّ مُغارَهم ... فى نَهبِ كل خَطيئةٍ وجُنـاح(٢)
إصلاحُهم أَعْيَا العقولَ لأنهم ... خُلِقَتْ مفاسدُهم لغير صَـلاح
من كل مرتكب الشَّنيعِ ولم يكد ... يَثْنيه عنه إذا لَحاه اللاحى
أَهْدَى بطُرْق المُخْزياتِ من القَطَا ... وأَضَـلُّ ممن آمنوا بسَجَاح(٣)

ليـالى الأنس

ذكرتُ ولستُ فى الذكرى بناسِ ... ليالى بِتُّهُنّ مَبيتَ حاس
بنادٍ تَزْدَهيك به انتظاماً ... مقـابلةُ الأَسرَّة بالـكراسى
به اجتمعتْ غطَارفةٌ كِرَامٌ ... أبَوا شِيم التَّخالف والشِّماس(٤)
يطُوف عليهمُ رَشَـأٌ رَخيم ... يُغازل مُقْلَتيْه فَمُ النُّعـاس(٥)
بِراح فيك تبتعثُ ارتياحاً ... وتَنسف طَوْدَ همِّك وهو راسِي
يَشِبُّ لمزجها بالمـاء وَقْدٌ ... تـكاد تَهمُّ منه إلى اقتباس
تُميت همومَ شاربها سرورا ... فتدفِنُهن فى حُفَرِ التناسى

---

(١) الـكماة : جمع كمى ، وهو البطـل الشجاع يلبس الدروع ، والشـكاة بضم الشين : جمع شاك ، أى شاكى السلاح ، وهو من الشوكة والحدة .

(٢) المغارة : الاغارة ، والجناح : الاثم .

(٣) القطا : نوع من الطير اشتهر عند العرب بمعرفته الطريق ، وسجاح : هى ممن تنبئوا كذبا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) الغطارفة : جمع غِطريف ، وهو السيد الـكريم ، والشماس : المخالفة والعناد .

(٥) الرشأ : ولد الظبى ، والرخيم : الرقيق .

وصاحٍ وَجَّه الندماء كأساً إليه فقال : لست لها بحاس
وغالى فى الإباء فَـارَسُوه فَلانَ أَبِيُّه بعـد المِراس
فقال وقد مشتْ فيــه ودَبَّتْ دبيبَ المَاء فى وَرَق الغِراس(١)
لَعَمْرُك إن فى الصَّهْبَاء معنًى دقيقاً ليس يُعرَف بالقياس

الشمس

كأن الشمسَ باخرةٌ تَخُور تُجِد السير فى بحر الفضاء
ستغرق بعـد حين باصطدام بمزق جِرمهــا أو بانطفاء(٢)

رئيس الدائنية

الشيخ محمد أبو عبعوب الدائنى

الدهرُ بَيَّن فى كتابِ شهادةٍ بالنورِ فوق جَبِينهِ مكتوبِ
إن السماحةِ والشجاعة والعُـلَى جُمعَتْ لَعَمْرى فى أبى عَبعوب
شهمٌ تَوَلَّع بالعطاء بَنــانُه مثلُ الرياح تولّعت بهبُوب
أسدٌ نَمَتْه لآل قيس فى العُلَى آباءُ مجـدٍ ليس بالمكذوب
ورث المكارم عن أبيه ولم يَزَلْ يسمو بصارمِ عَزْمة المَرْهُوب
ما زال يُوقد كلَّ يوم فى الورى نارَيْنِ نار قِرًى ونار حروب(٣)
يَهْدِى جموعَ المُدْلِجين لسَــيْبه فى الليل ضوءُ لهيبها المَشْبُوب(٤)
خُلقت من الحسب الصميم أَكُفُّه لعنان سابقةٍ وكشف كروب
حَمِدت وقائمَه السيوفُ بكفّه والخيلُ كل مُطَهَّم يَعبوب(٥)

(١) الغراس : النبات مغروسا فى الأرض . (٢) الجرم : الجسم .
(٣) القرى : ما يقدم للضيف . (٤) الدلج : السائر الليل كله أو آخره .
(٥) المطهم : التام الحسن ، اليعبوب : الفرس السريع الطويل .

إن شنَّ فوق ظهورهن إغارة ... ترك العدوَّ بلوْعة المَحْروب[1]
يَلقَى الفوارسَ والسكينةُ درْعُه ... ويخوض غَمْرَ الموت غير هَيُوب
فخرُ الكرام على المكارم والندَى ... قامت دعائمُ بيته المضروب
الجُود مغلوباً تراه ولم يكن ... للجيش فى الغزوات بالمغلوب
يتفقد الأضياف ملء دياره ... عند الصباح وعند كل غروب
كالعبد يخضع للضيوف وإنه ... فى القوم أكبرُ سيِّد مَعْصوب[2]
عَمَّ الأراملَ واليتامى سَيْبُهُ ... فغدت تعيش بماله الموهوب
خُلِقَ الكريمُ ابن الكرام محمدٌ ... لسرور محزون وجَبْر قلوب
تالله لو كان الكرام بلاغة ... كان الكريمَ المُعْجزَ الأسلوب

راقم

وما أدراك ما راقم

أقِمْ فى الأرض صَرحاً من ضياءٍ ... بحيث يَمَسّ كرسىَّ السماءِ[3]
وبعدُ فجَسِّم العرفانَ شخصاً ... تَردَّى المجدَ فَضفاضَ الرِّداء
وفى يُسْراه ضَعْ لَوح المعالى ... وفى يُمْناه ضَعْ قلم الذكاء
وأجْلِسْه على الكرسىّ يَمحُو ... ويُثْبت ما يشاء من العلاء
وقفْ وارْفع إليه الطَّرْفَ وانْظُر ... فذلك راقمٌ رَبُّ الدّهاء

* * *

ألا يا كعبةَ الفضلاء يا من ... فضائله عَظُمْن بلا انتهاء
أهِمّ بأن أحيط بهن وصفا ... ومن لى بالإحاطة بالفضاء
وأُقْدِم أن أُتِمَّ علاك مدحاً ... فيرجعنى علُاك إلى الوراء

---

(١) المحروب : المصاب بالشدة . (٢) معصوب : متوج .
(٣) الصرح : البناء العالى .

وما وَفى الثناء عليك مُثنٍ ... لأنك فوق تَوْفية الثناء
وما اتّقدت ذُكاء بما يُدانى ... ذكاءك يا إمامَ الأذكياء(١)
ولو كانت أشعتها تحاكى ... شعاعك ما انكسرن من الهواء
بفكرك دَوْحةُ العرفان تنمو ... كذا الأدواح تنمو بالضياء(٢)
وأُقسم لو تكون من الدّرارى ... لكنتَ الشمسَ فى كبد السماء
ولولا الصبحُ يطلع كلَّ يوم ... لقلت الصبح أنت بلا مِراء

نقش على الماء

أرى عيشنا تأبى المنونُ امتدادَه ... كأنا على كيس المنون نعيش
وما زال وجه الأرض يوسعه الرّدَى ... لطاماً وهاتيك القبور خدوش
كأن انقلاب الأرض ماء كأننا ... على الماء من ريح الحياة نقوش
لحا الله دنيا كلَّ يوم بأهلها ... تُهدّ حصونٌ أو تُثَلُّ عروش
تَرُوحُ سهام العيش فيها طوائشا ... وللموت سهم لايكاد يطيش
نَمُدّ إلى قَطْف المُنَى وهى جَمَّة ... من العُمْر كفًّا لا تكاد تَنُوش(٣)
ونرجو ومن سيف الردى فى رجائنا ... جراحاتُ يأسٍ ما لهن أُرُوش(٤)
وأجمِلْ بوجه العيش لولم يكن به ... حنانيك من ظُفر الخطوب خُموش
دهاها لرامى الموت سهمٌ مُقَرْطَسٌ ... نجيف بأدواء الحياة مَريش(٥)

(١) ذكاء : الشمس .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٣) تنوش : تمتد .

(٤) الأروش ، جمع أرش : دية الجراحة .

(٥) المقرطس : المسدد للهدف ، النجيف : السهم العريض النصل ، المريش ذو الريش .

لَعَمْرُكَ إن الدهر تَغْلِي خطوبُهُ وإن عَوِيل الصَّارخين نَشِيش[١]
وما الدهرُ إلا للخلائق منْضِج له مِرْجَل بالحادثات يَجِيش
كأن جيوش الموت رافقةٌ بنا فتزحف منا للحروب جيوش
ومَن نَظَر الدنيا بعين اعتباره تساوتْ مُهودٌ عنده ونُعوش

هوة الموت

كأن حياتنا جبلٌ مُطِلٌّ على مَهْوَاته وهى المَمَاتُ[٢]
مشَيْنا فوقه عُمْيا فظَلَّت تَهَاوَى نحو هُوَّته المشاة
كأن فضاء هذا الكون بَحْر تَمَوَّجُ فيه هدى الكائنات
ونحن لدى تَمَوُّجِها كأنَّا فواقعُ ظاهراتٌ خافِيات[٣]
تَبِينُ تارةً وتَغيبُ أخرى فشأناها التَّفَرُّق والشَّتات

وقال

رقَّتْ بوصفِ جَمالكِ الأقوال ورأتكِ فافْتَتَنتْ بكِ العُذَّالُ
وهبَ الإله بكِ الجمالَ تجمُّلا حتى كأنكِ للجمالِ جَمال
كلُّ العيونِ إذا برزتِ شواخِصٌ كيما تراكِ وغَضُّهن محال[٤]
وإذا الخَلِيُّ رآكِ عاد بمُهْجةٍ للوَجْدِ مخترَقٌ بها ومَجَالُ
كم قد سَفَرْتِ فنِي القلوب تَوَلُّهٌ لمّا رَأَوْكِ وفى العُقول خبال
فرَموْكِ بالأبصار وهى كَليلةٌ من نُور وجهكِ نورهنَّ مُذال[٥]
رَبطوا الأكُفَّ على ضلوع تحتها بين النواظر والقلوب جِدال
لو كنتِ فى أيام يوسف لم تكن بجمالِ يوسفُ تُضرب الأمثال

(١) النشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى .
(٢) المهوى : موضع الهوى ، أى السقوط .
(٣) والفواقع : الفقاقيع .
(٤) شواخص : ناظرات .
(٥) الكليلة : المتعبة ، ومذال : مهان .

وَلقَطَّعتْ دون الأكف قلوبَها شَوْقا إليكِ مع النساء رجال
كم قد يجور على جفونِكِ سُقْمُها كَسْرا وتجهد خَصرَكِ الأكفال
عَجبًا لطَرْفِكِ وهوأضعف ماأرى يَرْنو فترهَب فَتْكَه الأبطال

وقال

قامتْ تَميسُ بأعطافٍ وأوْرَاكِ رَقْصًا على نَغَماتِ المَوْل الحاكى
حوراء جاءت وكلٌ فى مَسرَّته لاهٍ وراحتْ وكلٌ طرْفُه باك
شكوت من خصرها ضعفا وقلت لها
مَليكةَ الحسْن هل عطفٌ على الشاكى
فاستضحكتْ وهى تَجْنى الورد قائلةً
ما أحسنَ الوَرْدَ قلت : الوَرْدُ خداك

وقلت:أهْوَى فقالت بالدلال:ومن تهوى ؟ فقلت لها : إيّاك إيّاك
واستحلفتنى على قلبى فقلت لها : يهواك ، إى وجلال الحُسْن يهواك
سحرٌ بعينيكِ يَستهوى القلوبَ وما يَنفَكُّ فى هَتْك عُبّادٍ ونُسّاك
يا ربةَ الحُسْنِ هلّا تعطفين على من بات سَهران مشغولا بذكراك
ماأطيبَ العيشَ فى الدنيا واتّصلت أسبابُ دنيايَ مع أسباب دنياك
الحسْن يَفتنُ والألحاظ فاتكة واحيْرتى بين فتّان وفتّاك
تهفو بقلبيَ أشواق فأمسكه لمّا أراك وهل يشفيه إمساكى
إنى وعندى بكُنْهِ الحسن معرفة ماراقنى قطُّ من شيء كمَرْآك
أمسى غرامُك يجرى فى عروق دمى كالكهرباء التى تجرى بأسلاك

المكتب

تصوَّرْ حدائقَ في بَهجة ... تَرُوق وفي نَضْرة تعجبُ
ترَقْرَقُ فيها مياهُ العلوم ... جداولَ تجْرى ولا تَنْضُب
وهبَّ عليها نسيمُ الفنون ... يَرُوح ويغدو بها يلعب
فأضحتْ وأرض كَلاَّتها ... بِبَتِ الحقائق تَعْشَوْشِب[1]
وأمستْ وإن ثمارَ العلاء ... لأشجارِ عرفانها تُنسب
وطار الفَخارُ بأرْجائها ... بلابلُ تغريدُها مُطرب
فللمجْد وجهٌ طليقٌ بها ... وللسعد ثغر بها أشْنب
غذاء النفوس وطبُّ العقول ... وحفظُ الجُسوم بها يُطلب
فتلك إذا ما تصورتَها ... جَليًا لَعمرى هى المكتب

أقبلت فى غلائل

سيوفُ لحاظٍ أم قِسِيٌّ حَواجبِ ... تَرِيشُ إلى قلبي سهامَ المعَاطِبِ[2]
ورُبَّ كَعابٍ أقبلت فى غلائل ... وقد لاح لى منها حُلِيُّ الترَائب[3]
لها جِيدُ ظبى واعتدالُ وَشيجة ... وعين مَهَاةٍ وائتلاقُ الكواكب[4]
ولا عيبَ فيها غيرَ أن أولى الهوى ... يُنادونها فى الحسن بنتَ العجائب
نَضَتْ عن مُحيّاها النقابَ عشيّةً ... فأسْفَرَ صبح الحُسْن من كل جانب
ومذ نشرتْ سودَ الذوائبِ أو جَلتْ ... نهار مُحَيّاها بلَيْلِ الذوائب
تناسبَ فيها الحسن حتى رأيتُها ... تفوق الدُّمَى فى حسن ذاك التناسب

---

(١) تعشوشب : يكثر فيها العشب .
(٢) راش السهم : عمل له ريشا . والمعاطب : المهالك .
(٣) الترائب : وهى جمع تريبة ، أعلى الصدر حيث يوجد العقد .
(٤) الجيد : العنق ، والوشيجة : الرمح ، والمهاة : البقرة الوحشية .

مُفتَّرةِ الأجفان تُدْمي بِلَحظها قلوبَ أسُودٍ مدْميات الكتائب
فلم أنْسَها واللهِ يوم تَعرضت لنا بين هاتيك الظِّباء السَّوارب(١)
وما كنتُ أدرى ماالصبابةُ قبلَها ولاهِمْت يوماً فى الحِسان الكواعب
فأصبحتُ فيها ذا غرام ولَوْعة ووَجْد وتَهيام وهَمٍّ مُواظِب
وما الصبرُ إلا غائبٌ غيرُ حاضر وما الشوق إلا حاضرٌ غير غائب

كل امرىء وصديقه

تَحَرَ إذا صادقتَ مَنْ وُدُّه مَحْضٌ يُصان لديه المالُ والدين والعِرضُ
فكلُّ خليلٍ مُنْبِىءٌ عن خليله كما عن شُئون القلبِ قدأنبأ النَّبض
وبالصدق عاملْ مَن تُحبَ من الورى
وإلّا فذاك الحب آخره بُغْض
وسامحْ صديقاً قد أساء بفعله ثلاثا عسى عن ذلك الفعل يَنْفَضُّ
وبعدَ ثلاثٍ دَعْه غير مُسامِح فرَفْضُ الذى دامت إساءته فَرْض
وقوِّ أساسَ الود بالصدقِ فالذى على جُرُفٍ هارٍ يُؤسس يَنْقَضُ(٢)
وإن وَمَضتْ للخل منك سحابةٌ فلا يَكُ منها خُلَّباً ذلك الوَمْض

النفس الأمارة

نهيتك عن هواكِ فما انتَهَيْتِ ولكنْ قد فعلتِ كما اشتهيْتِ
فيا نفسى عن الشهواتِ كُفى فأنت عليكِ يانفسى جَنَيْتِ
وما أمارة بالسوء يوما سعت فى المُنْكرات كما سعيتِ
إذا ما حَلْبَةُ الحسنات جاءتْ رأيتُك أنت صاحبة السُّكَيتِ(٤)
فإن أسدى الإله عليك عفوا وإلّا ياخَبار فقد هَوَيْتِ

---

(١) السوارب : جمع سارية ، أى الذاهبة إلى المرعى .
(٢) الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، الهارى : المنهار .
(٣) ومض البرق : لمع خفيفا ، والخلب : الخادع . (٤) السكيت : آخر خيل الحلبة .

الأنس فى غير موقعه كدر

وصاحبٍ قد دعانا أن نُلِمَّ بهِ ... مستأنسين بضَرْب العود والوَتَر
فى ليلةٍ كان فيها الحرّ مُتّقِدا ... ترمى جَهَنَّمُه الأجسام بالشَّرَر
وكان ذلك فى دار يَضيق بها ... صدرُ الأغار يدمن ضِيقٍ ومن صِغَر
كأنها مَفْحَصٌ تأوى القطاةُ له ... أو جُحْرُ ضَبٍّ بأرض صُلْبَةِ الحجر(١)
فما عَهِدت طَرُوبا قبل زَوْرَتِها ... تلقاه من نغمات العود فى ضَجَر
ومُطْرِبات الأغانى وهى واقعةٌ ... فى غير موقعها ضربٌ من الكدر

وقال

إلى كَمْ تَصُبّ الدمعَ عَيْنِى وتَسْكُبُ ... وحَتَّامَ نارُ البيْنِ فى القلب تُلْهَبُ
أبيتُ ولى وَجْدٌ يُشَبّ ضِرامُه ... ودمعٌ له فى عارِضَىَّ تَصَبّب
وهل لِمَشُوقٍ خانه الصبرُ عنكم ... سوى دَمْعِه فهو الدواء المُجَرَّب
ألا إن يوما جَرّد البَيْنُ سيفَه ... علىَّ به يومٌ شديد عَصَبْصَب(٢)
فياليتَ شِعْرِى هل أفوز برؤيتى ... مُحَيًّا له كلُّ المحاسن تُنْسَب
وعينيك لا أسلوكِ أو يُصْبحَ السُّهَا ... وشمسُ الضحى فى ضَوْئه تتحجَّب
فإنى كما شاء الهوى بكِ مُغْرَم ... وأنت كما شاء الجمال مُحَبَّب
أحِنُّ إلى رؤياكُمُ كلما سرَى ... نسيمٌ وأبكى كلما لاح كوكب
وأذكُرُكم للشمس عند طلوعِها ... ويَعْزُب عنى الصبر أيّانَ تغرُب
لقد بان صَبْرى يوم بَيْنِكَ إذ قضى ... به صَرْفُ دهرٍ لم يَزَلْ يتقلب
تَبَصَّرْ خليلى فى الزمان فهل تَرَى ... صفافيه من وَقْع الشوائب مَشرَب
ومَنْ نَظر الدنيا وجرب أهلها ... رأى الغَدْرَ من أشداقِها يتحلّب(٣)

---

(١) مفحص القطاة : بيتها ، والقطاة : نوع من الطيور يشبه الحمام .
(٢) عصبصب : شديد . (٣) يتحلب : يسيل .

البصرة

إياكَ والبَصرةَ المُضْنِي تَوَطُّنُها فلا تَمُرَّنَّ فيها غــيرَ مُظْطَعِنِ(١)
لا تعجبَنَّك بالأشجارِ خُضرتُها حُسْنًا فــا هى إلا خُضرَةُ الدِّمَنِ(٢)
ما إن أقام صحيحٌ فى مَسا كِنِها إلا وسافر عنــه صحة البَدَنِ
ماء زُعاق وحَرّ قاتم وهوًى نَتن وشدَّةُ حــرٍّ غير مؤْتمَنِ(٣)
انظرْ تجِـدْ كلَّ أهليها كأنهم
من السَّقام استحقوا الدَّرْجَ فى الـكَفَنِ
صُفر الوجوه قد امتصت دماءهُم الــحمَّى وقد حرَمَتْهم لذة الوَسَنِ(٤)

ومنها فى هجاء بعضهم :

يَلْقَى النزيلَ بوجه قُدَّ من حجَرٍ لو لا العُبوسةُ لم يُفرَق من الوثَنِ

ومنها :

أفيــك ياغمْرُ يَلْقَى الشعرُ مأْمله ياخَيْبَــة الشعر بل ياضيعة اللَّسَنِ(٥)
مالى أراك على الـكرسيّ منتفخا إن كان فيك احتباسُ الريح فاختنِقِ

الحر فى أغسطس

قد كاد بالحرِّ هذا اليومُ يَصْهَرُنا إذ قد بَــدَا فيه للرَّمْضاء تَسْعِيرُ
كأنما الشمس جاعتْ فهى من سَغَبٍ تشْوِى الجسوم لها والأرض تنّور(٦)

---

(١) المظطعن : المسافر .
(٢) الدمن : جمع دمنة ، وهى المزبلة .
(٣) الزعاق : الماء المر لا يطاق شربه .
(٤) الوسن : النوم .
(٥) المأمل : الأمل ، واللسن الفصاحة .
(٦) السغب : الجوع .

البرد فى كانون

لله يومٌ جاء يَلْسَعُ بَرْدُه فكأنَّ ذرَّاتِ الهواءِ عقاربُ
لم تلقَ شيئا فيــه ليس بجامدٍ إلا احتمالَ البرد فيه فذائب

معلقة

وقد قالها ارتجالا

انظرْ إلى تلك المُعَلَّقَةِ التى سترتْ ظلامَ الليلِ بالأضواءِ
قِطعٌ من البلورِ مُخْدِقةٌ بها يَحْكين شكلَ أصابع الحسناء
فكأنها بدر تَلألأَ فى الدُّجى وكأنهن كواكبُ الجَوْزاء
بل قد يُمثلها الخيالُ كأنها قمر أُحيط بهَالةٍ بيضاء

وقال من قصيدة

قد يَطْفحُ اللؤم حتى إن صاحبهُ يَنْسَى الحياء فيغدُو يدّعِي الكرَمَا
إن الجهالة إن كانت فذى بَصرٍ
رأى الضلالَ هُدًى واسْتَسْمَن الورَما
ما للغواةِ ارعوا عن غَوايتهم إن لم يك السيفُ يعلو منهم القمما
كم من أراذلَ أطْغَتْها سفَاهَتُها حتى ادّعَتْ وهى أذنابٌ لها الشَمَا
إن عُدّت الوحش ما كانت ولا بقرا أو عُدّت الطيرُ ما كانت ولا رَخَما

ومنها :

والناسُ كالناسِ فى خَلْق وبينهمُ
فى الخُلق بوْن فذا أرضٌ وذاك سَما
مَثلُ الحديد وما امتازت حقيقتهُ والقَيْن يطبع منه السيفَ والجَلَما(١)

(١) القين : الحداد . والجلم : المقص .

وقال

يهجو بعضهم بقصيدة جاء مطلعها

اللؤمُ داءٌ في النفوسِ عَيَاءُ ... لم يَشْفِ منه سوى الحِمامِ دَواءُ[1]

ومنها :

لو كان في الدَّأْمَاء كلُّ عيوبه ... بل بَعْضُهن لأنْتَنَ الدأماء[2]

ولوَ أنَّ في كُرَةِ الهواء طباعه ... فسدتْ فماتت بنَتْنِها الأحياء

ألقتْ عليه يدُ الزمان مَخازيا ... منها تلوح بوجهه الفَحْشاء

وجهٌ أقام الدهرُ فيه من الخنا ... سِمَةَ فساد وليس فيه حَيَاء

يا ماشيا يَخْتال في غُلَوَائه ... «أطْرِقْ كَرَى» ماهذه الخُيلاء[3]

هَبْ غفلةَ الجهلاء عنك طويلة ... أَفَلَيْس تعلم خِزْيَك العقلاء

وقال في بعضهم

تَجَنَّبْ من سَقيم الرأى قُربا ... ولا تغترَّ بالبَدَنِ الصحيحِ

ولا تَرْضَ الصديقَ لِحُسْنِ خَلق ... إذا ما كان ذا خُلق قبيح

ومنها :

وذى سَفَه أكَبَّ على المخازى ... وما قبِلَ النصيحةَ من نَصِيح

تَرُوج المُخْزِياتُ لديه حتى ... تُباع إليه بالثمن الرَّبِيح

أطاف بغَيِّه وأباح شَتْمِى ... وكان الشتمُ أجْدَرَ بالمُبيح

وأغراه الضلالُ فكان منى ... كما كان اليهودُ من المسيح

ومنها :

فمُتْ فى نار غَيْظِك مُسْتَشِيطا ... فلستَ من الهجاء بمستريح

سأضرِم فيك يالُكَعُ الأهاجى ... كنيرانٍ تُشَبُّ تجاهَ ريح[4]

تجمّعت المخازى فيك حتى ... يعدُّ المَجوُ فيك من المديح

---

(١) داء عياء : لا يبرأ منه . والحمام : الموت . (٢) الدأماء : البحر .
(٣) الكرى : مرخم الكروان . وأطرق كرى : أى خفض من اختيالك وكبريائك أيها الكروان وهذا مثل يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أفضل منه . (٤) اللكع : اللئيم .

في المسرح

بدتْ في مسرح رَحْبِ البَلَاطِ   بقُضْبَانٍ مُشَبَّكَةٍ مُحَاطِ
فجالتْ من ضَفائرها بتَاجٍ   وماسَتْ غيرَ ضَافيةِ الرياط[1]
ولا أنسَى تَوَرُّدَ وَجْنَتَيْها   وقد برزتْ تَميس على البسَاط
فقلنا وهى تَخْطِر في وَقارٍ   مَليكُ الحُسْن يخطِر في البلاط
وقد سجدتْ لها الأنظارُ لما   أرَتْنا الحُسن يرْفُل في القَبَاطِي[2]
وكَبّرنا المُهَيْمِنَ حين راحت   تَصُول على الضَّيَاغِم بالسِّياط[3]
سقتْ أعصابنا خَدَرا وطارت   مُرَفْرِفةً بأجنحة النشاط
مشتْ مشيَ الحمامة فوق سِلْكٍ   تَهولُ عليه أن تخطو الخَوَاطى
وبارتْ فوقه خفقانَ قلبي   بحالتي ارتفاع وانحطاط
فَخِلْناها وقد خلبتْ نُهانا   تُعَلِّمنا الجَوَازَ على الصراط

شكر ووداع

أعِرْني لسانًا أيها الشعرُ للشُّكْرِ
وإن لم تُطِق شكْرا فلا كنْتَ من شِعْرِ
وجِئْني بنور الشمس والبدرِ كي أرَى
بمَغْنَاك نورَ الشمس يُشرق والبدر
وحُمْ حول أزهارِ الرياض تَطيبًا   بها مِثلما حام الفراش على الزَّهر
وقُمْ في مقام الشكر وانْشُرْ لواءهُ   برأس عَمُودٍ خُذْه من غُرَّة الفجر
فإن لبيروتٍ حقوقًا جليلةً   عليَّ فَتُبْ ياشعرُ عنيَ في الشكر

(١) الرياط : جمع ريطة ، وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا .
(٢) القباطى : جمع قبطية بالضم ، وهى ثياب من الكتان ، منسوبة لقبط مصر .
(٣) المهيمن : المسيطر . والضياغم : جمع ضيغم ، وهو الأسد .

فإنى ببيروت أقمتُ لياليا ... ورَبِّكَ لم أحسب سواهن من عمرى
وقضَّيتُ أياما إذا ما ذكرتها ... غفرتُ الذنوبَ الماضياتِ من الدهر
لئن تكُ فى بغدادَ يادهرُ مُذْنبا ... علىَّ ففى بيروتَ كم لك من عذر
قرأتُ بها درسَ المكارمِ مُعجَبا ... بكلِّ كبير النفس ذى خُلُقٍ حر
فكنتُ بها من باذخ العزِّ فى الذُّرا ... ومن سَرَواتِ القوم فى أنجُمٍ زُهر (١)
وَداعاً وداعاً أيهـا القوم إننى ... مُفارِقكم لاعن صُدودٍ ولاهجر
لئنْ أزِفَ التَّرحال عنكم فإن بى ... إليكم لأشْوَاقا أحرَّ من الجمر
أوَدِّعكم والشوقُ بالصبر فاتكٌ ... كفتك الملوكِ المستبدين بالأمر
أحبكم قلبى اعترافا بفضلكم ... وأنكر فى يومِ النَّوى حكمةَ الصبر
ولا غَرْوَ أن أكرمتُمُ الضيفَ شيمةً ... تَوارثتُمُوها عن جُدُود لكم غُرّ
ألستُم من العُرْب الألى طارصيتهم ... إلى حيث يَبْقَى تحته طائر النسر
أعاريبُ نَهَّاضُون فى طلبِ العُلَى ... غَطَاريفُ سَبَّاقون فى حَلْبةِ الفخر
سأذْكرُكم ذكر المحبِّ حبيبَه ... وأشكرُكم شكر الجدوب إلى القَطر (٢)
فلا تحرِمونى من رضاكم فإننى ... إليكم إليكم ماحييتُ لذو فقر

إلى إيناس الوزير

إيناسُ إن مزاياك التى عَظُمتْ ... صارت بها تُضرب الأمثال فى الناسِ
إخالُ بيتِىَ لما جئتَ زائرهُ ... كأن وجهك فيه نُور نبراس
آنستنى بخصال فيك طيبة ... بحسنها أنعشت فكرى وإحساسى
كم أوحشتنى الليالى فى تصرفها ... فزال إيحاشها عنى « بإيناس »
أدامك الله يا إيناسُ تذكرة ... لوالد فات فضلًا كلَّ مقياس
قد كان يأسو جروحًا فىَّ دامية ... واليوم عندى جروح ما لها آس

(١) سروات القوم : سادتهم . (٢) الجدوب : جمع جدب ، أى الأرض الماحلة . والقطر : المطر .

فى مأدبة آل لطف الله

مما أنشد ارتجالا فى المآدب التى أقيمت للوفد العراقى بمصر سنة ١٩٣٦ :

فى آل لُطف الله لُطفٌ ساحرٌ   فى الُخلق والأنظار والأفواهِ
لله [illegible] لرفعــــة قدرهم   فلذا تسمّوا آل لطف اللهِ

فى مأدبة عبد الرحمن عزام بحلوان

المجد والفضل منشوران فى علمٍ   على بيوت بناها آل عَزّامِ
لما حللنا ضيوفاً فى مَرابعهم   نلنا بها كل إعزاز وإكرام
فسوف نشكرهم شكرا نخطّ به   لمجدهم سطر إجلال وإعظام

فى مأدبة حافظ عفيفى باشا

إن العفيفىّ حافظْ   على العَــــلاء محافظْ
لســــانه وهو طَلْق   للدرّ فى القول لافظْ
وطرفُــهُ للمعـــــالى   مَدَى الحيــاة ملاحظْ
له شمــائل غُـــــرٌّ   بهــا تزول الحفــائظْ
بهــا تُنــال المعــــالى   بهــا تطيب المواعظْ

فى مأدبة نظلة الحكيم

نحن ضيوفٌ لذات مجدٍ   مُؤَثَّل خالص صميمِ
لها طبــاع مهذّباتٌ   أرقّ من خطرة النسيمِ
والحسن فى خُلقِها المُعلّى   كالحسن فى وجهها الوسيمِ

إلى أبى ماجد المنديل

فى معرض الشكر والوداع

أبا ماجدٍ إنى عهدتك مبصرًا ... سرائرَ دهر أعجزت كل مبصرِ
إذا خفيَتْ يوما عليك حقيقة ... نظرت إليها من ذكاء بمِجْهر
وإن ليلة الخَطْب ادلهمتْ كشفتها ... بأوضاح صبح من فعالك مُسفِر
وتلك مزايا فيك أعلمتِ الورى ... بأن بنى المِنديل أكرم معشر
فهل خفِيَتْ حالى عليك وقد بدا ... «على غير شكوى» أنها حال مُقْتر
أتيتك من بغدادَ لم أدرِ ما الذى ... أتى بىَ إلّا أننى فى تحَيُّر
وأحمل فى جنبىَّ نفسا غنيـة ... وإن شَقِيت منى بجُثْمان مُعْسِر
ولو كنتُ فى بغدادَ أرضَى بذلةٍ ... لما جئت إلا ساحبا فضل مِئْزر
ولـكنني قد عِفْت أن أرد الغِنى ... ونفسىَ فى قيد من الذل مُقْفِر
وما عدل السعدونُ بى عن وفائه ... ولـكن جرى مجرى القضاء المقدَّر
وإن سدتيى عنك غيرُ مرجَّمٍ ... وإن مقـالى فيك غير مزوَّر
ولو أننى بِعت الثنـاء بنائل ... لما رضيت نفسى بغيرك مشترى
سأرحلُ عن ديوانك اليومَ أو غدا ... بعزمة لا وانٍ ولا متقهقِرِ
أودع منك اليوم حـرا وإنما ... أسافر عن مغناك غير مُخَيَّر
وسوف ترى منى لفضلك شاكرا ... وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب ... ليجعله أحدوثةً كلُّ مخبر

الكرخي ومن كذب في منعاه

أعَبُّودُ إنك ذو فطنةٍ   تعيش بهـا عيش حر سعيدْ
قريحـــة شعرك فيّاضة   لهـا فى الأناشيد مَرمًى بعيدْ
أتيت من الشعر بالمضحكاتِ   وبالمبكيات التى لاتبيـدْ .
فأعربتَ للناس عن قدرة   لها قـد عنا كل خصم عنيدْ
تقدمتَ فيها على السابقينَ   فمن ذا زَهـيرٌ ومن ذا لبَيدْ
فكم لك فى المدح أنشودة   مدحت بها كل شهمٍ مَجيدْ
وكم لك فى الهجو أعجوبة   صَفعتَ بها كل غاوٍ بليـدْ
يباهى بك الكرخُ أبناءهُ   ويُثنى عليك بمـا لامَزيدْ
ولكنّ حسادكَ الخاسرينَ   يَبيتون منك بغيظ شـديدْ
أشاعوا نعيّك من غيظهم   يريدون للشعْر ما لا يريدْ
ولمـا تبــين إخفـاقهمْ   لدى الناس عادوا بغيظ جديدْ
فعش وادعاً رَغمَ آنافهـم   بعمر جديد وعيشٍ رغيدْ

من خواطر الماضى

تَعوّدتُ إنشادى القريضَ المهذّبَا   وَنَزهتُ نفسى فيه أن أتكذّبَا
ومن أجْل حبى للحقيقة لم أكن   مع الزمن الغاوى إذا ما تقلبا
ومن أجل جُهدى فى استقامة منطِقى   أبَيْتُ لرأيى أن يكون مُذبذبا
وسافرت فى البُلدان طوراً مشرّقا   أرود العلى فيهـا وطوراً مغرّبا
وصاحبت من عُرْب وعُجْم أفاضلا   بهم كنت فى شتى المواطن مُعْجَبا
فلم أر فى عرب وعجم لقيتهم   ككردٍ علىّ فى الرجال مُهَذّبا
هو العالم الحبر الذى كنت مغرما   بآدابه منـــذ الشبيبةِ والصِّبا

فقد كان فى مصر صَريرُ يراعهِ ... يؤانسنى بالممتع الغَضِّ مُطربا
وكم كنت فى الآداب والعلم كاشفا ... بمقتَبَسٍ من نوره ما تحجَّبا
إلى أن أنار الشام بالعلم عند ما ... لجمعها أمسى الرئيسَ المرتَّبا
إذا مُعْجَبات العلم عنَّت فلا نرى ... سواك إليها يامحمد مُعْرِبا(1)

صورة

زهرة قد بدت من الأكمام ... فتجلى منها الجمال السامى
وتراءت منها الحقيقة حسنا ... لم يدنسه طائف الأوهام
إن تجريدها من الثوب يحكى ... أنفسنا جردت من الآثام
هى كانت قبل التجرد منه ... كوكبا غم نوره بغمام
إن قدس الأقداس يغضب من أن ... تتوارى وسامة الأجسام
وأشد الكفر الذى هو رجس ... كفر هذا الجمال بالأهدام
ضلة جاهلية أنكرتها ... رسل الفن فى هدى الإسلام

* * *

انظر الصورة التى انتزعتها ... من يد العرى ريشة الرسام
تلق فيها الجمال يضحك ضحكا ... يمترى الدمع من عيون الغرام
وترى نفسك الكئيبة منها ... فى سرور مهاجم مترامى
أنت منها فى نشوة المتحسى ... بنت كرم ولوعة المستهام
منظر يترك الجوانح منا ... فى هياج من الهوى وهيام
(ويرد الوجوه مستبشرات ... ويرد الثغور ذات ابتسام)
(يبهج النفس إذ يحرك منها ... وتر الشعر مطرب الأنغام)

* * *

(1) عنت : عرضت وظهرت .

خلعت ثوبها وأغضت حياء ... فأرتنا خلاعة فى احتشام
جلست جلسة الحيى وأبدت ... بالتعرى بداعة فى الوسام
ما احيلى اغضاءةً جعلتها ... كفريق فى لجة الأحلام
يتعامى عنها الحياء حياء ... ليراها بحيلة المتعامى
لسقوط الرداء عن منكبيها ... نهض الفن قائماً باحترام
(وغدا الحب راقصا بابتهاج ... وجرى الشعر شاديا بانسجام)

* * *

(ان هذا الجمال شىء عجيب ... حيرة فى العقول والأفهام)
(بين ألوانه وبين قلوب النا ... س جذب ذو حرقةواحتدام)
(وهو فى الحب صادق الأمر والنهـ ... ـى مطاع فى النقض والإبرام)
(إن يشأ فالصغار غير صغار ... وعظام الرجال غير عظام)
(هو نور يضىء فى أوجه الحب ... ويهدى إلى طريق الغرام)

عصاى الفتية

أنا شيخ وذى عصاىَ فتيّهْ ... قد أتتنى من « مَظهر » لى هديهْ
صَاغة « الصابئين » قد ألبسوها ... حليـة ذات صانعة عَبقريه
وشَحُوها من « مظهر » بكلام ... مُعْرِب عن مودة أخـويهّ
هى تحكى عصاه «ابن عمران» قدْرا ... فلذا صيغ رأسها رأس حيـه
فسأمشى بهـا قويًا سَوِيًّا ... بعد ما كنت ماشيًا كالحنيّةَ[1]
وستبقى الذكرى بهـا لإخاء ... مُوثَق بالوشائج الأدبيـه
ألستنى كرامة بإخائى ... لكريم من أسرة حِمْيريه

الأعظمية ١ شباط سنة ١٩٤٥ .

(١) الحنية : المحنية ، أى القوس المعوجة .

النشيد الوطنى

نحْنُ خوّاضو غِمارِ الـــــموت كَشّافو المِحَنْ
ما لنا غـــيرُ اكتساء الـــــعزّ أوْ لُبسِ الكَفَنْ
نبذل الأرْواحَ نَفْديـــــها لإحيــاء الوَطَنْ
هَلْ سِوَى الأرْواحِ لِلأوْ طانِ فى الدُّنيا ثَمَنْ
ياضَـــلالَ الأُلَى لَمْ يكونوا الفِدَى
إنْ تَمُتْ نَحْنُ فَلْــــتَحْيَ أوْطانُنَا

الى عبد الستار القرغولى

هاك عبد الستار حقك إنى — لست من منكرين ثابت حقك
غير أنى ذهلت عنــه وصدقى — فى ادعائى هذا مقيس بصدقك
إن تــكن قد عشقت شعرى فإنى — عاشقَ شـعرك البليغ كعشقك

دمعة على قبر الزهاوى

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى — مثل ميت وصرت بالموت حيا
ما حياة العظيم إلا خـــلود — بعـد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر — ناطق بالبقاء لم يخش شـــيا
أنت فى الفضل فرد حيا وميتا — حزت فى الحـالتين ذكرا عليا
سوف أبكى عليك شجوا و إنى — كنت أبكيك فى الحياة شجيا



تجمع هذه الصورة بين طائفة من أدباء العراق فى حفلة أدبية أقامها السيد محمود صبحى الدفترى على أثر جفاء حدث بين الزهاوى والرصافى وقد تصافح فيها الشاعران وظهرا فى وسط الصورة يحيط بهما بعض المدعوين من أدباء البلد وساسته .

فى مدرسة الامام الأعظم

مما كتب إلى العلامة الشيخ سعيد النقشبندى مهنئاً له بتعيينه مدرسة إلى مدرسه الامام الأعظم أبو حنيفه .

قد ازدهى للعلم تدريس — وزال عن طلابه البوس
واتضحت معالم العــلم لا . — يوجد رسم منــه مدروس
بعالم الآفاق من ربعه — له على كيوان تأسيس
سعيد الذى له السعد قد — طأطأ راساً وهو مرموس
العالم العيلم من لم تزل — تجدى اليه النجب العيس
يولج أهل الفضل فى قصده — ويعقب الادلاج تغليس
ويطرد الجهل به مثلما — يطرد بسم الله ابليس
فلا تسل عد معاليه إذ — تضايقت عنها القراطيس
وقل لمن حاول تعدادها — عقلك فى جهلك مطموس
يحصى الحصا عداً ولكنها — لها عن الاحصاء تقديس
القذم الغطريف لاشك فى — رؤيتــه للكرب تنفيس
يبسم إن جئت ولكنه — ذو هيبــة تحذرها الشوس
وليس للقانص علماً سوى — محفــله الحافل ناموس
كم أذعن الخصم له طائعاً — وانقاد للايمان قسيس
ما واصل فى العلم الا له — أنت له رئيس وهو مرؤس
وليس للبرهان فى حاجة — ان ضياء الشمس محسوس
أنت سليمان العلا والنهى — آصف والآداب بلقيس
أنت ولا غيرك فى خطه الـ — علم لداء الجهل تقريس
ونور أقمار سماء العلا — من شمس عرفانك معكوس

وإن يكن للفظ درًا فلا نعجب إذ صدرك قاموس
لو لم يكن مدحك فى الشعر لا يزدان تشطير وتخميس
ومذ حوى مدحك شعرى له بالعقد ذى الترصيع تجنيس
قلت وفى روضة انشاده روح التهانى لك مغروس
أرخ ودام لسعيد لدى أمامنا النعمان تدريس

هـ ١٣١٨

شكر ومديح

وكتب الى حسين فوزى النائب بعد تناوله الكتاب الذى استعاره منه :

أهدى إليك ياعظيم الجناب تشكراً لفضلك المستطاب
فياحسين صح عند الورى أنك غيث نائل ذو انسكاب
قد جمع الله جميع الندى فيك بحال عنفوان الشباب
فأنت فى أفق سماء العلا شمس علا ماحجبت فى ضباب
وانني أشكر طول المدى شكراً لارسالك ذاك الكتاب
جردتنى عن ثوب فقرى له كما نسل مرهفاً فى قراب
ناب أبوك عن علوم الهدى وأنت نبت عن هموع السحاب
علامة العصر جميع الورى قد هديت بعلمه للصواب
نحكم وكم معضلة أعجزت أماط بالفطنة عنها الحجاب
وكم جلا غامض علم لنا بفكره الثاقب مثل الشهاب
قد بهر الناس بعرفانه حيث أتاهم بالعجيب العجاب
وفاق فى الآراء أهل النهى وأوتى الحكم وفصل الخطاب
لم يقطع الأمر لنا حاكماً برأيه الصائب إلا أصاب

فهو لعمـــر الله فى قطعه | كالصارم المشحوذ منه الذباب
فكيف لا أمدحك اليوم إذ | أنك فرع أصل ذاك المهاب
وأنتمو أمجـــاد هذا الورى | وقد زكى العنصر منكم وطاب
وأنتم الرأس وما غيركم | من شرف المحتد إلا الذناب
ومنكم الفضـــل وأنتم له | وما سواكم فيـه إلا سراب
والله ذو الفضل من المجـد قد | ألبسكم فى الناس أبهى نقاب
فاشهد الله وكل الورى | إنى إلى أحسابكم ذو انتساب

القدوم المبارك

وكتب للعلامة الشيخ سعيد النقشبندى عنـد عوده من سامراء إلى بغداد للتدريس بمدرسة الأمام الأعظم .

ألا قد سر طالب كل علم | ومن بذل النفائس فى طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد | بمقدمه المبارك من غيابه
وتدريس العـلوم لطالبيها | لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضم بغير حد | فرائد كل عـلم فى عبابه
فقلت بعرض التاريخ بشرى | وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨ هـ .

إلى حسين النائب

وكتب إلى حسين فوزى النائب يستعير منه كتاباً :

رفعت أكفى نحو فضلك سائلا | سؤال الورى الوهاب يابن الأماجد
ومن قبل هذا يابن أعلم عصرنا | وحقك لم أمدد لغيرك ساعدى
فقـد عرضت لى ياحسين لُبانةٌ | بديوان شعر بن الحسين فساعد
وجد لى به بعض الزمان إعارةً | فلى فيه ياذا الفضل بعض المقاصد
ولا زلت مأوى للعفاة ومرجعاً | لكل بنى الغبراء ياذا المحـامد

إلى الدكتور زكى مبارك

إذا أطرى الأنام فتى أديبا فلابن مبارك أدب غزير
وعلم لا أشبهه ببحر فقد نضبت بجانبه البحور
لقيت به أخا أدب وعلم له شبه وليس له نظير
زكى نفسا فقيل له زكى وبورك فالمبارك منه خير
يمج براعه فى الطرس ليلا يشق دجاه صبح مستنير
أقام (بنثره الفنى) جسرا لمن فى الفن أعجزه العبور
جلا بذكائه سدف المعانى كأن ذكاءه للفهم نور
وخاض عباب بحر من بيان تحوم عليه من بدع نسور
إذا قرع المنابر يوم حفل رأيت الناس من فرح تمور
أصاخوا نحوه وقد اشرأبوا أكفهم تصفق أو تشير
إذا افتخرت به مصر وتاهت فكل بنى العراق به فخور

تخليد العظماء !

قالوا نخلد ذكره بحديقة غناء فيها تنبت الأزهار
ونضيفها فى التسميات إلى اسمه حتى يكون له بها تذكار
لهذا لعمر الله جهل تضحك العقلاء منه وتهزأ الأحرار
إن الحدائق لا تخلد باسمها من لا تخلد ذكره الآثار
ما نفع تسمية الأماكن باسم من خلت الضمائر منه والأفكار
من فاته غير المساعى فاته بعد الممات بغيرها الانشار
إن المعالى ما لهن مآثر مثل الليالى ما بها أقمار
هل تذكر الأشجار من بعد البلى إلا بما انتضدت بها الأثمار

والذكريات إذا أتت بشهودها حسن السماع وأحمد التكرار
من سار فى دنياه سيرة مصلح لهجت بخالد ذكره الأمصار
من عاش فى خطط البلاد مؤثرا أحيته بعد مماته الآثار

بين الرصافى والشيخ الراوى

أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم الراوى قصيدة إلى المرحوم الرصافى من جملتها البيت الآتى :

وأشعر أهل العصر عندى بلامرا جميل الزهاوى والرصافى المقدم

فنظم الرصافى القصيدة التالية وأرسلها إلى الشيخ الراوى :

للسيد الراوى ابراهيما فضل أضل الخافقين عميما
ومناقب لهج الرواة بذكرها وبها استحق من الورى تعظيما
شيخ إذا جالسته فى مجلس جالست منه مرشدا وحكيما
وإذا نظرت لشخصه متأملا أحسست فيك لشخصه تعظيما
داوى قلوب ملازميه بهديه فاصحّ منها ما رآه سقيما
يا أيها الشيخ الذى قد أدرك المجد المؤثل حادثا وقديما
أرسلت مألكة إلى كريمة ضمنتها الدر النضيد نظيما
أحسنت ظنك بى وحسن الظن من تلقاء مثلك يوجب التقديما
شكرا على شعر إلى بعثته فشفيت من قلبى الكلوم كلوما
شيم الكرام ورثتها من هاشم تركت فخار مفاخريك هشيما
أدنى احترامك أن تخصص بالعلى وأقل مدحك أن تعد كريما

إلى الشيخ قاسم القيسى

إذا قاسم القيسى مر بخاطرى تذكرت عهدا فى الصبا مر كالحلم
تذكرته إذ كنت للعلم طالبا بفكرى ومعى مجهد النفس والجسم
فقد كنت أحيانا أزور فنائه وانتابه للرشف من منهل العلم
وكم زرته فى جامع الفضل راجيا شفاء لما فى مدنف الفهم من سقم
إذا زرته يوما نثلت كنانتى فثقف منها كان ما اعوج من سهم
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت بلقياه عنى غمة الغرم والغنم
هو العالم الحبر الذى من يلذ به يكن فائزا بالعلم والأدب الجم
بما شاء فى التوضيح من واقد الذكا وما شاء فى التقرير من صادق الحكم
بقية أعلام مضوا وكفى به من العلم طودا فوق أطواده الشم
له نظر فى غامض العلم شامل ورأى سديد لا يحوم على الوهم
إذا ما نحا فى العلم قتل عويصة رماها بسهم من فطانته مصمم
نماه أبوه الشيخ أحمد للعلا فبورك فى الآباء من والد شهم
فقد كان فردا كأبنه فى ذكائه فجاء ابنه قرما تولد من قرم
وكان بتقسيم المواريث عالما ينيف بها رأيا على ثاقب النجم
فيارمسه اهنأ بالذى أنت رامس سقاك السحاب الجون بالوابل السجم

تقريض كتاب القيسى

هذا كتاب قد تبدا جامعا حكما تبين للنحاة التابعا
كشفت فوائده وهن فرائد عن وجه غانية المرام براقعا
أبدت بدائعه براعة قاسم من راح فى طرق المعارف بارعا
بحر تلاطم بالفنون و بدره لا زال فى برج السعادة طالعا
هذا لعمر أبى سحاب علومه قد سحّ للطلاب غيثا نافعا

الرصافي يحيي وفد مصر الشقيقة

أتى من مصر طلعتها بن حرب ... فاهلا بالمذلل كل صعب[1]
وأهلا بالذى ادخرته مصر ... لدفع ملمة وقرع خطب

هو الرجل الذى فى مصر قامت ... له همم تنفس كل كرب
تعهد بالمساعى العز مصرا ... فبدل جدب تربتها بخصب
أحب بلاده فسمعت منها ... له شكر الحبيبة للمحب

* * *

لقد شاهدت مبتهجا بعينى ... له فى مصر آثارا كبارا
ففى (الكبرى) له متحركات ... تخلد فى البلاد له الفخارا[2]
معامل ما رست غزلا ونسجا ... فأغنت فى صناعتها الديارا
وفى الاسكندرية باخرات ... له فى البحر تبتدر السفارا
وأما بنك مصر فذاك أمر ... به قد جل طلعت أن يبارى

* * *

إذا ما مصر فى المال استقلت ... فلا تخشى التأخر فى السياسة[3]
فان المال أكبر ما يرجى ... به نيل السعادة والرئاسة
إذا ما الشعب كان أسير فقر ... فما تجدى السياسة والحماسة
أيصبح فى سياسته طليقا ... أسير أوجب الفقر احتباسه

* * *

---

(١) زار العراق سنة ١٩٣٦ وفد مصرى يرأسه المرحوم طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى ومؤسس بنك مصر وشركاته العديدة التى عادت على مصر بنتائج طيبة ما زالت تذكر فتشكر.

(٢) يريد بالكبرى « المحلة الكبرى » وهى مدينة مزدحمة بالمعامل ويعود الفضل فى تصنيعها الى المرحوم طلعت حرب باشا.

(٣) يشير الى أن الاستقلال الاقتصادى هو أهم من الاستقلال السياسى.

رجال النيل حييتم رجالا　　بما للعرب فيكم من سمات
بكم طرب الفرات وقال جهرا　　لوادى النيل أنك من لداتى
كلانا جاريان على سهول　　بأبناء العروبة آهلات
كلانا فى الأخاء له نواضى　　ضمن لنا النجاح بكل آت
وتجمعنا جوامع كبريات　　وأكبرهن سيدة اللغات[1]
لقد زرناكم قبلا فكنا　　على نشر التجلة والكرامه[2]
فمن بيت يمد به سماط　　ومن وجه تضىء به ابتسامه
وما هذا لعمر الحق منكم　　ببدع بل لكم فيه استقامه
وما زرناكم لكبير ملك　　ولكن للأخوة والشهامه
ألا فلتحى مصر فنحن نرجو　　لكم فيها السعادة والسلامه

* * *

وكم فى مصر من بطل سواكم　　يسير بها على خطوات سعد[3]
وكم راق بها فى جو علم　　فيستهدى لأنجمه ويهدى
وكم ساع لها بخطى بن حرب　　ليسعدها بما يُغنى ويجدى
ولكن ابن حرب فى دجاها　　كبدر الأفق حل ببرج سعد
فكيف تكون مصر فى اسار　　وفيها اليوم من يحمى ويفدى

---

(١) يريد بسيدة اللغات اللغة العربية كما قال شوقى :
إن الذى ملأ اللغات محاسنا　　جعل الجمال وسره فى الضاد
(٢) يشير إلى زيارته مصر ممثلا العراق فى آذار سنة ١٩٣٦ وإلى الحفاوة التى لقيها وزميله الأثرى من المصريين الكرام كما أشار إلى ذلك فى قصيدته (التى حيا بها مصر هنالك) .
(٣) هو زعيم مصر سعد زغلول مؤسس حزب الوفد وباعث النهضة السياسية .

١ — فهرس موضوعات القصائد

٢ — فهرس القوافى

صدر من هذه السلسلة

١- عيون الغرباء .... فتحى غانم
٢- السرداب رقم ٢ .... يوسف الصائغ
٣- حكايات للأمير .... يحيى الطاهر عبد الله
٤- مجنون الورد .... محمد شكرى
٥- نجمة .... كاتب ياسين
٦- نهر المجرة .... عبد الوهاب البياتى
٧- السد .... محمود المسعدى
٨- بناية ماتيلد .... حسن داوود
٩- سرير لعزلة السنبلة .... محمد الأشعرى
١٠- حجر الضحك .... هدى بركات
١١- سأهبك غزالة .... مالك حداد
١٢- الخماسين .... غالب هلسا
١٣- حزن فى ضوء القمر .... محمد الماغوط
١٤- مختارات .... وديع سعادة
١٥- سباق المسافات الطويلة .... عبد الرحمن منيف

١٦- دعوا الشقاء سالما (مختارات)............ عباس بيضون

١٧- أف ! (مختارات) .... زكريا تامر

١٨- مجنون الحكم .... بنسالم حميش

١٩- مختارات من القصة المغربية.. اختيار وتقديم أحمد بوزفور

٢٠- يغـيـر البـحـر ألوانه .... نازك الملائكة

٢١- مختارات من القصة العراقية .... ياسين النصير

٢٢- ملحمة السراب .... سعد الله ونوس

٢٣- عليك تتكئ الحـيـاة .... ممدوح عدوان

٢٤- حكاية زهرة .... حنان الشـيخ

٢٥- ليس فى رصيف الأزهار من يجيب ...... مالك حداد

٢٦- أهل الهوى .... هدى بركات

٢٧- النحنحات ورائحة الخطو الثقيل .... إبراهيم صموئيل

٢٨- ممالك ضائعة .... على جعفر العلاق

٢٩- قمر شيراز .... عبد الوهاب البياتى

٣٠- عزيزى السيد كواباتا .... رشيد الضعيف

٣١- سهل الغرباء .... صلاح الدين بوجاه

٣٢- صيف لن يتكرر .... محمد برادة

٣٣- كتاب الأيام والأنام ....جمال أبو حمدان

٣٤- طيور الحذر .... إبراهيم نصر الله

٣٥- وليمة لأعشاب البحر .... حيدر حيدر

من أعـــدادنا القـــادمة

* القصة القصيرة فى السودان.......... اختيار وتقديم: فؤاد مرسى
* شجر طيب .... إبراهيم نصر الله
* باء مثل بيت.. مثل بيروت...................... إيمان حميدان يونس

رقم الإيداع :١٩٦٣٣ / ٢٠٠٤

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)

آفاق عربية

إن شعر الرصافى ليس مجرد شاهد على عصره المفعم بالصراع والأحداث المثيرة فى العراق والوطن العربى كله، ولكنه - فضلا عن ذلك وأكثر أهمية - دليل صادق على وعى صاحبه بأساليب الاستعمار، والعمل على فضحها.. ثم هو محاولة لاستنهاض قومه وبعث الحماسة فيهم ليستدركوا ما فاتهم، فضلاً عن أنه مدافع صُلب عن دينه وعن وطنه، يتصدى للأكاذيب التى تشاع عن الإسلام وموقفه عن المرأة ومن العلم والأخذ بأساليب التقدم.



شركة الأمل للطباعة

الثمن: خمسة جنيهات